الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

الحضارة الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية

موسومة بـ:

الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية

(924 -1245هـ/ 1518 -1830م)

تقديم الطالبة:

لزغم فوزية

بإشراف الدكتور:

محمد بن معمَّر

السنة الجامعية: 1426/ 1427هـ

الموافق لـ: 2005/ 2006م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية

موسومة بـ:

الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية

(924 - 1245هـ/ 1518 - 1830م)

تقديم الطالبة:
لزغم فوزية

بإشراف الدكتور:
محمد بن معمَّر

السنة الجامعية: 1426/ 1427هـ
الموافق لـ: 2005/ 2006م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من سكنا السويداء من قلبي، ودفعا بي للعلم: والدي الكريمين -حفظهما الله ورعاهما-, وإلى أخويَّ وأخواتي، وإلى رفاق المشوار الدراسي الزملاء والصديقات، وإلى كل أسرة مخبر المخطوطات «شمال إفريقيا » بالحضارة الأسلامية، وإلى كل من أعانني ولو بالكلمة الطيبة، وإلى كل من تكبّد عناء البحث في تاريخ الجزائر.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي لا يُخيِّب من استجدى كرمه، ولا يَخيب من استدعى نِعمه.

إنّه لمن دواعي الأمانة والوفاء أن أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذتي الأفاضل الذين كان لهم الفضل الأكبر في إخراج هذا البحث المتواضع إلى النور بعد الله سبحانه وتعالى، وأخص بالذكر أستاذي المشرف الدكتور محمد بن معمر؛ الذي لم يبخل عليّ بملاحظاته القيمة، ونصائحه السديدة، فله جزيل الشكر على صبره الجميل، وعلى إنفاقه في سبيل القراءة والتصحيح من وقته الثمين، كما أشكره على ما زودني به من مصادر تتعلق بالبحث.

كما أشكر أستاذي الدكتور عبد المجيد بن نعمية على ما بذله من جهد في سبيلنا طيلة مشوارنا الدراسي، وعلى سؤاله الدائم عن سيرورة البحث، وعلى فتحه لنا مخبر المخطوطات على مصراعيه، فجزاه الله عنّا ألف خير.

وهذا العمل مدين أيضا بالشكر والامتنان للأستاذ أحمد الحمدي؛ الذي خصّني بتوجيهات ونصائح قيمة، وتكّبد عناء حمل الكتب المتعلقة بالبحث، فجزاه الله عن ذلك أحسن الجزاء، ووفقه وسّدد خطاه.

وكان ممَّن أفادني بنصائحه السديدة سيَّما فيما يتعلق بالجانب اللغوي في الرسالة الدكتور قلايلية، والدكتور عبد الحليم بن عيسى، والأستاذة سعاد قنفود، والأستاذة فاطمة لعيبي، فلهؤلاء جميعا فضل واجب الشكر، لما أسدوه لي من جميل صاحبني في رحلتي لإعداد الرسالة من مبتدئها إلى منتهاها.

وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إعداد هذا البحث، وأخص بالذكر أستاذ الإعلام الآلي السيد ناصر بلهزيل، والله لا يضّيع أجر من أحسن عملا.

قائمة الاختصارات:

المصطلحات باللغة العربية:	المصطلحات باللغة الفرنسية:
- تح: تحقيق - تر: ترجمة - ج: جزء - س: سنة - ص: الصفحة - ظ: ظهر - ط: طبعة - ع: عدد - ق: ورقة - مج: مجلد - مخ: مخطوط - م: ميلادي - هـ: هجري - و: وجه	-Ibid: المرجع نفسه - N: الرقم - Op-cit: المرجع السابق - P: الصفحة - R. Af: المجلة الإفريقية

مقدمة

- **مقدمة:**

حظيت الجزائر العثمانية بالعديد من الدراسات التاريخية التي شملت الجوانب السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية. وقد نال التعليم في إطار هذه الدراسات المنجزة حيزا هامًا، وذلك من خلال تناول طرق التدريس ومناهجه، بالإضافة إلى مؤسساته التي حصرتها الدراسات المُشار إليها في: الكُتَّاب والمسجد، والزاوية والمدرسة. وكان هناك تداخل في المهام والمناهج، وبالتالي في الأطوار التعليمية بين المؤسسات المذكورة.

ونظرا لعدم خضوع التعليم لقواعد وبرامج معينة، فالطالب هو الذي كان يتخير الأستاذ المُبرز المَشهُود له بالبراعة والتضلع، علمًا أنَّ شهرة الأستاذ التي كانت تتأتَّى في الغالب عن كثرة تلامذته وتوافد العلماء عليه، هي التي كانت تخول له الحق في منح الإجازة العلمية.

وكان على الطالب الرَّاغب في الاستزادة من العلم أن يَشُدّ الرِّحَال إلى كبار العلماء داخل الجزائر، وإلى أشهر المراكز الإسلامية بالمغرب والمشرق، في وقت لم تكن فيه الحدود السياسية تتحكم في تنقلات الأفراد. وقد كان الجزائريون حريصين في أسفارهم على التعليم والتعَّلم، فكانوا يتتلمذون أينما حَّلوا على أبرز العلماء إلى أن ينالوا منهم سِعة الإطلاع والتعمق في المعارف، ويحصلون منهم على إجازات في مختلف العلوم المتداولة آنذاك، كما تصدى كبار علماء الجزائر للتدريس خارجها ومنحوا الإجازات. وعليه يُمكن أن نُمَّيز بين ثلاثة أصناف من الإجازات: إجازة الجزائريين لبعضهم، وإجازة الجزائريين لغيرهم، وإجازات العلماء المسلمين لعلماء الجزائر.

إنَّ التَساؤل الذي يُطرح بإلحاح في كل الدِّراسات المتعلقة بالتعليم هو " نهاية الدروس"، وبما أنَّ البرنامج لم يكن محددا يمكن أن نَتساءل عن نهاية العلاقة بين الأستاذ والطالب، فهل كانت العلاقة بينهما تنتهي دوما بإجازة؟ ما طبيعتها؟. بمعنى آخر: هل كان الأستاذ يكتب للطالب ما يُثْبِتُ قراءته عليه؟ أم يكتب له

إجازة لمزاولة مهنة التدريس والفتوى وغيرها؟ أم هي مجرد إذن من الأستاذ للطالب المجتهد الطموح وتسريحه له ورضاه عنه؟.

هذا عن العلاقة التي تربط الأستاذ بالطالب. وهناك مستوى آخر يتعامل به العلماء فيما بينهم، حيث كانوا يتتلمذون على بعضهم البعض، وكثيرا ما كانوا يتبادلون الإجازات. وعلينا أن نُمَّيز أيضا بين نوعين من العلماء: أعلام العلماء المدرسين، وآخرين لم يبلغوا مستواهم.

والمُلاحظ أنَّ بعض الإجازت العلمية كان يُمنح بعد الملازمة والحضور والمواضبة، وبعضها الآخر كان إجابة لاستجازة المُجاز حتى بدون القراءة كالإجازة مراسلة. وهناك إجازات للعموم، بل إنَّ من العلماء من أجاز لمن أدرك حياته من أهل العلم وغيرهم.

إنَّ التعامل مع الإجازة العلمية بمفهوم العصر واعتبارها " شهادة كفاءة "، يصدق على النوع الأول منها، في حين لا يصدق على النوع الثاني الممنوح على الشكل المذكور، وهذا يُنبئ عن وجود أنواع مختلفة للإجازة العلمية تستدعي كل منها شروطا معينة لتحصيلها.

لقد كان النوع الأول من الإجازات؛ أي تلك التي تُمنح بعد مرحلة الدراسة عنوانا على تحصيل نصيب من العلم بالنسبة للمُجَاز، وعلامة على التبحر والتخَّصص في نفس العلم بالنسبة للمُجِيز، ولهذا فإنَّ الاتجاه العام للإجازات يُحَّدد العلوم التي تفوَّق فيها الجزائريون والمسلمون عامة، وتداولوها بالدراسة في مجالسهم التعليمية خلال العهد العثماني.

ومن أجل تحديد موقع الإجازة من المنظومة التعليمية بصفة عامة، وتقييم إسهامات العلماء الجزائريين في الحركة الفكرية والأدبية في العهد العثماني، ومعرفة روافد الثقافة في الجزائر تمَّ اختيار موضوع:" الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية "، وهي مدة تزيد عن الثلاثة قرون، تتَّبعت فيها الإجازات العلمية وأصحابها داخل الجزائر وخارجها. وتأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تبحث في مستوى محدد وهو التعليم من المستوى العالي، مع الأخذ بعين الاعتبار

صعوبة الفصل بينه وبين التعليم من المستوى الثانوي، على أنَّ أهمية البحث في الإجازات لا تكمن في حصرها، بقدر ما هو توظيفها في محيطها الذي وُجِدت فيه.

إنَّ من أهم الأسباب التي حملتني على اختيار هذا الموضوع هو أهمية الإجازة العلمية كوثيقة تاريخية بكل ما تحمله من إشارات تَخُص الحياة الفكرية في عصرها، بالإضافة إلى عدم وجود دراسة أكادمية – في حدود علمي-حول هذا الموضوع، حتى أنَّ مفهوم الإجازة العلمية لم يُضْبط ضبطا دقيقا في المصادر والمراجع التي اطلعت عليها. والدراسة الوحيدة حول إجازات العلماء الجزائريين خلال العهد العثماني هي دراسة الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه " تاريخ الجزائر الثقافي"، التي حصر فيها إجازات العهد المذكور، سيَّما تلك التي لا تزال مخطوطة، إلاَّ أنّه لم يتوسع بحيث أغفل الإجازات التي لا تتوفر نصوصها.

وقبل أن يخرج البحث بالصورة التي هو عليها، اعترضتني صعوبات جمَّة أهمها: اتساع المجال الجغرافي للبحث، لما يتطلبه من تتبع إجازات العلماء الجزائريين وتنقلاتهم عبر العالم الإسلامي، بالإضافة إلى قلة نصوص الإجازات العلمية، خاصة تلك التي تبادلها العلماء الجزائريون فيما بينهم. وبما أنَّ البحث يتعلق بهذه الوثيقة بالدرجة الأولى، فقد سعيت جاهدة للحصول على أكبر قدرمن نصوصها التي لا تزال مخطوطة، فاتصلت ببعض الزوايا في الجزائر منها: زاوية طولقة، فاعتذروا بكونهم لا يملكون أيّة إجازة علمية مع أنَّ الدكتور أبو القاسم سعد الله اطلع في زاويتهم على إجازة الشيخ أحمد البوني لابنه أحمد الزروق. واتصلت مرات عديدة بزاوية الشيخ البوعبدلي بآرزيو، فأكّد لي مديرها على وجود بعض الإجازات بها، ولكنه كان في كل مرة يعتذر بأنَّ المخطوطات غير مرتبة لأنّ الزاوية في طور الترميم. كما أكَّد لي الشيخ دحية أبو الأنوار على امتلاك زاويتهم ببوسعادة إجازات علمية، غير أنّها تعود إلى العهد الاستعماري. هذا عدا الاتصال بعدد آخر من الشيوخ في الملتقيات الوطنية الخاصة بالمخطوطات.

أمَّا بخصوص الإجازات المتواجدة خارج الجزائر فاتصلت ببعض الأساتذة المُترددين على المغرب، ولكن دون جدوى، كما اتصلت بدار الكتب المصرية عن طريق البريد الإلكتروني لمؤسسة شيخان المختصة بتصوير المخطوطات، فاعتذروا بكون هذه الإجازات في مجاميع متفرقة، وأنَّها أقل من الحجم الذي تتكفل المؤسسة بتصويره. كما اتصلت بالدكتور أبو القاسم سعد الله فرَّد علي برسالة مؤرخة ب15 جوان 2004، شجَّعني فيها على البحث في هذا المجال، ولم يبخل فيها بنصائح وتوجيهات قيمة حول الموضوع.

أمّا المنهج المتَّبع فهو المنهج التحليلي، فقد ناقشت كل ما رأيت أنَّه يستحق المناقشة والتحليل، محاولة من وراء ذلك كله التوصل إلى استنتاجات وأفكار جديدة. واستعنت بالنتائج التي توَّصل إليها بعض الدارسين في تاريخ الجزائر الثقافي إبّان العهد العثماني في إثراء الموضوع. إنَّ هدف هذه الدراسة ليس هو جمع واستقصاء الإجازات العلمية بقدر ما هو توظيفها في محيطها الذي وجدت فيه، والاهتمام بدراسة الظروف والأوضاع المختلفة التي تحيط بها كالحياة العلمية، بل حتى السياسية في بعض الأحيان، لما فيها من تأثير مباشر على الحركة الفكرية.

وقد اعتمدت في إنجاز هذا العمل على مصادر متنوعة منها المخطوطة والمطبوعة. ولمَّا كان البحث يتعلق بوثيقة " الإجازة " فأهَّم المصادر هي تلك التي تُزَّودنا بنصوصها الكاملة، وأهمها كتب الرحلات؛ ذلك أنَّها تحتوي على مادة مهمة في الجانب الفكري والثقافي، لمواظبة الرَّحالة العلماء على التعليم والتعلم أينما حلوا، ولهذا يجيزون و يستجيزون، فيُدوِنون نشاطهم الفكري ضمن رحلاتهم. كما اعتمدت على عدد كبير من كتب تراجم الرجال، وبعض الوثائق التي تمكنت من جمعها، إضافة إلى مراجع مختلفة.

ومن أكثر المصادر المخطوطة إفادة للموضوع «المجموع رقم: 335- مصطلح الحديث بدار الكتب المصرية »: يقع المجموع في 98 ورقة، ويبدأ بتسجيل لختم صحيح البخاري في سنة 1033هـ، ثم تتلوه موضوعات مختلفة

منها: الاستدعاءات والأسانيد، وأكثرها الإجازات التي بلغ عددها حوالي ستة وثلاثين إجازة، خُصِّصَ لكل منها صفحة أو صفحات ولا تضاف إليها إجازات أخرى إلاَّ أن تكون تابعة لها أو ملحقة بها. وقدّسبقت بعضها بعناوين على هذا الشكل: « إجازة من فلان لفلان »، وفي هذه الحالة يُفرَد للعنوان صفحة كاملة. أمّا تاريخ المجموع فليس موضحا به، ولكن يغلب على الظّن أنَّه القرن الحادي عشر الهجري، لأنَّ ختم البخاري الذي يبدأ به، وأغلب الإجازات تعود إلى هذا القرن[1]، بالإضافة إلى وجود خط الشيخ يحي الشاوي به.

أمَّا ناسخ المجموع فليس شخصا واحدا لاختلاف الخطوط به، وهذا يدفعنا إلى القول بأنَّ المجموع عبارة عن كراسة كانت موضوعة بأحد مساجد مصر، فسُجِل بها ختم صحيح البخاري، ثم سجَّل فيها العلماء إجازاتهم وما يتعلق بها، بعضها كتبت أصالة به، وبعضها الآخر نسخت به. ومن هذه الإجازات أربعة إجازات متفاوتة الحجم لعلماء جزائريين. وممَّا يزيد في أهميتها أنَّها لا توجد في الكتب المطبوعة، والأهم من ذلك كله أنَّه ينقل النصوص كاملة.

ومن أهم المصادر المخطوطة التي تزودنا بالإجازات: المجموع رقم: 181- مصطلح الحديث بدار الكتب المصرية، ومخطوط « إتحاف القاري بحياة خليفة بن حسن القماري» لمحمد الطاهر التليلي.

- ومن أهم كتب الرحلات المعتمدة في البحث:

- «روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس» لأحمد المقري المتوفى سنة 1041هـ/ 1631م: وهي الرحلة التي ألَّفها عن زيارته الأولى للمغرب الأقصى بين سنتي 1009و1010هـ. وقد نشرت اعتمادا على نسخة وحيدة، يغلب على الظّن أنَّها بخط المؤلف. وتحتوي الرحلة على معلومات هامة حول الحياة الفكرية في المغرب على عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي.

---

[1]- تعود بعض الإجازات إلى نهاية القرن العاشر الهجري، ولكن أغلبها يعود إلى القرن الحادي عشر الهجري.

وقد ترجم فيها المقري لأربعة وثلاثين عالما من علماء لقيهم بفاس ومراكش. وممَّا جعل الرحلة مهمة بالنسبة للبحث أنّها تضمنت بعض الإجازات العلمية التي كتبها عدد من شيوخ المغرب الأقصى للمؤلف.

- « رحلة المقري إلى المغرب والمشرق » لنفس المؤلف: ويغلب على الظَّن أنَّه كتبها سنة 1041هـ؛ أي في السنة التي توفي فيها. وقد حققها أستاذنا المشرف الدكتور محمد بن معمر تحقيقا أكاديميا، اعتمادا على نسختها الوحيدة المتواجدة في المكتبة الوطنية الجزائرية، وطبعت لأول مرة في سنة 2004م. وهي تختلف عن رحلته الأولى لأنَّها لا تخص منطقة أو قطرا بعينه، بل هي حوصلة تجاربه وتنقلاته بالحجاز ومصر، والشام وفاس، ومدينة الجزائر وتونس وغيرها. وللرحلة أهمية كبيرة فهي ترصد بعض رحلات المؤلف بتواريخها، وتجمع ما تبادله مع العلماء والأعيان هناك من رسائل، وتقاريظ، وأشعار، وألغاز وإجازات نثرية ونظمية، فاقت العشرين إجازة علمية أورد جلها بنصوصها كاملة.

- « الماء الموائد » للشيخ أبي السالم عبد الله العياشي المغربي المتوفى سنة 1090هـ/ 1679م، وتعرف بالرحلة العياشية: جمع فيها المؤلف مشاهدات وملاحظات ثلاث رحلات حجازية، وبالأخص رحلة سنة 1073 و1074هـ. وأثناء رحلاته هذه عبر الصحراء الجزائرية عدة مرات، وسجل انطباعاته حول قراها وزواياها ومساجدها وعلمائها. وتأتي أهمية الرحلة في كون مؤلفها لقي في الحجاز الشيخ عيسى الثعالبي فلازمه ودرس عليه، وحصل على إجازاته. وقد خصص العياشي قسماً كبيرا من الجزء الثاني للرحلة للحديث عنه، وذيَّل العياشي رحلته هذه بثبته الذي احتوى على إجازة شيخه الثعالبي له، وذلك ما أخبر به هو نفسه، غير أنّه لم يطبع مع الرحلة.

- « نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان » للأديب المغربي محمد بن زاكور المتوفى سنة 1120هـ/ 1708م: ألّفها ابن زاكور عن الزيارة التي قام بها إلى الجزائر وتطوان بين سنتي 1093و 1094هـ، تلك الزيارة التي اغتنمها للاجتماع بعدد من العلماء والقراءة عليهم واستجازتهم. طبعت الرحلة

للمرة الثانية بالمغرب سنة 1967، حيث نشرها الأستاذ عبد الوهاب بن منصور اعتمادا على النص المطبوع بالجزائر لأول مرة في سنة 1902م. ورغم أنَّها لا تتجاوز المئة صفحة، فهي ذات أهمية كبيرة بالنسبة للحركة الفكرية بمدينة الجزائر خلال القرن الحادي عشر الهجري (17م)، لملازمة مؤلفها لعدد من كبار العلماء المدرسين بها وأخذه عنهم، ومدحهم بقصائد عديدة، تقدم بها إليهم في مناسبات مختلفة. ورغم غلبة الأسلوب الأدبي على الرحلة، فإنَّ ما كتبه عنهم ابن زاكور يعد المصدر الوحيد لتراجم هؤلاء العلماء. وقد تضمنت الرحلة أربعة نصوص كاملة لإجازات علماء مدينة الجزائر. وللإشارة فإنَّ هناك من يعتبر هذا الكتاب فهرسة.

- « لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال » للشيخ عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري المتوفى حوالي سنة 1200هـ/ 1785م، وتعرف " برحلة ابن حمادوش": قام الدكتور أبو القاسم سعد الله بنشر الجزء الثاني منها سنة 1982م، لأنَّ بقية أجزائها مفقودة، معتمدا على مخطوطة المكتبة العامة بالرباط.

سجل ابن حمادوش في رحلته هذه ما عرض له وما شاهده، وما اطلع عليه شخصيا من أحداث ووقائع لفترة تناهز الأربع سنوات من حياته (1156-1161هـ/ 1743- 1748م)، ووضعها في شكل مذكرات شخصية، واعتمد فيها على الترتيب الزمني حسب السنوات والشهور والأيام، فجاءت مقتصرة على أخبار الجزائر والمغرب الأقصى. وهي مصدر أساسي للتعرف على الحياة الاجتماعية والثقافية في المغرب الأقصى خلال القرن الثاني عشرالهجري (18م). وقد استعمل عبارات واضحة وبسيطة، وبعيدة عن التنميق والمحسنات البديعية، وإن لم يستطع التخلص من الألفاظ والعبارات العامية. وتضمنت الرحلة بضعة نصوص كاملة لإجازات كتبها عدد من علماء المغرب للمؤلف.

- « نزهة الأنظار في فضل علم التواريخ والأخبار » للشيخ الحسين بن محمد الورتلاني المتوفى سنة 1193هـ/ 1779م، وتعرف "بالرحلة الورتلانية": تكمن أهمية الرحلة في أنَّ مؤلفها خصص جزءً لشيوخه الذين درس عليهم

وأجازوه أثناء حجاته وزياراته الثلاث للمشرق. وعلى الرغم من ضخامة الرحلة فإنَّ الحيِّز المخصص لشيوخه ضئيل جدا، وهو ما يقلل من أهمية الرحلة بالنسبة للرحلات سالفة الذكر، سيما وأنَّهما لا تحتوي على نصوص الإجازات ولا على مقاطع منها.

أمَّا كتب التراجم فهي كثيرة ومتنوعة من أهمها:

- « دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر » لمحمد بن عسكر الحسني الشفشاوني المتوفى سنة 986هـ/ 1578م: الكتاب بمثابة فهرسة ترجم فيها المؤلف لشيوخه في علمي الظاهر والباطن، إلاَّ أنَّه توسع فذكر كل من عرف من مشايخ القرن العاشر الهجري، وهو يضم مئة وثلاث وخمسين ترجمة، غير مرتبة لا حسب حروف المعجم ولا حسب الوفيات. وامتاز الكتاب بركاكة الأسلوب ومخالفة قواعد اللغة العربية، والإسهاب في الحكايات الأسطورية، وخلطها بقصص الكرامات المعقولة، وعدم ضبط تاريخ وفيات المترجم لهم ضبطا دقيقا، حيث تكاد ظاهرة التقريب عنده تكون شاملة. ورغم ما يؤخذ على الكتاب إلا أنَّ أهميته تكمن في ترجمة مؤلفه لبعض علماء تلمسان المهاجرين إلى المغرب، والذين درس عليهم وتحصل على إجازاتهم.

- « منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية » للشيخ عبد الكريم الفكون المتوفى سنة 1073هـ/ 1662م: انتهى الفكون من تأليفه سنة 1045هـ، وبلغت عدد تراجمه 75 ترجمة لعلماء قسنطينة ونواحيها، خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، وهي تختلف في الطول والقصر، وقلما يذكر تاريخ الوفاة، وقد يترك بياضا إذا لم يتوفر له.

اشتمل الكتاب على أربعة أصناف من التراجم لكل صنف فصل خاص به. الأول للعلماء والصلحاء المقتدى بهم، والثاني لمدعي العلم والمتشبهين بالعلماء، والثالث لمدعى الولاية والدين من الدجاجلة والمبتدعة، أمَّا الفصل الختامي فقد خصصه لذكر بعض الأصحاب والأحباب وأغلبهم خارج قسنطينة.

هذا، وقد وُضع الكتاب أساسا لهدف إصلاحي؛ فهو يتحسر على مجتمعه الذي انتشر فيه الجهل والفساد، وتلاشت فيه القيم والمبادئ، ولهذا فهو على أهميته في الحياة الفكرية في قسنطينة لا يخدم الموضوع بصورة مباشرة، حيث لم يشر المؤلف إلاَّ إلى إجازة واحدة منحها لأحد العلماء الذين درسوا عليه، ولم يورد نصها ولا مقطع منه.

- « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » لمحمد أمين المحبي المتوفى سنة 1111هـ/ 1699م: يضم تراجم عدد كبير من العلماء والأعيان من أهل الشام واليمن، والحجاز ومصر، ولأهل المغرب الإسلامي. وتراجمه مرتبة على حروف المعجم. وذكر في مقدمة كتابه أنَّه استمده من "ذيل الكواكب" للنجم الغرى، و"طبقات الصوفية" للمنادي، و"الريحانة" للخفاجي وغيرها. وقد أفاد البحث كثيرا حيث ترجم لبعض مشاهير العلماء الجزائريين بالمشرق، وكان قد لقي بعضهم ودرس عليهم كالشيخ عيسى ثعالبي ويحي الشاوي الذي حصل على إجازة منه. كما ترجم لعلماء درسوا عليهم هناك. ويتميز بإحاطته الترجمة من مختلف جوانبها: الشيوخ والتلاميذ، الرحلات والمؤلفات، والوظائف، وغيرها. ومع أنَّه لا يغفل الإشارة إلى إجازات تراجمه، إلا أنَّه نادرا ما يورد الإجازة أو مقطع منها.

ومن كتب التراجم والسير الذاتية المكملة:

- « نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني » لمحمد بن الطيب القادري المتوفى سنة 1187هـ/ 1773م: رتبه مؤلفه بسنوات الوفاة؛ بحيث يترجم لمن توفى خلال السنة الواحدة. وقد ترجم لعدد كبير من العلماء اعتمادا على مصادر معاصرة لهم كرحلة العياشي و"أزهار البستان" و"كفاية المحتاج لمن ليس في الديباج" وغيرها. ورغم أهمية الكتاب إلا أنّه لا يخدم البحث بطريقة مباشرة.

- « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» لمحمد خليل المرادي الدمشقي المتوفى سنة 1206هـ: الكتاب مرتب ترتيبا أبجديا، وقد جمع فيه مؤلفه تراجم

أعيان ذلك القرن من جميع الأقطار الإسلامية، واعتمد على مصادر مختلفة كالنفحة للمحبي وذيلها للمحمودي وغيرها، بالإضافة إلى رواية معاصريه.

- « فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته » لمحمد أبي راس الناصري المعسكري المتوفى سنة 1823م/ 1239م: يكتسي الكتاب أهمية كبرى إذ تسلط الأضواء على حياة صاحبها وآثاره، ويعطينا صورة عن التعليم في مازونة ومعسكر اللتين درس بهما المؤلف، ورحلاته وشيوخه الذين لقيهم وأجازوه، غير أنّه لا يتعرض بالتفصيل لإجازاته ولا ينقل نصوصها.

- « تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار» لعبد الرحمن الجبرتي المتوفى سنة 1237هـ/ 1821م: الكتاب مرتب حسب تواريخ وَفِيات المُترجم لهم، حيث يسرد في كل السنة الحوادث التي عرفتها مصر خلالها، ويُنهيها بذكر من توفي خلالها من الأعيان والعلماء. وتبدأ الأحداث منذ مطلع القرن الثاني عشر للهجرة إلى بداية القرن الثالث عشر للهجرة.

ويأتي في مقدمة كتب التاريخ العام المعتمدة في البحث:« نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » لأحمد المقري: يتألف من قسمين رئيسيين الأول: فيما يتعلق بالأندلس من الأخبار، ذكر فيه تاريخ وجغرافية وسكان الأندلس، منذ فتحها على يد طارق ابن زياد إلى آخر أيام بني نصر في غرناطة. أمّا القسم الثاني فهو مخصّص للتعريف بلسان الدين بن الخطيب.

ويقوم الكتاب على اقتباس النصوص، وعرض الروايات، وتسجيل الذكريات. ويهمنا الجزء الثاني منه لاحتوائه على فصل مخصص لدمشق، أورد فيه المقري جملة من الاستدعاءات تقدم له بها بعض علمائها أثناء زيارته لها سنة 1037هـ، وستة إجازات نظمية لبعضهم.

- « الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني » لابن سحنون الراشدي المتوفى بعد سنة 1211هـ/ 1796م: يقوم هذا الكتاب على شرح أرجوزة وضعها ابن سحنون في فتح وهران الثاني سنة 1206هـ/ 1791م، يدور موضوعها حول

الإشادة بفاتحها الباي محمد الكبير، أتَّم نظمها مع شرحها الثغر الجماني في شهر رمضان سنة 1207هـ. وقد أخذ ابن سحنون في شرحه لأرجوزته بالطريقة التقليدية، فشرح كل بيت بما يناسب من البديع، ثم يشرح الألفاظ والمعاني قبل أن يستطرد في عرض الأحداث والقضايا والطرائف.

ويتألف الكتاب من حيث المواضيع التي تعرض لها من أربعة أقسام وردت متداخلة، لتقييد ابن سحنون بأبيات قصيدته. تناول في الأول جهود الحكام الذين سبقوا محمد الكبير من أجل استرجاع وهران من الإسبان، ثم تعرَّض لسيرته، وخصص القسم الثاني للتعريف بوهران منذ تأسيسها، وتوسع في فتحها الأول على يد الداي محمد بكداش سنة 1119هـ/ 1708م، واسترجاعها من طرف الإسبان، ثم أفاض في ذكر جهود محمد الكبير من أجل استرجاعها للمرة الثانية، وعرض في القسم الثالث أحداث سياسة خاصة بتاريخ مدينة الجزائر ووهران، وتناول في القسم الرابع مواضيع تتصل بالثقافة العامة مثل الخيل والأهرام والنجوم. وقد اعتمد المؤلف على مصادر مختلفة، وسجل روايات معاصريه.

والكتاب من المراجع الأساسية للتعرف عن حياة الباي محمد الكبير؛ أحد الحكام العثمانيين القلائل الذين اهتموا بالحركة العلمية في الجزائر، وهو يعطينا صورة واضحة حول الرباط في فتح وهران الثاني ونشاط العلماء المجاهدين المدرسين به، من بينهم الشيخ محمد بن الموفق الجلالي، الذي تتلمذ عليه المؤلف، وحصل على إجازته سنة 1203هـ، وأورد نصها كاملا في هذا الكتاب.

- « أشعار جزائرية » للأديب أحمد بن عمَّار المتوفى حوالي سنة 1206هـ: الكتاب هو اختيارات لابن عمار من ديوان الشاعر محمد بن محمد بن محمد ابن علي. أمَّا الديوان الأصلي فقد جمع فيه صاحبه إنتاج أبرز شعراء الجزائر خلال القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين، منهم: جده الأعلى والأدنى ووالده، ومحمد القوجيلي، وأحمد المانجلاتي، ومحمد بن راس العين، وأحمد بن عمّار، ومحمد بن ميمون، وأضاف إليها بعض قصائده. وكان هدف ابن علي من هذا

الديوان عرض نماذج من الأشعار لأبرز الشعراء خلال القرنين المذكورين، وهو يذكر مع كل قطعة مناسبتها، ولم يكن غرضه الترجمة لأصحاب القصائد.

وممّا جعل الديوان مهما بالنسبة للبحث هو احتوائه على ثلاثة قصائد مدحية، نظمها بعض علماء مدينة الجزائر في بعض علماء المغرب الأقصى الواردين على المدينة، وهي عبارة عن استدعاءات لهؤلاء، إلا أنَّ المؤلف لا يذكر ذلك في مناسبة القصيدة، ويقدمها على أنَّ غرضها المدح، بل لا يمكن اكتشاف ذلك إلا بعد القراءة المتمعنة والمتأنية، كما لا يبين مدى استجابة العالم للاستدعاء.

أمّا المراجع المعتمدة في البحث فهي كثيرة ومتنوعة من أهممها:

- « تعريف الخلف برجال السلف » لأبي القاسم محمد الحفناوي: وهو يضم تراجم عدد كبير من أعلام الجزائر، مرتبة ترتيبا أبجديا، وأغلب تراجمه مأخوذة من كتب التراجم المعروفة منها: " عنوان الدراية " للغبريني، و" نيل الابتهاج" لأحمد بابا، و"صفوة من انتشر" لليفرني. وتكمن أهمية الكتاب في أنَّ بعض تراجمه مُسْتقاة من وثاق مخطوطة، سمح للمؤلف منصبه كمفتي بمدينة الجزائر على العهد الاستعماري بالإطلاع عليها والإستفادة منها. وقد أفادت البحث بشكل كبير، بحيث كان الكتاب المصدر الوحيد لهذه المعلومات سيَّما إجازت حمودة المقايسي، ومحمد الجعدي، ومحمد بن عبد الرحمن الأزهري التي أورد نصوصها.

- « فهرس الفهارس والأثبات والمعاجم والمشيخات والمسلسلات » لعبد الحي الكتاني: ترجم فيه صاحبه للعلماء الذين تتصل بهم رواياته، فذكر فهارسهم وأثباتهم التي تخول له إجازاتهم روايتها عنهم. والكتاب وثيق الصلة بموضوع البحث إلاَّ أنَّ الكتاني يقتصر على بعض إجازات العالم، كما لا ينقل نصوصها، ولا لمقاطع منها. وقد رتب تراجمه ترتيبا أبجديا؛ بحيث يذكر في كل حرف التراجم ثم الفهارس والأثبات، وكلما يترجم لشخص يذكر بعض أسانيد مروياته، ويتطرق لإجازاته، ويناقش بعض القضايا التي يراها تستحق المناقشة.

وأهم مراجع البحث مؤلفات الدكتور أبو القاسم سعد الله، ويتصدر القائمة «تاريخ الجزائر الثقافي»: اعتمدت بالخصوص على الجزأين الأول والثاني المخصصين للعهد العثماني (1500- 1830م). فقد تناول المؤلف كل ماله علاقة بالحياة الفكرية والأدبية والثقافية في العهد المذكور، كالتعليم والتأليف، والتصوف والعلوم، والفنون والمكتبات. وبالجملة لم يترك أمرا له علاقة بالموضوع إلا وتطرق له. وكان يختار في كل ميدان أكثر العلماء شهرة فيه ويترجم لهم تبعا له، فإن اشتهر عالم بالتدريس أُدرِج في فصل التعليم، وإن اشتهر بالتصوف أو بالتأليف في علم معين أدرج ضمنه وهكذا.

وممَّا زاد في أهمية هذا الكتاب اعتماد المؤلف على مصادر مخطوطة متنوعة مشتتة عبر مكتبات العالم. وهو يحلل ويناقش المعلومات التي يوردها، يجتهد في توضيح الملابسات. وقد مكَّنه تحكمه في اللغة العربية من أن ينفذ إلى الموضوع من منافذ مختلفة. وبهذا يكون الجزءان قد أفادا البحث بشكل مباشر. ومن الأمور التي حظيت بالدراسة في جزء الثاني « الإجازات »؛ التي خصص لها اثنتا عشر صفحة، ركز فيها على الإجازات التي لا تزال مخطوطة، ومع ذلك لم يورد نصوصها كاملة، وكان يكتفي أحيانا بإيراد مقاطع منها. والملاحظ أنَّ هذه الدراسة لم تلحق بالفصل الخاص بالتعليم، بل جاءت في الفصل الخاص بالعلوم؛ والذي يتناول التآليف الجزائرية في كل فن خلال العهد المدروس.

ومن مؤلفاته المُعوّل عليها أيضا:« شيخ الإسلام: عبد الكريم الفكون داعية السلفية »، و« المفتي الجزائري: ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي (1775-1850م) ». فالكتابان مخصصان لشخصيتين من أبرز علماء الجزائر العثمانية. الأول من مدينة قسنطينة والثاني من مدينة الجزائر. فقد أحاط في كل منهما الشخصية المدروسة من كل الجوانب، فتناول محيطها الفكري والسياسي، واهتم بالخصوص بمؤلفات العالم وآرائه. وبالجملة فقد استغل كل ما يقع بين يديه من مصادر حولها، خاصة المخطوطة. وكان في كل ذلك محللا ناقدا. وقد خص تلامذتهم وإجازاتهم بالحديث، وعلى الرغم من أنَّ ذلك لم يأخذ حيزا مهما بالنسبة

للكتاب ككل، إلاّ أنّه أفادنا بشكل كبير خاصة في إجازات ابن العنابي لإيراد المؤلف لبعض نصوصها.

وقد قسمت البحث إلى مدخل وأربعة فصول. المدخل تحت عنوان: « مفهوم الإجازة العلمية وأنواعها»، وهو عبارة عن فصل نظري تطرقت فيه إلى المفهوم العام للإجازة لغة واصطلاحا، ثم تطرقت للإجازة العلمية وأنواعها، مُحَاولة تحديد مفهوم كل نوع من أنواعها وأقسامه، معتمدة في ترتيبها على تاريخ ظهورها، حيث لم تظهر كل الأنواع في نفس الفترة. وتعود أغلب الإجازات التي استعملتها كنماذج للتوضيح إلى العصور السابقة للعهد العثماني.

والفصل الأول بعنوان:« الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين »، ويتضمن أربعة مباحث، الأول « التعليم من المستوى العالي في الجزائر العثمانية » يتطرق إلى بعض القضايا المتعلقة بالتعليم آنذاك، كانعكاسات عدم وجود جامعة بالجزائر على التعليم من المستوى العالي بها، وإلى العلوم التي كانت متداولة في مجالس التدريس، ونهاية الدروس، أخيرا حاولت تحديد أسباب قلة الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين.

وخصصت المبحث الثاني «لإجازات علماء مدينة الجزائر وضواحيها»، وتطرقت فيه إلى أهم مراكز حلقات الدروس العليا بالمدينة، وفي مقدمتها الجامع الأعظم، وإلى إجازات علمائها للعلماء الجزائريين. وتناولت في المبحث الثالث «إجازات علماء منطقة الشرق الجزائري»، ويضم إجازات مدينة قسنطينة، ثم إجازات علماء منطقة زواوة، ثم إجازات علماء مدينة بونة، وأخيرا إجازات علماء زاوية خنقة سيدي ناجي. أما المبحث الرابع فتطرَّقت فيه «لإجازات منطقة الغرب الجزائري»، وفي مقدمتها إجازات علماء مدينة معسكر وضواحيها، ثم إجازات علماء مدينة مازونة، وأخيرا إجازات علماء مدينة تلمسان.

وتجدر الإشارة إلى أنّ ترتيب الإجازات في المنطقة الواحدة يكون ترتيبا زمنيا. أما التطرق إلى الإجازة فيكون باعتبار المُجيز لا باعتبار المجاز له، فإذا أجاز مثلا عالم من مدينة الجزائر لآخر من مدينة قسنطينة أورده في إجازات

علماء المدينة الأولى وهكذا، وحتى إذا أجاز عالم جزائري لجزائري آخر خارج الجزائر، أورده في هذا الفصل في المدينة التي ينتمي إليها المجيز ويشتهر بنسبته إليها.

وورد الفصل الثاني بعنوان: «الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين وعلماء المغرب الأقصى وتونس»، قسمته إلى ثلاثة مباحث. الأول بعنوان: «التعليم من المستوى العالي بالمغرب الأقصى وتونس خلال العهد العثماني» لما في ذلك من تأثير كبير ومباشر على تنقلات العلماء والإجازات العلمية. ثم تناولت في المبحث الثاني «إجازات القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (16-17م)»، وفي المبحث الثالث «إجازات القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين (18/ 19م) ».

ويتضمن كل من المبحثين الأخيرين عناوين فرعية بهذا الشكل: (إجازات فلان...) أو(الإجازات المتبادلة بين فلان وعلماء المغرب وتونس) أو ما شابهه من العناوين. هذا بالنسبة للإجازات التي حصلت على مادة كافية حولها، أمّا تلك التي لم أتحصل إلاَّ على إشارات ونتف حولها فجمعتها في كل مبحث تحت عنوان أخير سميته: « إجازات علمية متفرقة متبادلة خلال القرنين... ».

أمَّا ترتيب الإجازات في هذا الفصل والفصل الذي يليه فهو ترتيب زمني، كما أنّ إيراد الإجازة يكون باعتبار نسب المجيز والمجاز له لا باعتبار مكان الإجازة. وقد حاولت من حين لآخر التطرق إلى أسباب رحلات وهجرات العلماء الجزائريين.

والفصل الثالث تحت عنوان:« الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين وعلماء المشرق »، وتناولته هو الآخر في ثلاثة مباحث. الأول « التعليم من المستوى العالي في المشرق خلال العهد العثماني»، أما المبحثين الثاني والثالث فتناولتهما، بنفس الطريقة المذكورة في الفصل السابق؛ أي « إجازات القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (16-17م) »، ثم « إجازات القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين (18/ 19م) »، ويضم كل مبحث عدة عناوين

فرعية، وختمتهما أيضا ب« إجازات علمية متفرقة خلال القرنين... »، وذلك في الإجازات لتي لم أتوصل إلى معلومات وافرة حولها.

ويُعَّد الفصل الرابع فصلا تطبيقيا ورد بعنوان: « نماذج من إجازات العلماء الجزائريين »، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث. الأول « خصائص الإجازة العلمية وقيمتها التاريخية » حاولت أن أجمع فيه النتائج التي توصلت إليها من خلال الفصول الثلاثة السابقة، فيكون بمثابة خاتمة لما سبق، وتمهيد للنماذج الواردة في المبحثين المواليين، فتناولت الخصائص من حيث البناء، والصياغة الأدبية، ثم تطرقت إلى أهمية الإجازة العلمية كوثيقة تاريخية بالخصوص.

وقد ورد المبحث الثاني بعنوان:« نماذج من الإجازات النثرية » ويضم أربعة نماذج من إجازات نثرية لعلماء جزائريين، تطرقت إلى بنيتها النموذجية بالإضافة إلى دراستها دراسة أدبية، محاولة الوقوف على ما فيها من إبداع من هذه الناحية، والمبحث الثالث « نماذج من الإجازات النظمية » وهو يضم أربعة نماذج لإجازات نظمية، واتبعت فيه نفس المنهج المتبع في المبحث الثاني.

أمَّا عن كيفية انتقاء النماذج فقد راعيت اعتبارات عدة أهمها: أن يكون كاتبها عالما جزائريا. وأن تُكتب لعلماء من مستويات مختلفة. كما حرصت على التنوع أيضا من ناحية الحجم، والصياغة الأدبية؛ أي أن تكون بعض النماذج ذات نسج قوي وأخرى أقل منها.

وأنهيت البحث بخاتمة؛ وهي عبارة عن تلخيص لبعض النتائج المُتوَّصل إليها في الفصول السابقة. والله الموفق.

المــــدخــــل

مفهوم الإجازة العلمية وأنواعها

I- مفهوم الإجازة

II- الإجازة العلمية وأنواعها

تُعَّد الإجازة في عصرنا الحالي تتويجا لمشوار دراسي مُعَّين، وهي بهذا المعنى استمرار لبعض أنواع الإجازة العلمية المَمْنوحة في العهود السابقة. وفيما يلي أنواع الإجازات العلمية -عند المسلمين- بأقسامها مرتَّبة ترتيبا زمنيا وفق تاريخ ظهورها.

I / - مفهوم الإجازة:

1– لغة:

الإجازة مصدر، وأصلها "إجْوَازَة " تحركت الواو، وتوَّهم انفتاح ما قبلها فانقلبت ألفا، وحُذفت إحدى الألفين لالتقاء الساكنين فصارت" إجازة "[1]. وهي مشتقة من الفعل جَوَّزَ، ويقالُ جُزْتُ الموضِع أي سِرْتُ فيه، وأجزتُه خَّلفَته وقَطَعتُه وأجَزْتُه أنْفَذْتُه[2]. والجَوَأز: الماء الذي يُسقاهُ المال من الماشية أو الحرث ونحوه، وقد إسْتَجَزْتُ فلانًا فأجازني؛ إذا سقاك ماءا لأرضك أو ماشيتك[3].

2– اصطلاحا:

يعتبر مصطلح " الإجازة " من المصطلحات الكثيرة التداول في التاريخ الفكري، إلاَّ أنَّ مفهومها يختلف باختلاف مجالات استعمالها. ويمكن حصر مفاهيمها وفقا لذلك كما يلي:

أ – **الإجازة في الشعر:** تعني أن تُتِم مصراع غيرك[4]، وقيل هي أن يكون الحرف الذي يلي حرف الرّوِي مضمُومًا، ثم يُكسر أو يُفتح، ويكون حرف الرّوي مُقيدا [1]، وعليه فإنَّها في الشعر لا تحمل معنى الإذن.

---

[1] - شمس السخاوي، فتح المغيث " شرح ألفية الحديث"، شرح ألفاظه: صلاح محمد عويضة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1996. ج2، ص: 62.

[2] - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون. بيروت: دار الجيل، (ط1)، 1991. ج1، ص: 494.

[3] - ابن منظور، لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله العلايلي، تركيب: يوسف خياط. بيروت: دار الجيل- دار لسان العرب، 1988. ج1، ص: 531.

[4] - مثالها: قال الشاعر الأول: ماذا تَقُولُ فَدَتْكَ النّفسُ في حَـالِي ♦ يُفني زَمَانِي في حّلٍ وتِرْحَـالِ
فيجيبه الثاني مُجيزا: كذا النُفُوسُ اللواتي العِزُ يَصْحَبُهَا ♦ لا تَرْتَضِي بمقامٍ دُونَ آمـالِ
دَعْهَا تَجُوبُ الفَيَافِي والقِفَـارِ إلى ♦ أن تَبْلُغَ السُؤل أو تُفنى بتجوالِ

ب- الإجازة الصوفية: هي الإذن من شيخ إحدى الطرق الصوفية لمُريديها بالخلافة أو بالتَّاج[2]، أو الإذن له في تلقين أورادها للمريدين[3]، أو في التربية، التعليم والإرشاد[4] وِفْقَ تعاليم تلك الطريقة. وقد كان شيوخ التصوف - خاصة بعد تقدمهم في السن- يجيزون طلبتهم الذين يُصبحون مُقَدمين بعد الملازمة والاطمئنان إلى جدارتهم في تمثيل الطريقة[5].

ج- الإجازة الأدبية: أطلق بعض الدَّارِسين هذا المصطلح على الإجازة التي تكون المَّادة المُجاز بها في الأدب العربي[6]، في حين استعمله آخرون للدلالة على أسلوب كتابة الإجازة الرَّاقي[7].

د- الإجازة العلمية: عرفت هذه الإجازة تطورا كبيرا منذ ظهورها إلى غاية العهد العثماني، فأفرزت تبعا لذلك أنواعا جديدة، وبرزت في صور وأشكال عديدة؛ ولهذا فليس من المُمكن إيجاد تعريف شامل لها، إذ لكل نوع منها مفهوم دقيق خاص به. وكل ما يمكن قوله: أنَّها إذْنٌ من الشيخ لطالب أو لعالم آخر في رواية[8] الحديث الشريف، أو الفقه، أو التاريخ، أو غيرها من العلوم، أو هي إذْن في تولي

أحمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض. المغرب الأقصى والإمارات العربية المتحدة: اللجنة المشتركة لإحياء التراث، 1978. ج1، ص: 41.

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص: 531.

2 - من نماذج الإجازة بالتاج في الطريقة الخلوتية ينظر: محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ضبط وتصحيح: محمد عبد القادر شاهين. بيروت: منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية، (ط1)، 1997. ج4، ص: 204.

3 - من نماذج الإجازة بالأوراد الصوفية ينظر: محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف. بيروت: مؤسسة الرسالة- تونس: المكتبة العتيقة، (ط2)، 1985. ج2، ص، ص: 461، 470، 541.

4 - مثالها إجازة القطب الشيخ محمد الحفناوي لتلميذه الشيخ محمد الأزهري في الطريقة الخلوتية، والإذن " له في التربية وتعليم خلق الله بما هم مطالبون به ". الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 458.

5 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1998. ج7، ص: 55.

6 - تحدث صالح خرفي عن عزوف المجتمع الجزائري عن الأدب خلال العهد العثماني قائلا بأنَّ:" العالم يُعَّدد الإجازات التي تلقاها عن شيوخه، والكتب التي درسها عليهم فلا نكاد نعثر على كتاب أدبي أو إجازة أدبية".شعر المقاومة الجزائرية. الجزائر: الشركة الوطنية للكتاب، بدون تاريخ، ص: 12.

أمَّا فرج محمود فرج فقد استعمل مصطلح " الإجازة العلمية والأدبية"، قارنا بين الكلمتين مرات متعددة مما يعني أنه قصد بذلك موضوع الإجازة لا أسلوبها. إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. الجزائر: 1977. مواضع متعددة مثلا الصفحات: 85، 87، 88، 89.

7 - اعتبر الدكتور أبو القاسم سعد الله إجازة الشيخ عمر المانجلاتي لابن زاكور، وإجازة الشيخ ابن عمَّار للمرادي بأنَّهما إجازتين أدبيتين لغلبة الطابع الأدبي عليهما. المرجع السابق، ج2، ص: 187.

8 - شمس السخاوي، فتح المغيث، ج2، ص: 62.

منصب ما كالفتوى والتدريس وغيره[1]. وعليه فإنَّ ما يجمع أنواعها تحت مفهوم واحد هو أنَّها إذن في أمر يتعلق بعلم. وسوف يأتي تحديد مفهوم كل نوع منها في موضعه.

3 / - الإجازة العلمية وأنواعها:

على رغم الاختلاف الكبير بين أنواع الإجازة العلمية في شروط تحصيلها، فإنَّها تشترك في مكانة مانحها؛ حيث يُشترط أن يكون الشيخ المُجِيز من أعيان العلماء في عصره[2]، ومن أكثرهم فضلاً وشهرةً، فلا يمنحها عالم مغمور؛ لعدم إقبال الطلبة في الغالب إلاَّ على فطاحل العلماء، فالشهرة لذلك مقياس لكفاءة العالم، واعتراف له بالفضل والتقدم خاصة في العلوم التي يشتهر بها [3]. وعليه فإنَّ ذيوع صيت العالم يُخوِّله الحق في منح الإجازة.

وقد كان الاختلاف في شروط الإجازات العلمية سببا في اختلاف العلماء في التشدّد والتسامح في منحها. وبالجملة فقد كان الطلبة يفتخرون بإجازة من عُرِف عنه التشدد فيها، من ذلك افتخار طلبة بجاية إبَّان القرن السابع للهجرة بإجازة الأستاذ أحمد بن محمد المعافري المتقن لعلم القراءات. وكان هذا الأخير لا يتسامح في الإجازة بوجه، ولا يُمّكِن منها إلاَّ بعد التحصيل، ومن ظفر بها من الطلبة فقد وصل إلى المرتبة العليا [4]. وأنواع الإجازات العلمية هي:

1- الإجازة بالرِّواية:

---

[1] - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (جامعة محمد الخامس)، 1996. ص: 279.

[2] - تتفق في ذلك مع الإجازة الصوفية التي يشترط أن يكون مانحها عالما كبيرا. فقد قال الشيخ ابن الحاج العبدري الفاسي (ت 737هـ) في كتابه المدخل:" العجب ممن ادعى المشيخة منهم (أي المتصوفة)... كيف يعطي الإجازات للفقراء من تحت يده والمشيخة، ولو سألته عن فرائض الوضوء أوسننه أو فضائله... جهل ذلك غالبا... فإذا كان هذا حال الشيخ في جهله بمبادئ أمر دينه فكيف بمن يصحبه؟ فكيف بمن يجيزه؟ ". نقلا عن: عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1987. ص: 171.

[3] - يُسْتخلص الاعتراف لعالم بالإمامة والتقدم في علم من العلوم من اشتهار مؤلفاته، وكثرة تلامذته في ذلك العلم، فمثلا كثرة إقبال الطلبة الراغبين في دراسة النحو على الشيخ عبد الكريم الفكون، وشد الرحال إليه من مناطق مختلفة دليل على تبحره فيه.

[4] - أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض بيروت: لجنة التأليف والترجمة والنشر، (ط1)، 1969. ص: 316.

الإجازة بالرِّواية إذْن من الشيخ للطالب بخطه، أو بلفظه أو بهما معا ليُؤدي عنه مَرْوِيَاتِه من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه، فيؤدي عنه- بموجب ذلك الإذن[1] - في أي علم من العلوم، وغالبا ما تكون المادة المُجاز بها حديثا نبويا. وهذا الإذن ليس شهادة تعليمية يُستدل بها على درجة تحصيل حاملها؛ وهي عند علماء المصطلح طريقة من الطرق الثمانية[2] لتحمل الحديث وأدائه[3]. وقد ظهرت كطريقة للتحمل قبل عصر التدوين[4].

ومن أقدم الإجازات الشفهية التي عُثر عليها ما رواه بِشْر بن نَهيك حين قال:" كتبت عن أبي هريرة كتابا فلماّ أردت أن أفارقه قلت: يا أبا هريرة إنِّي كتبت عنك كتابا فأرويه عنك. قال: نعم، اروه عني"[5].

ويعود أقدم ما عُثِرَ عليه من الإجازات الكتابية (التحريرية) إلى سنة 276هـ/ 889م، إذ وُجد بخط أحمد بن أبي خَيْثَمة[6] ما صورته:" قد أجزت لأبي زكريا يحي بن مسلمة أن يروي عنِّي ما أحب من كتاب التاريخ... وأذنت له في ذلك ولمن أحب من أصحابه، فإن أحَّب أن تكون الإجازة لأحد بعد هذا فأنا أجزت له ذلك بكتابي هذا..."[7].

ولماّ كانت هذه الإجازة مُجَّرد إذن في الرواية – لا سماع فيه ولا قراءة من لفظ الشيخ- فقد اعترض بعض المُحَّدِثين القدماء[8] على اعتمادها كطريقة من

---

1 - عبد الله شعبان علي، اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث. القاهرة: دار الحديث، 1997. ص: 239.

2 - طرق تحمل الحديث وأدائه ثمانية مرتبة حسب الأفضلية هي: 1- السماع من لفظ الشيخ، 2- القراءة على الشيخ، 3- الإجازة، 4- المناولة، 5- المكاتبة، 6- الإعلام، 7- الوصية، 8- الوجادة. أحمد عمر هاشم، قواعد أصول الحديث. بيروت: دار الكتاب العربي، 1984. ص- ص:221- 235؛ فاروق حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل. الرباط: دار نشر المعرفة، (2)، 1989. ص- ص: 238- 244.

3 - يُراد بتحمل الحديث: أخذه ونقله عن الشيخ، والأداء: رواية الحديث وتبليغه لطالب الحديث بعد تحمله. عمر هاشم، المرجع السابق، ص، ص: 221، 222.

4 - عصر التدوين يلي عصر الرواية " عصر السلف"؛ الذي حدده العلماء بما قبل القرن الرابع للهجرة نهاية 300 هـ. عبد الله شعبان، المرجع السابق، ص: 246.

5 - عبد الله فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين. بغداد: مطبعة الإرشاد، (ط1)، 1967. ص:21.

6 - أحمد بن زهير بن حرب البغدادي (ت279هـ/ 892م): من حفاظ الحديث. من مؤلفاته:" التاريخ الكبير". خير الدين الزركلي، الأعلام . بيروت: دار العلم للملايين، (ط5)، 1980. ج1، ص: 128.

7 - عبد الله فياض، المرجع السابق، ص: 23.

8 - ممن قال ببطلان الرواية بها جماعة من الشافعية منهم: القاضي حسين بن محمد المزورّوذي، وعلي الماوردي الذي عزاه إلى الشافعي، والإمام إبراهيم بن إسحاق الحربي، وعبد الله بن محمد الأصبهاني

طرق نقل الحديث وتحَّمُله، ولكن الشروط التي اشترط المحّدِثون تَوَّفُرها أضعفت من اعتراضات هؤلاء. ويُحَّدِدُ عثمان بن عبد الرحمن الشهروزي المعروف بابن الصلاح جملة من الشروط التي يجب تحققها لصحة الإجازة بقوله: " إنَّما تُستحسن الإجازة إذا كان المُجيز عالما بما يُجيز، والمُجاز له من أهل العلم، لأنَّها توسعٌ وترخيص يتأهل له أهل العلم لمَسيس حاجتهم إليها"[1].

كما أضعف من حُجج المعارِضين لها زوال الأسباب الداعية إلى حصر نطاقها بعد شيوع التدوين، وظهور كتب الحديث؛ كالصِّحاح وكتب السنن الأربعة، وثبوت طريقة الجرح والتعديل للرواة، فأصبحت الإجازة من الطرق المقبولة لنقل الحديث وتحَّمله بين المُحدثين ومن الوسائل الشائعة بينهم [2].

والإجازة بالرِّواية أكثر أنواع الإجازات العلمية تداولا، وقد استعملت أولا في الحديث النبوي، ثم توسع العلماء في الإجازات فمنحوها لكل طالب الرواية في الفقه والتاريخ، والأدب وغيرها من العلوم[3]. ولمَّا كان الغرض منها الحفاظ على اتصال سند المرويات وليس إبراز المستوى العلمي للمُجَاز له، كان كل ما يشترطه الشيخ المجيز في المُجاز له هو الأمانة في أداء ونقل ما أبيح له روايته[4].

وعلى الرَّغم من أنَّها ليست شهادة يُسْتدل بها على كفاءة حاملها، فقد كانت لها مكانة عظيمة عند المسلمين، حتى أنَّ منهم من حدّق إجازاته بالذهب[5]، كما كانت لهم رغبة ملحة في نَوَالِها، ومن الشواهد على ذلك إلتفاف النَّاس حول مُحَّدِث الشام نجم الدين الغزى (ت 1061هـ/ 1651م) أثناء طوافه حول الكعبة في حجته سنة

الملقب بأبي الشيخ. ابن الصلاح، علوم الحديث، ص: 77.

1 - مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، تح: عبد الحميد هنداوي. بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2001. ص: 82.

2 - عبد الله فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين، ص- ص: 39- 41.

3 - أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية. مصر: مكتبة النهضة المصرية، (ط3)، 1966. ص: 264.

4 - نظرا لتعارف شروطها بين العلماء اعتادوا على كتابة عبارات تدل على ذلك في إجازاتهم نحو": بشرطها المعتبر عند أهل الأثر " أو ما شابهها. ومنهم من أجمل شروطها في عبارات موجزة نحو:" البراءة من التصحيف والتحريف"، و" الصدق والأمانة والتحري". ينظر إجازة أحمد بابا للمقري (المقري، روضة الآس، ص: 306)، وإجازة الموفق الجلالي لابن سحنون. ابن سحنون، الثغر الجماني، ص: 230.

5 - أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المُعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج جماعة من العلماء بإشراف: محمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، بدون تاريخ. ج11، ص: 167.

1059هـ يطلبون منه الإجازات[1]. واكتسبت الإجازة هذه المكانة لدورها الكبير في حفظ سند[2] الحديث - الذي هو من خصائص هذه الأمة – فعلم الحديث يحتاج إلى إتقان الرواية قبل الدراية[3]، وثبت في أول صحيح مسلم عن عبد الله ابن المبارك:" الإسناد من الدِّين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[4]. ولم تقتصر مُهمتها على حفظ سند الحديث، بل ساعدت على حفظ سند الكتب التي لا تمت للحديث بصلة.

أ- أقسامها:

اختلف علماء الحديث في أقسام هذه الإجازة بين ستة وتسعة أقسام[5] وهي:

(1)- *الإجازة الخاصة:* وهي أن يُجيز مُعَيّن لمُعَيّن في مُعَيّن. مثل أن يقول المُجيز:" أجزت لك الكتاب الفُلاني، أو ما اشتملت عليه فهرستي هذه". وهي أعلى أنواع الإجازة[6]، ونقل القاضي عياض عن أبي مروان الطبني قوله:" إنَّما تصِح الإجازة عندي إذا عيَّن المجيزُ للمُجاز له ما أجازه به[7]. ومثالها قراءة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الجزائري بإشبيلية على الشيخ علي بن زرقون وإجازته له سنة 615هـ" إجازة خاصة وعامة"؛ خاصة فيما نصّ عليه وعينه، وعامة فيما لم يعينه"[8].

---

1 - محمد أمين المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. بدون تاريخ. ج4، ص: 199.

2 - السند: هو تسلسل الرواية من المُحدث إلى الرسول عليه الصلاة والسلام. علي زوين، معجم مصطلحات توثيق الحديث. بيروت: مكتبة النهضة العربية، (ط1)، 1986. ص: 13. وقد توسع فيه العلماء، فجعلوه لكل علم، بل ولكل كتاب سند يصلهم بواضع العلم أو بمؤلف الكتاب.

3 - علم رواية الحديث: هو علم يُبْحَثُ فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول- صلى الله عليه وسلم- من حيث أحوال رواته ضبطا وعدالة، ومن حيث السند اتصالا وانقطاعا وغير ذلك. أما علم الدراية: فهو علم يُبْحث فيه عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المعنى المراد منها، مبنيا على قواعد العربية وضوابط الشريعة، ومطابقا لأحوال النبي – صلى الله عليه وسلم. علي زوين، المرجع السابق، ص، ص: 54، 55.

4 - الإمام مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم. بيروت: دار ابن حزم للنشر والتوزيع- الرياض: دار المُغنى للنشر والتوزيع، (ط1)، 1998. باب (بيان أنَّ الإسناد من الدين)، ص: 12.

5 - جعلها القاضي عياض في ستة أنواع لاهماله "إجازة المُجاز". في حين جعلها السخاوي في تسعة أقسام لأنَّه أفرد " الإجازة المطلقة "، و" الإجازة لغير الأهل"، وجعلها أنواعا قائمة بذاتها.

6 - ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص: 77.

7 - القاضي عياض، الإلماع إلى أصول الرواية وتقييد السماع، تح: السيد أحمد صقر. القاهرة: دار التراث- تونس: المكتبة العتيقة، (ط2)، 1987. ص: 90.

8 - أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية، ص: 263.

(2)- ***الإجازة العامة:*** " الإجازة لمُعَيّن في غير مُعَيّن"، وهي أن يجيز لمُعين على العموم والإبهام؛ أي دون تخصيص ولا تعيين لكتب وأحاديث[1]، كأن يقول المُجيز:" أجزت لك أولكم جميع مسموعاتي أو جميع مروياتي" أو غير ذلك. ولكون المُجاز به مُبهما فقد وقع الخلاف بين العلماء في جوازها، ولكن الجمهور على تجويز الرواية بها[2]. ومثال ذلك أنَّ الشيخ محمد بن محمد الحسين إستجاز الفقيه العالم محمد بن عبد الحق التلمساني في برنامجه، فأجازه عامة سنة 603هـ[3].

وهي أكثر الإجازات العلمية شُيُوعا، لأنَّ المُجيز في الغالب لا يكتب الإجازة للطالب إلاَّ عندما ينهي الدراسة عليه، ويعزم على السفر إن كان من بلد آخر، فتشمل العلوم التي قرأها الطالب فعلا، والتي لم يقرأها تأكيدا لثقة في تحصيله ودفعا به للخوض في العلوم[4].

(3)- ***الإجازة للعُموم:*** ويكون " التعميم في المُجاز له" سواء عيُن المُجاز به أو أطلق[5]. كأن يقول المُجيز:" أجزت للمسلمين" أو" أجزت لكل أحد" أو " أجزت لمن أدرك زماني" وما شابه ذلك. وقد اختلف العلماء في جوازها، وعرض ابن الصلاح رأي بعض المُجَّوِزين لها، ثم قال:" الإجازة في أصلها ضعف، وتزداد بهذا التوسع والاسترسال ضعفا كثيرا لا ينبغي احتماله"[6].

(4)- ***الإجازة للمعدوم:*** ويشترط في صحتها أن يكون المعدوم تابعا لموجود، كأن يقول المُجيز:" أجزت كذا لفلان مع أولاده ونسله وعقبه، حيث أتوا في حياة المُجِيز وبعده... أو لطلبة العلم ببلد كذا متى كانوا "[7].

---

1 - القاضي عياض، المصدر السابق، ص: 91.
2 - ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص: 78.
3 - أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص، ص: 252، 253.
4 - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين. الرباط: منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977. ج1، ص: 105.
5 - السخاوي، فتح المغيث، ج2، ص: 72.
6 - ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص: 78.
7 - السخاوي، فتح المغيث، ج2، ص: 84.

(5)- ***إجازة المجاز:*** كأن يقول الشيخ المُجيز:" أجزت لك مُجازاتي، أو رواية ما أجيز لي أو ما أبيح لي روايته" [1]. ومثال ذلك أنَّ الشيخ محمد بن يوسف السنوسي أخذ الصحيحين وغيرهما من كتب الفقه على الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، فأجازه جميع ما يجوز له [2].

وهناك أقسام حصل شبه إجماع بين العلماء على عدم جوازها إلا في بعض فروعها وهي:

(6)- ***الإجازة للمجهول أو بالمجهول:*** أي " الجهل بمن أُجِيزَ له من الناس، أو بم أجيز به من مروي"[3].

(7)- ***إجازة ما لم يروه المجيز بعد:*** وهو" إجازة ما لم يسمعه المُجيز بعد، ولم يتحمله أصلاً بعدُ ليرويه المجاز له إذا تحمله المجيز بعد ذلك"[4].

والواقع أنَّ بعض أقسام الإجازة بالرواية[5]؛ إجازات صورية تساهل بعض الشيوخ في منحها قصد التبرك والتشريف، ونشر السند على أوسع نطاق باعتباره من خصائص هذه الأمة. وتُعَّدُ الإجازة مُرَاسلة من هذا القبيل، ولهذا فرغم تثبت المُجيز ومحاولته التأَّكد من كفاية المُجاز له وأهليته، كان أصحابها يُوردونها في آخر القائمة في فهارسهم[6]، وأسانيدهم[7].

وقد جرى العمل بالإجازة مُراسلة منذ العهود المتقدمة؛ حيث كان أعلام هذه الأمة، "يستجيزون الأشياخ الأخيار عند تعذر اللقاء وبعد الديار"، من ذلك

---

1 - السخاوي، المصدر نفسه، ج2، ص: 90.

2 - أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد الهرامة، تح: طلبة من كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس (ليبيا): كلية الدعوة الإسلامية، (ط1)، 1989. ص: 564.

3 - السخاوي، المصدر السابق، ج2، ص: 78.

4 - ابن الصلاح، المصدر السابق، ص: 81.

5 - يستثنى من هذا الحكم الإجازة الخاصة والإجازة العامة.

6 - الفهرس: يطلقه أهل المغرب على الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه، وأسانيده وما يتعلق بذلك، وقد كان الأوائل يطلقون لفظة " مشيخة "، ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك " المعجم " لمّا صاروا يفردون أسماء الشيوخ، ويرتبونهم على حرف المعجم، وأهل الأندلس يطلقون " البرنامج". أما في القرون المتأخرة فأهل المشرق يسَّمونه " الثبت "، وأهل المغرب يُسمونه " الفهرسة". عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، نشر باعتناء: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط2)، 1982.ج1 ص: 67.

7 - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، ص، ص: 101، 108.

إستجازة العلامة الأديب أبو الحسن حازم بن محمد صاحب المقصورة (ت 684هـ) مُراسلة الشيخ وجيه الدين منصور فأجاب هذا الأخير طلبه[1].

ومن المصطلحات المتداولة بين المُحَدّثين " التدبيج" وهو رواية الأقران؛ وهم المتقاربون في السِّن والإسناد بعضهم عن بعض[2]. وقد توسع فيه المتأخرون فجعلوا كل رواية بين الأقران في أي علم كان تدبيجا. وكان العالم لا يستنكف عن الأخذ عن القرين له فنا أو فنونا تنقصه، فيحضر مجالسه إلى أن يتمكن وينال منه الإجازة، وكثيرا ما كان المُجيز بدوره يستفيد من قرينه المُجاز له، وينال منه هو أيضا إجازة في مادة تخصصه [3].

هذا، وقد اشترك علم التصوف[4] مع علم الرواية في " الحديث المسلسل[5]"، وهو من شأن الحديث، ثم أصبح أحد طقوس التصوف الرئيسية[6]؛ فقد ورد في " قواعد التصوف" أنّ:" لباس الخرقة والمناولة والسبحة، وأخذ العهد والمصافحة والمشابكة من علم الرواية، إلاّ أن يُقصد بها حال فتكون من أجله"[7].

وقد تداول العلماء المسلمون الحديث المسلسل بالسّماع والإجازة، حتى أولئك الذين عُرِفوا بمجانبة أهل الباطن تلقوا إجازات فيه[8]، بل كانت الأحاديث

---

1 - أحمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج3، ص: 171.

2 - ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص: 156.

3 - محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص: 110.

4 - كان علماء السنة من أهل التصوف، يحبذون أن لا يتطرق الطالب إلى علم الحقيقة إلا بعد التمكن من علم الشريعة. فهذا الشيخ محمد بن علي الجعدي يطلب من شيخه محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم " التلقين" سنة 1116هـ فيقول له:" اشتغل بالعلم في هذه الساعة "، ولم يلقنه أذكار طريقته إلاّ بعد أن اشتكى له بكثرة الخواطر وقال له:" آذن لك ما يرفع عنك ذلك ". الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص: 542.

5 - الحديث المسلسل في اصطلاح المحدثين: هو الحديث الذي تتابع رجال إسناده على صفة، أو حالة واحدة للرواة تارة، وللرواية تارة أخرى. هو على ثلاثة أنواع هي: 1- المسلسل بأحوال الرواة: إما القولية أو الفعلية، أو القولية والفعلية معا، 2- المسلسل بصفات الرواية: وهي إما تتعلق بصيغ الأداء، أو بزمن الرواية أو مكانها، 3- المسلسل بصفات الرواة: وهي إما القولية أو الفعلية. السخاوي، فتح المغيث، ج3، ص: 52- 55؛ ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، ص: 138؛ نذير حمادو، تيسير مصطلح الحديث مع شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث. بدون مكان الطبع وتاريخه. ج1، ص: 72- 77.

6 - لبس الخرقة مثلا وهو من الأحاديث المسلسلة، يعني عند الصوفية الارتباط بين الشيخ وبين المريد، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه، وفيها معنى المبايعة. والخرقة خرقتان: خرقة الإرادة وهي للمريد الحقيقي، وخرقة التبرك، وهي للمشتبه. عبد المنعم الحفني، معجم المصطلحات الصوفية. بيروت: دار المسيرة، (ط2)، 1987. ص: 79.

7 - أحمد بن أحمد بن محمد زروق، قواعد التصوف، صححه: محمد الزهري النجار. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، (ط3)، 1989، ص: 96.

8 - يعد الشيخ يحي الشاوي أشهر من عرف بمجانبة أهل الباطن، ولذلك اتُّهمه خصومه بمعاداة أهل التصوف،

المسلسلة أول ما يرويه الطالب عن شيخه من الأحاديث والفنون[1]؛ وأكثرها تداولا الحديث المسلسل بالأولية[2]، إذ هو أول حديث يفتتح به الطالب الرِّواية عن شيخه.

ب- الاستدعاء:

يسمى طلب الإجازة في المصطلح "الاستجازة " أو "الاستدعاء"، ويكون لفظا أو كتابة، شعرا أو نثرا أو هما معا. وقد لجأ طلبة العلم إلى استعمال الاستجازات الشعرية منذ القرن الرابع للهجرة (10م)، كما لجأ الشيوخ أنفسهم إلى كتابة الإجازة شعرا، وذلك ردًّا على الإستجازة الشعرية، من باب المراعاة في الجواب حتى لا يكون الشيخ أقل من تلميذه في الخطاب[3].

ويستحب أن يكون المُستجيز من أهل العلم، وهو ما يُفهم من قول ابن مريم بأنَّ " طلب الإجازة والرواية من شأن أهل العلم"[4]. وفي " المعيار" نازلة حول "حكم إجازة الشيوخ لمن سألها منهم، " أجاب عنها الأستاذ أبو سعيد بن لب مُفتتحا إجابته بقوله:" إنْ كان المتكلم في الإجازة للرواية، فإن الرِّواية هي أصل الدين، والمنهج القويم..."[5] ليبيّن بعدها أهمية الرواية في حفظ الشريعة، ممَّا يجعل إجابة الشيوخ لمن سألها منهم أمرا واجبا. وفي تخصيصه الإجازة بالرواية دلالة على أنَّها تختلف في شروط تحصيلها عن غيرها من الإجازات، فهي لا تستدعي أن يجلس الطالب طويلا للأخذ عن الشيخ المجيز, بل قد لا يلتقيان أبدا.

ومع ذلك تلقى إجازة بالمصافحة من طرف شيخه محمد السعدي بهلول. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 42؛ وج2، ص: 111.

1 - تتضح أهمية الحديث المسلسل مما فعله بعض العلماء كالشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي، حيث أسمع محمد بن علي الجعدي عند بداية أخذه عليه الأحاديث المسلسلة وفي مقدمتها الحديث المسلسل بالأولية، ثم ناوله أوائل الكتب الستة، فقرأها عليه ثم بقية الكتب الحديثية. الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 400.

2 - قال النبي عليه الصلاة والسلام": الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". رواه أبو داود في سننه، "كتاب الأدب"، باب" في الحلم وأخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم"، رقم الحديث: 4941. ج4، ص: 311.

3 - محمد عبد الغني حسن، المقري صاحب نفح الطيب. مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966. ص، ص: 62، 63.

4 - ابن مريم المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986. ص: 307.

5 - أحمد الونشريسي، المعيار، ج11، ص: 15.

وقد يستجيز الشخص لنفسه، أو لطلبته ولرفاقه، وشاع بين المسلمين الحرص على تعميم الإجازة للأبناء، فقد إستجاز العبدري -صاحب الرحلة- لأكبر أولاده، الذي كان قد أتم حفظ القرآن الكريم الشيخ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت 706هـ) فلمّا وقف الشيخ على الاستدعاء، كتب له إجازة شملته وكل بنيه حتى الصغار منهم[1].

ومثال الاستدعاءات الجماعية: الاستدعاء الذي وجهه الحافظ محمد بن علي ابن طولون الدمشقي وعدد من أهل العلم للعلماء بمكة في سنة 920 هـ. وممَّا ورد فيه:" أما بعد، فالمسؤول من إنعام السادة الأعلام، مشايخ الإسلام... أن يتفضلوا ويُجيزوا لمن سيذكر في هذا الاستدعاء المبارك جميع مسموعاتهم ومستجازاتهم ومناولاتهم[2] ووجاداتهم[3]..." [4].

ونقف في "عنوان الدراية" على استدعاءين موجهين للشيخ محمد بن عبد الحق التلمساني: الأول من طرف الشيخ محمد الحسني الخشني سنة 603هـ، والثاني من طرف الشيخ يحي بن علي الهمذاني سنة 615هـ، وفيه طلب من الشيخ:" الإنعام عليه بإجازة ما اشتمل عليه برنامج رواياته عن أشياخه – رضي الله عنهم – وما سند عنه من قراءته ومسموعاته، وإجازاته ومناولاته، وتآليفه في فنون العلم، وما له من نثر ونظم"[5].

وقد أخذ الشيخ أحمد بن محمد بن الحاج الورنيدي (ت 930هـ) على الشيخ أحمد بن محمد بن زكري التلمساني جملة من العلوم، وكتب له في سنة 897هـ باستدعاء مطول في شطرين نظمي ونثري، طالبا منه أن يتفضل عليه:" بإجازة

---

1 - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس. ج1، ص: 408.

2 - المناولة: القسم الرابع من أقسام التحمل، وهي إعطاء الشيخ الطالب شيئا من مروياته، ويقول: هذا حديثي أو من رواياتي فاروه عني. وهي إمَّا أن تكون مقرونة بالإجازة أو غير مقرونة بها. عمر هاشم، قواعد أصول الحديث، ص: 227.

3 - الوجادة القسم الثامن من أقسام التحمل، وهي أن يجد المرء حديثا، أو كتابا بخط شخص بإسناده، فيحدث به ولم يلقه، أو لقيه ولم يسمع منه ذلك الذي وجده. فيقول مثلا (وجدت بخط فلان...)، أو (قرأت بخط فلان...). عبد الله شعبان، اختلافات المحدثين والفقهاء، ص، ص: 270، 271.

4 - محمد بن طولون وغيره، نوادر الإجازات والسماعات لابن طولون وغيره، تح: مُطيع الحافظ. بيروت: دار الفكر المعاصر- دمشق: دار الفكر، (ط1)، 1998. ص- ص: 22- 27.

5 - أبو العباس أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص- ص: 252- 255.

تُقيد ما عليه أملاه... إجازة مطلقة عامة، وافية بالغرض المقصود تامة، تحتوي على جميع أنواع العلم وفنونه... وتعم أيضا من يأتي بعده من بنيه، من جاهل وفقيه، على استمرار السنين"[1]، ثم أعاد على شيخه ما تقدم نظما في اثنين وأربعين بيتا.

2 – الإجازات التعليمية:

لا يمكن للطالب تحصيل أي نوع من الإجازات التعليمية إلا بعد القراءة على الشيخ أو السماع منه، وأنواعها هي:

(1)- إجازة القراءة:

وتعرف أيضا بالإجازة بالإقراء، وقد كان الأستاذ في القرون الإسلامية الأولى يكتب للطالب ما يفيد بأنَّه أتَّم عليه قراءة الكتاب المُعَّيّن أو الكتب المعينة[2] في صدر أو في ذيل الكتاب المقروء. بمعنى أنَّ إجازة القراءة وثيقة ينص فيها على أنّ شيخا قد أقرأ طالبا كتابا ما، أو أن طالبا قرأ على شيخ هذا الكتاب[3].

ويرجع ظهورها إلى القرن الرابع الهجري(10م), بحيث وُجِدت إجازة إقراء لأبي القاسم أحمد بن فارس[4] مؤرخة في سنة 372هـ[5]، وهي مسجلة على نسخة مخطوطة من كتاب "إصلاح المنطق" لابن السُكيت المتواجدة في مكتبة المنصورة[6]. كما وُجِدَ على ظهر نسخة من كتاب " الصحاح" في اللغة لإسماعيل بن حماد الجوهري إجازة قراءة ترجع إلى سنة 471هـ، وهي بخط الأديب الحسن بن يعقوب النيسابوري ومنها:" قرأ عليّ هذا الكتاب من أوله إلى آخره... الفقيه

---

[1] - نص الاستدعاء والإجازة في كتاب البستان لابن مريم، ص- ص: 18- 23.
[2] - أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ص: 263.
[3] - صلاح الدين المنجد، " إجازات السماع في المخطوطات القديمة"، في مجلة معهد المخطوطات العربية. مصر: شركة مساهمة مصرية، ماي 1955. المجلد: 1، ج2، ص: 233، هامش: 2.
[4] - أحمد بن الحسن علي أحمد بن فارس القزويني من أئمة اللغة، من تصانيفه: مقاييس اللغة. الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 193.
[5] - صورة لهذه الإجازة في كتاب تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون، ص: 125. وقد قدمها على أنها إجازة سماع، وصحح له ذلك صلاح الدين المنجد قائلا بأنَّها إجازة قراءة. إجازات السماع، ص: 233، هامش:1.
[6] - عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها. القاهرة: مطبعة المدني، 1965. ص: 125.

الفاضل السديد الحسين بن مسعود الصّرام"[1]. وعليه فقد بدأت بالإقرار بقراءة الطالب دون ذكر لكلمة الإجازة.

ثم صار الشيوخ يقرنون إثباتهم قراءة الطالب للكتاب بإجازة روايته، وحتى إجازته بغيره مما لم يقرأه عليه. من ذلك ما كتب به السّخاوي لأحد تلامذته:" الحمد لله، كتاب الضوء اللامع، قرأه عليّ كاتبه عبد العزّيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي... وأجزت له روايته عني مع سائر مروياتي ومؤلفاتي. قاله وكتبه مؤلفه"[2].

كما كان بعض الشيوخ يأذن للطالب في تدريس الكتاب المقروء على هذا الشكل:" أتم فلان قراءة هذا الكتاب... وأجزت له تدريسه"، أو بأي شكل يؤدي هذا المعنى. من ذلك أنَّ الشيخ أبو القاسم بن أحمد البرزلي (ت 742هـ) قرأ على الفقيه عبد الرحمن الموماني بعضًا من أصْلي ابن الحاجب[3]، وأذن له في إقرائه[4].

وقد يأذن الشيخ لتلميذه بتدريس جملة من الكتب التي دَرَسها عليه. من ذلك ما كتب به الشيخ ناصر الدين اللَّقاني المصري في إجازته للشيخ محمد اليستني الفاسي سنة 931هـ، حيث سرد الكتب التي قرأها عليه، ثم قال:" وقد أجزت له أن يُقرئ الكتب المذكورة، لمن شاء متى شاء في أيّ مكان شاء، لأنّه أهل لذلك وزيادة "[5].

وهناك نوع منها يسمى « الإجازة بعِرَاضةِ الكتب »، حيث كان الطالب يحفظ كتابا في الفقه أو النحو أو غيرها من العلوم، ثم يعرضه على مشايخ العصر

---

1 - ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1993. ج2، ص، ص: 660، 661.

2 - أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ص: 268.

3 - جمال الدين عثمان بن عمر الكردي المعروف بابن الحاجب (ت 646 هـ/ 1248م): له في النحو الكافية وشرحها ونظمها، وفي الأصول مختصر منتهى السؤل والأمل، وله مختصر في فروع المالكية. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1977. ج3، ص- ص: 250 -258؛ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه. (ط1)، 1964. ج 2، ص، ص: 134، 135.

4 - أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 369.

5 - أحمد المنجور، فهرس المنجور، تح: محمد حجي. الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976. ص، ص: 33، 34.

فيُجْرُون له امتحانا. حيث يأخذ الشيخ المُجيز الكتاب ويفتح منه بعض المواضع ويستقرئه إياها، فإذا مضى فيها الطالب من غير توقف ولا تلعثم، استدل بحفظه تلك المواضع على حفظه لجميع الكتاب. ويكتب له بذلك كل من عُرض عليه[1].

ومن نماذجها الإجازة التي كتب بها الشيخ بدر الدين محمد بن أبي بكر المخزومي المالكي لشهاب الدين أحمد بن محمد العمري الشافعي سنة 817 هـ. وممَّا ورد فيها:" عرض عليَّ الجناب العالي...[2] طائفة متفرقة من " عمدة الأحكام" للحافظ عبد الغني المقدسي، و"شذور الذهب" للعلامة جمال الدين بن هشام – رحمة الله عليهما- عرضًا قَصُرت دونه القرائح على طول جَهْدِها، وكانت الألفاظ المُوردة فيه لأمة حرب الفئة الباغية عليه[3] فأحسن عند العرض في سردها، وزّين- أبقاه الله- تلك الأماكن بطيب لحنه، وإعراب لفظه، وأذن امتحانه فيها بأنَّ جواهر الكتابين قد حصلت بمجموعها في خزانة حفظه... "[4].

(2)- إجازات السماع:

وتسمى "السماعات" في أحيان كثيرة، وهي" وثيقة مكتوبة في آخر الكتاب المَقْرُوء، أو في مقدمته تنص على أنَّ الكتاب قد سمعه على مصنفه، أو على شيخ عالم ثقة، واحد أو كثيرون"[5]، وهذا ليكون الحق لكل من ورد في السماع في رواية الكتاب[6].

وقد ظهرت في القرن الخامس للهجرة (11م) نتيجة لتأسيس المدارس، ولهذا عمد العلماء إلى إثبات - في صدر أو في ذيل الكتاب المقروء والمتواجد في مكتبة المدرسة أو المسجد- أسماء الذين سمعوه على الشيخ المُدَّرس، ثم يحفظ الكتاب بعد

---

1 - أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستاتسوماس، بدون تاريخ. ج14، ص: 327.
2 - مكان النقاط عدة أسطر في الثناء على المُجاز له.
3 - (لأمة حرب الفئة الباغية عليه) موضع من الكتاب.
4 - القلقشندي، المصدر السابق، ج14، ص، ص: 328- 329.
5 - صلاح المنجد، إجازات السماع في المخطوطات القديمة، ص: 232.
6 - أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ص: 266.

ذلك في المكتبة، وفي كل مرة يسمع فيها الكتاب أناس وطلبة يثبتون أسماءهم طبقات[1].

ويتضمن نص إجازة السماع: اسم المُسْمِع وأسماء السَّامِعين[2]، ثم "اسم القارئ، ويليه "اسم كاتب السَّماع[3] (أو مثبت السماع)، إمّا قبل أسماء السامعين، أو أن يرد اسمه فيمن سمع، ويُرْدَفُ به « وهذا خطه»، ثم يرد لفظ « صحّ وثبت»، ومعنى ذلك أنَّ الكاتب توثق من صحة الأسماء، وما قرأه كل من السامعين، وأخيرا ينُصون على مكان السماع وتاريخه ومدته[4].

ولمّا كانت هذه السَّماعات ذات أهمية كبيرة في دراسة الرجال والعصر، فقد نوّه بعض رواد التحقيق للتراث الإسلامي المخطوط، -وفي مقدمتهم صلاح الدين المنجد- بضرورة إثبات ما يصادف منها في المخطوطات، ونشرها بنصها كاملا، ووضع قواعد خاصة لكيفية نشرها[5]. وقد أثبت إحسان عباس طبقات (إجازات) السماع التي وجدها في النسختين[6] التي اعتمدهما في تحقيقه لمخطوط "طبقات الفقهاء" لأبي إسحاق الشيرازي.

وهذا بعض ما ورد في أحد السماعات:" سمع جميع هذا الكتاب وهو" طبقات الفقهاء" للإمام أبي إسحاق الفيروز أبادي على سيدنا، وشيخنا... أبي محمد عبد العزيز بن القاضي الإمام زين الدين أبي عبد الله محمد بن عبد المحسن بن محمد ابن منصور الأنصاري الأوسي بحق سماعه له منقولا تراه، بقراءة سيدنا الإمام... عز الدين أبي القاسم أحمد (اسمه الكامل): الفقيه الإمام أمين الدين أبو محمد عبد القادر... (أسماء السامعين) وعلي بن محمد بن أبي الحسن بن عبد الله اليونيني. وهذا خطه، وصَّح ذلك وثبت في مجالس آخرها يوم الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وستمائة (661هـ) بالقاهرة، بالقصر الشرقي، بمنزل

---

[1] - صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص، ص: 232، 233.
[2] - يتم تحديد ما سمعه الحاضرون من الكتاب فإذا تأخر أحد الحضور عن سماع بعض الكتاب يشيرون إلى ذلك، فيُكتب مثلا:" سمعه مع فَوَت" أو" سمع من قوله كذا.... إلى آخر الكتاب".
[3] - أحيانا يكون قارئ النسخة ومثبت السماع واحدا.
[4] - صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص- ص: 234- 240.
[5] - قواعد تحقيق المخطوطات. بيروت: دار الكتاب الجديد، (ط5)، 1976. ص: 26.
[6] - عدد إجازات (طبقات) السماع في النسخة (ع) خمسة, وعددها ثلاثة في النسخة (ط).

شيخنا المسمع منه؛ قصر الخلفاء الفاطميين...". وكتب بعد ذلك الشيخ عبد العزيز الأنصاري:" صحيح ذلك، وأجزت لهم – وفقهم الله تعالى- رواية ما يصح عندهم ممَّا تجوز روايته عني من منقول ومعقول. كتبه عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري" [1].

(3)- الإجازة بالقرآن الكريم:

تتميز الإجازة بالقرآن الكريم أو الإجازة بالقراءات القرآنية عن غيرها من الإجازات بما يسبقها من امتحان طويل الأمد، صعب التحضير لينال الطالب - بعد ذلك – إجازة أستاذه مكتوبة في الغالب على الرّق، ومذيلة بشهادات العدول، وغيرهم على الشيخ المُجيز [2].

وترجع أقدم النصوص الموجودة منها إلى ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين (11- 12م). فقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي في سياق ترجمته لمحمد ابن أحمد بن رضي الأندلسي قائلا عن شَيْخَيه المُجِيزين له:" وقفت على إجازتهما له في رّقين، وقد ذكرا أنَّه تلا عليهما بالسبع وقرأ غير ذلك، وقد شهد عليهما بذلك حسب جاري العادة في مثله"[3].

ومثال هذه الإجازة ما أنشده الإمام المقرئ علي بن عبد الغني الفهري الحصري لعيسى بن عبد الرحمن الغافقي القرطبي المدعو أبو الأصبغ في سنة 476هـ/ 1083م، بعد أن تلا عليه بالروايات السبع[4]، ومطلع هذه الإجازة[5]:

أجَزتُ لعيسى السبع في ختمةٍ قرأ   عليَّ بِها فليرو ذلك وليُقرِي

---

[1] - أبو إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، تح: إحسان عباس. بيروت: دار الرائد العربي، (ط2)، 1981. ص- ص: 184، 185.

[2] - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين. ص، ص: 279، 280.

[3] - محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، 1965. ج5، ص: 638.

[4] - القراءات القرآنية السبع هي: رواية نافع، رواية ابن كثير، رواية أبو عمر، رواية ابن عامر، رواية حمزة، رواية الكسائي، ورواية يعقوب الحضرمي. وقد صارت هذه القراءات أصولا للقراءة، وأضيفت إليها بعد ذلك قراءات أخرى، إلاَّ أنّها لا تقوى في النقل مثلها. محمد سالم محيسن، الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طرف الشاطبية. الأزهر (القاهرة): مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ. ص، ص: 6، 7.

[5] - ابن مالك المراكشي، المصدر السابق، ج5، ص، ص: 498، 499.

بما شاءَ منها أو بها فهو أهلـُهُ   بإتقانِه مَعَ ضبطِه أحـرفَ الذكر
وقـوةِ حفـظ ثم صحـةِ نقلـهِ   فما مثله من طالب لا ولا مُقريِ

وقد كتب الشيخ علي بن ميمون الغماري[1] في مؤلفه "الرّسَالة المُجَازة " وصفا موسعا للامتحان الذي يخضع له طالب هذه الإجازة تحت رقابة شيخه بمدينة فاس، من خلاله يمكن تلخيص قراءة القرآن الكريم في مرحلتين أساسيتين؛ الأولى: يقرأ فيها التلميذ القرآن على المؤدب، ثم على غيره من أساتذة القرآن؛ وهم دون الأستاذ المُجيز في المقام، فيحفظ القرآن كله عن ظهر قلب، ويحفظ معه الكتب الضرورية لإتقان القرآن الكريم رسما[2]، وضبطا[3]، وتلاوة. ثم يأتي القارئ في المرحلة الثانية إلى الأستاذ إمام الإجازة، وهو" أعلم أهل وقته في هذا الشأن، وأكملهم وأفضلهم وأروعهم وأصلحهم"، ولا يصل إليه الطالب إلاَّ بالتدريج من قارئ إلى من هو فوقه[4].

ويصف الشيخ محمد الرَّصاع (ت894 هـ) في فهرسه تدرجه بين أساتذة القرآن الكريم؛ فقد حفظه بقراءة نافع، وحفظ "البري"[5] و" الخرَّازي "[6] في بلده تلمسان قبل انتقاله منها رفقة عائلته في سنة 831هـ، وحضر في تونس القراءة على عدة أساتذة منهم: الأستاذ المقرئ محمد الجرَّار؛ الذي أمره بحفظ

---

1 - أبو الحسن علي بن ميمون الإدريسي نزيل لبنان، ودفينها عام 917هـ/1511م. من مؤلفاته: " الرسالة المُجازة في معرفة الإجازة " تحتوي على تفصيلات مهمة عن طريقة حفظ القرآن الكريم والإجازة به في فاس. الغزى، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تح: جبرائيل سليمان جبور. بيروت: محمد أمين دمج وشركاه، 1945. ج1، ص- ص: 271- 277.

2 - فن الرسم: هي أوضاع حروف القرآن في المصحف، ورسومه الخطية، لأن فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط، كحذف الألفات في مواضع دون أخرى. ابن خلدون، المقدمة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2003. ص: 420.

3 - فن الضبط: علم يعرف به ما يدل على عوارض الحرف، التي هي: الضم، والكسر، والسكون، والشد والمد ونحو ذلك، ويرادف الضبط الشكل. إبراهيم المارغيني، دليل الحيران على مورد الضمآن. بدون مكان الطبع وتاريخه. ص: 247.

4 - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص: 281.

5 - الدرر اللّوامع في قراءة نافع منظومة لأبي الحسن علي بن محمد الرباطي المغربي المالكي الشهير بابن بري (660- 730هـ). عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 1993. ج2، ص: 518.

6 - الأستاذ المقرئ الخراز محمد بن محمد الشريشي (ت 718هـ): له عدة تآليف في القراءة منها: " مورد الضمآن في رسم أحرف القرآن"، وشرح على البرية. عبد الكبير الكتاني، زهر الآس في بيوتات أهل فاس، تح: علي بن المنتصر الكتاني. الدار البيضاء(المغرب): مطبعة النجاح الجديدة، (ط1)، 2002. ج1، ص: 395.

"الشاطبيتين"[1] و" الرسالة"، ثم أعاد القرآن الكريم على اللوح مرة أخرى، ولمَّا لمِس هذا الأخير أهليته لأن يُجاز أمره في حدود سنة 834هـ بأن يجود[2] القرآن على إمام الإجازة في وقته الشيخ أبي القاسم[3].

وفي أوَّل لِقاء جمع الرَّصاع بشيخه أبي القاسم أمره بالقراءة، فقرأ سورة الفاتحة، ولمَّا أتَّمها أمره بإعادتها مرة أخرى وتحقيق مخارج حروفها، وظل الرَّصاع مُلازما له حتى ختم عليه القرآن الكريم إفرادا وجمعا[4]، ثم عرض عليه القصيدتين: "حرز الأماني ووجه التهاني" و"عقيلة أتراب العقائد في رسم المصحف"، كما عرض عليه الرسالة في مجالس. وبعد هذا المشوار الذي قضاه الرّصاع مُلازما لشيخه، أجازه فيما قرأه وعرضه عليه [5].

وقد كان الطالب في امتحان طيلة المدة التي يُلازم فيها شيخ الإجازة. ففي كل يوم يكتب على لوحه ربع حزب أو ثمنه، ويأتي إلى أستاذه ويقعد بين يديه، ويشرع في التلاوة، مبتدئا بالتعوذ ثم البسملة، وهنا يشرع الأستاذ في امتحانه فيسأله مثلا عمّا يقرأ على التعوذ والبسملة من الكتب المصنفة في ذلك فيجيبه، ثم يواصل التلاوة ويوقفه الأستاذ بين الحين والآخر، ليسأله على ما ورد في اللوح من رسم وضبط لألفاظ القرآن الكريم، وعن ما يسمع من تلاوة فيأتيه الطالب بالنَّص على كل ما سأله، فإذا فرغ من ذلك يأمره بالإعراب بعد تجويده معه ليتعلم صفة تلاوة

---

[1] - تعرف كذلك نسبة إلى الشاطبي القاسم بن فيرة بن أبي القاسم المقرئ المالكي (538- 590هـ): من مصنفاته: تتمة الحرز من قراء الأئمة الكنز، وعقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، وحرز الأماني ووجه التهاني وهي المشهورة بالشاطبية الكبرى. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص: 260.

[2] - التجويد: هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن. القاهرة: مكتبة وهبة، (ط7)، 1990. ص: 190.

[3] - محمد الرصاع، فهرست الرصاع، تح: محمد العنابي. تونس: المكتبة العتيقة، (ط1)، 1967. ص، ص: 56- 58.

[4] - القراءة جمعا: هي أن يجمع القارئ عند القراءة القرآن كله، أو جزء منه بين روايتين فأكثر من الروايات القرآنية، ويسمى بالجمع الكبير إن استوفى سبع قراءات فأكثر وإلا سموه بالجمع الصغير. والقراءة بالإفراد: هي أن يتلو القرآن كله، أو جزء منه برواية واحدة لأحد القراء السبعة أو العشرة المشهورة. محمد الصادق قمحاوي، الكوكب الدري في شرح ابن الجزري. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، (ط1)، بدون تاريخ. ص- ص: 348- 352.

[5] - محمد الرصاع، فهرست الرصاع، ص، ص: 59- 65.

أستاذه، ثم يأمره بالإعادة مرة واحدة بمفرده ليرى كيفية تلاوته، فما كان على الأصل أقرّه عليه، وما كان على غيره نبهه عليه وعّلمه كيف يتلفظ به[1].

وإذا تبين للأستاذ بعد امتحان الطالب أنَّه ممَّن ينبغي أن يُجاز، كتب له إجازة يبين فيها سنده في القرآن، والرواية أو الروايات التي قرأ بها عليه. ثم يُشْهِد على نفسه شهودا عدولا، وأخيرا ترفع الإجازة إلى القاضي، فيضع اسمه بعد خطوط الشهود مُعلما بثبوت الإجازة على المُجيز[2].

وتتميز هذه الإجازة بتثبت أصحابها في تفصيل المقروء والمعروض، والتأكد من استكمال ملكة الطالب. وممّا يدل على تشدّد القُرَّاء في منحها رفض الأستاذ محمد بن يوسف الترغي إجازة محمد بن علي الجزولي الكفيف؛ الذي ظل يتردد على بابه سنة كاملة[3]. وممّن تحصل عليها من العلماء الجزائريين الشيخ محمد السنوسي؛ إذ قرأ القرآن الكريم على الأستاذ يوسف بن أحمد الشريف الحسني أبي الحجاج، ولمّا ختمه عليه مرتين بالسبع أجازه فيها[4].

3 – إجازة التصدير:

كان بعض الشيوخ يأذنون لتلامذتهم في تولي بعض المناصب العلمية والدينية، ويكتبون لهم إجازات بذلك، مع أنَّ تولي مثل هذه المناصب لم يكن يحتاج إلى إجازة فيها.

(1)- الإجازة بالفتيا والتدريس:

لقد جرت العادة أنَّه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس يأذن له شيخه في ذلك[5]، ويُحرر له وثيقة يشهد له فيها بتحصيله للعلوم المعينة واستحقاقه

---

1 - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص، ص: 281، 282.
2 - المنوني، المرجع نفسه، ص: 282.
3 - محمد بن علي الجزولي الأنسوي (ت 1009هـ/ 1601م): لازم باب الترغي سنة كاملة، وهو يُعرض عنه، إلا أن جاء في يوم ممطر ملوثا بالطين، فرَّق لحاله، وعُنِيَ بتعليمه حتى بلغ الغاية، فأذن له في تلقين التجويد، وكتب له الإجازة. حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص: 103؛ المرجع نفسه، ج2، ص: 562.
4 - ابن مريم المديوني، البستان، ص: 304.
5 - القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص: 322.

للتدريس وما شاكله. وهي لا تتطلب امتحانا مسبقا بل يكتفي الشيخ بما يعرفه عن المُجاز له[1].

ولم تُعرف هذه الإجازات في القرون الإسلامية الأولى، فكان إذا رغب طالب في التدريس فإنَّ ذلك مُتَوقف عليه لما يراه في نفسه من كفاءة، ونظرا لصعوبة المسائل التي كان يُثيرها الطلبة أثناء الدرس، كان الطالب يتردد كثيرا قبل أن ينقل نفسه من مجلس التعَّلم إلى مجلس التعليم[2].

ويظهر أنَّها كانت حديثة الظهور في القرن الثامن للهجرة (12م)، فقد وردت في " المعيار" هذه النازلة:" هل يفتقر المعلم في تعليم العلم إلى إذن شيخه أم لا؟... وعلى الافتقار هل يكفي في ذلك مجرد القول، أم لابد من كتب الإجازة والإشهاد عليها أم لا ؟". أجاب عنها الشيخ سعيد العقباني (ت811هـ) مؤّكدا على أنّ التعليم كالفتيا لا يفتقر إلى إجازة، بل من عُرف منه العلم والدين، جاز أن يُعَّلِم ويفتي[3]. وعدَّ ابن خلدون الفُتيا من الخطط الدينية الخلافية، إذ " للخليفة تصفح أهل العلم والتدريس، ورَّد الفتيا إلى من هو أهل لها... ومَنْع من ليس أهلا لها وزجره"، كما للمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبثه، والجلوس لذلك في المساجد[4]. ولم يذكر ابن خلدون أمر الإجازة مطلقا بل أوْكَل الأمر إلى ضمير المدرس والمفتي.

وقد ارتبطت الإجازة بالتدريس أوَلاً بالإذن في إقراء الكتاب أو الكتب المقروءة فقط كما سبق ذكره. ومن التطورات التي شهدتها إذن بعض الشيوخ لطلبتهم في تدريس علوم معينة بعد تمكنهم فيها. فقد قرأ محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي بالقاهرة على الشيخ الشهاب القرافي، فأذن له في التدريس، وأجازه بالإمامة في علم الأصول[5].

---

[1] - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص: 279.
[2] - أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ص: 261.
[3] - عبد الواحد الونشريسي، المعيار، ج11، ص، ص: 16، 17.
[4] - مقدمة ابن خلدون، ص، ص: 214، 215.
[5] - أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 393.

وخضعت الإجازة بالفتيا والتدريس في بعض الأحيان للمذاهب الفقهية، من ذلك إجازة الشيخ أبي الربيع بن سليمان البوزيدي التلمساني في الفقه المالكي للفقيه عبد الله بن عبد الواحد الفاسي (القرن 9 هـ)، وممَّا كتب له:" قد أجزت الفقيه أبا محمد عبد الله إجازة مطلقة في تعليم الفقه المالكي والفتيا به، بعد مشاركتي له في صدر من المدونة[1]، وجملة من ابن الحاجب الفرعي، وشاهدت منه أبحاثا دقيقة، وأسئلة عويصة يليق بموردها التعرض لنشر هذا الشأن وبثه "[2].

كما أجاز العلامة أبو حفص عمر الشهير بابن الملقّن[3] لأبي العباس أحمد ابن علي القلقشندي[4] بالفتيا والتدريس على المذهب الشافعي سنة 778هـ. وقد كتب الشطر الأول من هذه الإجازة القاضي تاج الدين بن غنوم، بيّن فيه مؤهلات المُجاز له العلمية ثم قال:" وأذن وأجاز لفلان المُسَّمى فيه... أن يُدرس مذهب الإمام... أبي عبد الله محمد بن إدريس المطلبي الشافعي... وأن يقرأ ما شاء من الكتب المصنفة فيه، وأن يُفيد ذلك لطالبيه... وأن يُفتي من قصد استفتاءه خطّا ولفظا، على مقتضى مذهبه الشريف المُشار إليه لعلمه بديانته وأمانته، ومعرفته ودرايته، وأهليته لذلك وكفايته"[5].

ثم كتب الشيخ ابن الملقن تحت خط القاضي ما صورة بعضه:" ممّا نُسِبَ إليّ في هذه الإجازة المباركة من الإذن لفلان... بتدريس مذهب الإمام المُطّلبي محمد بن

---

1 - المدونة: من أشهر مصنفات الفقه المالكي للقاضي عبد السلام أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني (160- 240هـ). ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: علي عمر. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، (ط1)، 2003. ج2، ص: 29- 36.

2 - أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص: 233.

3 - سراج الدين عمر بن علي الأنصاري (ت 804هـ). السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه: خليل المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية- منشورات علي بيضون، (ط1)، 1997.ج1، ص: 367.

4 - كان عمر القلقشندي21 سنة عند تحصيله لهذه الإجازة. وقد لاحظت من خلال ما اطلعت عليه لحد الآن من هذه الإجازات أنَّها تمنح للعالم في سن الشباب. فقد كان مثلا عمر جلال الدين السيوطي 17 سنة عندما أُجيز بتدريس العربية، و27 سنة عندما أُجيز بالتدريس والإفتاء.(السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص، ص: 288، 289). أمّا محمد الحفناوي فكان في 22 من عمره عندما أجيز بالتدريس. الجبرتي، عجائب الآثار، ج1، ص: 240. فهي تزكية من شيخ للطالب من جهة، وتشجيعا له على مزاولة التدريس والفتيا.

5 - أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص: 225.

إدريس الشافعي... والإفتاء به لفظا وخطا صحيحٌ. فإنَّه ممَّن فاق أقران عصره بذكائه، وبرع عليهم بالاستحضار وتحرير المنقول والمعقول ووفائه"[1].

ورغم أنَّ هذه الإجازة تستوجب تثبتا كبيرا، إلاَّ أنَّ بعض الشيوخ كانوا يأذنون لطلبتهم مشافهة[2]، كما فعل قاضي القضاة بالقدس تقي الدين ابن قاضي شُهْبَة حين أذن للشيخ محمد بن جماعة (ت901هـ) مُشافهة بالإفتاء والتدريس[3].

هذا، ولم يكن الاستدعاء بإجازة الفتوى والتدريس شائعا، ومع ذلك كتب أحد أساتذة الشيخ محمد بن تاج الدّين المقدسي (ت1097هـ) إلى مفتي الروم الشيخ يحي المنقاري، يطلب منه الإجازة بالفتوى لتلميذه المذكور؛ الذي لازمه أزيد من عشرين سنة، وتأكد من مقدرته على الإفتاء، وأن يكون بدله فيها لأهلية لذلك، فأجابه المنقاري إلى طلبته، وصار ابن تاج الدين مفتيا في زمان أستاذه المذكور[4].

(2)- الإجازة بالخط:

الكتابة أهم وسيلة لتسجيل الأفكار والأخبار، وتحصيل العلوم وتقوية ملكتها في الإنسان. كما أنَّ الخط من جملة الصنائع التي يكتسبها الإنسان بالتعلم، وترتبط جودته بتقدم العمران فتكون في " الأمصار الخارج عمرانها عن الحد أبلغ وأحسن". وتؤثر جودة الخط في المُتَعّلم له إذ" تُعضد لديه رتبة العلم، والحّس في التعليم، وتأتي ملكته على أتم الوجوه"[5]. وقد كان إتقان الخط غالبا ما يعود على صاحبه بالشهرة، وممَّن ذاع صيته لذلك بالقسطنطينية الخطاط عبد الله يدي قلة لي (1144هـ/ 1731م)، فقد أخذ الخط وأنواعه على الأستاذ حافظ عثمان وأجازه

---

[1] - أحمد القلقشندي، المصدر نفسه، ج14، ص- ص: 223- 227.

[2] - ممَّا يلفت الانتباه تكرر عبارة « الإذن في الإفتاء والتدريس » بكثرة في كتب التراجم المشرقية، وعند ذكرها لا يشير المُصنف عادة إلى كتابة ذلك الإذن. ممَّا قد يعني – ولكن لا أجزم بذلك - أنَّ الإذن يكون شفهيا، والإجازة كتابية.

[3] - نجم الدين الغزى، الكواكب السائرة. ج1، ص: 25.

[4] - المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص: 412.

[5] - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص- ص: 397- 399.

بالكتبة[1]، فكانت الناس تتنافس بخطوطه، كما اتخذه السلطان أحمد خان الثالث معلما للخط في دار السعادة السلطانية[2].

ويعود أقدم خبر ذُكِر عن الإجازة بالخط إلى القرن التاسع للهجرة (15م)، حيث أخذ الخطاط عبد الرحمن بن الصائغ (ت 845 هـ/1441م) الخط عن محمد الوسيمي، وأجاز له تعليم غيره الخط[3]. فالإجازة بالخط إقرار الأستاذ بإتقان المُجاز له للخط، وبإمكانية تعليمه لغيره.

وكان على الرَّاغب في الحصول عليها أن يَدرُسَ أصول الخط العربي على أحد أساتذة الخط، وبعد أن يتقن الكتابة، ويُحسن أنواعها وفق أصولها وقواعدها يكتب له أستاذه بالإجازة، كما تُمنح هذه الإجازة للخطاط الذي أحسن تقليد خطوط أساتذة الخط ومشاهيره. وبإمكان الخطاط أيضا أن يُقدِّم نماذج من خطوطه وكتاباته إلى أحد أساتذة الخط، فيقوم بتفحصها ويمنح الخطاط إجازة، وغالبا ما تمنح في مثل هذه الحالة من قبل أكثر من أستاذ [4].

وعادة ما تكون الإجازة بالخط على شكل رقعة خطية كَتَب الخطاط في أعلاها مثلا: سطرا بخط الثلث، وفي وسطها بعض الأسطر بخط النسخ الدقيق. وفي أسفل كتابته وعلى جوانبها نصوص إجازات أساتذة الخط. ومن بين الصّيغ التي ترد عليها هذه الإجازة :« قد كَتَبَ هذه القطعة المستحسنة فأجزت وضع الكِتْبَة تحت كتابته باستحسان الخطاطين... »، « أذنت بوضع الكتبة تحت مكتوباته كما أذن لي أستاذي...». وكان بعض الأساتذة يذكرون سلسلة الأخذ عن أساتذتهم حتى يوصلونها إلى واضعي أسس الخط العربي وقواعده، كالإمام علي بن أبي طالب، والوزير ابن مقلة وابن البواب غيرهم[5].

---

[1] - استعمل بعض أساتذة الخط في إجازاتهم لفظ (الكِتْبَة)؛ أي أن يكتب المُجيز بخطه تحت كتابة الخطاط المُجاز، والإذن للمُجاز له في كتابة اسمه تحت كتاباته.
[2] - محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. ج3، ص، ص: 83، 84.
[3] - أسامة ناصر النقشبندي، إجازات الخطاطين. بيروت: الدار العربية للعلوم، (ط1)، 2001. ص: 16.
[4] - أسامة النقشبندي، المرجع نفسه، ص: 17.
[5] - أسامة النقشبندي، إجازات الخطاطين، ص: 18.

ومن نماذجها: إجازة الخطاط حسين وفائي التي منحت له سنة 1183هـ/ 1769م من طرف الخطاط إسماعيل بخفاف زاده. وقد كُتِب بخط الثلث داخل مستطيل مزخرف: (" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم")، ثم كتب داخل مستطيل بخط النسخ (" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنّ الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون لبّيك ربَّنا وسعديك والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى يا رّب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدَا من خلقك"[1]). وأخيرا كتبت الإجازة داخل مستطيل مزخرف الجوانب ونصها:(" كتبه حسين وفائي وأجزته، وأنا المذنب الحاج إسماعيل بخفاف زاده غفر الله ذنوبهما سنة 1183هـ")[2].

ومن الإجازات المُثيرة للانتباه «إجازة النسخ » التي وُجدت في إحدى النسخ المخطوطة من رسالة الإمام الشافعي بخط الناسخ، وهو الربيع تلميذ الشافعي. ونصها:" أجاز الربيع بن سليمان صاحب الشافعي نسخ كتاب الرسالة، وهي في ثلاثة أجزاء في ذي القعدة سنة خمس وستين ومائتين (265هـ). وكتب الربيع بخطه"[3].

4 – الإجازة بالتأليف:

لقد اعتاد بعض العلماء على عرض مؤلفاتهم أو قصائدهم التي أجادوا فيها، على مشايخ العصر، فيكتب لهم أهل تلك الصناعة بالتقريظ والمدح[4]، إلاَّ أنَّ صاحب " الحلل السندسية"[5] أورد عددا من التقاريظ، وقدمها على أنّها إجازات،

[1] - رواه الإمام البخاري في صحيحه مع اختلاف طفيف، فلم ترد لفظة (تعالى) بعد:« إن الله يقول». الجزائر: موفم للنشر- دار الهدى، 1992. « كتاب التوحيد »، رقم الحديث: 7080، ج6، ص، ص: 2732، 2733.

[2] - أسامة النقشبندي، المرجع السابق، ص: 34؛ وينظر أيضا الملحق: (أ).

[3] - عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص، ص: 36، 125. لم يعلق عليها المؤلف، واكتفى بقوله أنَّها من" الإجازات الغريبة "، ولكن يفهم من سياقها بأنه يأذن لغيره بنسخها.

[4] - أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص: 335.

[5] - إجازات ثلاثة من كبار علماء تونس لمحمد قويسم وهم: محمد فتاتة، محمد الحجيج الأندلسي، والشيخ عبد الكبير بن يوسف درغوت. الوزير السراج، الحلل السندسية، ج2، ص- ص: 279- 682.

مع أنّها لا تحتوي على أي إذن، فهي إذن إجازات بالتأليف[1]. وهناك تشابه كبير بين الإجازة بالتأليف والتقريظ، ولكنَ يبدو أنّ الأولى تصدر عن أعلام العصر في فن الكتاب المُؤَلَّف، أمَّا التقريظ فهو ما يكتبه عليه عامة المشايخ والعلماء.

ومن الإجازات التي كتبها علماء تونس للشيخ محمد قويسم النواوي سنة 1104هـ/ 1702م على شرحه للشفاء المسمى " سمط اللآل في تعريف ما بالشفا من الرجال": إجازة الشيخ محمد فتاتة التي ورد فيها:"وبعد، فقد وَقَعْتُ على ما تيسر من هذا المجموع القريب، والأنموذج المونق العجيب... فألفيته روضا أينعت ثماره، وعقبت بأريج المسك أزهاره، واشتمل على مباحث أثارت الأدلة الواضحة من أماكنها، فأحسن به مجموعا قد أشرقت معانيه، وعلت على الفلك الأعلى مبانيه، فلله دَّر ناظم عقوده، وراقم بروده، فلقد ضمنه من مُلح المسائل، وقواطع الدلائل، ما تقربه عين أولي الألباب..."[2].

وللإشارة فإنَّ حسين خوجة أشاد هو الأخر بأهمية هذا التأليف ثم قال:" ومدحه فيه علامة عصره في القطر الإفريقي الفاضل الشيخ سيدي محمد فتاتة"[3]، ولكنه لم يقل أنَّه أجازه فيه.

وقد قرأ الأستاذ محمد بن مصطفى المعروف ب: قارة باطاق القرآن بالسبع والعشر على عدة شيوخ وأجازوه، فتصدَّر للتجويد بالجامع الأعظم، وألف عدة كتب في القراءات القرآنية منها كتابه المسمى" تحفة البررة بقراءة الثلاثة المتممين للعشرة"، فتناولته علماء العصر، وأثنوا عليه وكتبوا عليه إجازات[4]، وهي على ما يبدو إجازات بالتأليف لأنَّه تخص الكتاب المُؤلف.

وممَّا يستوقفنا من خلال عرض أنواع الإجازات العلمية أنّها تصب في نوع واحد من العلوم وهي " العلوم النقلية " أو العلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها. أمَّا

1 - لمزيد من التفصيل ينظر: إجازة الورززي بالتأليف لابن حمادوش الفصل الثاني، ص: 143.
2 - محمد الأندلسي الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم: محمد الحبيب الهيلة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1985. ج2، ص: 679.
3 - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل النعمان، تح: الطاهر المعموري. تونس- ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1975. ص: 196.
4 - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان، ص، ص: 265، 266.

" العلوم العقلية " فلم تتداول فيها الإجازات – في حدود علمي- إلاّ في العلوم الطبية؛ حيث عَرَفَ المسلمون في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية (القرن الرابع للهجرة) الامتحان والإجازة في الطب.

وقد كان العمل في الطب – بادئ ذي بدء- يكفي فيه أن يكون أحدهم قد قرأ الطب على أحد أهل الصناعة المعروفين، ولمَّا دخل هذه الصناعة الدخلاء، أصبح من الضروري أن توضع شروطا خاصة لمن يريد العمل في الطب. فكان أنْ وكَّل الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة 319هـ/931م إلى سنان بن ثابت بن قرة أمر امتحان ثلاثمائة ونيف وستين طبيبا ببغداد وما حولها. ومنذ ذلك الوقت أصبح لا يُجَاز في الطب إلا من نجح في الامتحان. ثم أدخلت هذه الصناعة في نظام الحسبة، فكان المحتسب ينظم اختيار الأطباء ويتفحص معلوماتهم، ويشرف على امتحانهم للتعرف على مقدرتهم وكفايتهم ودرجة إتقانهم للصناعة[1].

وكان استحداث الإجازة في الطب مواكبة لذلك التطور الذي عرفته العلوم الطبية آنذاك. فقد أنشئت العديد من المدارس الطبية في مشرق العالم الإسلامي ومغربه[2]، وكان يلحق بكل مدرسة مستشفى يسمى بيمارستان[3]، وقد خصص به مكان ليجلس فيه رئيس الأطباء ويلقي دروسا في الطب على الطلبة[4].

وقد كان الطب يُدرس بصفة نظرية وتطبيقية تحت إشراف وتوجيه أطباء أساتذة لمدة طويلة، وتنتهي المرحلة الدراسية بإجراء امتحانات نظرية وأخرى تطبيقية، يتحصل بعدها الطالب على إجازة تؤكد تفوقه وقدرته على ممارسة مهنة الطب[5]. وبناءا على ما ذُكر فمتى بلغت العلوم الطبية هذا التطور وتم تدريسها بالشكل المذكور، أصبحت الإجازة في الطب ضرورية.

---

1 - مرحبا محمد عبد الرحمن، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب. بيروت: منشورات عويدات، (ط2)، 1988، ص: 288.

2 - من أوائل المدارس: المدرسة التي أنشأها الخليفة المنصور العباسي في بغداد، ومدرسة الرشيد في دمشق، ومدرسة الناصر لدين الله الأموي الأندلسي في قرطبة. مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم، ص: 284.

3 - بيمارستان: كلمة فارسية مؤلفة من مقطعين " بيمار"، بمعنى مريض، و" ستان" بمعنى مكان أو موضع. مرحبا، المرجع نفسه، ص: 284

4 - مرحبا محمد عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص: 285.

5 - يستوجب أن يكون الطبيب الأستاذ مُلما بالمعارف النظرية والتطبيقية لعلم الطب، متقنا لكتب المتقدمين فيه

وخلاصة القول: فإنَّ الإجازة العلمية التي ظهرت في القرون الإسلامية الأولى للدلالة على الإذن في رواية الحديث، توسعت لتشمل علوم مختلفة. كما تفرعت عنها عدة أنواع لكل منها مفهومها الخاص، وهي تختلف عن بعضها البعض في شروطها، وفي درجة التثبت في منحها. فكيف تعامل العلماء الجزائريين مع الإجازة العلمية خلال العهد العثماني؟.

كديسقوريدوس وأبقراط وجالينوس وأرسطو، والمتأخرين كالرازي وابن سينا والزهراوي، عارفا بالعقاقير والأعشاب. نور الدين زرهوني، « الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري / 12م»، إشراف: ابن نعمية عبد المجيد. رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة وهران: كلية العلوم الإسلامية والحضارة الإسلامية، قسم: التاريخ وعلم الآثار. سنة: 2001- 2002. ينظر المبحث الخاص " بنظام التعليم الطبي في الأندلس"، وهو نفس النظام الذي عرفته مدارس الطب المتطورة في المشرق، ص- ص: 78- 82.

الفصـــــل الأول

الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين

I - *التعليم من المستوى العالي في الجزائر العثمانية*

II – *إجازات علماء مدينة الجزائر وضواحيها*

III – *إجازات علماء منطقة الشرق الجزائري*

IV – *إجازات علماء منطقة الغرب الجزائري*

كانت حركة الثقافة والتعليم في الجزائر قبل دخول العثمانيين؛ تتركز في ثلاث حواضر أساسية هي: تلمسان، بجاية وقسنطينة، بالإضافة إلى بعض الحواضر الصغرى. بينما لم يأخذ الرِّيف حظه من التعليم. ولكن ما كاد ينقضي القرن العاشر الهجري (16م)، حتى أخذت حركة التعليم منحًى جديدا، فلم يعد منحصرا في الحواضر الكبرى المذكورة، وإنَّما انتقل إلى الريف مُحدثا شبه توازن بينه وبين المدينة في هذا المجال.

ويتميز العهد العثماني ببروز حواضر ثقافية جديدة واختفاء أخرى، ونعني بذلك احتلال مدينة الجزائر مركز الرِّيادة، فلم تعد عاصمة سياسية للدولة الناشئة فحسب، بل أصبحت عاصمة ثقافية بحق، في حين تراجعت الثقافة في تلمسان، بينما ظلت قسنطينة محافظة على مكانتها العلمية، كما برزت حواضر علمية صغرى.

I /- التعليم من المستوى العالي في الجزائر العثمانية:

لم يكن من ضمن سياسة السلطة العثمانية بالجزائر[1] الاهتمام بالتعليم[2]، فقد كانت هُمومها حينئذ منحصرة في المحافظة على الاستقرار السياسي، والدفاع عن الحدود، وجمع الضرائب (المستحقات المخزنية)[3]، وتركت المشاريع العمرانية والخدمات الاجتماعية للمبادرات الفردية، أو لرعاية المؤسسات الخيرية[4]، وقد كان بعض رجال الدولة يلتفتون أحيانا إلى المشاريع الدينية والخيرية فيبنون

[1] - لم تشمل سلطة العثمانيين في الجزائر حدود الجزائر الحالية، فلم تخضع لهم أغلب المناطق الصحراوية. وقد بدأ استخدام مصطلح الجزائر للدلالة على القطر الجزائري، منذ أن تمكن خير الدين بربروس سنة 936 هـ /1529م من استرجاع حصن البنيون من يد الإسبان، ويعد هذا بداية تأسيس ما عرف بنيابة الجزائر، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مدينة الجزائر عاصمة كبرى للمغرب الأوسط. علي محمد صلابي، الدولة العثمانية. القاهرة: دار النشر والتوزيع الإسلاميين، (ط1)، 2001. ص: 214.
وهذا ما تؤيده المصادر المعاصرة التي أطلقت الجزائر كقطر بعدما كان يطلق على المدينة الساحلية فقط، من ذلك ما أنشده أحمد المقري (أزهار الرياض، ج1، ص: 6)- وهو في المشرق- يتشوق إلى وطنه قائلا:
« بلد الجزائر ما أمَر نواها ♦ كلف الفؤاد بحبها وهواها».

[2] - يستثنى من هذا الحكم كل من الباي محمد الكبير في بايليك الغرب، وصالح باي في بايليك الشرق. فقد توليا الحكم في النصف الثاني من القرن 12 هـ واهتما بالتعليم، وبذلا جهودا كبيرة من أجل النهوض به. توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766- 1791م). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986. ص، ص: 134، 135؛ ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي. قسنطينة: مطبعة البعث، 1973. ص- ص: 68- 70.

[3] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 313.

[4] - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792- 1830م). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (ط2)، 1984. ص: 164.

جامعا[1]، أو كُتَّابا لتعليم القرآن الكريم[2] أو زاوية[3]، ثم يوقفون على ذلك أوقافا لحفظه وصيانته. وهكذا فرغم إهمال السلطة العثمانية للتعليم، فقد كان يقوم على جهود الأفراد، والمؤسسات الخيرية التي تتغذى من الأوقاف[4]، فانتشر التعليم في الجزائر انتشارا واسعا خصوصا " التعليم الأولي"، إذ لم يكد يُوَجد بها من لا يعرف القراءة والكتابة (أي المستوى الأدنى من التعليم)؛ وذلك لكثرة الكتاتيب القرآنية التي لا يكاد يخلو منها حي من الأحياء في المدن، ولا قرية من القرى في الريف، بل كانت منتشرة حتى بين أهل البادية، والجبال النائية[5]، وهذا ما أبهر جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني[6].

أما التعليم الحَيّ الذي يعني رقة الثقافة، والتعمق في المسائل، وتكوين الرأي المستقل، أو بما يمكن تسميته بالتعليم الثانوي والتعليم العالي[7]، فقد كان قليلا[1].

---

1 - ارتفع عدد المساجد بالجزائر عند دخول العثمانيين إليها، خاصة بمدينة الجزائر التي شاهد بها فانتور دي برادي (Alger au 18 eme siècle, p: 157) اثنا عشر مسجدا جامعا، وعدد كبير من المساجد الصغيرة. ومن المساجد التي تأسست على أيديهم مسجد خير الدين، وجامع كتشاوة الذي تأسس خلال القرن 11هـ، وأوقف عليه حسن باشا في سنة 1210هـ /1796م أوقافا، وخصص رواتب لاثنين من المدرسين به.
Albert Devoulx ;"Les Edifices Religieux de l'ancien Alger", Revue Africaine.
Alger : Office des publications Universitaires, N° : 12, Année : 1868,pp :107- 113.

2 - أسس عدد من رجال الدولة مدارس وكتاتيب من أموالهم الخاصة منها : مسيد القيسارية، ومسيد السودان، ومدرسة ساحة الجنينة، والمدرسة التي أنشأها بيت المالجي ساري مصطفى بن الحاج محمود سنة 1113 هـ/ 1703م.
Ibid, N° :11, Année : 1867,pp :449, 454, 457. N° :12, Année : 1868,p:107.

3 - من بين الزوايا التي أسسها رجال الدولة زاوية الأشراف؛ التي أنشأها الداي محمد بكداش بمدينة الجزائر سنة 1121هـ، وأوقف عليها أوقافا متنوعة، وجعل من بين موظفيها مدرسا.
Ibid, N° :12, Année : 1868,p:105.

4 - ازدادت الأوقاف في الدولة العثمانية بعد تشجيع بعض السلاطين على ذلك مثل: السلطان بازيد المعروف بالتقي، فهو الذي أقر حق الأوقاف، وأسبغ عليها حصانة أبعدت عنها أنظار الطامعين، وجعلها في مأمن من الضرائب والمصاردات، الأمر الذي أكسب الأملاك التابعة للأوقاف شكل مؤسسة رعاية اجتماعية، ترعى الأعمال الخيرية، وتحافظ على الحياة الدينية والاجتماعية. ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، ص: 141.

5 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 274.

6 - قال الرحالة المغربي عبد الرحمن الجامعي واصفا المكاتب القرآنية بمدينة الجزائر:" كان بهذه الحاضرة نحو مئة مكتب ملآى بالأولاد". (نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر. قسنطينة: مطبعة البعث، 1965. ص: 202). وذكر مرسيل (Emerit Marcel)، أنه كان في مدينة تلمسان خمسين مدرسة (ابتدائية) يتردد عليها ألفي تلميذ. L' Algérie à l époque d' abd – El- Kader. Paris : Editions la rouse.1951.p: 13.

7 - لم يكن مصطلحا التعليم الثانوي والتعليم العالي مستعملين في العهد العثماني، ومع ذلك فقد استعملهما بعض الدارسين للدلالة على هذا النوع من التعليم كأبي القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، والمهدي البوعبدلي في الدراسة التي وضعها " للثغر الجماني"، وفي كتابه "الجزائر في التاريخ" ، ج4 مثلا، ص: 203، والعيد " مسعود، في دراسته " حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني".

ورغم أنَّ الرحالة الفرنسي فانتور ديباردي تحدث في القرن الثاني عشر الهجري (18م) عن وجود ثلاث جامعات لتعليم المذهب المالكي بمدينة الجزائر وحدها[2]، فالواقع يشهد على أنَّه لم يكن في الجزائر كلها جامعة واحدة بالمعنى المتعارف عليه. فقد خلت الجزائر العثمانية من مؤسسة للتعليم العالي، تُوَّحِد نظم التعليم، وتحافظ على مستواه، وتعكس نشاط واتجاه العلماء، وتحفظ قدرا معينا من أساليب اللغة، والذوق الأدبي العام[3].

إنَّ عدم وجود جامعة بالجزائر[4]، تُؤدي تعليما من المستوى العالي، جعل بعض الباحثين يحكم حكما قاسيا على الثقافة بها مثل محمد بن عبد الكريم؛ الذي ذهب إلى أنّ الثقافة بها أصبحت رهن فراش الاحتضار تلفظ نفسها الأخير، مُستدلا على ذلك بعدم شهرة مراكزها العلمية، إذ ليس منها ما يشبه جامع القرويين بفاس، أو جامع الزيتونة، أو جامع الأزهر بالقاهرة، أو الجامع الأموي بدمشق[5].

وكان أبو القاسم سعد الله أكثر تَفَاؤُلاً من سابقه – عند تطرقه إلى خلو الجزائر من جامعة- قائلا بأنَّ:" دروس جوامعها الكبيرة كانت تضاهي، بل تفوق أحيانا دروس الجامع الأموي بدمشق، والحرمين الشريفين لتنوع الدراسات فيها، وتَرَدُد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي"[6]. ثم مثّل لذلك بكبار المدرسين بها، والذين كانت دروسهم مضرب الأمثال في العمق والإحاطة والرقي، مؤكدا على أنّ شهرة هؤلاء العلماء كانت نتيجة جهودهم الشخصية، وليس نتيجة انتمائهم لنظام شامل تخضع له المؤسسات التابعين لها. في حين ذهب الشيخ المهدي

---

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص، ص: 319، 320.

2- venture de paradis , Alger au 18 eme siéle . Alger : Imprimeur libraire ,édité par : E.faghan, 1898, p: 158.

3 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص: 273.

4 - أوعز العيد مسعود افتقار الجزائر إلى معهد رئيسي كبير إلى احتفاظ المراكز الإقليمية في الحواضر الكبرى باستقلال شخصيتها، وللتوازن بينها في المنزلة العلمية، لم يكتب لواحد منها أن يتغلب على المراكز الأخرى ويستقطب إليه علماء البلاد وطلابها ويتحول إلى معهد كبير. ومـمَا حال أيضا دون ذلك أيضا هو تأخر استكمال المجتمع الجزائري لوحدته الإقليمية قبل العثمانيين، وحتى بعد دخولهم لعدم اهتمامهم بالتعليم. " حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، في مجلة سيرتا. قسنطينة: مطبعة البعث. ماي 1980. عدد: 03، ص، ص: 71، 72.

5 - المقري وكتابه نفح الطيب. بيروت: دار مكتبة الحياة. بدون تاريخ. ص:41.

6 - تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص، ص: 274، 273 .

البوعبدلي إلى أنّ مُجرد الاطلاع على بعض الإجازات العلمية، تَدل على ازدهار بعض المعاهد بالجزائر، والتي كانت المواد التي تُدَّرس فيها لا تقل أهمية عن المواد التي كانت تُدَّرس بأشهر الجامعات الإسلامية[1].

ومهما كان الأمر فقد كانت حلقات الدروس العليا تُعقَد في المساجد، والمدارس، وفي الزوايا التعليمية[2]، وحتى في الرباطات[3]. وأكثر هذه المؤسسات التعليمية انتشارا الزوايا والمساجد، فلا نكاد نجد بالجزائر قرية أو حيا بدون مسجد، واحتضان هذه المساجد مهمة التعليم، إلى جانب مهامها الدينية والاجتماعية، وانفردت كل حاضرة بجامعها الأعظم الذي يُمَّثِل معهد التعليم المتوسط والعالي[4].

أمَّا الزوايا فقد انتشرت بالريف في بداية العهد العثماني، بالإضافة إلى الزوايا التي كانت قائمة بالمدن، وكان لها الفضل في انتشار التعليم بالمناطق البعيدة عن الحواضر[5]، بل نجحت في جعل بعضها من أهَّم المراكز الثقافية في الجزائر، كمنطقة زواوة التي تأسس بها عدد كبير من الزوايا[6].

وكانت الدراسة[7] في هذه الحلقات تتم بطريقتين لسائر العلوم، تسمى الأولى "بالسرد"؛ ويقتصرون فيها على تقرير المتن مفهوما ومنطوقا، وما يعرض لذلك من إزالة إشكال أو غموض، وفيها يطيلون الدروس بحيث يجعلون الدرس الأول من طلوع الشمس إلى قرب الزوال، والثاني من بعد صلاة الظهر إلى قبيل المغرب، وبهذه الطريقة يتمكن الشيخ مثلا من إلقاء مختصر خليل[8] في أربعين

---

1 - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984. ج4، ص: 127.

2 - كان للزوايا التعليمية نظام داخلي أُلزم الطلبة بالخضوع له. ينظر: العيد مسعود،" المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة سيرتا، ع: 10، السنة السادسة، 1988. ص- ص: 23-25.

3 - إنَّ تعرض الجزائر الدائم للحملات الصليبية الأوربية أدى إلى انتشار الرباطات على سواحلها مثل: رباط تنس، بجاية، وهران، تلمسان وغيرها. المهدي البوعبدلي في الدراسة التي وضعها للثغر الجماني لابن سحنون، ص، ص: 19، 20.

4 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص: 270 .

5 - العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، ص: 63.

6 - محمد سي يوسف، " نظام التعليم في بلاد زواوة بأيالة الجزائر خلال العهد العثماني". ملتقى: الحياة الفكرية في الولايات العثمانية، تقديم: عبد الجليل التميمي. زغوان (تونس): منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، (ط1)، 1990. ص:195.

7 - كانت دراسة أي علم تقوم على قراءة الكتب المؤلفة فيه في الجزائر كما في بقية البلدان الإسلامية.

8 - ضياء الدين خليل بن إسحاق موسى بن شعيب (ت 749هـ/ 1348م): من أكبر فقهاء المالكية، شرح

يوما، وألفية ابن مالك[1] في عشرة أيام. وتسمى الطريقة الثانية " بالأصل" لكون السرد فرعا منها؛ إذ يفتتحون الكتب المُراد درسها أواخر الخريف، أو أوائل الشتاء فيُقللون الحصص ويُطالعون عليها كثيرا من الشروح والحواشي وغيرها، وبهذه الطريقة فمنهم مثلا من يُقرئ المختصر درسين في اليوم، فيختمه في قريب من تلك السنة، ومن كان يقتصر على درس واحد في اليوم فيختمه في سنتين[2].

ويُمكن الإشارة إلى الحقيقة التَّالية: هي أنَّ العناية بالعلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها كاللغة والنحو والبيان وغيرها، ظلت الشغل الشاغل للمراكز التعليمة في الجزائر بما فيها المدارس، وأدَّى التركيز عليها إلى عدم العناية بالعلوم الأخرى. وهذا القصور لا ينطبق على الجزائر وحدها، بل هي حال كل العالم الإسلامي. وهو ما أدَّى إلى انحطاط وضعية العلوم العقلية به خلال العهد المدروس. وليس أدَّل على ذلك من قلة المشتغلين بالطب والكيمياء، الفلك، الحساب، الجبر، وغيرها[3].

وذلك ما لاحظه الرَّحالة الإنجليزي شو (Shaw)[4]؛ الذي زار العديد من الأقطار الإسلامية في القرن 18م، وقال عن وضعية العلوم العقلية في الجزائر بأنَّ أي علم لم يُأخذ بدرجة من الكمال، مُؤكدا على أنَّ هذه الوضعية ليست ناجمة عن قلة الأشخاص الذين يمارسون الطب، أو أيٍّ من المهن التي تتطلب بعض المعرفة بالعلوم الدقيقة، إلاَّ أنّ كل ما يفعلونه هو من قبيل العادة والتعود، معتمدين في ذلك

جامع الأمهات لابن الحاجب في ست مجلدات ثم اختصره في الكتاب المعروف بمختصر خليل. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص: 313.

[1] - منظومة في النحو لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي المتوفى بدمشق (672هـ/ 1274م): له بالإضافة إلى الألفية المشهورة الكافية الشافية في النحو و" لامية الأفعال"، والوافية في شرح الكافية له. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص- ص: 130- 137؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص- ص: 78-81.

[2] - المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص: 202.

[3] - شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله. بيروت: دار العلم للملايين، (ط 1)، 1993. ج3، ص: 1653.

[4] - كان الدكتور شو كاهنا بالوكالة الإنجليزية في الجزائر من عام 1720م إلى 1732م، واستطاع أن يقدم عملا بعنوان:" جولات في ولايات متعددة ببلاد البربر والشرق"، ترجم إلى الفرنسية، ونشر الجزء الخاص بالجزائر تحت عناوين مختلفة منها : "Voyage de Monsieur Shaw dans la régence D'Alger " و" الجزائر قبل قرن من الاحتلال الفرنسي". عميراوي احميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر. الجزائر: دار الهدى، 2003. ص: 9. ومن الأقطار الإسلامية التي زارها شو: الحجاز، مصر، تونس المغرب الأقصى.

على ذاكرتهم القوية وذكائهم الفذ. وفيما يخص الطب أكَّد على تدهور وضعيته في الجزائر[1] كما في بقية الولايات العثمانية، مع اعترافه بقدرة بعض الأطباء الجزائريين في المعالجة ببعض الأعشاب[2]، وخلص إلى القول: بأنّ " الطب لم يكن يسير وفق قوانين معينة أو مدارس، بل كان يعتمد على ما أَلِفَهُ العُرف"[3].

والواقع أنَّ تدريس الطب قد أُهْمِل في أقطار المغرب الإسلامي[4]، بما فيها الجزائر[5] منذ فترة سابقة للعثمانيين، ولم يعُد يُدّرس في المراكز العلمية الكبرى آنذاك وهي: القيروان وتونس، بجاية وتلمسان، فاس ومراكش [6].

وكان من نتائج إهمال تعليم الطب قلة عدد الأطباء في الجزائر[7]، دون البحث في مستوى فئة الموجودة وتخصصهم، ومعرفتهم بالجراحة من عدمه. ولا بأس أن نتتبع كيفية تحصيل صناعة الطب لأحد من تميزوا " بشدوذهم الفكري"[8]

---

[1] - يعود سبب سوء الحالة الصحية في الجزائر إلى انتشار بعض الأمراض المعدية التي انتقلت إليها من الأقطار المجاورة، وعدم التزام السكان بالقواعد الصحية، والتي لم يعودوا يعرفون منها سوى معلومات بسيطة وتجارب شخصية، كما لم تكن الأدوية والعقاقير المحضرة متوفرة، بالإضافة إلى عدم اهتمام الحكام بأمور الصحة، باستثناء صالح باي والباي محمد بن عثمان حاكم مدينة وهران. وتكاد أماكن العلاج تنحصر في بعض المصحات وملاجئ العجزة، وكان بالإيالة عدة مستشفيات لرجال الدين المسيحيين. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 2000. ص، ص: 559، 560.

[2] - Shaw, L 'Algérie un siècle avant l'occupation française. Traduit par: J. Mac. Carthy. Paris: Editions Imprimerie de Carthage,1968, 2eEdition . p: 48.

[3] - Ibid, p: 51.

[4] - يظهر أنَّ المشرق لم يكن أحسن حالا من المغرب الإسلامي، فلم يكن في مكة مدرسة واحة لتدريس الطب، واختصت بتدريسه ثلاث مدارس بالشام في مطلع القرن 10 هـ. عبد الرحمن بن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة. بيروت: دار البشير- مؤسسة الرسالة، (ط3)، 2001. ص: 66. وفيما يخص مدارس الشام لا أعلم إن ظلت قائمة خلال العهد العثماني.

[5] - فيما يخص بقية العلوم العقلية لا حظ شو اقتصار الفلكيين على ضبط مواقيت الصلاة، وانحصار الكيمياء في صناعة ماء الزهر. أما الرياضيات فذكر أنَّه ليس لهم القواعد الأساسية للجبر والهندسة، وهو يثني عليهم بطريقة العّد على الأيدي في السوق، بل حتى ذهنيا وهم يحلون الحسابات الأكثر تعقيدا. المصدر السابق ص: 52.

[6] - Le docteur Lucien Raynaud, Le docteur Henri Soulié, Le docteur Paul Picard, Hygiène et Pathologie Nord Africaines. Paris: Masson et Cce éditeurs, Libraires de L'Académie de médicale ,1932 .tome1, pp: 210, 211.

وذكر هؤلاء أن بعض زوايا المغرب الأقصى ومنها زوايا فاس، استمرت في تدريس " التقاليد الطبية " - حسب تعبيرهم- بقراءة كتب أبقراط، بالإضافة إلى تلقين الطلاب سر التعويذات، وبعضا من علم الصيدلة، كما كانوا يقومون بالتجارب في بعض الأحيان.

[7] - ذكر الدكتور لوسان، Lucien (المرجع السابق، ص:211) أنَّ الأطباء كانوا مطلوبين بقوة في الجزائر، أما شو فقال:" ينقص فعلا أطباء ماهرون". الجزائر قبل قرن من الاحتلال، ص: 48.

[8] - نظرا لاهتمامه بالطب والصيدلة والفلك والحساب وغيرها، وصفه أبو القاسم سعد الله " بالشذوذ الفكري". الطبيب الرحالة ابن حمادوش حياته وآثاره. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982. ص: 5.

وهو الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش[1]؛ الذي قامت دراسته له على جهوده الخاصة؛ حيث كان كثير المطالعة لكتب الطب العربية وغير العربية، كما اعتمد على ملاحظاته وتجاربه الخاصة[2]. ولا نجد من أساتذته في الطب إلاَّ بعض العشَّابين[3]. فلو كانت هناك مدرسة متخصصة في تدريس الطب، أو أستاذ طبيب لامع في الجزائر لمَا تردد ابن حمادوش في الاتصال به والأخذ عنه على أغلب الظن[4].

وللأسباب المذكورة لم يتمكن ابن حمادوش من بلوغ مُبتغاه، إلاَّ عندما بلغ ثمان وثلاثين سنة من عمره، حيث وصف نفسه في سنة 1145هـ بقوله:" فاليوم -والحمد لله - أنا عشَّاب وصيدلاني، وطبيب في بعض الأمراض"[5].

وعليه فإنَّنا لا نبالغ إذا قلنا أنَّ دراسة الطب بالطريقة المتطورة؛ التي بلغها في العهد الذهبي للحضارة الإسلامية كاد أن يختفي في العالم الإسلامي. ولهذا قال أبو القاسم سعد الله في سياق حديثه عن ابن حمادوش بأنَّه:" جاء بعد ظلام دامس أصاب الحضارة الإسلامية، ولذلك اعتبره بعض الباحثين (ليكليرك) من أواخر الممثلين للطب العربي، ولعَّل الصواب أن يقول للفكر العربي. وإذا عرفنا أنَّه كان في القرن الثاني عشر (18م) معاصرا لعهد الاستنارة في أوربا، أدركنا أنّه كان

---

[1] - عبد الرزاق بن محمد بن أحمادوش: ولد في رجب 1107هـ وتوفي حوالي 1197هـ، تقلد وظائف دينية وأخذ العلم على عدد من المشايخ داخل وخارج الجزائر، وهو صيدلي وطبيب وحسَّبْ وفلكي. من مؤلفاته: الرحلة المسماة بلسان المقال. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 1971. ص: 93.

[2] - كان يصنع بعض المستحضرات الطبية بنفسه، كما ألّف العديد من الكتب في الطب من أهمها: الجوهر المكنون من بحر القانون، في أربعة كتب أشهرها الجزء الرابع وهو بعنوان " كشف الرموز"، ومن أهم كتبه في الطب أيضا تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج. أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، ص- ص: 53- 86.

[3] - من هؤلاء: السيد محمد كنجل الذي قال عنه ابن حمادوش " كان عشاب بلدنا "، وفي مناسبة قال" خرجنا مع بعض الإخوان أحدهم يعرف الأعشاب لنتعلم منه... في جبل بومعزة تحت بوزريعة "، ولكنه لم يُسَّم المعلم. ومن الأطباء الذين اتصل بهم في المغرب: الحكيم عبد الوهاب أدراق. أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص- ص: 25- 27.

[4] - كان ابن حمادوش شديد الحرص على تحصيل العلوم الطبية، ولهذا قد لا نبالغ إذا قلنا أنه ما كان يتردد في الالتحاق بأية مدرسة متخصصة في تدريسه سواء في المغرب الأقصى أو تونس، وحتى في المشرق، لزيارته لكل هذه المناطق.

[5] - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 35.

عندئذ أقرب في تفكيره واهتماماته إلى العلماء الأوربيين منه إلى العلماء المسلمين الخاملين" [1].

والجدير بالذكر أنَّ بعض المدرسين تطرقوا في مجالسهم لبعض العلوم العقلية كالحساب والفرائض والفلك، ولكن دراستها لم تكن إلاَّ للاستفادة منها في الحياة اليومية البسيطة؛ فالحساب كان للاعتماد عليه في التجارة والفرائض وتقسيم التركات وغيرها. وكان الفلك يدرس لمعرفة الزوال وأوقات الصلاة وليس الملاحة. إنَّ عدم اهتمام الجزائريين بهذه العلوم هو الذي جعل الكتاب الأوربيين ينتقدون التعليم في الجزائر. ومما لا شك فيه أن انتقادهم فيه شيء من الحقيقة[2].

أمَّا نظام الامتحانات فلم يكن معروفا خلال العهد المدروس، وإنَّما كان الشائع - حسب العيد مسعود- تكليف الأستاذ للطالب الذي أخذ بسهم وافر من العلوم، بمساعدة الطلاب على تكوين فكرة عن الدرس الجديد قبل أن يشرحه، وبإعادة الدرس الذي سبق أن ألقاه، فيرفع من جهة مستوى بعض العناصر الضعيفة، ويتمرس من جهة أخرى على إلقاء الدروس. على أنَّه حين يختم الدرس، يمنحه أستاذه إجازة خاصة لتدريس علم معين، أو عدد من العلوم، أو إجازة عامة لتدريس كافة العلوم[3].

وتطرق محمد سي يوسف هو الآخر إلى نهاية الدروس في زوايا بلاد زواوة قائلا :" تكون نهاية الدروس في هذه الزوايا عادة بمنح إجازة للمُستحق من طرف الشيخ الذي درَّسه، وهي شهادة تُثبت نوع الدراسة، والكتب التي درَّسَّها لهذا الطالب، وهي تسمح له بمزاولة التدريس إن كان يريد ذلك "[4].

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، ص: 40.

[2] - محمد بن جبور، «صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين: 17و18م ». رسالة ماجستير في تاريخ العلاقات الدولية بإشراف: غازي جاسم. جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم: التاريخ وعلم الآثار، سنة: 2002- 2003. ص، ص: 132، 133.

[3] - حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، ص: 67. المصادر المعتمدة في البحث لا تشير إلى منح علماء الجزائر العثمانية "الإجازة بالتدريس" المتعارف عليها، وكل ما نجده إذن بعض العلماء المدرسين لأبنائهم، أو للمقربين من تلامذتهم في مباشرة التدريس على سبيل النيابة. فعل ذلك الشيخ سعيد قدورة مع ابنه محمد حيث أنابه عنه في التدريس، والأنصاري مع عيسى الثعالبي، ومحمد المازوني مع حفيده أحمد ابن هني الذي أنابه عنه في إلقاء بعض الدروس. وسوف أتطرق إلى ذلك في ثنايا البحث.

[4] - " نظام التعليم في بلاد زواوة بأيالة الجزائر خلال العهد العثماني"، ص، ص: 206، 207. إنَّ ما يؤخذ

أمَّا أبو القاسم سعد الله الذي خصَّص للتعليم فصلا كاملا، فلم يتوسع في نهاية الدروس مفضلا تناولها تحت إطار انتهاء " علاقة الطالب بأستاذه". وبعد أن استعرض الاعتبارات التي تُنهي العلاقة بينهما، خلص إلى القول بأنّ:" هذا النوع من التعليم لا ينتهي بشهادة أو نحوها، وأقصى ما يطمح إليه الطالب المجتهد والطموح هو حصوله على إجازة شفوية من أستاذه، وهي تسريحه ورضاه عنه"، إلاَّ أنّه قال بعد إشارته إلى تساهل بعض العلماء في منح الإجازة:" ومهما كان الأمر فإنَّ الشهادة أو الإجازة هي آخر علاقة بين الطالب والمُدَّرِس"[1].

وبناءا على هذه الأقوال يمكن أن نُمَّيز بين عدة حالات لنهاية الدروس؛ حيث يمكن أن تنتهي علاقة الطالب بأستاذه بدون أن يتلقى إجازة منه، كما يمكن أن يحصل على إجازة شفوية؛ وهي تسريحه ورضاه عنه، والحالة الأخيرة هي تحرير الأستاذ إجازة علمية للطالب.

ولمّا كانت الثقافة دينية ترتكز على العلوم الإسلامية[2]، فقد ارتبطت ارتباطا وثيقا بحركة التعليم، وبالأخص التعليم الذي يُوصف بالثانوي والعالي؛ المتوفر في بعض المناطق دون غيرها، وهو ما دفع ببعض الباحثين-محمد بن عبد الكريم- إلى القول: بأنَّ الثقافة بالجزائر كانت جهوية إقليمية، أكثر منها عمومية قطرية، حيث كانت محصورة في أشخاص معينين وفي أماكن محدودة[3]. وهذا ما يؤيده الواقع فقد ازدهرت حلقات الدروس العليا في الحواضر الثقافية الكبرى كمدينة الجزائر ومدينة قسنطينة، وحتى في بعض الحواضر الصغرى كمعسكر ومازونة[4]. كما

على سي يوسف أنَّه أورد نموذجا لما ذكر، وهي" إجازة تدريس" لأحد شيوخ الطريقة الرحمانية، مؤرخة في سنة 1292هـ/1876م، أي بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولذلك فهي لا تصلح دليلا للعهد المدروس.

1 - تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 348.

2 - المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص: 126.

3 - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (ط1)، 1972. ص: 56.

4 - كثيرا ما كانت الحواضر الثقافية هي مقر البايليك، ولكن التقسيم المتبع في هذا الفصل لا علاقة له بالتقسيم الإداري الذي خضعت له الجزائر، بداية من ولاية حسن بن خير الدين باشا الثانية (1557- 1567م). ويتمثل التقسيم فيما يلي: مدينة الجزائر وتعرف بدار السلطان و يتولاها الباشا مباشرة, وبايليك الشرق: مركز إدارته قسنطينة. أما بايليك التيطري فمركز إدارته المدية. وبايليك الغرب: مركز إدارته مازونة ثم معسكر ثم وهران بعد فتحها الأول والثاني. توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492م- 1792م). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (ط2)، 1976. ص- ص:331- 334.

عقدت حلقات دروس من نفس المستوى في بعض الزوايا التعليمية بالمناطق الريفية كزوايا بلاد زواوة، وزاوية تنس وزاوية الخنقة وغيرها، أمَّا باقي القطر فقد انتشر به التعليم الأولي بصورة خاصة وذلك الذي يمكن تسميته بالمتوسط انتشارا واسعا دون التعليم من المستوى العالي[1].

وقد كان الطلاب يفدون من مختلف جهات القطر على هذه الحواضر والزوايا، للأخذ على من اشتهر من علمائها المشهود لهم بالبراعة، وهو ما أدى إلى حدوث هجرة داخلية بين المدن الجزائرية، فتخرج منها الكثير من العلماء الجزائريين، وهو الأمر الذي لا تُعبر عنه الإجازات العلمية، ولهذا يستغرب أبو القاسم سعد الله من كون " العلماء الجزائريين لم يجيزوا بعضهم البعض إلاّ قليلا "[2]، وعلَّلَ ذلك في موضع آخر بقوله: "يبدو أنَّ علماء البلد الواحد لا يمنحون عادة الإجازات لبعضهم، وكأنَّ الإجازة لا تأتي إلاَّ نتيجة اغتراب وسفر طويل وتتلمذ على غير أهل البلد"[3].

ولعّل ما يفسر قلة الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين هو: عدم بلوغ التعليم من المستوى العالي بها مستوى التعليم في بعض الأقطار الإسلامية، بالإضافة إلى قلة الطلبة الذين يواصلون دراستهم إلى غاية نهاية الدروس ونيل الإجازة؛ لانشغال أغلبهم بطلب الرزق عن طلب العلم[4].

والمُلاحظ أنَّ المادة العلمية التي تغطي الجانب الثقافي في الجزائر خلال هذا العهد قليلة، ولذلك فليس من السهولة التوصل إلى كُل إجازات الجزائريين لبعضهم البعض، فلا يتم دراسة الرَّصيد الثقافي للجزائر إلاَّ بالتعويل على المصادر الإسلامية، وفي مقدمتها كتب التراجم وهي بدورها - سواء المشرقية منها أو المغربية - لا تتناول بالترجمة إلاَّ العلماء الجزائريين الذين اتصلوا بها، ونَمَا إليها خبرهم؛ إلى جانب كتب الرحلات المغربية التي دخل أصحابها إلى الجزائر. وعليه

1 - لم يفرق بعض الدارسين بين مستويات التعليم كالعيد مسعود؛ الذي تحدث في الدراسة السابقة عن انتشار التعليم وكثرة معاهده، ولكنه لم يفرق بين التعليم الذي اتسع انتشاره فعلا وهو التعليم الأولي وبين غيره من المستويات التي عرفت بعض التراجع.

2 - تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص:41.

3 - المرجع نفسه، ج2، ص: 43.

4 - محمد سي يوسف، " نظام التعليم في بلاد زواوة بأيالة الجزائر"، ص: 207.

قد لا نبالغ إذا قلنا أنَّه لولا المصادر الإسلامية لظل عدد غير قليل من العلماء الجزائريين مغمورا.

إنَّ عددا معتبرا من المؤلفات التي تخص الحياة الفكرية بالجزائر لا تزال مخطوطة، وأخرى مفقودة على الرَّغم من أهميتها وشهرة مؤلفيها[1]. فإذا كان هذا حال المؤلفات بفقدانها وبقائها طي النسيان على الرغم من الإقبال على نسخها، فكيف بالإجازة التي تُكْتَبُ غالبا على ورقة أو أوراق منفصلة ؟ بالإضافة إلى عدم الاهتمام بنسخها[2] فهي معرضة للضياع، فبقاء الإجازة مَرْهُون عادة بتقييدها في مؤلفات، وهي بالخصوص تلك التي يتطرق فيها صاحبها لسيرته الذاتية، وفي مقدمتها كتب الرحلات والفهارس.

وقبل الشروع في عرض إجازات العهد العثماني لا بد من الوقوف على ملاحظة أساسية وهي: أنَّني لم أرم "بالحركة العلمية " إلى مفهومها في العصر الحاضر من حيث التداول للعلوم العقلية والاختراعات الحديثة، وإنَّما أرمي بذلك إلى العلوم النقلية، لانحصار مفهوم العلم في ذلك العصر في إتقان فهم آي الذكر الحكيم، ومرويات الحديث الشريف واستظهاره، ومعرفة للعقائد والفقهيات والأصول، وجميع ما يتصل بالعلوم الإسلامية. وقد كان علماء الشريعة في نظر المسلمين هم العلماء بحق[3].

1- منها على سبيل التمثيل لا الحصر: كتاب" لواء النصر في فضلاء العصر" لأحمد بن عمار.

2 - يُقبل العلماء في بعض الأحيان على نسخ بعض إجازات شيوخهم الذين أجازوهم؛ لتضمنها أسانيدهم التي أجازوهم بها. مثلما فعل ابن زاكور عندما نقل في " نشر أزاهر البستان" (ص: 33) إجازة الشبراملسي المصري لشيخه محمد بن عبد المؤمن.

3 - محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص: 41.

II /- إجازات علماء مدينة الجزائر وضواحيها:

تُعَّد مدينة الجزائر أكبر الحواضر السياسية والثقافية في تاريخ الجزائر العثمانية، وهذا بشهادة الرَّحالة المغاربة، فقد قال علي التمقروتي الذي دخلها سنة 999هـ/ 1590م بأنّها كانت تسَّمى اسطنبول الصغرى، وبأنَّ الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية[1]. في حين شبّهها عبد الرحمن الجامعي بفاس بقوله:" أمَّا مدينة الجزائر فأوَّل بلد لقيت بها مثل من فارقته من أدباء بلدي، وبها تذكرت بعض ما كان نسيه خلدي"، وبأنَّها:" لا تخلو من قراء نجباء، وعلماء أدباء، وأعلام خطباء، مساجدهم بالتدريس معمورة..."[2]؛ وهذا يدل على أنَّها عرفت تطورا كبيرا من الناحية الفكرية خلال العهد العثماني.

إنّ اتخاذ مدينة الجزائر عاصمة سياسية وعسكرية من طرف العثمانيين، جعلها مركز الثقل بالنسبة للمغرب الإسلامي برُمّته خلال القرن العاشر الهجري (16م)، وقد تَسّنى لولاتها العثمانيين أن يُؤدوا دورا كبيرا في تنشيط المقاومة ضد الهجمات الأوربية المسيحية، وهو ما وّلد ولاءا مطلقا للخلافة العثمانية، وتجسَّد ذلك في أوَّل رسالة وُجهت إلى السلطان العثماني من قِبَل العلماء والأهالي[3] في ظل الجامع الأعظم– الذي يُعد أقدم وأكبر الجوامع[4] يومئذ- وفيها طالبوا بربط الجزائر بالباب العالي، و هذا ما تمّ فعلا. وقد تركت هذه المبادرة أثرًا طيّبا لدى خير الدين

---

[1] - قال علي التمقروتي صاحب" النفحة المسكية في السفارة التركية " بأنَّ مرسى مدينة الجزائرعامر بالسفن، ووصف رياسها بالشجاعة، وقوة الجأش، وبأنّهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير؛ ثم قال:" بلادهم لذلك أفضل من جميع بلاد إفريقية وأعمر ". بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979. ص- ص: 57- 59.

[2] - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص- ص: 197- 199.

[3] - كُتِبَت الرسالة إلى السلطان سليم الأول باقتراح من خير الدين في أوائل ذي القعدة عام 925هـ/ 1519م. وهي تفيض بالولاء للدولة العثمانية، وتزعم هذه السفارة الفقيه الأستاذ أحمد بن القاضي القائد في منطقة زواوة، فسارع السلطان إلى منح رتبة باي لرباي إلى خير الدين، وأرسل إلى الجزائر قوة من السلاح المدفعية، وألفين من الجنود الإنكشارية. واعتبارا من هذا التاريخ دخلت الجزائر رسميا تحت سيادة الدولة العثمانية، ودعي للسلطان سليم على منابرها، وضربت السكة باسمه. الصلابي، الدولة العثمانية، ص، ص: 212، 213.

[4] - مالكي المذهب، تأسس على يد المرابطين، ووجد على منبره عبارة بها تاريخ بنائه في سنة 409هـ/ 1018م. واتخذ مقرا للمجلس القضائي المخول بالنظر في القضايا الكبرى، والمتكون من شخصيات مهمة منها: القاضيان المالكي والحنفي والمفتيان المالكي والحنفي وغيرهم.
Devoulx ;" Les Edifices Religieux", R. Af , N° :10, Année : 1866,pp: 221-226.

بربروس[1]، وهو ما يفسر الرِّعاية والاهتمام اللتين حظي بهما الجامع الأعظم من طرف جُل الولاة العثمانيين؛ بما فيهم خير الدين. وقد غطى نشاطه التعليمي – وحتى الديني والاجتماعي و السياسي- على أنشطة الجوامع الأخرى، بما فيها الجوامع التي شيدها العثمانيون أنفسهم[2]. وقد بلغ عدد المدرسين به تسعة عشر أستاذا خلال القرن الثاني عشر (18م)[3].

وهو أهم الجوامع بمدينة الجزائر، وذلك ما شاهده الرحالة فانتور ديبرادي[4]. ويكاد هو ومدرسته العليا يُشكلان نواة لجامعة في الجزائر، حيث كانت تُعْقد فيه حلقات دروس كثيرة يقوم بها أبرز العلماء حينئذ، وصلت في بعض الأحيان إلى اثنتي عشرة حلقة[5]. وكان بالمدينة إلى جانب الجامع الكبير ثلاث المدارس؛ وُصِفت بأنَّها تؤدي تعليما من المستوى العالي؛ وهي: مدرسة الأندلسيين، ومدرسة شيخ البلاد، والمدرسة القشاشية[6]. وقد جاء في وقفية للزاوية- المدرسة الأخيرة أنَّ لها أستاذا مكلفا بتدريس الشريعة الإسلامية والتوحيد، بالإضافة إلى عشرة أساتذة لتدريس مختلف العلوم الأخرى[7].

وقد تم إنشاء زاوية- مدرسة شيخ البلاد [8] سنة 1201هـ/ 1786م، بأمر من الباشا محمد عثمان، فجعل من بين موظفيها الأساسيين مُدَّرِسا، ولم يشترط فيه أن

[1]- خير الدين بن يعقوب بن يوسف التركي (ت 954هـ/ 1547م): قام بالجهاد في سواحل تونس والجزائر رفقة أخيه عروج، فكانوا ينقذون اللاجئين الأندلسيين إلى العدوة المغربية. وفي سنة 1519م أصبح باي لرباي الجزائر؛ أي باي البايات، وبقي بها إلى أن استدعاه السلطان سليمان، فغادر مدينة الجزائر في سنة 1535م، وترك على رأسها محمد حسن آغا. توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة، مواضع متفرقة مثلا الصفحات : 156، 168. 197، 198 ، 242، 317؛ إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية. بيروت: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2002. ص- ص: 125- 129.

[2] - عبد الجليل التميمي، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر. تونس: منشورات المجلة التاريخية المغربية،80، عدد خاص (05- نوفمبر)، ص: 10.

[3] - Devoulx ;"Les Edifices Religieux ", R- Af , N° : 10, Année : 1866,p : 381.

[4] - Venture de paradis , Alger au 18 eme siècle , p : 157.

[5] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص: 283 .

[6] - يُرجح تاريخ إنشاء جامع القشاش إلى ما قبل العهد العثماني، ولكن لا ندر ما إذا كانت المدرسة نفسها قد أنشئت معه. والظاهر أنها متصلة بالزاوية التي تحمل نفس الاسم، والتي يبدو أنها أحدثت بعد الجامع، ذلك أن أوقاف الجامع وأوقاف الزاوية ليست واحدة، كما أن الوكيل ليس واحدا. أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ص، ص: 281، 282.

[7] - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ص: 282.

[8] - المدرسة حنفية المذهب، وهي تحتوي على مسجد، وخمس غرف لإقامة الطلبة والمشتغلين بالعلوم، وقد أوقف عليها الباشا عدة أوقاف، ووضع للمدرس بها مرتبا من الأوقاف، وخصص للطلبة أيضا رواتبا، كما

يكون حنفيا على الرغم من أنَّها حنفية المذهب[1]. أمَّا مدرسة الأندلسيين فقد تأسست من طرف الطائفة الأندلسية سنة 1049هـ/1639م، وهي مدرسة عليا أنشئت لدراسة العلوم وتعليم القرآن الكريم[2].

وأكثر العلماء المدرسين شُهرة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني: الشيخ أبو عثمان سعيد قدورة [3]؛ الّذي تولى الإفتاء المالكي بالمدينة سنة 1028هـ/1618م، ثم أصبح خطيبا ومدرسا بجامعها الأعظم، بالإضافة إلى كونه وكيل أوقافه، فتخرج عليه خلال المدة الطويلة التي تَصدى فيها للتدريس عدد كبير من العلماء نذكر منهم: ابنه محمد قدورة، الشيخ عيسى الثعالبي، والشيخ يحي الشاوي، كما لازمه الشيخ أبو حفص عمر المانجلاتي[4] مدة طويلة أخذ فيها عليه عدد من الفنون منها: الحديث، الفقه والنحو[5]، والشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري، الذي قيل أنَّه "عمدته"[6].

ومع أنّ المتخرجين عليه كُثُر، فلا يُعرف إلاَّ القليل ممَّن أجازهم، ولكن لا يُستبعد أن يكون قد أجاز لبعض المذكورين سابقا لملازمتهم له مدة طويلة،

خصص في وقف 1204هـ راتبا لدوال الأستاذ وهو الذي يقرأ الكتاب الذي يشرحه أستاذ المدرسة في مسجد الزاوية. Devoulx ;"Les Edifices Religieux", R- Af , N° : 12, Année : 1868. pp:280-286.

[1] -Ibid, N° :12, Année : 1868,p-p : 280- 286.

[2] - Albert Devoulx , Notices sur les corporations religieuses d'Alger, Alger : typographie Adolphe Jourdan ,1912, p:74; Les Edifices Religieux, R-Af ,N° : 12, Année : 1868,p: 279.

[3] - أبو عثمان سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة: (ت 1066هـ/1655م)، تونسي الأصل، نشأ بمدينة الجزائر، وتولى بها الفتوى المالكية ستين سنة. قرأ على الشيخ محمد المطماطي، وعلى الأخوين محمد وعلي ابني أبهلول بزاويتهم بتنس، وعلى الشيخ سعيد المقري بتلمسان . اشتهر بكتابه شرح السلم المرونق للشيخ عبد الرحمن الأخضري في المنطق . اليفرني، « صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 1741. ورقة: 93و؛ مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. دار الطباعة النشر والتوزيع، بدون تاريخ. ص: 309؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص:357- 360؛

Devoulx , Les Edifices Religieux, R-Af ,N° : 10, Année : 1866,pp: 230, 286-288.

[4] - الفقيه أبو حفص عمر المانجلاتي: (ت 1104هـ/ 1693م). نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 194.

[5] - محمد بن زاكور، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان، تقديم: عبد الوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، 1967. ص:11.

[6] - محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي وأحمد توفيق. الرباط: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر- مكتبة طالب، (ط1)، 1986. ج3، ص: 23.

وتخرجهم عليه في جملة من العلوم، هذا بالإضافة إلى كونهم من أعلام العلماء، وهذه أسباب كافية لإجازته لهم.

ومن المتخرجين عليه الذين حضيت إجازاته لهم بذكر في المصادر إجازته للشيخ أبي مهدي عيسى الثعالبي[1] الذي حضر دروسه، وأجاز له جميع ما يرويه عن شيوخه، ومنهم الشيخ سعيد المقري[2]. ومن مروياته التي أجازه بها الحديث المسلسل بالأولية، وبالضيافة بالأسودين الماء والتمر، وتلقين الذكر ولبس الخرقة، والمصافحة والمشابكة[3]. فهذه الإجازة وإن بدت إجازة صوفية، فهي أيضا إجازة رواية.

كان الشيخ سعيد قدورة ذائع الصيت، ولهذا شُدَّت إليه الرحال من مناطق بعيدة كإقليم توات[4]. واشتهاره بهذا الإقليم مرتبط - بدون شك - برحيله إلى منطقة بني عباس القريبة منه، وتدريسه بها عام 1015هـ/ 1606م[5]. وكانَ الشيخ عبد الكريم بن محمد التمنطيطي[6] ممَّن درس عليه في بني عباس، ولهذا جدَّ في السَّير إلى مدينة الجزائر للأخذ عنه[7]. وسار ابنه العلامة الشيخ البكري بن عبد الكريم[1]

---

[1] - عيسى بن محمد بن محمد الجعفري الثعالبي نزيل الحرمين الشريفين (1020هـ/ 1611م- 1080هـ - 1661م): ولد بزواوة و نشأ بها، وقرأ على شيوخها كالعيد الصادق، ثم رحل إلى مدينة الجزائر فقرأ بها على علمائها منهم سعيد قدورة وعبد الواحد الأنصاري، ولما رحل إلى المشرق أخذ عن علمائه. له تآليف منها: مقاليد الأسانيد وكنز الرواة. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص، ص: 241،240؛ مخلوف، شجرة النور، ص، ص:311، 312؛ الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 108.

[2] - أبو سالم العياشي، " ماء الموائد " الرحلة العياشية، وضع فهارسه: محمد حجي. الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977. ج2، ص: 127.

[3] - محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص:311.

[4] - إقليم واسع يقع في الجهة الغربية للصحراء الجزائرية، ينزل جنوبا مع وادي الساورة يسمى طريق النخيل. مصبه بسبخة المخرقن في قلب الصحراء، ويتسع شرقا في واحات متلاصقة وقصور كثيرة، من أشهرها إقليم تيمي وتمنطيط. ولم يخضع هذا الإقليم للدولة العثمانية مطلقا، وخضع صوريا للمغرب منذ تمكن السلطان السعدي المنصور الذهبي من إخضاعه سنة 990هـ، وذلك بعد حرب طويلة. وظل تابعا لـه حتى القرن 13هـ، وكان حكامه يختارون من بين أعيان الإقليم. كما كان القضاة يعينون من طرف سلاطين المغرب. محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب، ج2، ص: 631؛ أحمد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: أحمد الناصري ومحمد الناصري. الدار البيضاء: دار الكتاب، 1955. ج5، ص، ص: 98، 99.

[5]- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين. الرباط: منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر- مطبعة فضالة، 1979. ج2، ص: 627.

[6]- كان الشيخ عبد الكريم بن محمد من مشاهير علماء المغرب في القرن11هـ. من تآليفه رحلة ترجم فيها لشيوخه. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، ص: 94.

[7] - بكري البكري، " تمنطيط رمز تاريخ وعنوان حضارة "، في مجلة الحضارة الإسلامية، الصادرة عن معهد الحضارة الإسلامية- جامعة وهران، السنة الأولى، العدد: 1، سنة 1993. ص: 67.

مؤسس الطريقة البكرية بتمنطيط[2]على خطاه، فورد هو الآخر إلى مدينة الجزائر ودرس عليه، فأجازه الشيخ سعيد قدورة[3]، وهو ما ذهب إليه صاحب " إقليم توات" الذي لم يذكر ماذا أخذ عليه ولا فيما أجازه.

ومن أشهر تلامذة الشيخ سعيد قدورة الشيخ يحي الشاوي الملياني[4] الذي قرأ بمليانة مسقط رأسه، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر فقرأ على مدرسيها. وذكر المحبي في ترجمته بأنَّه قرأ بمدينة الجزائر على" شيوخ أجلاء صالحين منهم: الشيخ سعيد مفتي الجزائر، والشيخ مهدي (الثعالبي) وغيرهم، وروى عنهم الحديث والفقه وغيرها من العلوم، وأجازه شيوخه"[5]. فهل يعني هذا الخبر أنَّ الشيخين المذكورين كانا من جملة شيوخه الذين أجازوه؟

والواقع أنَّني لا أملك دليلا على إجازة الشيخ سعيد قدورة ليحي لشاوي، ولا عن العلوم التي قرأها عليه. أمَّا الشيخ عيسى الثعالبي[6] فقد قرأ عليه جملة من العلوم كالمنطق، حتى أنَّه اضطر إلى المسير معه ثمان مراحل أثناء رحلته إلى المشرق سنة 1061هـ/1650م ليتم قراءته عليه[7]. ولكن لم يُجزه في هذا العلم مع تفوقه في جملة من فنون العلم، فهل يكون قد أجازه في علوم أخرى كالحديث مثلاً ؟

---

[1] - البكري بن محمد بن أبي محمد التمنطيطي (1042- 1133هـ): قرأ على جماعة من مشايخ توات والمغرب والجزائر ومصر منهم: محمد القاضي التواتي، ومحمد بن علي النحوي الأجروني التواتي. تولى منصب قاضي الجماعة التواتية. فرج محمود فرج، إقليم توات، مواضع متفرقة مثلا الصفحات : 94، 112.

[2] - تقع تمنطيط في إقليم توات، وهي التي غلب عليها اسم توات عند الإطلاق، وكانت عاصمة هذا الإقليم خلال القرن 17م، ثم انتقلت إلى أدرار أكبر مقاطعة بإقليم تيمي. فرج محمود فرج، المرجع نفسه، ص:85.

[3] - فرج محمود فرج، المرجع نفسه، ص: 89.

[4] - أبو زكريا يحي بن الفقيه محمد بن محمد النايلي الشاوي الملياني (1030هـ- 1621م/ ت 1096هـ - 1685م): أخذ على شيوخ مليانة ومدينة الجزائر كالشيخ عبد الواحد الأنصاري. ولما رحل إلى المشرق أخذ على أكابر العلماء به. له عدة مؤلفات منها: حاشية على شرح أم البراهين، وشرح التسهيل. مخلوف، شجرة النور، ص، ص: 316، 317؛ المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص: 486؛ الزركلي، الأعلام، ج8، ص: 169.

[5] - محمد المحبي، المصدر السابق، ج4، ص: 486.

[6] - لازم الثعالبي الشيخ عبد الواحد الأنصاري المدرس بالجامع الأعظم مدة طويلة، درس فيها عليه جل فنون العصر، ثم أنابه عنه في مباشرة التدريس. المحبي، المصدر نفسه، ج3، ص:241. ولكن المصادر المتوفرة لا تُفصح عمّا إذا أجاز الثعالبي أحد من الطلبة الجزائريين.

[7]- المحبي، المصدر نفسه، ج3، ص: 241.

لما ذكره المحبي، ولمَا ورد في "شجرة النور الزكية " من أنّه قَرأ على" أبي مهدي وأجازه"[1].

وقبل قدوم الشيخ يحي الشاوي إلى مدينة الجزائر، كان قد قرأ بمدينة مليانة[2] – بلده- على شيوخها، ومن جملتهم: الشيخ محمد السعدي بن محمد بهلول[3]؛ الذي منح له إجازتين؛ الأولى صوفية، حيث أجازه مُصافحة الفقيه محمد العربي يوسف الفاسي له بزاوية محمد بن أبي بكر الدلائي[4]. والثانية بقراءته عليه بعض الموطأ[5]، وبعض صحيح البخاري[6]، وبعض صحيح مسلم[7]، والشفاء للقاضي عياض[8]، وأجازه رواية الكتب الأربعة المذكورة بسنده إلى شيوخه.

وهذا بعض ما ورد في هذه الإجازة :" يقول عبيد الله محمد السعدي بن محمد بهلول البهلولي: قرأ عليّ العالم أبو زكريا سيدي يحي شهر الشاوي بعض موطأ إمامنا مالك، وبعض صحيح البخاري، وبعض صحيح مسلم - أدام الله توفيقه، وأنار في مسالك الخيرات طريقه- وأجزته له رواية جميع الكتب الثلاثة المذكورة، متلفظا بالإجازة... وقرأ أيضا بعض الشفا، وأجزته في جميعه". ثم ختمها بالتأكيد على الإجازة بقوله:" وأذنت له أن يروي هذه الكتب الأربعة، بما لنا فيها من الأسانيد زائدا على هذه الأسانيد المذكورة[9] التي اقتصرنا عليها هنا اختصارا، وأن

---

[1] - محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص: 316.

[2] - تقع غرب مدينة الجزائر في سفح جبل زكار الغربي. الوزان، وصف إفريقيا، تح: محمد حجي- محمد لخضر. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1983. ج2، ص: 35، هامش: 1. وهي تقع ضمن باليك التيطري.

[3] - لم أتوصل إلى ترجمته، ووصفه المحبي في سياق ترجمة الشاوي " بالعلامة المحقق ". الخلاصة، ج4، ص: 486.

[4] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 42.

[5] - الموطأ ومعناه المُمَهد، وهو أول كتاب صنف في الفقه والحديث معا، للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي (95- 179هـ). ابن خلكان، وفيات الأعيان. ج4، ص- ص: 135- 137.

[6] - الجامع الصحيح للمحدث أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن، المعروف البخاري (194 - 256 هـ). ابن خلكان، المصدر نفسه، ج4، ص- ص: 188- 190 .

[7] - الجامع الصحيح للمحدث أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوي (ت261 هـ). ابن خلكان، المصدر نفسه، ج5، ص، ص: 194، 195 .

[8] - الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي الدار الأندلسي الأصل (496 - 544هـ). ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2 ، ص- ص: 43- 47.

[9] - سجل في هذه الإجازة أسانيد الكتب الأربعة المذكورة التي أجازه بها.

يروي عنّي كُلَّ ما يجوز لي وعني روايته بشرطه"[1]. والملاحظ أنَّ هذه الإجازة علمية في أسلوبها، لورودها بأسلوب مرسل خال من البيان والبديع، ومن المدح والمبالغة أيضا.

وكان يحي الشاوي قد تصدر للتدريس بالجزائر قبل أن يتوجه إلى المشرق[2]، ولكن لا تتحدث المصادر عمّا إذا أجاز أحدا من الطلبة الحاضرين حلقاته فيها. وذكر صاحب " تاريخ الجزائر العام " أنَّه كان فيمن حضر مجالس في البلاد التركية (استنبول) من العلماء الجزائريين: الشيخ أحمد بن الحاج موسى الجزائري، والشيخ محمد بن الشاهد الكبير مفتي المالكية بالجزائر[3]؛ فأجازهما فيمن أجاز من الطلبة الحاضرين في مجلسه[4].

فأمّا الأول فقد كان بمصر سنة 1092هـ[5]، وهي الفترة التي كان فيها الشاوي بمصر هو الآخر. ولكن تُستبعد إجازته للثاني لأنَّ محمد بن الشاهد كان مفتيا للمالكية بمدينة الجزائر في نهاية القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر. وحتى إذا افترضنا أنَّ ابن الشاهد المعني بالإجازة غير المفتي في القرن الثاني عشر فإن مفتي المالكية بالجزائر في الفترة – التي تواجد فيها الشاوي بالمشرق – هو الشيخ محمد بن سعيد قدورة[6]، الذي تولاها خَلَفًا لوالده.

---

1 - يوجد نسختان من هذه الإجازة ضمن مجموع رقم: 335، مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية. النسخة الأولى الأوراق: 17 ظ، 18 و, وهي تامة، أما النسخة الثانية: ص، ص: 26 ظ، 28 و فقد تصرف فيها الناسخ بحذف بعض الأسطر الأولى والأخيرة؛ ينظر أيضا الملحق: (ب).

2 - الغالب على الظن أنّ ذلك كان بمدينة الجزائر، ولا سيما في الفترة التي أعقبت وفاة قدورة والأنصاري وهجرة الثعالبي، أي بين 1057هـ و1074هـ، وهو تاريخ هجرته إلى المشرق، ولكن لا تؤكد المصادر المتوفرة أين جلس الشاوي للتدريس، وهل كان موظفا رسميا أو مدرسا حرا. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 105.

3 - تولى ابن الشاهد الفتوى المالكية بالجزائر ثلاث مرات: ابتداء من سنة 1198هـ إلى غاية سنة 1207هـ.
Devoulx ;" Les Edifices Religieux", R. Af , N° :10, Année : 1866, p:376.

4 - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994. ج3، ص:175.

5 - كان الشيخ أحمد بن الحاج موسى الجزائري بمصر في سنة 1092هـ، وما يؤكد ذلك اجتماع الشيخ أحمد البوني به، وبالشيخ يحي الشاوي في السنة المذكورة. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ج3، ص: 177.

6 - أبو عبد الله محمد بن سعيد قدورة (1034- 1107هـ/ 1695م): درس على والده، وتولى منصب الإفتاء المالكي والخطابة بالجامع الأعظم. نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 164.
Devoulx ; Op-Cit, R. Af , N° :10, Année : 1866, pp: 289, 290.

والشيخ محمد بن سعيد قدورة المذكور هو الآخر من أشهر المدرسين بالجامع الأعظم. تولى التدريس به منذ صغره لتقديم والده له[1]، فتخرج عليه عدد كبير من العلماء منهم أخيه الشيخ أحمد قدورة[2]؛ الذي تقدم إليه باستدعاء نظمي يقع في عشرين بيتا، منه هذه الأبيات[3]:

قطب الزّمان ونخبة الفضـلاء وسلالة النجباء والعلـماء

شيخ الجزائر حبرها وخطيبها وإمامها حقا بغير مـراء

...تلميذكم ومحبكم بل عبـدكم طلب الإجازة منكم بوفاء

بجميع ما تروونه عـن والد أو غيره من سائر العلماء

في هذا الاستدعاء - كما هو واضح- يسأل أحمد أخاه محمد قدورة إجازته روايةَ ما رواه عن والده سعيد قدورة وغيره من العلماء. وإذا كنّا لا نعلم شيئا عن إستجابة الشيخ محمد قدورة لهذا الاستدعاء، فالذي لاشك فيه هو إجازته له رواية بناءا على طلبه، ولأنَّه لم يكن من عادة العلماء رفض الإجازة بالرواية، كما أنّ أحمد قدورة كان من نجباء الطلبة.

ومن بين أشهر تلامذة الشيخ محمد قدورة الشيخ محمد بن أحمد القسنطيني المعروف بابن الكماد[4]، الذي ورد إلى مدينة الجزائر، ودرس على عدد من علمائها وأجازوه منهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن[5]، والشيخ محمد ابن سعيد قدورة المذكور[6].

---

1 - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 194.

2 - أبو العباس أحمد بن سعيد قدورة (1118هـ/ أكتوبر 1706م): تـولى الإفتاء بالجامع الأعظم سنة 1107هـ مكان أخيه محمد, واستمر في هذا المنصب إلـى مقتله في التاريخ المذكور. نـور الدين عبد القادر، المرجع نفسه، ص: 194.

Devoulx ;" Les Edifices Religieux", R. Af , N° :10, Année : 1866, pp: 290- 294.

3 - محمد قدورة، « جليس الزائر وأنـيس السائر»، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 2600. ورقة: 28 و؛ وينظر أيضا الملحق: (ج).

4 - أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني المعروف بابن الكماد نزيل فـاس (ت 1116هـ): أخذ بالجزائر عن علمائها، وانتقل إلى فاس واشتغل بالتدريس بها، وكانت له حظوة عند ملوكها. اليفرني، مخطوط « صفوة من انتشر»، ورقة:164 ظ؛ القـادري، نشر المثـاني، ج3، ص: 155؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 329.

5 - محمد بن محمد بن محمد بن عبد المؤمن الحسني (ت1101هـ): قاضي المالكية بمدينة الجزائر. نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص: 194.

6 - محمد مخلوف، شجرة النور، ص: 329 .

فأمَّا الأخير منهما فلا تفصح المصادر بما أجازه به. وأمّا الأول فقد أجازه "صحيح البخاري "، لما ورد عن ابن الكمّاد في سياق إجازته لبعض تلامذته قائلا: " وقد أخذت صحيح البخاري رواية عن الشيخين الإمامين سيدي محمد المقري، وأبي عبد الله سيدي محمد بن الإمام الشهير الذكر الطيب النشر سيدي سعيد قدورة، دراية لبعضه عن الثاني، وإجازة عن العلامة الشريف سيدي محمد بن عبد المؤمن قاضي الجزائر"[1].

ومن العلماء المُدرسين بمدينة الجزائر الشيخ محمد بن محمد المقري التلمساني[2] السابق الذكر، والذي روى عنه الكمّاد القسنطيني صحيح البخاري[3] وأجازه؛ ومن أبرز تلامذته أيضا الشيخ مصطفى بن رمضان العنابي الحنفي[4]، الذي درس بعنابة، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر حيث لازم الشيخ محمد المقري أكثر من اثنتي عشرة سنة، وممَّا درسه عليه من الكتب الحديثية (شمائل الترميذي[5] وصحيح البخاري)، التوحيد والمنطق، والأصول وعلم التصوف، ثم طلب منه الإجازة، فأجازه سنة 1087هـ/ 1676م[6]. هذه الإجازة التي يغلب على الظَّن أنَّها إجازة قراءة ورواية في الوقت ذاته، لأنَّه لازمه مدة طويلة ودرس عليه خلالها عدة فنون حتى تخرج عليه. وقد عُرف مصطفى بن العنابي بعلوم الفقه وبالتأليف فيها، وانتصب هو الآخر للتدريس بمدينة الجزائر.

1 - محمد القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج3، ص: 155.

2 - محمد بن محمد بن شقر ون بن أحمد التلمساني: وردت في تاريخ وفاته روايتان: 1084هـ و 1087هـ. أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري: ابن العنابي "رائد التجديد الإسلامي" 1775- 1850م. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: 1977. ص: 15.

3 - محمد القادري، المصدر السابق، ج3، ص: 155.

4 - مصطفى بن رمضان العنابي(ت 1130هـ):من أصل تركي أو تركماني، كان مفتيا للحنفية بمدينة الجزائر. له تأليف منها: أرجوزة في الفقه الحنفي، وكتاب الروض البهيج بالنظر إلى أمور العزوبية والتزويج. أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري ابن العنابي، ص: 15. وقد ذكر المهدي البوعبدلي بأنه توفي بالجزائر حوالي سنة 1135هـ، الثغر الجماني، ص: 75، هامش: 2.

5 - الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى المعروف بالترميذي (297هـ): مؤلف الجامع الصحيح في الحديث أحد الكتب السة. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4 ، ص: 278.

6 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 14.

ويُعّد الشيخ علي بن عبد القادر المعروف بالأمين[1] من أعيان العلماء في عصره. وقد قامت شُهرته على العلم لا على الجاه والوظيفة[2]، رغم توليه الإفتاء المالكي بمدينة الجزائرعدة مرات[3]، فيكون قد درَّس مدة طويلة بجامعها. وهو يروي عامة عن عدة شيوخ من المغرب والمشرق، عدّهم في إجازته للسيد السنوسي الراشدي وهي مؤرخة بسنة 1189هـ/1775م[4]، والتي نجهل أي تفاصيل أخرى عنها.

ومن أشهر تلامذة الشيخ ابن الأمين بمدينة الجزائر الشيخ محمد بن محمود المعروف بابن العنابي[5]؛ الذي تمتع بمكانة مرموقة في المدينة لدى العامة والخاصة، وتولى بها مناصب رفيعة[6]. وقد روى الشيخ محمود بن العنابي عن شيخه ابن الأمين صحيح البخاري سماعًا لبعضه، وإجازة لباقيه بسند عال[7] إلى مؤلفه[8]؛ وروى عنه أيضا " ثبت الجوهري" بالإجازة. وقد تأثر ابن العنابي

---

[1] - علي بن عبد القادر بن الأمين الأندلسي الجزائري (1236هـ/ 20- 1821م): مفتي المالكية، درس على علماء الجزائر والمغرب ومصر. من مؤلفاته: رسالة في " أما بعد ". عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، تقديم وتعليق: أبو القاسم سعد الله. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 2000. ص، ص: 150، 151؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 785؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 115.

[2] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 38.

[3] - تولى منصب الإفتاء المالكي 6 مرات هي: 1 (1206هـ /1792م)، 2 (رجب 1207هـ/ 1793م)، 3 (1208 إلى 1210هـ/ 1793- 1796 م)، 4 (1213- 1226هـ/ 1798- 1811م)، 5 (1230 إلى 1232هـ/ 1815 إلى 1817م)، 6 (1233 إلى 1235هـ/ 1818 إلى1820م).
Devoulx ;" Les Edifices Religieux", R. Af , N° :10, Année : 1866, pp: 376- 377.

[4] - عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص: 785.

[5] - محمد بن محمود بن محمد بن حسين بن محمد أفندي نزيل الإسكندرية (1189- 1267هـ): درس على علماء مدينة الجزائر، وتولى كعدد من أسلافه الفتوى الحنفية بها بالإضافة إلى القضاء، كما كان متوليا وظيفة نقيب أشراف مكة والمدينة. من مؤلفاته: السعي المحمود في تأليف الجنود وثبت الجزائري. أحمد الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار(1754- 1830م)، تح: أحمد توفيق المدني. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (ط2)، 1980. ص، ص: 97، 182،127؛ أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري ابن العنابي، ص، ص: 14، 26؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 185.

[6] - لمكانته كلفه الداي أحمد باشا بسفارة إلى المغرب الأقصى لدى السلطان المولى سليمان. الزهار، المصدر نفسه، ص: 127.

[7] - الإسناد العالي: في الاصطلاح هو الحديث الذي قلَّ عدد رجاله بالنسبة إلى سند آخر يرد به ذلك الحديث بعدد أكثر، فهو الذي علا بمعنى ارتفع للقرب منه عليه الصلاة والسلام. السيوطي، ألفية السيوطي في علم الحديث، شرح: أحمد بن محمد شاكر. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، بدون تاريخ. ص- ص: 191– 200.

[8] - أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري ابن العنابي، ص: 116 .

بأستاذه حتى قلَّده في منح الإجازات لكُلّ من أدرك حياته[1]. وتعرف هذه الإجازة بالإجازة للعموم.

ويعتبر العلامة الأديب أحمد بن عمَّار[2] من نَوابغ الأدباء بعصره، فقد تصّدى – هو الآخر- للتدريس بمدينة الجزائر، وخاصة بجامعها الأعظم الذي تولى الفتوى المالكية به مرتين. وكان الشيخ محمد أبو رأس الناصري[3] ممّن درس عليه. وقال مادحا له بأنَّه رحل إلى المشرق "بعدما أخرج بالجزائر الأساتيذ من التلاميذ، والفقهاء النحارير والعلماء الجماهير[4] ". ولكن رغم شهرة ابن عمار الأديبة والفقهية، وتدريسه إلاَّ أنَّه لم يحض بالقدر الكافي في مصادر التراجم، ولهذا فليس من الصواب الحكم بأنَّه لم يُجز أحدًا من طلبة العلم الجزائريين.

وقد كان الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش ممّن تَتَلمذ عليه. وذكر سعيدوني في سياق ترجمته لهذا الأخير بأنَّه أُجِيزَ من طرف العديد من العلماء؛ الذين اتصل بهم داخل الجزائر وخارجها، ففي الجزائر اتصل بالمفتي ابن عمار، وبالشاعر ابن علي، وبأحمد البوني[5]. فهل يعني أنّ هؤُلاء الثلاثة أجازوه كلهم أو بعضهم؟ هذا ما لم تكشف عنه المصادر.

---

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 38.

2 - المفتي المالكي أحمد بن عمار: ولد حوالي سنة 1119هـ، وعاش إلى ما بعد 1205هـ، درس على الشيخ محمد بن محمد المعروف بابن علي. له عدة مؤلفات منها: لواء النصر في فضلاء العصر، ونحلة الحبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب. الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 89، 90؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص، ص: 121، 122؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، ص: 230؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 31.

3 - محمد بن أحمد بن عبد القادر المعسكري (1150- 1238هـ/ أفريل 1823م): تولى الإفتاء فترة ثم عزل منه عام 1217هـ/1802م. انتقل إلى العديد من البلدان، واتصل بعلمائها كفاس، وتونس ومصر والشام وفلسطين. ترك عدد كبير من المؤلفات في علوم مختلفة في السير والتاريخ منها: درة الشقاوة في حروب درقاوة، زهرة الشماريخ في علم التاريخ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، وعدة شروح على قصيدته "الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلس". الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 342.

G.Faure- biguet," Notice sur le Cheikh Mohammed Abou Ras". Journal Asiatique, (Septembre- Octobre), 1899, Série 9, Tome14.Paris:Imprimeri national, p p : 304- 321.

4 - محمد أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990. ص: 92.

5 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1999. ص: 432.

ونظرا لما حظيت به مدينة الجزائر من علماء أعلام، فقد تطلع كل عالم جزائري للأخذ عنهم، وذلك ما أفصح عنه الشيخ محمد بن علي السنوسي[1] مؤسس الطريقة السنوسية في فهرسته المسماة " بالشموس الشارقة فيما لي من أسانيد المشارقة والمغاربة " بقوله": كان أرغب شيء إليّ الرحلة إليهم (أي لعلماء مدينة الجزائر) والأخذ عنهم، ولم تساعد الأقدار لذلك ". فلما مّن الله عليه بلقاء صاحبه، وشيخه أبو العباس أحمد بن عبد الله الجزيري[2]، اكتفى بالأخذ عنهم بواسطته. وقد قال ابن السنوسي متحدثا عن سند شيخه المذكور، والذي أجازه به ": وهو يروي عن أعلام أفاضل أئمة أماثل من أهل بلده من أجلهم الشيخ محمد بن جعدون، والشيخ ابن مالك، والشيخ ابن الأمين، والشيخ ابن الشاهد، والشيخ ابن الحفاف، وغيرهم من أهل بلده"، إلى أن قال:" فاستجازنا (أي أحمد الجزيري) وأجازنا بما له، وعنه بحق أخذه عنهم وإجازتهم له"[3]. فهذه إجازة رواية بين الأقران، فهي إذن " تدبيج ". وهكذا فقد كانت رغبة الشيخ محمد بن علي السنوسي أخذ سند علماء مدينة الجزائر لمكانتهم، وكل هؤلاء العلماء الذين عدَّهم ابن السنوسي من مشاهير العلماء.

من خلال هذا العرض لبعض من حظيت إجازاته بذكر في المصادر من علماء مدينة الجزائر، يتبين أنَّ ذلك القدر اليسير من الاهتمام الذي حظيت به الثقافة في المدينة بعد اتخاذها دار السلطان، وتوفرها على الوظائف الدينية العليا كالقضاء والإفتاء، جعلها تستقطب عدد كبير من العلماء والطلبة. فقلما نجد عالما جزائريا لم

---

[1] - أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي المستغانمي (1202هـ / 1787م- 1276هـ/ 1859م): تتلمذ على علماء الجزائر، وفاس، ومن شيوخه في التصوف أحمد التيجاني. تنقل في عدة بلاد إسلامية، وبنى زوايا بالمشرق، وفي مدة وجيزة اكتسحت الطريقة السنوسية معظم بلاد اليمن والعراق والحجاز، وفي سنة 1273هـ بنى زاوية الجغبوب، وأقام فيها إلى وفاته. له عدة مؤلفات منها: بغية المقاصد، والدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية. محمد بن عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية، ترجمة وتعليق: محمد المرزوقي. تونس: الدار التونسية للنشر- المطبعة العربية، 1988. ص- ص: 84- 95؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص- ص: 1040- 1043؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص – ص: 168- 170؛ عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص: 514.

[2] - يغلب على الظن اسمه " الجزائري"، لأنَّ الجزائري كانت تطلق على سكان مدينة الجزائر.

[3] - المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص: 201.

يدرس آنذاك على علمائها، وبهذا تحولت من مجرد مدينة ساحلية في العهود السابقة إلى حاضرة ثقافية، وعاصمة للإيالة الجزائرية في العهد العثماني.

ولئن كانت مدينة الجزائر تجمع عددا كبيرا من العلماء، فإن عددا من المدن الأخرى جمعت في مساجدها ومدارسها حلقات علم ورجال معرفة، من أشهرها مدينة قسنطينة.

III /- إجازات علماء منطقة الشرق الجزائري:

1- إجازات علماء مدينة قسنطينة:

تُعد مدينة قسنطينة[1] أهّم الحواضر الثقافية بالشرق الجزائري، فقد ورثت رصيدا ثقافيا قويا عن العهد الحفصي، ولم تفقده بدخول العثمانيين إليها. وهي من أكثر المدن عناية بالمؤسسات التعليمية، فكانت على هذا العهد مبعث نور الجزائر، وهو ما ذهب إليه المؤرخ بول قاْفاريل (Paul Gaffarel) قائلا بأنَّها كانت:" عاصمة دينية، وكان العلماء يتمتعون فيها بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما أنّها كانت غاصَّة بعدد كبير من الطلبة، يغترفون من خمس وعشرين مدرسة للعلوم الدينية والأخروية "[2]. وهذا القول قد يتعارض مع ما ذهب إليه شاهد العصر في المدينة الشيخ عبد الكريم الفكون[3]؛ الذي قال في مناسبة تأليفه " لمنشور الهداية" بأنَّه صنَّفه بعدما رأى "سحائب الجهل قد أطلت، وأسواق العلم قد كَسَدت، فصار الجاهل رئيسا، والعالم في منزلة يدعى من أجلها خسيسا"[4].

ولكن رغم حملة هذا الأخير على من ادعى العلم والولاية في عصره، فإنَّ الحياة العلمية بقسنطينة كانت في وضعية حسنة، ولعّله كان مدفوعا إلى هذا القول بضعف العارضة العلمية لدى معاصريه من علماء القرن الحادي عشر الهجري (17م)، أو لتنافسهم على المناصب الشرعية، وعدم مراعاتهم لها حُرمة لأنّهم غير أهل لها في نظره[5]. ولهذا عدّ في الكتاب المذكور جملة من العلماء الذين توّلوا

---

[1] - سيطر خير الدين على قسنطينة سنة 929هـ/ 1522م ووضع بها حامية عسكرية، تمكن قائدها من ربط صلات حسنة مع الشيخ الفكون، الذي كان له دور كبير في تمهيد المدينة للعثمانيين. ولما قسمت الجزائر إداريا جعلت قسنطينة مركز بايليك الشرق، وعين أول باياتها وهو رمضان توشلاق في سنة 975هـ/ 1567م. العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة، تقديم وتعليق: يحي بوعزيز. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991. ص- ص: 27- 30.

[2] - محمد بن عبد الكريم، مقدمة التحقيق التحفة المرضية لابن ميمون، ص: 52.

[3] - أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحي الفكون القسنطيني(988- 1073هـ/ 1580 - 1662م): أخذ عن والده، وعن أبي زكريا يحي بن سليمان الأوراسي، والتواتي المغربي وغيرهم. ترك العديد من التصانيف منها: فتح اللطيف في الصرف، وسربال الردة في القراءات، ومحدد السنان في تحريم الدخان، وغيرها. العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص: 390؛ أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون: داعية السلفية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، سنة 1986. ص: 58.

[4] - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ص، ص:31، 32.

[5] - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون: داعية السلفية، ص: 33.

المناصب الدينية في قسنطينة أو تصدوا للتدريس بها، وانتقدهم نقدا لاذعا وأبدى سخطا كبيرا على بعضهم[1].

هذا، وقد كانت حلقات الدروس العليا تعقد في مساجد المدينة، وهي كثيرة جدا أهمها الجامع الأعظم[2]، إلى جانب انعقادها في الزوايا والمدارس. فقد انتشرت الزوايا في قسنطينة بعضها تحت رعاية الطرق الصوفية، وبعضها تحت رعاية العائلات الكبيرة في المدينة كعائلة الفكون، عائلة ابن نعمون، وعائلة ابن باديس[3]. أمَّا المدارس فهي معدودة أشهرها مدرسة عائلة الفكون[4]، والمدرسة الكتانية التي أنشأها صالح باي[5]، وأخضعها لنظام داخلي دقيق، وعهد بمهمة التعليم فيها لمُدرس خصص له راتبا سنويا، وألزمه بعقد ثلاثة دروس في اليوم[6].

ونتيجة لهذا الانتعاش الذي عرفته الحياة الفكرية بقسنطينة خلال العهد العثماني؛ برز فيها العديد من الأسر العلمية في مقدمتها أسرة الفكون، أسرة ابن مؤمن، وأسرة ابن الكماد وغيرها. واشتهر بها جملة من العلماء من أكثرهم شهرة: الشيخ عمر وزان[7]، ولهذا قال ارنست مارسي بأنَّها حافظت خلال القرن العاشر

---

[1] - انتقد الفكون جملة من العلماء الذين تولوا المناصب الدينية، وتصدروا للتدريس بقسنطينة كأبي عبد الله محمد الزواوي الملقب بالفقيه، وأبو الحسن علي بن محمد بن حسن، ومحمد بن نعمون الذي وصفه بأنّه" كان بليدا لا يحسن ما قرأه ولا يتقنه" وغيرهم، واستثنى بعضهم كشيخه أبي عبد الله محمد بن مزيان التواتي المغربي. منشور الهداية، مواضع متفرقة مثلا: الصفحات: 8، 58.

[2] - بني الجامع الأعظم سنة 430 هـ، ويقع في القصبة بمكان يسمى البطحاء، وكان إمامه يعين من طرف الباي، وهو المسؤول عن جميع موظفيه، كما توكل إليه مهمة إدارة أوقاف المسجد. الفكون، منشور الهداية، ص: 36، هامش: 6.

Ernest mercier, Histoire de Constantine. Constantin: J. Marle et F. Biron, Imprimmeurs –Editeurs, 1903. pp :216, 225.

[3] - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 29.

[4] - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: 36.

[5] - تولى صالح باي بن مصطفى الحكم في قسنطينة بين سنتي (1771- 1792م)، وعرف بتقربه من العلماء واهتمامه بالتعليم، ولهذا بنى هذه المدرسة الواقعة بجوار جامع سيدي لخضر، وهي تشتمل على مسجد وخمس غرف واحدة للمدرس، وأربعة للطلبة الثمانية المجاورين بالمدرسة. توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، ص: 134.

[6] - أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص، ص: 134، 135.

[7] - أبو حفص عمر الأنصاري المعروف بالوزان (ت 965هـ/ 1557م): كان قمة في جميع العلوم المتداولة في عصره، ولهذا وصفه الفكون "بشيخ الزمان وياقوتة العصر". (منشور الهداية، ص- ص: 35- 37). كما وصفه المنجور بقوله:" كان هذا الرجل آية الله يبهر بها العقول في تحقيق المعقول والمنقول". وقد أخذ عليه بعض علماء المغرب كالشيخ أبي زكريا يحي الزواوي. فهرس المنجور، ص، ص: 31، 32.

الهجري (16م) على شهرتها كمركز معرفي، وقد هيمن الوزان على هذه المدرسة التي تركت إرثا معرفيا لا تزال تُلمس آثاره [1].

ولِنَسْتَدِلَ على بروز مدينة قسنطينة كحاضرة علمية، يكفي أن نشير إلى أنَّها كانت طيلة العهد المدروس قبلة لطلبة العلم من مختلف مناطق الجزائر، ومن بلدان المغرب الإسلامي[2]. ومن أبرز الواردين عليها من المغرب الأقصى العلامة محمد اليسيتني[3] الذي دخلها سنة 928هـ/ 1521م، ودرس على علمائها كالشيخ عمر الوزان، وقرأ على هذا الأخير الأصلين والبيان وغيرها[4]. كما دخلها من تونس الشيخ أحمد بن مصطفى برناز التونسي[5] ودرس بها على الشيخ بركات بن باديس، والشيخ علي الكماد، والشيخ عبد اللطيف الكماد[6].

هذا، ويُعَّد الشيخ عبد الكريم الفكون أشهر العلماء المدرسين بها خلال القرن الحادي عشر الهجري. وقد تعلم على علماء قسنطينة فقط، إذ لا تذكر المصادر أنَّه ذهب إلى أيّ وجهة غيرها لطلب العلم، وقد أسندت إليه الإمامة والخطابة بجامعها الأعظم خلفًا لوالده الشيخ محمد بن عبد الكريم عام 1045هـ/1635م، ثم عُهد إلي بقيادة ركب الحج[7] فظل يتولاه إلى وفاته.

أمّا التدريس فقد تصدى له منذ صغره بإذن من والده، فتخرج عليه عدد كبير

[1] -Ernest mercier, Histoire de Constantine, p : 208.

[2] - ذكر الفكون بعض الواردين عليها خلال القرن 11هـ منهم: إبراهيم الفلاري التونسي(ت 1039هـ)، ومحمد بن مزيان المغربي التواتي، وأبو عبد الله محمد السوسي الفاسي. منشور الهداية، مواضع متفرقة مثلا: ص، ص: 58، 72، 110.

[3] - محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليسيتني (ت 959هـ): قرأ على علماء المغرب والمشرق، وعلى علماء قسنطينة كالشيخ محمد العطار الذي قرأ عليه طوالع البيضاوي، وكان مختصا بها. أحمد بن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمدي. القاهرة: دار التراث- تونس: المكتبة العتيقة. (ط1) ، 1971. ج1، ص: 246؛ المصدر نفسه، ج2، ص: 202.

[4] - المنجور، فهرس أحمد المنجور، ص، ص:31، 32.

[5]- أحمد بن مصطفى برناز(ت 1138هـ/1726م): من أبرز فقهاء الحنفية في عصره، تولى التدريس في عدة مدارس. من مؤلفاته: الشهب المحرقة. محمد محفوظ، معجم المؤلفين التونسيين. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط2)، 1994. ج1، ص: 92.

[6] - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل النعمان، ص: 231.

[7] -Ernest mercier, Constantine au 17 eme siècle «élévation de la famille el fagoun »; recueil de Constantine . Constantine : Imprimerie .Arnolet Braham. Alger : Jordan libraire éditeur. Paris : Challamel Aine éditeur.1879. volume: 9, série 2 ; 1878; pp: 225-237.

من طلبة العلم من مدينة قسنطينة، ومن عنابة وزواوة، ومليانة ومدينة الجزائر، وغيرها. واشتهر بنبوغه في علم النحو الذي أخذه منذ صغره على الشيخ التواتي المغربي[1]، ولهذا كثر المتخرجون عليه في علم النحو وتوابعه. وكان يُدّرسهم فيه ألفية ابن مالك بشرحها للمرادي[2]، وبشرح المكودي عليها[3]، إلى جانب تدريسه لعلوم أخرى كعلم الكلام والحديث الشريف[4].

ونظرا لتفوق الفكون في علوم كثيرة، فقد درس عليه بعض أقرانه من العلماء كالشيخ أبي عمران موسى الفكيرين (ت 1054هـ/1644م) الذي تصدى للتدريس بقسنطينة، ثم انضم مدة إلى حلقة الشيخ عبد الكريم الفكون فأخذ عليه: ابن الحاجب، وعقائد الشيخ السنوسي في علم الكلام[5]، وألفية ابن مالك في النحو[6]. وقد اشتهر هذا الأخير بتدريس "ابن الحاجب" وهو أحد المؤلفات التي درسها على الفكون، وكثُر اعتناؤه بكتاب "التوضيح على ابن الحاجب" و" كانت له قوة دراية به وبأبحاثه" حسب الوزير السراج، الذي قال بأنَّ موسى الفكيرين " آخر مدرس في ابن الحاجب في قسنطينة، لم يدرس فيه أحد البتة"[7]. ومع ما في هذا الحكم من مبالغة فإنَّه يعني بدون شك اشتهاره بتدريس هذا الكتاب.

إنّ المُتخرجين على الفكون كُثُر، ومع ذلك لا تذكر المصادر المتداولة إلاَّ عددا قليلا ممّن أجازهم. وللإشارة فإنّه عُرف بتشّدده في منح الإجازات الصوفية

---

[1] - استقر مدة بقسنطينة وتصدى للتدريس بها، ثم انتقل إلى تونس فتوفي بها سنة 1031هـ/1621م. الفكون، منشور الهداية، ص- ص: 57- 59 .

[2] - حسن بن قاسم المرادي المراكشي (ت 749هـ): كان إماما في العربية. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد سيد جاد الحق. القاهرة: مطبعة محمد علي صبح المدني، (ط2)، 1966. ج2، ص، ص: 116، 117.

[3] - عبد الرحمن بن صالح المكودي (ت 807هـ): أحد أعلام النحاة بفاس. له نظم في التصريف وشرح على مقدمة ابن آجروم وغيرها. أحمد بن القاضي، جدوة المقتبس. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1974. ج2، ص: 403.

[4] - مواضع متفرقة من منشور الهداية، مثلا الصفحات: 93، 94، 95، 114، 174، 204، 208، 209.

[5] - محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي (ت 895هـ): من أشهر المؤلفين في علم الكلام في العالم الإسلامي، واشتهرت تصانيفه فيه وهي: الكبرى المسماة بعقيدة التوحيد، والعقيدة الوسطى، والصغرى، وعقيدة المختصر أصغر من الصغرى، والمقدمات المبينة لعقيدته الصغرى. ووضع لكل من هذه العقائد العقائد الخمس شروحا؛ وله أيضا تآليف عديدة في علوم أخرى في مقدمتها القراءات القرآنية. ابن مريم، البستان، ص- ص: 238- 248.

[6] - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 93.

[7] - الحلل السندسية، ج2، ص: 248.

والعلمية على حدٍ سواء، ولهذا انتقد الشيخ سالم السنهوري المصري على إجازته للشيخ علي بن داود الصنهاجي القسنطيني[1]، كما رفض إجازة العياشي في الطريقة الزروقية[2] سنة 1064هـ/ 1653م مُكتفيا بإجابته بقوله:" إنّي أقول لك كما قال الإمام الشاذلي[3] – رضي الله عنه – لك ما لنا من الخدمة، وعليك ما علينا من الرحمة "[4].

والواقع أنَّ تشدد الفكون في منح الإجازة ليس مبررا كافيا لقلة إجازاته لتصديه للتدريس مدة طويلا[5]، تخرج عليه خلالها عدد كبير من الطلبة، فلا بُدَّ أن يكون من بين هؤلاء الطلبة والعلماء الكثير ممَّن هم مؤهلين للإجازة. وعليه يُمكن أن يعوز السبب إلى قلة المادة العلمية في التاريخ الفكري لقسنطينة. ومن بين المصادر المعدودة المتداولة "منشور الهداية"، ونظرا لأنَّه وُضِعَ أساسًا لهدف إصلاحي، فلم يتعرض مؤلفه لإجازات العلماء المُترجم لهم، حتى العلماء الذين أعجب بهم كالشيخ عمر الوزان، وجده عبد الكريم الفكون.

والإجازة الوحيدة التي حظيت بالذكر في الكتاب المُشار إليه - بعد تلك التي انتقد صاحبها على منحها- هي إجازته لتلميذه الشيخ أبو الحسن علي بن عثمان الشريف، الذي وَرد عليه من جبل زواوة حوالي سنة 1028هـ/ 1618م، فقرأ عليه المكودي والمرادي، ولِمَا ظهر منه من نجابة في العربية أجازه. ووصف الفكون المستوى الذي أصبح عليه تلميذه المذكور بقوله:" لم يكن معه قبل قراءته شيء يعتد

---

[1] - لم يكن الفكون يراه مؤهلا لاستحقاق الإجازة، ولهذا رفض إجازة سالم السنهوري له. الفكون، منشور الهداية، ص، ص: 92، 93.

[2] - تنسب الطريقة الزروقية لمؤسسها أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البُرنُسي الفاسي الشهير بزروق، (846- 899هـ): عرف بجودة تآليفه في التصوف منها: شرحان على حزب البحر، وشرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي وشرح مشكلاته، وكتاب القواعد في التصوف. توفي بإحدى قرى مسراتة بطرابلس الغرب. أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص، ص: 130- 133؛ ابن مريم، البستان، ص: 46.

[3] - تنسب إليه الطريقة الشاذلية وهو: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي مغربي الأصل (591- 656هـ/ 1190- 1258م) نزيل الإسكندرية. من تصانيفه الاختصاص من القواعد القرآنية. السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص: 427 ؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص، ص: 467، 468.

[4] - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص، ص: 390، 391. كان الفكون في هذه الفترة حسب العياشي في " غاية الانقباض، والانزواء عن الخلق، ومجانبة أهل الرسوم"، فربما يكون لانقطاعه إلى لتصوف علاقة برفضه الإجازة للعياشي.

[5] - عمَّرَ الفكون حوالي خمس وثمانين سنة، قضى أغلبها في التدريس. وقد كان العالم لا يمنح الإجازة إلا إذا كان عالما كبيرا، اشتهر بعلمه وبتلامذته، وبعملية حسابية نجد مدة تدريسه التي تأهل فيها لمنح الإجازة أزيد بكثير من ربع قرن، وهي مدة كافية لأن يجيز عددا كبيرا من العلماء.

به من العربية، فلم ينصرف من عندي إلا وهو نجيب فيها فأجزته بعد طلبه"[1]. فهي كما يبدو إجازة قراءة في علم النحو، تحصّل عليها صاحبها عن جدارة واستحقاق لما بَلغه في العربية. ولكن على الرَّغم من إشادة الفكون بتلميذه المذكور، لم يورد نص الإجازة ولا لمقطع منها.

ومن أشهر تلامذة الشيخ الفكون، وأبعدهم صيتا الشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي، الذي درس عليه في الفترة الممتدة بين (1045-1061هـ/1635-1650م). السنة الأولى سنة تأليف منشور الهداية، ولم يذكره فيه من جملة تلامذته، والثانية سنة رحيل الثعالبي إلى المشرق. ومن المرجح أن يكون قد أخذ عليه في قسنطينة لا في غيرها، إذ لا يُعرف من سيرة الفكون الذاتية أنَّه استقر بمدينة غير قسنطينة، كما أنَّ الوظائف التي أُوكلت إليه بهذه المدينة، قد تكون سببا في منعه من التردد على أي مدينة غيرها[2].

وقد قرأ عليه بعض كتاب الموطأ للإمام مالك، والصحيحين (البخاري ومسلم) والسنن الأربعة(سنن أبي داوود، والنسائي[3]، والترميذي، وابن ماجة[4])، وطرفاً من "الأحكام الصغرى" لعبد الحق الإشبيلي[5]، والشفا للقاضي عياض، والشهاب القضاعي[6]، وبعضا من رباعيات ابن عوانة، ومن أصول السلمي لزروق، وأجاز له باقي الكتب المذكورة، كما قرأ عليه كتبا أخرى مثل، "غنيمة الوافد لعبد الرحمن الثعالبي"[7]. كما ترك عيسى الثعالبي مروياته عن شيخه الفكون مسجلة في ثبته المسمى" كنز الرواة "[1].

---

[1] - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص: 207.

[2] - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص: 90.

[3]- الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي النسائي (215- 303هـ): من أشهر مؤلفاته: كتاب السنن أحد الصحاح الستة. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص: 77.

[4]- أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني الحافظ: (209- 273هـ). من أشهر مؤلفاته: كتاب السنن في الحديث، وهذا الكتاب أحد الصحاح الستة.ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص: 279.

[5]- الأحكام الصغرى في الحديث لابن الخرّاط عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي، المعروف بابن الخرّاط الإشبيلي المالكي (510- 582هـ). حاجي خليفة، كشف الظنون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1999. ج5، ص: 410.

[6]- محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي المصري المعروف بالقضاعي(ت 454هـ): له أمالي في الحديث. البغدادي، هدية العارفين. طهران: مكتبة الإسلامية والجعفري تبريزي، 1947. ج2، ص: 71.

[7] - العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (ت 875هـ/ 1471م): له مؤلفات

والملاحظ أن الثعالبي لم يُتم قراءة بعض الكتب على الفكون، ولجأ شيخه إلى إجازته بباقيها " إجازة رواية "، لتدارك النقص الذي قد يلحق بالمُتعَلم لعدم قراءة كل الكتاب، وهذا ماُتَعارف عليه بين العلماء. ولكن ما عُرف عن الفكون من تشدد في منح الإجازات، يجعلنا نجزم بتمكُن الثعالبي من هذه الكتب، وبقراءتها على شيوخ غير الفكون، ولولا ذلك لما قرأ على شيخه بعضها، وأجازه بالباقي.

ولمّا كان الفكون من علماء السنة المتصوفة فهو شاذلي، زروقي؛ فلم يَفُت الثعالبي أن يأخذ عليه علم التصوف (علم الباطن) كما أخذ عنه علم الظاهر، فعرض على شيخه "الوظيفة الزروقية"، و"حزب البحر" لأبي الحسن الشاذلي، وكلاهما عمل يضم مبادئ الطريقتين الأصلية الشاذلية، والفرعية الزروقية. ولقّن الفكون تلميذه الثعالبي الذكر وهو كلمة الإخلاص، وألبسه الخرقة الصوفية[2].

ومن أشهر تلامذة الفكون أيضا الشيخ يحي الشاوي الملياني، والغالب على الظن أنَّه تتلمذ عليه بعد سنة 1045هـ/ 1635م لأنَّه لم يذكره في "منشور الهداية " من جملة تلامذته، وبالرَّغم من شهرة الشاوي في عصره، فلا تذكر المصادر المتوفرة ما الذي أخذه عن شيخه الفكون. فهو لم يترك مروياته عنه مسجلة كما فعل الثعالبي في كتابه "كنز الرواة "[3]. ويذهب عبد الرحمن الجيلالي إلى أنّ الفكون أجاز يحي الشاوي[4]. هذه الإجازة التي لا يُعرفُ عنها شيئا شأنها شأن قراءته عليه.

ومن العلماء المدرسين بقسنطينة أيضا: الشيخ محمد بن علي القسنطيني[5]، ومن تلامذته الشيخ شعبان بن عباس المعروف بابن عبد الجليل القسنطيني، الذي لازمه سنين عديدة، أخذ عليه فيها مؤلفات عدة منها: "صحيح البخاري" و" ألفية

عديدة أشهرها: الجواهر الحسان في تفسير القرآن. أما عنيمة الوافد فلم يذكرها أحد ممن ترجموا له، ولعل المؤلف يقصد فهرسته المسماة ب"غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد". أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 257؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 733؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 90.

1 - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص: 91.

2 - المرجع نفسه، ص: 91.

3 - المرجع نفسه، ص، ص: 92، 93.

4 - تاريخ الجزائر العام، ج3، ص: 173.

5 - المفتي محمد بن علي الجعفري القسنطيني البوني الأصل، من تلامذة الشيخ أحمد ساسي البوني. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 43.

ابن مالك"، و"مختصر خليل"، و"ألفية العراقي" في علوم الحديث[1]، و"المحلى" في الأصول[2]، و"صغرى السنوسي"، بالإضافة إلى الفلك. وقد أجازه عامة بعد سنة 1139هـ/ 1726م[3].

وهكذا فعلى الرّغم من انتعاش الحياة الفكرية بقسنطينة خلال العهد العثماني، وتخرج عدد كبير من العلماء على كبار مدرسيها، فلم تُسْعِفنا المصادر بإحصاء أكثر من أربعة إجازات علمية، وهو أمر يدعو إلى القول بأنَّها أقل بكثير من مستوى المدينة، ذلك أنَّ تراثا مخطوطا كبيرا بها تلف بفعل عوامل مختلفة في مقدمتها الاحتلال الفرنسي.

2 – إجازات علماء منطقة زواوة:

لم تكن حلقات الدروس العليا حكرا على الحواضر الثقافية، بل حظيت بعض المناطق الريفية بقسط وافر من هذه الدروس، وتأتي في مقدمتها منطقة زواوة، التي شهدت حركة فكرية نشيطة بداية من القرن العاشر الهجري(16م) لعاملين أساسيين هما:

1- سقوط مدينة بجاية[4]على يد الإسبان، وخروج سكانها إلى المناطق الداخلية؛ من بينهم العلماء. ومن المعلوم أنهاّ كانت أحد مراكز الثقافة الكبرى في الجزائر طيلة العهود السابقة للعهد العثماني.

2- تحول الزوايا المرابطية بالريف الزواوي إلى معاهد للتعليم. وقد سهلت هذه المباني الجاهزة مُهمة سرعة انتشار التعليم، ولم تتطلب وقتا طويلا لانطلاقها،

---

[1] - الحافظ الشافعي زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المولود بالقاهرة، والمعروف بالعراقي (725- 806هـ): من مؤلفاته الألفية في الحديث، وشرحها. السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص: 307.

[2] - شرح جمع الجوامع للسبكي في الأصول لجلال الدين محمد بن أحمد بن محمد (791- 864هـ): اشتهر بالمحلى نسبة إلى المحلى ضواحي مصر. أحمد بن القاضي، درة الحجال، ج2، ص، ص: 243، 244؛ السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص: 371.

[3] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، ص: 42.

[4] - سقطت مدينة بجاية في يد الإسبان في شهر رمضان سنة 916هـ/ جانفي 1510م، وتمكن صالح رايس من افتكاكها من أيديهم في سنة 963هـ/جوان 1555م. العنتري، فريدة منسية، ص: 29؛ توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة، ص- ص: 343- 348.

فقصدها طلاب العلم من جهات مختلفة حتى من المدن لمزاولة دراستهم بها[1]، وبالأخص في علم القراءات لاشتهار زواوة بهذا العلم.

ومن بين الزوايا التي أخذت على عاتقها مُهمة التعليم في هذه المنطقة: زاوية سيدي علي بن يحي بذراع الميزان؛ الواقعة وسط جبال جرجرة، والتي تأسست في القرن التاسع الهجري (15م)، وزاوية عبد الرحمن اليلولي (ت 1005هـ/1694م)، المشهور في المنطقة بإتقانه الرواية القرآنية بالقراءات السبع والعشر[2]. وقد اشتهرت في الحقبة التي ندرسها عدد من الزوايا، تحدث الرحالة الإنجليزي شو (Shaw) عن بعضها قائلا بأنَّ جماعة الصهريج ببلاد القبائل يدرس بها خمسمائة من الطلاب، وتتولى الإنفاق عليهم[3]، كما أنَّ زاوية نقاوس تنفق على مائتي طالب"[4].

وبالإضافة إلى هذه الزوايا كان طلبة زواوة يتوجهون خارجها، وبالأخص إلى قسنطينة أين كانوا يتتلمذون على أجلاء العلماء بها، ثم يعودون إلى بلادهم لمزاولة التدريس بها، كالشيخ محمد البهلولي، والقاسم بن يحي، والشيخ علي ابن عثمان الشريف، الذين درسوا النحو على الفكون في قسنطينة، ثم عادوا إلى بلادهم. وقد أخبر الفكون عن الأخير منهم قائلا:" وهو الآن صاحب درس عظيم على ما بلغني... وصار يُطعم الطلبة من عنده"[5].

وممّا يدل على مكانة منطقة زواوة العلمية، هو إقبال الطلبة عليها من داخل الجزائر وخارجها للتتلمذ على مشايخها، خاصة في علم القراءات[6]. فقد ارتحل إليها نزيل قسنطينة الشيخ النحوي أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي المغربي، وتتلمذ في القراءات السبع على الأستاذ أبي محمد عبد الله أبي القاسم، حيث أقام

---

1 - محمد سي يوسف، " نظام التعليم ببلاد زواوة "، ج1، ص: 194.

2 - محمد سي يوسف، المرجع نفسه، ج1، ص: 203.

3 - Shaw, L 'Algérie un siècle avant l'occupation française , p: 195.

4 -Ibid, P: 219.

5 - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص: 207.

6 - ما يثير الاستغراب حقا هو عدم التوصل إلى أي ذكر، أو إشارة إلى الإجازة بالقراءات القرآنية، في منطقة زواوة الشهيرة بعلم القراءات، ولعل ذلك راجع إلى قلة المصادر المحلية للمنطقة خلال العهد العثماني، ولهذا لجأ بعض الباحثين في تاريخ المنطقة إلى الرواية الشفوية مثل محمد سي يوسف في دراسته السابقة.

عنده حوالي سنة، ثم عاد إلى قسنطينة " وقد حصلت له ملكة عظيمة، ومعرفة تامة بعلم القراءات"[1]، كما أقام بها الشيخ إبراهيم الجُمني التونسي[2] ست سنوات، قرأ خلالها على علمائها كالشيخ محمد السَّعدي، ومحمد المغربي، وأبو القاسم القاضي[3]. وأخذ بها أيضا الشيخ أحمد برنار التونسي عن مشايخ أجلة منهم: الشيخ عبد القادر ابن الموهوب، الشيخ أحمد بن مزيان الزواوي، كما قرأ القرآن العظيم بالسبع عن الأستاذ محمد بن صُولة، وأخذ عن الشيخ أحمد البصير البرغوثي، الذي أجازه في أوراد لقنه إياها[4].

ومن الأسر العلمية الصوفية في منطقة زواوة أسرة الورتلاني، وأشهر أفرادها الشيخ الحسين الورتلاني[5]. وقد كان جده ووالده من المتصوفة المدرسين. وقال عن والده بأنَّه كان أفقه أهل زمانه[6]. وسَارَ هو على نهجهم حيث أصبح مدرسا وشيخ زاوية الأسرة [7] في بلدته " بني ورتيلان". وقد ذكر في رحلته بعض طلبته الذين درسوا عنه الفقه والتوحيد منهم: الشيخ محمد بن الفقيه، الذي أخذ عنه "صغرى السنوسي بحاشية المراكشي"، والشيخ محمد الشكلاوي الجزائري. وقرأ عليه " كبرى السنوسي بشرح اليوسي"، في أيام زيارته لقرية "تدلس". ومنهم أبي القاسم بن مدور من بني عباس من قرية "تفرج" وهو قاضي بجاية. وقد كان

---

1 - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص: 58.

2 - أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الجمني (1134هـ/1722م): من أبرز فقهاء المالكية في تونس، وكانت له مدرسة للمالكية بجزيرة جربة. محمود مقيديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواوي- محمد محفوظ. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1988. ج2، ص: 440.

3 - محمود مقيديش، المصدر نفسه، ج2، ص: 437.

4 - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان، ص: 232.

5 - الحسين بن محمد السعيد بن الحسني الورتلاني (1125هـ /1713م- 1193هـ /1779م): درس بزواوة ومدينة الجزائر، وأخذ على علماء المشرق. من مؤلفاته: شرح على القدسية لعبد الرحمن الأخضري، وشرح وسطى الإمام السنوسي. مختار بن الطاهر فيلالي، رحلة الورتلاني عرض ودراسة. باتنة: دار الشهاب، 1978. ص - ص: 14- 27؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 357؛ سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي، ص: 418.

6 - الحسين الورتلاني، الرحلة الورتلانية " نزهة الأنظار في فضل علم التواريخ والأخبار"، تصحيح: محمد ابن أبي شنب. الجزائر: مطبعة بيير فونتانا الشرقية، 1908. ص: 308.

7 - أبو القسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 394.

الورتلاني يتوجه إلى بجاية في شهر رمضان من كل سنة قصد الرباط، والتدريس والقيام بالوعظ والإرشاد[1].

ولكن على الرَّغم من كثرة المتخرجين عليه، وإقباله على التدريس، فلم تسعفنا المصادر في الكشف عن إجازاته لتلامذته[2]، مع أنَّ عالما مدرسا مثله يُفترض أنْ تصدر عنه إجازات علمية وصوفية لمن درسوا عليه.

ومن بين الزوايا الشهيرة بالمنطقة، زاوية "شلاطة " في منطقة بجاية، وشيخها محمد بن علي الشلاطي المعروف بابن علي الشريف[3]، وكان مشتغلا بالتدريس في زاويته هذه، وإعطاء الأوراد والأذكار للمريدين[4]. وقد منحه العالم الحسن ابن مصباح[5] صاحب معهد بني يعلى العجيسي بضواحي بجاية إجازة علمية، وهي الإجازة التي نقلها العلامة العربي بن مصباح قريب صاحب المعهد في تأليف خصصه لمعهد شلاطة قائلا- في سياق حديثه عن إجازة شيخه محمد بن علي الشريف البَلُولي-:" وقد أجازني شيخي ومولاي علامة الدنيا على الإطلاق... أبو أحمد سيدي الحسن بن أحمد رزوق بن مصباح... من علم الحديث بصحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة، ومن علم التفسير...". ثم استعرض الكتب التي أجازه بها في الفقه، علم الكلام، النحو، الأصول، وعلم البيان، ومصطلح الحديث وغيرها إلى أن قال:" وغير ذلك مـمَّا هو موسوم في ثبته الذي أجازنا به - رحمه الله- "[6].

---

[1] - مواضع متفرقة من رحلة الورتلاني، مثلا الصفحات: 15، 17، 28، 65؛ مختار فيلالي، رحلة الورتلاني عرض ودراسة، ص: 23.

[2] - هناك العديد من المراجع التي تعرضت لهذه الشخصية، وكلها تعتمد في ترجمته على رحلته بالدرجة الأولى. ولذلك لم تشر أي منها إلى إجازاته لتلامذته منها: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص:394؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص، ص: 140، 141.

[3] - عاش في القرن 12هـ من مؤلفاته:" تفسير الغريب للمبتدئ"، و" معالم الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار" في الفلك والتنجيم ألفه سنة 1192هـ، والتعريف بالأحبار المالكين الأخبار، و"سيرة المصطفى وسير ة الخلفاء ومن بعدهم من سلوك العرفاء". أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص، ص: 20، 126، 328، 409.

[4] - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج2، ص: 410.

[5] - كان الشيخ الحسن بن أحمد زروق بن مصباح حيا سنة 1179هـ/ 1765م. فقد ذكر الورتلاني بأنَّه لقيه أثناء حجه في السنة المذكورة، قائلا بأنَّهم توجهوا :" قاصدين بن يعلى محل المدّرس... سيدي الحسن ابن مصباح". الحسين الورتلاني، الرحلة، ص: 80.

[6] - المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص، ص: 152، 153.

وهناك من علماء منطقة زواوة من اشتهر بتبحره في علمي الظاهر والباطن، ولهذا منح تلامذته إجازات علمية وأخرى صوفية؛ كالشيخ محمد بن عبد الرحمن الزواوي المعروف بالأزهري[1]، مؤسس الطريقة الرحمانية بالجزائر. وقد أعطت طريقته في حياته، وبعد وفاته أهمية خاصة لنشر التعليم، وربطت بين التربية الروحية وبث العلم[2].

فبعد عودته من المشرق حوالي عام 1177هـ/ 1763م[3]، جدَّ في بث العلم[4] فأسَّس في قريته " آيت إسماعيل" زاويته المشهورة هناك قرب ذراع الميزان[5]. أدت هذه الزاوية خدمة هامة في نشر التعليم، وكان لها عدد من الأساتذة في حياة الأزهري نفسه، ومن هؤلاء: الشيخ أحمد بن الطيب بن الصالح الرحموني، والشيخ علي بن عيسى المغربي؛ الذي عَيَّنه الأزهري قبل وفاته خليفة على الزاوية يديرها تعليما وطريقة[6]. وكان شيوخ الزوايا الرحمانية كلهم من العلماء، فكانت تدرس الزوايا علوم الشريعة إلى جانب علوم الطريقة[7].

وقد تخرج على يد مؤسس الطريقة الكثير من العلماء، من مناطق مختلفة بالجزائر مثل: عبد الرحمن باش تارزي القسنطيني، وابن عزوز من برج طولقة[8]. وزاره بزواوة الشيخ أحمد التيجاني (ت 1230هـ) في طريقه إلى الحج سنة 1186هـ، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية[9]، ولعَّله أخذ عليه أيضا شيئا من علم الظاهر.

---

1 - أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف الأزهري مجاورة، الزواوي إقليما، القجطولي قبيلة، الإسماعيلي عرشا، ولد بين سنتي 1126هـ و1133هـ في بني إسماعيل في زواوة، وتوفي سنة 1208هـ/ 1793م، أخذ عن الشيخ الصعيدي، ولازم الشيخ محمد الحفناوي، وأخذ عنه التصوف. له تآليف وأوراد. مخلوف، شجرة النور، ص: 372؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص- ص: 457- 471.

2 - العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، ص: 63.

3 - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 507.

4 - أذن له شيخه محمد بن سالم الحفناوي " في التربية والتعليم"، ثم أمره بالرجوع إلى وطنه لبث العلم. أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 458.

5 - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 180.

6 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص: 509.

7 - العيد مسعود، المرجع السابق، ص: 63.

8 - العيد مسعود، المرجع نفسه، ص: 63.

9 - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 40.

ومن تلامذته أيضا: الشيخ العلامة يحي بن عيسى الذي حّررَ له الشيخ المذكور إجازتين: إحداهما صوفية بالأوراد، وهي مطولة منها قوله": قد أجزت العارف... القطب المهدي سيدي يحي نجل سيدي عيسى... أن يعطي أورادنا، أي أوراد طريقتنا البركة الخلوتية لسائر المسلمين، كما أُذِنَ لشيخه أن يعطيها، أي شيخه الذي هو الكاتب لهذه الإجازة بالبنان محمد بن عبد الرحمن الأزهري..."[1]. ثم ألحق بالإجازة كيفية تلقين ورد الطريقة الخلوتية.

والثانية إجازة علمية قال فيها:" قد التمس منِّي السيد العلامة، ومعدن الشريعة والحقيقة سيد السادات، ومصباح الظلمات، سيدي يحي بن سيدي عيسى... إجازة فيما صح لي روايته، أو ثبتت لي درايته، فأجبته لذلك لأنَّه أهل وحقيق بذلك "[2]. وفيها استعرض بعض شيوخه الذين أخذ عنهم علوم الشريعة كالفقه المالكي، وسنده فيه. وألحق الأزهري إجازته العلمية كسابقتها بوصية في حوالي صفحتين ركز فيها على التقوى والزهد والصبر.

وقد اكتسب الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري شهرة كبيرة بالجزائر بعد عودته من المشرق، فطلبه عمال المدن الكبرى، وبالأخص صاحب مدينة الجزائر، فدخلها واحتفل به علماؤها في الجامع الأعظم واشتهر أمره بها[3]، فكان دائم التردد بينها وبين بني إسماعيل بزواوة، ولهذا بنى له الداي حسن باشا[4] مسجدا بمدينة الجزائر سنة 1206هـ/91-1792م[5]. ومن تلامذته الذين منحهم الإجازة أثناء إقامته بها الشيخ بلقاسم بن محمد المعاتقي؛ الذي رفعه إلى رتبة مقدم الطريقة، والشيخ العابد بن الأعلى الشرشالي[6]. ونظرا لجمع الطريقة الرحمانية بين التربية

---

1 - أبو القاسم الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص- ص: 460- 463.
2 - الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص، ص: 465، 466.
3 - الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 458.
4 - تولى في 10 ذي القعدة 1205هـ، وظل بها إلى وفاته سنة 1212هـ/ 1797م. كان عارفا، ذو فطانة. أحمد الزهار، مذكرات الزهار، ص- ص: 61- 67.
5 - نظرا لتردد الأزهري بين زواوة ومدينة الجزائر كان له أتباع كثر بكليهما، ولهذا تنازعوا على مكان دفنه بعد وفاته، حيث دفن بالمدينة الأخيرة، وأخذه أتباعه بزواوة من قبره ليلا، فعرف " ببوقبرين".
Devoulx , Les Edifices Religieux, in R- Af, N°: 14, Année :1870, pp : 289, 290.
6 - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 507.

الروحية والتعليم، فلا يُستبعد أن يكون قد أجاز لهؤلاء إجازات علمية وأخرى صوفية.

وأجاز الشيخ الأزهري- أيضا- الشيخ حمُودة بن محمد المُقايسي[1]، ولعّل ذلك كان أثناء إقامتهما معًا بمصر[2]، كما أجاز المُقَايْسِي بدوره لصاحبه محمد الأزهري"[3]، وهذا ما جرت به العادة أن يتبادل العلماء الإجازات فيما بينهم. والمعلوم أنَّ تبادل الإجازة بين الأقران يُسَّمى " تدبيجا ".

3- إجازات علماء مدينة عنابة:

في غياب جامعة إسلامية تتكفل بمهمة التعليم من المستوى العالي بالجزائر، كَثُرَ إقبال طلبة العلم على الحواضر العلمية؛ لتعدد حلقات الدروس العليا بها، وما يلفت الانتباه هو شَّد الرحال خلال القرن الثاني عشر الهجري إلى مدينة عنابة (بونة)[4] التي لم تكن من الحواضر العلمية البارزة[5]، وذلك لشهرة العلامة الشيخ أحمد البوني[6]. حيث كان العالم إذا تصدر للتدريس واشتهر أمره، شُدّت إليه الرحال من أقصى جهات البلاد، وأقبل عليه الطلاب من كل حدب وصوب، وتزاحموا على حلقته[7].

---

[1] - حمودة بن محمد بن حمودة بن عيسى الشريف الجزائري المعروف بالمُقايسي لصنعته، والمقايس أسورة (ت1245هـ/1829م): أخذ العلم بمدينة الجزائر، ثم توجه إلى المشرق حيث تتلمذ على أعلام منهم: الزبيدي ومحمد الأمير، وحسن العطار، ثم عاد إلى الجزائر، واستقر بها إلى وفاته. أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج2، ص: 37؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص- ص: 148- 150؛ عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 209.

[2] - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص: 37.

[3] - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 345.

[4] - تقع على مقربة من نهر سيبوز، ويشرف عليها جبل أيدوغ. توفيق المدني، كتاب الجزائر. القاهرة: طبع دار المعارف- البليدة: نشر دار الكتاب، (ط2)، 1963. ص: 208.

[5] - هذا بشهادة الشيخ أحمد البوني في الأرجوزة التي تقدم بها للباشا محمد خوجة بن علي الشريف النكدالي المعروف ببكداش(ت 1118 هـ/1707م) ، واصفا حالتها العلمية بقوله في هذه الأبيات:

«قد صال فيها الظالم ♦ وهانَ فيها العالم»

«خُربَت المساجد ♦ وقل فيها الساجد ». ابن ميمون، التحفة المرضية، ص: 129.

[6] - أبو العباس أحمد بن قاسم بن أبي عبد الله محمد ساسي التميمي البوني (1063- 1139هـ/ 1653م - 1726م). أخذ العلم عن مشايخ الجزائر منهم: والده، وبركات بن باديس القسنطيني. رحل إلى المشرق فأخذ عن علمائه بمصر وغيرها. له تآليف تنيف عن المئة بين مختصر ومطول منها: فتح الباري في غريب البخاري، والدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة وغيرها. الكتاني، فهرس الفهارس،ج1، ص: 236- 239؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 330؛ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص: 177؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص- ص:60- 64.

[7] - العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، ص: 67.

وأهم مراكز التعليم بالمدينة - على ما يبدو- جامعها الأعظم المعروف باسم مؤسسه أبي مروان الشريف[1]، إضافة إلى زاوية أسرة أولاد النوري البونية[2]، وهي أسرة جمعت بين العلم والصلاح، وسيطرت روحيا على عنابة ونواحيها طيلة قرنين من الزمن، وأنجبت عددا من العلماء، وحظيت بوظائف الإفتاء والقضاء المالكي بعنابة إلى غاية الاحتلال الفرنسي لها[3].

ورأس هذه الأسرة وصانع مجدها الشيخ قاسم بن محمد الساسي[4] – والد أحمد البوني المذكور- الذي تولى منصب الإفتاء المالكي في بونة بعد عودته من المشرق، وتصدى للتدريس[5] في جامع عنابة الكبير. وكان والده الفقيه محمد بن إبراهيم ساسي البوني – معاصر عبد الكريم الفكون- هو الآخر خطيبا ومدرسا بجامع أبي مروان. وقد كان " مسموع القول عند الخاصة والعامة "[6].

وأشهر علماء هذه الأسرة واسطة عقدها الشيخ أبو العباس أحمد بن قاسم ابن محمد البوني، الذي جمع بين الفقه والتصوف، وبرع في عدة علوم في مقدمتها الحديث الشريف؛ والذي أخذ على أجلة علماء المشرق، وأثناء عودته من الحج تصدر للإقراء بالأزهر[7].

1- مروان أبو عبد الملك بن علي البوني(ت حوالي سنة 440هـ): أندلسي الأصل، سكن بونة. من أشهر مصنفاته: شرح الموطأ. ابن فرحون، الديباج المذهب،ج2، ص: 320.

2 - ليس لدينا معلومات كافية حول هذه الزاوية، ولكن يفهم من أرجوزة أحمد البوني السابقة، أنَّه قد كانت له زاوية في قوله: « به تصير الزاوية ♦ عامرة لا خاوية ». (ابن ميمون، التحفة المرضية، ص: 128). والمعلوم أنَّ معظم العائلات العلمية والصوفية الكبرى كانت تمتلك زوايا خاصة بها، وهذا دليل آخر على تملك أسرة البوني لزاوية.

3 -H' sen Derdour , Annaba 25 siècles de la vie quotidienne et de luttes. Alger : Complexe Graphique de Reghaia . 1983. tome: 2 , p : 91.

4 - والد أحمد البوني الشيخ قاسم بن محمد الساسي التميمي (1010هـ/ 1601م – 1088هـ /1677م): درس في جامع أبي مروان، ثم بالمشرق خاصة بالأزهر، ورجع إلى بونة، وكان بها سنة 1635م/ 1045هـ، واتصل به الباشا يوسف في عنابة، فتدخل في إنهاء ثورة ابن صخرية، حيث كان وسيطا بين القبائل المحلية الثائرة في إقليم الشرق والسلطات الحاكمة. العنتري، فريدة منسية، ص: 37؛ Derdour , Op-Cit, Tome 2,p p : 91- 93 .

5 -H' sen Derdour, Ibid, Tome 2, pp : 91, 92.

6 - ترجم له الفكون في الفصل الثالث (فيمن ادعى الولاية من الدجاجلة الكذابين...) وانتقده نقدا لاذعا على خروجه عن التصوف الصحيح، كما قال بأنّه "صار رئيس الباطن والظاهر" عند أهل بونة. منشور الهداية، ص: 165.

7 - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 33 .

وعرفت الحركة الفكرية ببونة على أيامه انتعاشا يستحق التنويه، فقد كانت قبلة لطلاب العلم من داخل الجزائر ومن خارجها، كالشيخ أحمد برناز التونسي[1]، والشيخ عبد الرحمن الجامعي الفاسي الذي درس عليه الحديث، وكان يحضر مجلسه " مع مشايخ بلده وولديه"[2] محمد وأحمد الزروق. كما تتلمذ عليه العديد من الطلبة الجزائريين من أشهرهم: الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، والشيخ عبد القادر الراشدي القسنطيني[3]؛ الذي لازمه مُدة طويلة حتى برع في الفقه المالكي. وقد أصبح فيما بعد شيخ جامع سيدي الكتاني، ومفتي قسنطينة[4]، والشيخ حسن بن محمد بن العنابي، الذي أصبح فيما بعد مفتي مدينة الجزائر[5].

وقد كان ولداه المذكوران سابقا من أبرز علماء بونة، ولهذا عُيِّنَ ابنه الشيخ محمد[6] للإشراف على جامع أبي مروان، وجامع السلطان بعد وفاة والده[7]. أمَّا ابنه الشيخ أحمد الزروق، فكان هو الآخر من العلماء المدرسين. وكتب له والده الشيخ أحمد البوني إجازة عامة في سنة 1136هـ/ 1723م أشركه فيها مع رفيقه محمد ابن علي الجعفري المعروف بمفتي قسنطينة[8].

تقع هذه الإجازة في نحو أربعة كراريس، قال فيها بعد تعريفه بعلم الحديث أنَّه أخذه عن والده محمد الساسي، ويحي الشاوي، وأحمد العيدلي الزواوي الملقب بالصديق، وأبو القاسم بن مالك اليراثني الزواوي، وهؤلاء جميعا من الجزائريين، كما ذكر غيرهم من التونسيين والمغاربة والمصريين؛ وقد بلغ الجميع ثلاثة عشر

---

[1] - محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، ص: 93.
[2] - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 236.
[3] - عبد القادر الراشدي (1112هـ/ 1704م- 1202هـ/ 1788م): أصله من الرواشد ضواحي فرجيوة. وهو من كبار الفقهاء في قسنطينة؛ التي تولى بها القضاء والإفتاء مرارا. رُمي بالتجسيم لميله إلى الاجتهاد. من مؤلفاته: رسالة في تحريم الدخان، وكتاب في عائلات قسنطينة. ذكر الحفناوي ونويهض تاريخ وفاته سنة 1112هـ. تعريف الخلف، ج2، ص- ص: 228- 230؛ معجم أعلام الجزائر، ص: 94؛
Derdour ,Annaba, Tome 2, pp 109, 110.
[4] - H' sen Derdour , Ibid, Tome 2, p: 109.
[5]- Ibid , Tome 2, p: 98.
[6] - محمد بن أحمد ساسي البوني (1116- 1178 هـ/ 1765م): له عدد من المؤلفات منها: كتاب تاريخ تفصيل الحروب التسعة.H 'sen Derdour , Ibid , Tome 2, pp: 105, 106.
[7] - Ibid, Tome: 2, pp : 105, 106.
[8] - الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص: 239.

شيخا، واكتفى البوني بذلك خوف الإطالة، ثم ذكر كُتب الحديث التي أخذها عن هؤلاء، وعدد أيضا بعض تأليفه[1].

وكان ابنه الشيخ أحمد الزروق أيضا من مشاهير عصره، ولكنّه كان أقل تأليفا من والده[2]، وقد زاره الشيخ حسين الورتلاني صاحب الرحلة في عنابة، وأقام عنده أكثر من أسبوع، ووصفه باشتهاره بجودة الخط، وببراعته فيه إلى جانب ثقافته الموسوعية، فأجاز الورتلاني في جميع العلوم[3].

4 – إجازات علماء خنقة سيدي ناجي:

قامت زوايا الريف الجزائري في العهد العثماني بوظيفة التعليم؛ فانتشر على نطاق واسع، مُحدثا شبه توازن بين الريف والمدن في هذا المجال. ومن بين أشهر الزوايا التي حملت لواء العلم في منطقة نائية جدا: زاوية خنقة سيدي ناجي[4] التي أشاد بها حسين خوجة، ووصفها بأنَّها "معروفة بالعلم"، وبتخريجها " لمشايخ كرام، وعلماء أعلام" [5].

ولعلَّ مَّا يؤكد كفاءة علمائها هو الحفاوة التي استقبل بها أحد أبناء الخنقة، وخريجي زاويتها الشيخ أحمد العمري[6] من طرف الأمير التونسي الذي عظمه وأكرمه، وعيَّن له جميع ما يحتاجه. وقد لازم الشيخ المذكور خدمة الأمير مدة من

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 64. النسخة التي اطلع عليها سعد الله من هذه الإجازة في زاوية طولقة مكتوبة في سنة 1140هـ/ 1727م، وتقع في نحو ثلاثين ورقة. ولكنه لم يتمكن من الحصول على نسخة منها. وراسلت بدوري مديرها الأستاذ عبد القادر العثماني فكان الرّد بتاريخ: 4 أفريل 2004، قائلا أنّه لا يملك هذه الإجازة، ولا غيرها من الإجازات.

[2] - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص: 62.

[3] - مختار فيلالي، رحلة الورتلاني عرض ودراسة، ص: 168.

[4] - الخنقة قرية ضواحي مدينة بسكرة، تبعد عنها ب95 كم. وهي ذات نخيل وأشجار، وهي وسط واد بين جبلين. الورتلاني، الرحلة، ص: 117؛ أبو القاسم سعد الله، زيارة لخنقة سيدي ناجي. ضمن مجلة سيرتا. قسنطينة: مطبعة البعث. السنة الثانية، العدد: 03، رجب 1400- ماي 1980. ص: 113.

[5] - وصفها أيضا بكونها "ذائعة الصيت في الأماكن الغربية "، وبأنها "مقر الصلحاء". وقامت الزاوية بوظائف اجتماعية إلى جانب وظيفتها العلمية؛ حيث كانت تطعم الطعام، ويأوي إليها الفقراء والمساكين في تلك الأماكن الخالية. خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان، ص: 253.

[6] - أحمد العمري: ولد بالخنقة سنة 1089هـ/ 1679م حفظ القرآن الكريم، ودرس علوم مختلفة في الزاوية، كالفقه والبيان وعلم الحديث على فقهاء أجلاء منهم: الشيخ أحمد بن عمر، والشيخ أبو القاسم بن الطاهر والشيخ محمد بن عبد العزيز. حسين خوجة، المصدر نفسه، ص: 253.

الزمن، ثم تصدر للتدريس بجامع الزيتونة، فكان له درس عظيم يقرئ فيه مختصر خليل والألفية وغيرها[1].

وممَّا زادَ في أهمية زاوية- مدرسة الخنقة، تدهور الحياة الفكرية ببسكرة[2]، أكبر المدن القريبة منها. فقد قال العياشي عن مسجدها الكبير بأنه": في غاية السعة وإتقان البناء، إلاّ أنّه قل عامروه، وضعف ساكنوه فلا ترى به مدرسا ولا قارئا "[3]. وهو يتفق في ذلك مع الورتلاني الذي وصفه بشموخ بنيانه": غير أنّه كالعدم في زمننا (القرن 12هـ)، لاندراس العلم وأهله، إذ لا تجد طالبا يقرأ القرآن، أو يتعلم مسألة من العلم فيه"[4]. فإذا كان هذا حال جامعها الأعظم فما بال بقية مساجدها؟

أمَّا الخنقة فقد وصف العياشي (القرن11هـ/17م) سكانها بأنّهم" أهل خير وبركة، لهم رغبة في العلم وتعلمه، إلاَّ أنَّهم في بلاد قلَّ فيها أهل التحصيل"[5]. وهذا القول يختلف مع ما ذهب إليه الورتلاني الذي زارها خلال القرن الثاني عشر الهجري (18م) حيث قال بأنَّ :" لها فضل عظيم، سيَّما إظهار العلم فيها، فإنّهم مشتغلون بالنحو والفقه والحديث، خصوصا مختصر البخاري لابن أبي جمرة "[6]، متفقا مع ما وصفها به صاحب "ذيل بشائر أهل الإيمان " سابقا.

إنَّ هذا الاختلاف بين آراء الرَّحالة يعني أنّ الحالة الفكرية بها قد عرفت انتعاشا خلال القرن الثاني عشر؛ لازدهار مراكزها العلمية كالجامع الكبير المعروف بجامع سيدي مبارك، والزاوية- المدرسة الناصرية[7] المنسوبة إلى محمد

---

[1] - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان، ص: 253.

[2] - دخل العثمانيون مدينة بسكرة نهائيا سنة 960هـ/ 1552م، بقيادة الباشا صالح رايس، وأصبحت من أعظم المراكز التجارية. توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 186.

[3] - وصف العياشي مدينة بسكرة بأنَّها " من أعظم المدن وأجمع لمنافع كثيرة، مع توافر أسباب العمران"، ثم تطرق إلى سبب خرابها، وهو أنَّها ابتليت في القرن 11هـ بتخالف الترك عليها وعساكر الأعراب، فيستولي عليها هؤلاء تارة، وأولئك أخرى، إلى أن بنى الأتراك حصنا على رأس الماء الذي يأتي إليها فتملكوا البلاد وأضروا بأهلها. العياشي، الرحلة العياشية، ج1، ص: 49؛ ج2، ص: 411.

[4] - حسين الورتلاني، الرحلة " نزهة الأنظار"، ص: 109.

[5] - العياشي، المصدر السابق، ج2، ص: 402

[6] - الحسين الورتلاني، المصدر السابق، ص: 117. أبو محمد عبد الله بن أبي حمزة (ت 699هـ) أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 216.

[7] - يعود تأسيس الجامع الكبير إلى القرن 11هـ، وهو واسع ويحتوي على ست وعشرين عرصة، وله صحن غير مغطى ملحق به. أما المدرسة فقد تأسست سنة 1171هـ، وهي تحتوي على خمس وعشرين غرفة، وتضم كل غرفة من خمسة إلى عشرة طلاب، ولها بابان خارجي وداخلي يؤدي إلى الجامع. أبو القاسم

بن محمد بن ناصر الدرعي (ت 1085هـ). وقد كان الطالب يقرأ القرآن الكريم في المدرسة ويبيت فيها، وعندما ينضج علميا، يحضر حلقات الدروس في الجامع الكبير المجاور لها[1].

وقد أشعت الزاوية الناصرية بجامعها الكبير ومدرستها على الناحية بالعلم والمعرفة طيلة قرنين أو أزيد، وكانت موئل علماء الزاب، والصحراء، والأوراس وقسنطينة، وزواوة، بل وتونس وطرابلس أيضا[2]، ومِمَّن دَرَسَ بها العلامة الشيخ إبراهيم الجُمني التونسي الذي أخذ بها عن الشيخ عبد الله بن أبي القاسم الجلالي[3].

وكان لعلماء الخنقة شهرة في المنطقة، ولهذا أطلعهم الشيخ خليفة بن حسن القماري[4] على نظمه المسمى " بجواهر الإكليل في نظم مختصر الشيخ خليل"، وأرفقه بقصيدة وهي استدعاء بالإجازة [5] على ما يبدو من قول التليلي الآتي:" ولمَّا وردت هذه القصيدة على إخوانه العلماء في الخنقة تقبلوها بقبول حسن، وأنبتوها في قلوبهم نباتا حسنا، وأجازوا الشيخ، وأجابوه بقول الشيخ محمد بن المبارك الصائغي[6] نظما، تأييدا لقوله وتسليما لرأيه ونقله"[7].

فهل كتبوا له بإجازة أخرى غير هذه التي بين أيدينا؟ أم أنَّه أشار إلى هذا التقريظ النظمي الذي كُتب على مختصر خليل بأنَّه إجازة. فإذا كان الأمر كذلك

سعد الله، زيارة لخنقة سيدي ناجي . ص، ص : 116، 117؛ تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 284.

1 - أبو القاسم سعد الله، زيارة لخنقة سيدي ناجي، ص- ص: 115- 117.

2 - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص- ص: 115- 117.

3 - محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ج2، ص: 411.

4 - خليفة بن حسن القماري نسبة إلى قمار ضواحي وادي سوف، كان حيا سنة 1192هـ/1778م وكان طاعنا في السن، عاش حياته العلمية متنقلا بين مسقط رأسه غمار بين بسكرة وسيدي عقبة، وخنقة سيدي ناجي. من شيوخه في الفقه المالكي: أبو القاسم السجوري. من مؤلفاته: شرح على السنوسية، ونظم على الأجرومية. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص- ص: 77- 79.

5 - ختم الاستدعاء بهذا البيت: « وناشر أبيات الطويل خليفة ♦ عليكم سلام من لدنه يطول».

6 - اجتمع الزياني في قسنطينة سنة 1208هـ/ 1793م بإمام وخطيب مسجدها العتيق الشيخ أبو البركات محمد المبارك بن الفقيه عمر الصائغي. أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تح: عبد الله الفيلا لي. الرباط: دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع ، 1991. ص: 153.

7 - محمد الطاهر بن بلقاسم التليلي، « إتحاف القاري بحياة خليفة بن حسن القماري ». دراسة مخطوطة ببلدية غمار ولاية الوادي، ورقة: 12 و، 13ظ.

فالإجازة المعنية إجازة بالتأليف[1]. وممَّا ورد فيها قول الشيخ ابن المبارك الصائغي[2]:

أيَا مَنْ غَدَا للمُشْكِلاَتِ يُحـاوِلُ ... سَّل إنْ رُمْتَ عن حبرٍ لمَنَ يُطاوِلُ
لقد حاز قصب السبق فيها تقدما ... به تجتلي للقاصرين النوازل
أتانا جوابٌ رائق ذو عذوبة ... يفوق للآلي الدُّرِ إذ هو واصل
ويحكم حكما عادلا في مقاله ... إذا بان نور الحق بالضَّد خامل
فإذعاننا حتم لحم جوابه ... تحتم إذ طِبق الشريعة حاصل

هذا، وقد حظيت هذه المنظومة بتقريظ من طرف الشيخ محمد بن سليمان الشريف معاصر الشيخ خليفة، وهي قصيدة طويلة كلها إطراء للشيخ ولمنظومته، إلاَّ أنَّ ناقل الخبر لم يذكر أنها إجازة، كما سابقتها واكتفى بنعتها بالتقريظ[3].

وهكذ، حفل الشرق الجزائري بمراكز علمية متعددة، وفي مقدمتها مدينة قسنطينة، كما حفل الغرب الجزائري بمراكز علمية لا تقل شأنا عن تلك التي زخر بها الشرق.

---

1 - حظي هذا النظم بإجازة أخرى بالتأليف كتب له بها الشيخ ابن شقرون الفاسي، ينظر الفصل الثاني، ص: 146.
2 - محمد الطاهر التليلي، « إتحاف القاري بحياة خليفة بن حسن القماري »، ورقة: 12 و، 13ظ.
3 - محمد الطاهر التليلي، المرجع نفسه، ورقة: 13 ظ.

IV /- إجازات علماء منطقة الغرب الجزائري:

1- إجازات علماء مدينة معسكر وضواحيها:

لقد تبّوأت مدينة معسكر[1] - الواقعة في إقليم بني راشد- [2] مكانة هامة في الميدان الفكري خلال العهد المدروس، لانتشار التعليم في هذا الإقليم بداية من القرن العاشر للهجرة (16م)، بتأسيس عدد كبير من الزوايا به، واحتضانها مُهِّمة التعليم، كزاوية محمد بن يحي السليماني، وزاوية عبد الله بن عبد الرزاق الإدريسي، وزاوية الشيخ محمد المشرفي وغيرها[3]. وبالإضافة إلى تفوق علمائها في الفقه المالكي، كانت منبع علم التوحيد[4] باعتراف علماء من بينهم الشيخ أحمد المقري[5]، الذي قال في "حاشيته على صغرى السنوسي" بأنَّ سنده في علم التوحيد " يتَّصل بعلماء الراشدية العارفين بهذا الشأن"[6].

واشتهر في المدينة عدة أسر علمية توارثت العلم والمعرفة، وتقلب أفرادها في مناصب التدريس، الإفتاء، القضاء، والإمامة؛ تأتي في مقدمتها " أسرة المشارف" التي أنجبت العديد من البيوتات العلمية، ذكرها المشرفي في كتابه " ياقوتة النسب

1- بعد أن كانت إدارة بايليك الغرب مقسمة بين كل من تلمسان ومازونة، جمعتا لأول مرة للباي مصطفى أبو الشلاغم بن يوسف المسراتي سنة 1098هـ/ 1686م، فنقل كرسي البايليك إلى قلعة بني راشد ثم إلى معسكر. وبعد الفتح الأول لوهران سنة 1119هـ/1707م نقل إليها المقر فظل بها إلى ما بعد 1143هـ / 1734م، وفيها عاود الإسبان احتلال وهران. وظل بها إلى أن فُتِحت من جديد في 1206هـ/ 1791م فنقل إليها مقر البايليك نهائيا. المزاري، طلوع سعد السعود، تح: يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1990. ج1، ص، ص: 270، 271؛ محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978. ص، ص: 192، 193.

2 - يمتد هذا الإقليم على طول نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلا. جهته الواقعة جنوبا كلها سهول، والواقعة شمالا كلها تقريبا مرتفعات. الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 26.

3 - بالهاشمي بن بكار، كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربع كتب. تلمسان: مطبعة ابن خلدون، 1961. ص: 35.

4 - ذكر ابن مريم في ترجمته لمحمد بن يحي بن موسى المغراوي الراشدي (ق10هـ)، المتبحر في علم التوحيد، بأنَّه دخل رفقة زميل له من الراشدية إلى تلمسان وأخذا عن السنوسي، وهما اللَّذان أوصلا علم التوحيد إلى بني راشد. البستان، ص: 275.

5 - أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني (986هـ/8- 1579م- 1041هـ/ 1631م): قرأ على علماء تلمسان والمغرب. ترك عدة مؤلفات في علوم مختلفة أشهرها: نفح الطيب، وفتح المتعال، وأزهار الرياض، وإضاءة الدجنة. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص- ص: 302- 311.

6 - المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص، ص: 170، 171.

الوهاجة" ثم أضاف قائلا بأنَّ:" المشارف كلهم حازوا الرِّياسة على سائر شرفاء الراشدية، ولذلك كانت نقابة الأشراف فيهم لا تتعداهم ولا تخرج منهم، وحصرها بينهم ملوك الأتراك (يعني بايات الغرب)"[1].

ويُعَّد الشيخ عبد القادر المشرفي[2] الملقب بإمام الراشدية أبرز علماء هذه الأسرة. فقد كان متظلعا في علم الأصول والفروع، ولهذا اختاره الشيخ مصطفى بن مختار الراشدي - جد الأمير عبد القادر- للتدريس بمعهد القيطنة عند تأسيسه له[3]، ثم أسَّس لنفسه زاوية دينية ومعهدا علميا بمسقط رأسه "الكرط"، أصبح في مستوى زاوية ومعهد القيطنة[4]. وكان مواظبا على بَّثِ العلم " فلا تخلوا زاويته من مائتي طالب في بعض الأوقات"[5]. ولكن على الرَّغم من ذلك لم أتوّصل إلى إجازاته لطلبته.

وتوارث أبناءه وأحفاده العلم من بعده، ومن أبرزهم حفيده العلامة محمد بن عبد الله مصطفى سقاط المشرفي[6]، شيخ الجماعة بمدينتي معسكر ووهران بعد فتحها. وقد درَّس في "التلخيص" و"جمع الجوامع"[7]، وفي "تفسير البيضاوي"[8]. ووصفه المشرفي بانفراده " في وقته بعلم المعاني والبيان وعلم المنطق "[1].

---

[1] - أبو حامد المشرفي، « ياقوتة النسب الوهاجة، وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد مولى مجاجة ». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 3326. الورقة: 13و، 13ظ.

[2] - عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشرفي (ت رمضان 1192هـ/ أكتوبر 1778م): ولد بالكرط قرب معسكر، ونشأ وتعلم بالمنطقة، ثم درَّس بها. من أشهر تلامذته الشيخ أبو راس الناصري. كما شارك في مقاومة النصارى الإسبان بوهران. مؤلفاته عديدة منها: رسالة في التشهير بالقبائل التي تتعاون مع الإسبان سماها " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر". سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي، ص- ص: 412- 414؛ يحي بو عزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1995. ج2، ص: 231.

[3] - ابن سحنون، الثغر الجماني، (مقدمة التحقيق)، ص: 33.

[4] - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص: 231.

[5] - أبو حامد المشرفي، المصدر السابق، ورقة: 11و.

[6] - محمد بن عبد الله مصطفى سقاط المشرفي: اشتهر بالتظلع في علوم اللغة. وقد ظل شيخا للجماعة في بداية الاحتلال الفرنسي، وأوفده الأمير عبد القادر سفيرا إلى سلطان المغرب العلوي مولاي عبد الرحمن هشام، فنظم فيه هذا الأخير قصيدة. وبعد انتهاء المقاومة استقر بمكناس إلى وفاته. المشرفي، المصدر السابق، ورقة: 11 ظ؛ الكتاني، فهرس الفهارس، 2: 578؛ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص: 232.

[7] - جمع الجوامع في أصول الفقه لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي المصري (729/ 1327م- 771هـ/ 1370م): من مؤلفاته أيضا " رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، وطبقات الفقهاء الشافعية. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص- ص: 425- 428؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص: 283.

[8] - عبد الله عمر بن محمد بن علي المعروف بالبيضاوي(ت 685 أو691هـ): صنف مختصر الكشاف،

وتتلمذ الشيخ سقط المشرفي على علماء الراشدية؛ كالشيخ محمد أبو راس الناصري، وقيل أنَّ هذا الأخير، كان يبيت مُجِّدا في المطالعة فتشفق عليه ابنته، وتستعطفه في الاقتصار فيقول لها": كيف ينام والدك وخلفه سقط؟ "[2]. وممَّن أجازه من علمائها الشيخ: محمد الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن دح المشرفي المعسكري، وعبد القادر بن محمد السنوسي بن محمد المعروف بابن عبد الله ابن محمد، المعروف بالهاشمي بن زرفة الراشدي المعسكري[3].

ومن علماء الراشدية المدرسين أيضا الشيخ عبد القادر بن دحو، الذي قرأ عليه الشيخ أبو راس الناصري" الألفية قراءة بيِّنة بالنقول وفية من أولها إلي نصف الإضافة"، واكتفى الشيخ بتدريسه هذا الجزء، وقال له:" يكفي هذا وستبلغ أعلى المراقي" وأجازه بالباقي[4].

هذا، وظَّل موضوع الجهاد ضِّد النصارى الإسبان الشغل الشاغل للعلماء الجزائريين فشاركوا بأنفسهم في حركة الجهاد، وخاضوا المعارك وألَّفوا الكتب، ونظموا الأشعار لإلهاب الحماس والتحضير للمقاومة، بل وكوَّنوا رباطا لهم قُرب وهران، دُعي برباط الطلبة يقيمون به، ويشنون الحروب على المحتلين الإسبان[5]. ومن أبرز العلماء المدرسين بالرباط الشيخ العلامة مصطفى الرُماصي[6]،

والمنهاج في الأصول، وشرحه أيضا، وشرح المطالع في المنطق. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص: 51.

[1] - المشرفي، « ياقوتة النسب الوهاجة»، ورقة: 11 ظ.

[2] - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص، ص: 577، 578.

[3] - عبد الحي الكتاني، المرجع نفسه، ج2، نفس الموضع.

[4] - أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، ص: 65.

[5] - يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ص: 230.

[6] - أبو الخيرات مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي(ت 1136هـ/ 1723م): أخذ عن شيوخ مازونة، وعن شيوخ مصر كالشيخ الخرشي والزرقاني. له حاشية على شرح الشمس التتائي على المختصر، وكفاية المريد على شرح عقيدة التوحيد. مخلوف، شجرة النور، ص: 334؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 442؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 193.

المعروف بتبحره في الفقه المالكي داخل الجزائر وخارجها[1] فكان بذلك مرجع الفتوى في عصره[2].

وقد تصدى الرُماصي للتدريس بمعسكر، وبقمم جبال الراشدية أثناء الفتح الأول لوهران[3]. وهناك اجتمع به الرَّحالة المغربي عبد الرحمن الجامعي، وذكره في "شرحه على أرجوزة الحلفاوي" بقوله:" كنت وفدت على العالم الراوية، النقاد منهل العلم الأصفى أبي عبد الله سيدي محمد المصطفى الرماصي، فوجدته يسكن بأهله بيوت الشعر، قرب غابة في رأس جبل يأوي إليهم ليلا، ويظل بالنهار في داره ومسجده، يطالع كتبه ويقرئ طلبته، فسألته عن ذلك فقال: كنّا على هذه الحالة على عهد الإسبانيين خوفا منهم، فإنَّنا كُنَّا لا نأمن في الدور من أن يصلونا ليلا، فخرجنا لبيوت الشعر، ليسهل علينا الفرار لغابة الجبل"[4].

ومن جملة تلامذته الشيخ محمد بن علي الشريف الجعدي الجزائري، الذي قرأ عليه[5]: "الألفية بالمرادي"، و"جمل المجرادي"[6]، و"صغرى السنوسي" بشرح مؤلفها، و"حاشية الرماصي" عليها، وبعض من صحيح البخاري، فأجازه فيما قرأه عليه. وممَّا ورد في إجازته له قوله:" أجزته في جميع مروياتي، وفيما أجازني فيه

---

[1] - اشتهر خلال العهد الذي ندرسه حاشيته على شرح التتائي على المختصر، واعتمد عليها العلماء في الفقه المالكي، كالشيخ البناني الفاسي الذي اعتمد عليها في شرحه على مختصر خليل، كما اعتمد عليها الشيخ الدردير المصري في شرحه على مختصر خليل، وكان يقول:" إن صاحبها محقق تغنيني عن غيرها ". البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص: 171.

[2] - ذلك ما نستنتجه من رسالة بعث بها لتلميذه الشيخ أحمد بن عامر البرجي (ت 1150هـ/ 1737م) يؤنبه على فتوى أصدرها، ورد فيها قوله:" لكن استغنيت بنفسك، واستقللت بفهمك على عادتك، إذ أنت قد أحللت نفسك للفتوى، لم تسألني عن مسألة، ولم تباحثني في قضية، والأئمة ترد عليّ أسئلتهم من تلمسان ومن المغرب الأقصى ومن الجزائر، والإخوان عن يمينك وعن شمالك تباحثني مكاتبة ومشافهة..." المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص: 172.

[3] - احتل الإسبان وهران سنة 914هـ/ 1508م، وتم طردهم منها سنة 1119هـ/ 1707م في عهد الباشا محمد بكداش، و مصطفى بوشلاغم باي الناحية الغربية، وبهذا تكون مدة احتلالهم لها قرنين وأربع سنوات، وخصص له الكتاب والشعراء عدة تآليف وقصائد. ابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص، ص: 235، 236.

[4] - أحمد بن محمد الراشدي، الثغر الجماني، ص، ص: 30، 31.

[5]- عُرف الجعدي بالجزائري نسبة إلى مدينة الجزائر. ومن المحتمل أن تكون قراءته على الرماصي بوطن الراشدية بعد فتح وهران وذلك أثناء رحلة الجعدي إلى فاس، التي كان موجودا بها سنة 1133هـ/ 1720م. الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص: 543.

[6]- لامية الجمل لمحمد بن محمد بن محمد بن عمران الفزازي السلاوي، المعروف بالمجرادي: (ت 778هـ/ 1376م). رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص: 684.

أشياخي، منهم باللسان، ومنهم بالبنان[1] من توحيد وفقه، وحديث ونحو، ولغة وبيان معان، ومنطق وقراءات"، إلى أن قال:" وأكثر قراءاتي في العقائد السنوسية على الشيخ المحقق الولي الصالح سيدي محمد بن علي بن الخروبي القلعي. أما البُخاري فأخذته عن سيدي محمد بن الشارف المازوني[2]، وبعضه عن سيدي عبد الرحمن أبي زيد الراشدي"[3].

ومع غلبة علم الظاهر على الرُماصي فقد كان من العلماء المتصوفة، ولهذا أجاز لتلميذه المذكور أيضا إجازة صوفية؛ ممَّا ورد فيها قوله:" وبعد، فيقول عبيد الله سبحانه وتعالى محمد بن عبد الله بن مؤمن الرُماصي، قد طلب مِنِّي ولدي سيدي محمد بن علي الدخول في سلسلتنا في العبادة وأخذ الخرقة، فأسعفته في ذلك" إلى أن قال: " وقد أخذت الطريقة عن الشيخ القطب الرباني سيدي محمد الصحراوي نزيل قلعة مأمون ببلاد منداس"[4]. ثم بين ما على المُجاز له من صلاة و صيام وأذكار، وِفْقا للطريقة التي أجازه بها.

ومن أبرز علماء معسكر المدرسين بالرباط أثناء الفتح الثاني لوهران[5] الشيخ محمد الموفق بن محمد المعروف بأبي الجلال[6]. وقد ذكره تلميذه الشيخ أحمد ابن سحنون الراشدي[7] قائلا:" وهو الآن كهف إليه الملاذ "[1]. ونظرا لمكانته العلمية

---

1 - البنان: الأصابع، ومفردها البنانة وهي الإصبع كلّها. ابن منظور، لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله الفيلالي- تركيب: يوسف الخياط. بيروت: دار الجيل- دار لسان العرب، 1988. ج: 13(ن- هـ) ص، ص: 59، 60.

2 - محمد بن الشارف المازوني مؤسس مدرسة مازونة الفهية، ينظر ص: 80 من هذا الفصل.

3 - الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص: 541.

4 - الحفناوي، المرجع نفسه، ج 2، ص، ص: 451، 452.

5 - احتل الإسبان وهران من جديد سنة 1144هـ/ 1731م، وظلوا بها ربع قرن إلى أن أخرجوا منها نهائيا سنة 1206هـ/1791م على يد الباي محمد بن عثمان الكبير الكردي- باي الأيالة الغربية-، فتسابق الكتاب والشعراء إلى تخصيص هذا الفتح بعدة تآليف. ابن سحنون، الثغر الجماني، (من مقدمة التحقيق)، ص: 9.

6 - ابن عبد الله محمد الموفق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد، تعلم على شيوخ بلده، ثم على شيوخ فاس والحجاز عند أدائه فريضة الحج، ثم عاد إلى بلده ودرس بها. له رسالة قيِّمة رد فيها على زميله أحمد التيجاني- مؤسس الطريقة التيجانية-، وعلى الرغم من شهرته فلم يحض بترجمة في كتب المصادر، وقد اشتكى من ذلك الشيخ المهدي البوعبدلي. ابن سحنون، الثغر الجماني، ص، ص: 63، 228.

7 - أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي توفي بعد عام 1211هـ/1796: ينتمي إلى أسرة علمية، حيث كان والده قاضي قضاة معسكر. نشأ بمعسكر ودرس بها، وكان من ملازمي بلاط الباي محمد الكبير. وتولى وظيفة الكتابة لهذا الباي1193-1211هـ/1779- 1796م، ودرس في الرباط أثناء محاصرة الباي لوهران 1203هـ/ 1789م. له عدة مؤلفات منها الثغر الجماني، وعقود المحاسن. سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ص- ص: 439 -441.

اختاره باي الغرب محمد بن عثمان بالمعروف بمحمد الكبير(2) لإدارة مدرسته المحمدية(3)، التي بناها قرب مسجده الذي أسّسه على أنقاض الجامع العتيق بمعسكر. ولمَّا عزم على طرد الإسبان من وهران فكَّر في إحياء الرباط بجبل المائدة، فوقع اختياره على مدير المدرسة محمد بن عبد الله الجلالي رئيسا للرباط، وعيَّن له مساعدين(4)، ومنع الناس من التدريس في المدن، وأن لا يكون التدريس إلاَّ في ذلك الجبل(5).

وقد درس على الشيخ محمد الجلالي عدد من الطلبة منهم: الشيخ أحمد بن محمد الراشدي، المعروف بابن سحنون مُؤلف "الثغر الجماني "، الذي استجازه بعد أن لازمه عدة ليال وأيام، فأجازه وكتب له بذلك في 26 ربيع الثاني سنة 1203هـ/1788م. وبعد أن ذكر الشيخ المُجيز استدعاء ابن سحنون له قال:" فحينئذ قلت قد أجزت ولدنا فيما قرأ عليّ، وفيما تحصل لي وانتهى إلي، من أصول وفروع، ومروي ومسموع، أو مؤلف وموضوع، ولبيت دعوته، وقبلت طلبته وقلت: قد أجزت الفقيه المذكور في جميع ذلك ما حضر قراءته علي وما لم يحضره إجازة تامة، مطلقة عامة "(6).

ثم استعرض الكتب التي قرأها عليه ليستحق إجازته بقوله:" وقد كان قرأ عليَّ أكثر صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري درسا، وسمع باقيه بحضرتنا، وأكثر القرآن العظيم درسًا، وقرأ علينا أوائل "كبرى الشيخ السنوسي"، ومعظم "جمع الجوامع"، بل معظم شرحه لجلال الدين المحلى، وكل "جوهرة"

---

1 - ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 228.

2 - محمد بن عثمان الكبير تولى بايليك الغرب في جمادى الثانية 1193هـ، وظل به إلى أن توفي سنة 1213هـ. اهتم اهتماما بالغا بالعلم؛ فبنى ورمم المساجد والمدارس. سحنون، المصدر نفسه، ص: 126-133؛ الزهار، مذكرات الزهار، ص: 63؛ الزياني، دليل الحيران، ص- ص: 199- 204.

3 - وصفها ابن سحنون بقوله:" المدرسة التي كاد العلم أن يتفجر من جوانبها". وكانت تقع بجانب مسجده الأعظم الذي أسسه على أنقاض المسجد العتيق، وقد جعل بجانبه خزانة كتب، كما جعل من بين موظفيه أربعة مدرسين ورتب لهم رواتبا. الثغر الجماني، ص: 127.

4 - ابن سحنون، الثغر الجماني، (مقدمة التحقيق)، ص، ص: 62، 63.

5 - أحمد بن سحنون، المصدر نفسه، ص: 233.

6- أحمد ابن سحنون، المصدر نفسه، ص- ص: 229 -231.

الأخضري و"سلمه"[1]، وباحثنا في أكثر "السعديين" وحواشيهما حال قراءة الجوهرة. كما قرأ علينا جميع " ألفية ابن مالك" مُباحثا أكثر شروحها. كما قرأ علينا "رسالة الوضع"، ونخبة بن حجر[2]، قراءة تحقيق في الجميع، وغير ذلك ممَّا أجزناه فيه، إجازة تامة شاملة عامة"[3].

ومن بين تلامذة الشيخ محمد الجلالي الذين أجازهم بعد فتح وهران الشيخ عبد القادر بن عبد الله الراشدي المعسكري، الذي كتب له الإجازة في جمادى الأخيرة سنة 1215هـ/1800م. وهي الإجازة التي عدّد فيها المشايخ الذين أجازوه، من أهل فاس وتونس ومصر، والمدينة المنورة. ثم أجازه بعدما بيّن ما الذي أخذه عليه بقوله:" بعد أن جالسنا في ألفية ابن مالك مجالس عديدة، وسلك معنا في المسائل الكثيرة، أحسن المسالك، وظهرت نجابته فيما هنالك، فأجزته في الفقه والنحو والكلام"[4].

إنَّ إجازتي الشيخ محمد الجلالي لكل من ابن سحنون والراشدي إجازات تعليمية، كتبها لهما بعد أن قرءا عليه « قراءة تحقيق » خبر خلالها مستوى كل منهما.

2- إجازات علماء مدينة مازونة:

كانت مدرسة مازونة[5] على درجة كبيرة من الأهمية في النواحي الغربية للجزائر، وكان لها نظام راسخ، وتقاليد متينة استمَّدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان

---

[1] - عبد الرحمن الأخضري: ولد في بنطيوس من قرى بسكرة. وذهب معظم من ترجموا له إلى أنه عاش ثلاث وثلاثين سنة فقط (920- 953هـ)، ولكن نضجه العلمي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان قد تقدم في السن. قضى حياته في التعليم والتأليف في زاوية عائلته في بنطيوس. وقد أثر بعلمه أكثر ممَّا أثر بتصوفه. من تآليفه: " الدرة البيضاء في الحساب والفرائض"، والجوهر المكنون في الثلاثة فنون: المعاني والبيان والبديع" و" السلم المرونق في علم المنطق" والمنظومة القدسية في طريق السنة". الحفناوي، تعريف الخلف، ج1: 67؛ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص- ص: 500- 502.

[2] - الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المصري المعروف بابن حجر (773- 852هـ). السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص: 310؛ البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص: 217.

[3]- أحمد ابن سحنون، الثغر الجماني، ص- ص: 229 -231.

[4] - المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ ، ج4، ص، ص: 150، 151، وينظر الفصل الرابع ص: 244.

[5] - مازونة مدينة عتيقة، وهي تقع نحو أربعين ميلا من البحر المتوسط. وقد اتخذت مقرا لحكم القطاع الغربي وتولى عليها ثمانية عشر بايا. أولهم حسن بن خير الدين سنة 971هـ/ 1563م، وآخرهم الباي مصطفى أبو الشلاغم الذي نقل في أيامه كرسي الأيالة الغربية إلى القلعة ثم إلى معسكر. الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 36؛ الزياني، دليل الحيران، ص، ص: 192، 193.

والأندلس والمغرب الأقصى. واستمرت تشع بالمعرفة حتى بعد انتقال العاصمة الإقليمية من مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران، فكانت مقصد طلاب النواحي الغربية، ولا سيما من ندرومة ومستغانم وتنس وتلمسان ووهران[1].

وتُعَّد هذه المدرسة من أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني، حيث تُشير لوحة التدشين[2] الموجودة بمدخلها، وإحدى الوثائق التاريخية[3] إلى أنّها تأسست من طرف الشيخ محمد بن الشارف المازوني في سنة 1029هـ/1619م، فدرَّس بها مؤسسها حوالي أربع وستين سنة[4]، وعنه تخرَّج الحافظ مصطفى الرُماصي. توارث أبناؤه المدرسة، وتداولوا على التدريس بها. وأبرزهم الشيخ محمد بن علي المعروف بأبي طالب[5]، الذي أصبح على رأسها منذ سنة 1189هـ/ 1775م، وخلفا لوالده. وبقي مدرسا بها أربعة وأربعين سنة إلى وفاته[6].

وقد اشتهرت مدرسة مازونة بالحديث وعلم الكلام، وخاصة بالفقه حتى قيل «مازونة بلد الفقه بالقطر الجزائري »[7]. وازدهرت حلقات الدروس بها خلال القرن الثاني عشر الهجري، وهو ما نستنتجه من خلال المشوار الدراسي لأبرز خريجيها الشيخ أبو راس الناصري؛ الذي درس على شيوخ بلده معسكر، ولما ذُكِرَت له مازونة "وكثرة مجالسها ونجابة طلبتها، وقريحة أشياخها " سافر إليها. وفيها درس

---

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 285.

2 - توجد حاليا بالجهة اليُمنى عند مدخل المسجد. وقد وضعت في النصف الأول من القرن 20 م من طرف أحد أفراد هذه الأسرة.

3 - عددَّ فيها مؤلفها أساتذة مدرسة مازونة، منذ نشأتها إلى تاريخ تحرير الوثيقة وهو سنة 1910م، مبتدئا بمؤسسها ابن الشارف المذكور، ثم ابنه السد عبد الرحمن، ولما توفي تولى التدريس ابنه السيد علي، والد الشيخ أبي طالب، وهكذا إلى سنة تحرير الوثيقة. الوثيقة مصورة في الملحق (أ) لرسالة ماجستير في علم الاجتماع بجامعة وهران تحت عنوان:« مدرسة مازونة الفقهية»، من إعداد الطالب: بوكفة يوسف، السنة الجامعية (2003- 2004).

4 - ورد في هذه الوثيقة أنَّ محمد بن الشارف المازوني بنى المدرسة من ماله الخاص، ودرس بها أربع وستين سنة، وأنه توفي سنة 1164هـ. ولكن يظهر أنه وقع تصحيف في تاريخ الوفاة، ذلك أنَّه أسس المدرسة سنة 1029هـ، والفرق بين تاريخ التأسيس، وتاريخ الوفاة 135 سنة، وهذا غير منطقي. ولعل الأقرب إلى الصواب هو سنة 1093هـ كتاريخ وفاة وذلك بالجمع بين تاريخ التأسيس (1029هـ) ومدة تدريسه بالمدرسة (64 سنة).

5 - أبو طالب محمد بن علي المعروف بابن الشارف المازوني (1103- 1233هـ): شارك في محاربة الغزو الإسباني لوهران مع جند الباي محمد الكبير باي وهران سنة 1205هـ. من مؤلفاته: حاشية على شرح الخرشي. محمد أبو راس، فتح الإله، ص: 46؛ الكتاني، فهرس الفهارس،ج1، ص: 506؛ ابن سحنون، الثغر الجماني، ص: 234.

6 - بوكفة يوسف، « مدرسة مازونة الفقهية»، الملحق (أ).

7 - الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص: 506.

على عدد كبير من العلماء، الذين تخصص جُلُهم في الفقه المالكي، وبالأخص بإقرائهم كتاب "مختصر خليل "[1].

ويُعَّد الشيخ أبو طالب محمد بن علي[2] من أشهر المدرسين بمازونة. ونظرا للجهود التي قام بها في الجهاد ضِدّ النصارى في الرباط بوهران، وسَّعت له السلطة العثمانية المدرسة ببناء بيوتها وجامعها. وقد كان عدد الطلبة بالمدرسة في حياته كبيرا، فقد أخذ معه إلى الرباط بوهران مائتي طالب[3]. وأكثر تلامذته شهرة: محمد ابن علي مؤسس الطريقة السنوسية، ومحمد أبو راس الناصري، إلاَّ أنَّ هذا الأخير لم يحضر مجالسه إلاَّ لفترة وجيزة، ثم انقطع عنها، واعترض عنه لما كان " يدَّعيه من إشارات غيب"[4]، ولذلك يُستبعد حصوله على إجازة منه.

أمَّا الشيخ محمد بن علي السنوسي، فقد قرأ عليه النصف الأول من "مختصر خليل" مرارًا، وكان يلتزم شرح الخرشي[5] غالبا مع حاشيته عليه. ثم أناب الشيخ حفيده الشيخ أحمد بن هني للتدريس، فقرأ عليه ابن علي السنوسي- على سبيل النيابة - النصف الثاني من المختصر مرارًا. وسمع ابن السنوسي على شيخه بالإضافة إلى الكتاب المذكور مجالس من صحيح البخاري، ومثلها من صحيح مسلم والموطأ، وأخذ عليه التوحيد، وناوله شرحه الكبير على صُغرى السنوسي، كما ناوله صحيح البخاري وصحيح مسلم، وحاشيه على الخرشي، وهي في جزأين، وأجازه في ذلك كله، آمرًا له

1 - من شيوخها الذين درس عليهم أبي راس: الفقيه ابن علي بن أبي عبد الله المغيل، والشيخ العربي بن نافلة والشيخ محمد الصادق بن آفغول الذي انتهت إليه– حسب أبي راس:" رئاسة التدريس، وشدت إليه الرحال من حوالي زواوة وغريس". وعقدت حلقات الدروس أخرى بضواحي مدينة مازونة. ومن شيوخ قرية الغيران القريبة منها: الشيخ مصطفى بن هني، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ مصطفى بن يونس. كما كان للمقرئ الشيخ ابن قندوز التوجيني معهدا ضواحي مدينة البطحاء يتعلم فيه القرآن نحو أربعمائة طالب، عندما ألقت عليه السلطات العثمانية القبض وأعدمته. أبو راس، فتح الإله ومنته، ص- ص: 43- 46؛ ابن سحنون، الثغر الجماني، ص: 50.

2 - خلَّد الشيخ عبد القادر بن المختار الخطابي أسانيد ابن الشارف بكتابه «الكوكب الثاقب بأسانيد أبي طالب »، مخطوط بحوزة الشيخ أبو عبد الله شراك إمام مسجد شرايفية بالمدينة الجديدة وهران.

3 - ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 234.

4 - أبو راس، المصدر السابق، ص: 46.

5- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي (1010- 1101هـ): شيخ المالكية بمصر، تصدر للإقراء بالأزهر. من مؤلفاته: شرحان على مختصر خليل كبير وصغير. المرادي، سلك الدرر، ج4، ص: 78؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 317.

بإقراء ما قراه عليه، وبمراجعة عليه ما قرأه على حفيده من شرح الخرشي[1]. فهي إذن إجازة تعليمية.

وتولى حفيده الشيخ أبو العباس أحمد بن هني هو الآخر التدريس في المدرسة، فأخذ عليه عدد من العلماء كالشيخ محمد بن أبي الحسن العبادي[2] الذي ورد إلى مازونة للاستزادة على علمائها، فدرس على الشيخ المذكور، وأجازه إجازة عامة[3]. كما درس عليه الفقيه محمد الحرشاوي الندرومي[4]، وأخذ عنه مختصر خليل، فأجازه بما سمعه منه[5].

3- إجازات علماء مدينة تلمسان:

كانت مدينة تلمسان[6] - عاصمة الدولة الزيانية- من الحواضر الثقافية الكبرى في المغرب الأوسط، وبدخول العثمانيين إليها فقدت مكانتها السياسية والثقافية، نتيجة لاضطراب الوضع السياسي، وكثرة الفتن الداخلية[7]. كما لم تسلم من الحملات المتكررة التي نظَّمها ضدها ملوك المغرب الأقصى[8]. وظلت المدينة مهزومة

[1] - البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص، ص: 196, 197.

[2] - أبو عبد الله محمد بن علي البحيري الصابري العُبادي الدار، درس على جملة مشايخ منهم والده، كما درس بالثغر الوهراني، ودرّس بزاوية عمه المدعو أبي العباس أحمد بن أبي سيف بالعين الكبيرة بجبل أترار بنو ولهاص. الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 344.

[3] - الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 344.

[4] - المدرس بالجامع الأعظم، درس في مازونة أيضا على الشيخ العباس بن رحال الندرومي، ثم رحل إلى فاس وأخذ على علمائها. الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 367.

[5] - الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 367.

[6] - تلمسان: مدينة كبيرة، توسعت أيام بني عبد الواد حتى أصبح فيها ألف كانون في القرن 8 هـ، بها خمسة أبواب. ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج2، ص: 17.

[7] - شهدت تلمسان أوائل القرن 10هـ اضطراب، نتيجة اقتتال أفراد الأسرة الزيانية الحاكمة على العرش، فاستنجد سكانها بعروج بربروس، فتمكن من إعادة الهدوء إليها، ولكن ما إن علموا بنواياه بضم المدينة إلى إيالة الجزائر تخلوا عنه، فتمكن أبو حمو بمساعدة الإسبان من الاستيلاء على تلمسان بعد قتل عروج في سنة 924هـ/ماي1518م. وكانت هذه الأحداث بداية الفوضى التي عرفتها المدينة عند دخول العثمانيين إليها، والتي سوف تستمر لسنوات عدة. وقد استعمل الولاة العنف اتجاههم فتأزم الوضع أكثر. من الثورات الداخلية التي شهدتها تلمسان: ثورة سنة 1085هـ/1674م. وحتى مع الهدوء النسبي الذي سادها خلال القرن 12هـ، عرفت بعض الاضطرابات منها محاولة القائد رجم البجاوي الاستقلال بها سنة 1171هـ، فبعث علي باشا جيشا أرجع المدينة إلى حكم الطاعة، وأعدم قائدها. الزهار، مذكرات الزهار، ص: 18؛ القادري، نشر المثاني، ج1، ص: 217. توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة، ص- ص: 187- 196.

[8] - من هذه الحملات: حملة الشريف محمد المهدي بقيادة ابنه الذي حاصر المدينة تسعة أشهر، وتمكن من دخولها سنة 957هـ، وحملة سنة 1068هـ، حملة سنة 1085هـ، حملة سنة 1091هـ. الناصري، الاستقصاء، ج5، ص: 25؛ القادري، المصدر السابق، ج1، ص: 217؛ وج2، ص: 87.

سياسيا وثقافيا طيلة العهد العثماني[1]، بشهادة أبنائها والطارئين عليها. وممَّن اضطر إلى مغادرتها إلى المغرب الأقصى الشاعر سعيد المنداسي[2] الذي نظم العديد من القصائد التي عكست أحداث عصره، وهذا ما عبَّر عنه في قصيدته النونية الشهيرة " الإعلام فيما وقع للإسلام من قِبَل الترك في تلمسان "؛ وممَّا جاء فيها قوله[3]:

وأكبر شيء أفسدته أكفتهم   تلمسان عين الغرب علما وإيمانا

وكانت لهم لمّا أرادوا إفسادا   أراذل منها كالبطارق أعوانــا

ودخلها الشيخ أبو راس الناصر في أواخر القرن الثاني عشر الهجري (18م)، وعبّر عمّا آلت إليه في عهد العثمانيين، قائلا - بعدما ذكر أمجادها في العهود السابقة-" أمَّا الآن فهي كأمس الدَّابِر، والميت القابر، قد استولى على أكثرها الخراب، وناح على عروشها الغراب، فأصبحت خامدة الحسّ، ضيقة النفس، كأن لم تكن بالأمس"[4]. وأقام بها الرَّحالة المغربي أبو القاسم الزياني أزيد من سنة[5]، ووصف طلبتها بقوله:" هؤلاء الطلبة الذين بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقا، ولا لغة، ولا عربية، ولا إصلاح اللسان، ولا يتعاطون الفروع الفقهية، والأحاديث النبوية"[6].

وهكذا فإنَّ الجو السياسي لم يكن ملائما للاستقرار بتلمسان ونواحيها عقب استيلاء العثمانيين عليها، ولهذا هجرها العديد من العلماء، وظلت موجة الهجرة نحو

---

[1] - على الرغم من أنَّها لم تسترجع مركزها الثقافي والسياسي، إلا أنّها عرفت انتعاشا ملحوظا في الميدان الاقتصادي. المهدي البوعبدلي، " التعريف بمدينة تلمسان وولايتها عبر التاريخ ". أعمال الملتقى التاسع للفكر الإسلامي" تلمسان" جويلية 1975م. قسنطينة: مطبعة البعث، 1979. مج4، ص: 1367.

[2] - أبو عثمان سعيد بن عبد الله التلمساني(ت 1088هـ/1677م): هجر تلمسان على إثر القمع والمصادرة التي التي تعرض لها سكان المدينة من طرف القائد حسن على عهد الداي عثمان باشا حوالي (1060هـ /1650م)، ولحق ببلاط الملك محمد بن عبد الله العلوي، ثم ببلاط مولاي اسماعيل. سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ص: 370.

[3] - سعيدوني، المرجع نفسه، ص- ص:370- 374.

[4] - أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، ص: 108.

[5] - سجل انطباعاته عنها في قصيدة هجا فيها قاضي المواريث بها. ومما ورد فيها قوله: (الترجمانة، ص: 142).

« كانت تلمسان بالأعلام صائلة ⬥ وبالجياد ولم تربط بها الحمر

أصابها المسخ إذ عادت تباع بها ⬥ مناصب العلم للأجلاف والخور

وكيف لا وجنود الترك حولكم ⬥ تسوقكم بعصي الخسف لا تذر »

[6] - أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، ص: 142.

المغرب الأقصى مستمرة حتى بعد أن استقرت الأوضاع للعثمانيين بها[1]. وهناك عائلات انتقلت بأسرها إليه، ولاسيَّما إلى فاس[2].

إنَّ فقدان المدينة لزعامتها السياسية ولموروثها الثقافي، لا يعني أنَّها استسلمت نهائيا لمآلها، فقد استرجعت بعض مآثرها، بفضل جهود من آثر الاستقرار بها من العلماء[3]، وبفضل نشاط مؤسساتها التعليمية، ولهذا قال " ايمريت مارسيل" بأنَّها كانت مركزا فكريا، وبأنَّ التعليم الثانوي والعالي فيها كان متوفرا لستة مئة طالب في مدرستي الجامع الكبير، ومدرسة أولاد الإمام[4]. وأضاف قائلا بأنَّه وجد بضواحيها بالإضافة إلى الزاوية المشهورة المعروفة بزاوية عين الحوت، حوالي ثلاثين زاوية[5].

وممَّا يؤكد احتفاظ تلمسان ببعض مآثرها؛ شَدُّ الرحال إليها من طرف بعض علماء المغرب الأقصى. فقد أخذ على علمائها - خلال هذه الفترة العصيبة من تاريخها- الشيخ عيسى بن محمد البطوئي صاحب "مطلب الفوز والفلاح" (ت1040هـ/1630م)[6]، والشيخ أحمد بن إبراهيم الراسي (ت 1039هـ/1630م) الذي درس بها سنين عديدة، ثم رجع إلى بطوية [7] بلده حوالي عام 996هـ/ 1588م.

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 423 .

2 - عد عبد الكبير الكتاني في كتابه" زهر الآس في بيوتات فاس" حوالي 25 عائلة بفاس وحدها تعود أصولها إلى تلمسان استقرت هناك. مثلا ج1، الصفحات: 395، 406، 561، 565.

3 - يذهب المهدي البوعبدلي إلى أنَّ هؤلاء العلماء كانوا يُحسون بذلك الفراغ الذي ساد عاصمتهم، ولعَّل ذلك كان سبب، الخلاف بينهم وبين علماء الراشدية الذي أنفوا من مزاحمتهم لهم في الميدان الثقافي، وتجلى ذلك الخلاف في عدة مظاهر، منها: انتصارهم لشرح الخرشي على مختصر خليل في الفقه، عندما حمل عليه عالم الراشدية الفقيه مصطفى الرُماصي؛ الذي ألف رسالة أحصى فيها أخطاء الخرشي فيه، وكان على رأس المنتصرين للخرشي من علماء تلمسان قاضيها الفقيه محمد بن عبد الرحمن؛ الذي تصدى لشرحه. الجزائر في التاريخ، ج4، ص، ص: 169، 170.

4 - زارها أحمد المقري رفقة جملة من العلماء في حدود سنة 1010هـ ووصف وضعيتها بالتدهور، فلعلها حظيت بالاهتمام خلال القرن 12هـ. أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تح: محمد بن معمر. سيدي بلعباس (الجزائر): مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2004. ص: 40.

5 - Emerit Marcel, L' Algérie à l époque d' abd – El- Kader, p: 13.

6 - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص، ص: 455، 456.

7 - تقع بطوية أو بطوئة في الساحل الشمالي من غرب مليلية، وهي من المراكز الفكرية القروية بالمغرب. حجي، المصدر نفسه، ج2، ص: 455.

أمَّا العلامة محمد اليستني فقد دخلها أثناء رحلته إلى المشرق سنة 928هـ، وسمع بها على الشيخين: محمد بن موسى مفتي تلمسان وسعيد المنوئي[1].

ومن العلماء المدرسين بها خلال القرن العاشر للهجرة الشيخ أحمد بن محمد العبادي[2]. وقد كان ابنه العلامة أحمد[3] من جملة تلامذته، فأجازه في " الحاجبين " الأصلي والفرعي، عن شيخه محمد بن عيسى البطوئي[4] السابق الذكر. فهي إجازة خاصة بالكتابين المذكورين. كما أجازه إجازة صوفية عن الشيخ محمد بن سليمان الجزولي صاحب " دلائل الخيرات "[5].

ومن العلماء المدرسين بضواحي المدينة: الشيخ الإمام محمد بن منصور المستغانمي[6]. وكان الشيخ محمد بن علي الصبَّاغ القلعي[7] صاحب "الدّرة الصباغية في شرح الجرومية "[8] من جملة تلامذته. وقال في مقدمة كتابه المذكور بأنه قرأ عليه إعراب الأجرومية من أوله إلى آخره، فأجازه فيه[9]. فهذه إجازة قراءة خاصة بهذا المُؤَلَّف.

1 - أحمد المنجور، فهرس المنجور، ص: 31.

2 - أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي (ت932هـ): ودفن بتلمسان. نظرا لمكانته قدمه الناصر بن الشيخ الوطاسي للتدريس في جامع القرويين مع توافر العلماء به، فأخذ عليه عدد من أعلام المغرب كالشيخ أبي محمد الهبطي، وأخذ العبادي بدوره التصوف عن الهبطي. أحمد بن عسكر، دوحة الناشر في محاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي. الدار البيضاء (المغرب): منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، (ط3)، 2003. ص: 108.

3 - أحمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي (ت 985هـ/ 1577م): رحل إلى فاس سنة 968هـ، وأكرمه السلطان الغالب ولمشاكل حدثت له بفاس رجع إلى تلمسان، ومنها إلى مليانة. ابن عسكر، المصدر نفسه، ص: 107.

4 - أحمد بن عسكر، المصدر نفسه، ص: 107.

5 - أحمد بن عسكر، المصدر نفسه، ص: 13.

6 - أبو عبد الله محمد بن منصور المستغانمي دفين مزغران: من علماء القرن 10هـ، كان عالما مدرسا. ومن جملة ما درّس التوحيد. له شعر في مدح الشيخ محمد بن يوسف السنوسي. ابن مريم، البستان، ص: 248؛ عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها عبر العصور. مستغانم: المطبعة العلاوية، (ط1)، 1996. ص: 41. لا نعرف بالضبط مكان دراسة ابن الصباغ عليه. فهل كان ذلك في مستغانم أم في القلعة أم في تلمسان؟

7 - المتصوف محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي نسبة إلى قلعة هوارة القريبة من تلمسان، ولد سنة 923هـ، تولى قضاء القلعة. وهو من تلامذة أحمد بن يوسف الملياني، وألف في مناقبه كتابا سمّاه " بستان الأزهار". وله شرح في أسماء الله الحسنى، وشرح في الأذكار والفوائد في شرح النظم الشهير بالمراد، وهو شرح القصيدة المرادية في التصوف للشيخ إبراهيم التازي. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص- ص: 114- 116.

8 - قال أبو القاسم سعد الله بأن هذا العمل يدل على سعة معلومات صاحبه في علم النحو. المرجع نفسه، ج2، ص: 162.

9 - الصباغ، « الدرة الصباغية في شرح الجرومية ». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 2325.

وكما هو الحال بالنسبة لباقي المدن الإسلامية، كان جامع تلمسان الأعظم[1] أهم مركز تعقد فيه حلقات الدروس العليا، والتي انتعشت به على يد أبرز علمائها خلال العهد المدروس وهو الشيخ العلامة سعيد بن أحمد المقري[2]. فقد تولى الفتوى بها لمدة ستين سنة[3]، والخطابة بجامعها الأعظم لمدة خمس وأربعين سنة[4]، ولكن شهرته الحقيقة اكتسبها من تصديه للتدريس بهذا الجامع، لثقافة موسوعية، إذ كان مُلمًا بجميع العلوم المتداولة في عصره، فتخرج على يديه جيل من العلماء من تلمسان ومن خارجها نذكر منهم: محمد العشري الندرومي، وأحمد بن عبد الله اليزناسني، ومحمد بن قاسم الحويل العبادي، وسعيد البطيوي، ومحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن جلال المغراوي التلمساني[5].

ويظهر أنَّ تصديه للفتوى والتدريس شَغَلَه عن التأليف[6]، فرغم كثرة المتخرجين عليه وشهرتهم، وتوليهم المناصب الرفيعة؛ كالشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة، فلا يوجد أي ذكر لإجازاته لهم. وغالبا ما كان الشيخ نفسه هو من يتولى تدوين إجازاته لتلامذته أو يشير إليها، فإذا كان له تآليف اشتهر ذكر إجازاته.

وأشهر من تخرج عليه في تلمسان ابن أخيه الشيخ أحمد المقري؛ الذي لازمه مدة طويلة، وأخذ عنه أغلب الفنون سيَّما الحديث الشريف. وقد قال هذا الأخير في "أزهار الرياض " مُتحدثا عن دراسته بتلمسان:" قطعنا نبذة من الشباب في موطن

ورقة: 2 وجه.

1 - شيده الخليفة المرابطي علي بن يوسف سنة 530هـ/ 1135م. توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 190.

2 - أبو عثمان سعيد المقري (928 أو930هـ- 1025هـ/ 1616م): تعلم في تلمسان على يد مشايخها منهم: محمد بن عبد الرحمن الوغراني، وعمر الراشدي وشقرن بن هبة الوجديجي. وكان ابن خالته الشيخ محمد ابن محمد بن عيسى البطوئي التلمساني نزيل المدينة المنورة ودفينها يكتب إليه، ويقول له في كتابه:" ارم تلمسان قبل أن ترميك". ابن مريم، البستان، ص، ص:104، 273؛ الأفراني، « صفوة من انتشر »، ورقة: 34و، 34ظ؛ القادري، نشر المثاني، ج1، ص: 131؛ أحمد بن القاضي، جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973. ج1، ص: 323؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص- ص: 376- 379.

3 - اليفرني، المصدر السابق، ورقة: 34ظ.

4 - ابن مريم، البستان، ص: 104.

5 - ترجم ابن مريم لعدد من تلامذة سعيد المقري في مواضع متفرقة من البستان مثلا في صفحات: 96، 265، 274 .

6 - لم تعرف لسعيد المقري تآليف ولو مختصرا، ولكن لا يصدق أنه لم يؤلف ولو تأليفا مختصرا أو تعليقا أو تقييدا كما كان يفعل علماء وقته. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 378.

الأحباب، ما بين دراسة ودراية ورواية... وملازمة دروس، ومثول بين أيدي أشياخ مجالستهم نامية الغروس، وخصوصا شيخهم... عمنا مفتيها سيدي سعيد بن أحمد المقري... فهو شيخ أولئك الأعلام الذين ورثوا العلم عن غير كلالة"[1].

ولكن على الرغم من حرص المقري على الاحتفاظ بإجازاته وتدوينها في تآليفه، إلاّ أنَّ مؤلفاته المتداولة لا تتحدث عن إجازة عمه له. ولا نعرف عنها إلاَّ ما ذكره محمد بن عبد الكريم قائلا بأنَّه " أجازه في جميع الفنون التي قرأها عليه"[2]. أو ما ورد عن أحمد المقري نفسه في كتابه" فتح المتعال في مدح النعال" مُبينا سند الأحاديث النبوية الواردة في النعال الشريفة:" أنبأنا عمُّنا ومفيدنا شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، الشيخ سعيد بن أحمد المقري- صبّ الله شآبيب رحماه- في عموم إجازته...(سند الحديث) "[3].

وعلى الرغم من كثرة تلامذة الشيخ أحمد المقري المذكور في المغرب والمشرق، فلم يتتلمذ عليه إلاّ عدد قليل من الجزائريين؛ حيث رحل عن تلمسان نهائيا سنة 1013هـ، وكان عمره آنذاك حوالي سبع وعشرين سنة، فلم يكن عندها قد بلغ مبلغ العلماء الكبار المانحين للإجازة. وأثناء رحلته إلى المشرق سنة 1027هـ نزل بمدينة الجزائر، وألقى بها دروسا في التفسير، وأحاطه علماؤها وأدباؤها بالتقدير والاحترام، وتبادل معهم الألغاز والأشعار، ولكنَّه لم يذكر أنَّه تبادل معهم الإجازات. وظل يتبادل الرسائل مع بعضهم وهو في المشرق كالشيخ سعيد قدورة[4]. كما كان يتبادل الرسائل مع الشيخ عبد الكريم الفكون[5]. ولكن لم تثمر علاقاته هذه بإجازات.

---

[1] - أحمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج1، ص: 10.

[2] - المقري وكتابه نفح الطيب، ص: 131.

[3] - أحمد المقري، « فتح المتعال في مدح النعال ». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 2203. ورقة: 11و.

[4] - من هؤلاء الذين لقيهم في مدينة الجزائر وتبادل معهم الأشعار: مفتي الحنفية بها محمود بن حسين ابن قرمان، والأديب محمد بن راس العين. وكان قبل ذلك وهو في فاس يتبادل الرسائل مع الشيخ عبد الرحمن بن علي المجاجي آبهلول من ذلك الرسالة التي بعث له بها سنة 1026هـ. المقري، الرحلة، ص، ص: 72، 73، و 213.

[5] - الفكون، منشور الهداية، ص: 224.

وهناك من العلماء الجزائريين من أخذ عليه بالمشرق. فقد اجتمع به الشيخ عبد الكريم بن محمد التمنطيطي بالقاهرة وحصل على إجازة منه. وممَّا ورد في إجازته له:" وكان من جملة من سلك هذا الطريق (أي طريق العلم)، وانتمى إلى خير فريق، الفقيه الفاضل، الأريب الشيخ محمد بن عبد الكريم بن محمد التواتي، سألني أن أجيزه، بكل ما تجوز لي وعني روايته بشرطه، مع أنَّي لست بأهل المعرفة بما طلب وضبطه، فقال لسان حاله عند ارتحاله، ما لا يدرك جُله لا يترك كله، ولمَّا ألح في المطلوب، أجبته في صورة المكره المغلوب، جميع ما تصح لي وعنِّي روايته من مُجاز ومسموع، ومصنف ومجموع، على الشرط المعتبر، عند أصحاب الأثر"[1]. وكان ذلك في سنة 1041هـ.

أمَّا الشيخ محمد المنور التلمساني[2] فلا نعلم إن كان مدرسا بتلمسان، وكل ما يمكن تأكيده من خلال بعض الإشارات الواردة في " فتح الإله "، أنَّه درَّس في الغرب الجزائري. فقد وجد الشيخ الرماصي يدرس في المنطق، فاعترض عليه في بعض الأمور[3]. وكان الشيخ عبد القادر المُشرفي المعروف بإمام الراشدية ممَّن تتلمذ على الشيخ المنور، وكان ملازما له[4]، فأخذ عنه الفقه والأصول، وعلم الكلام والنحو والبيان فأجازه[5]، فهذه إجازة تعليمية حصل عليها صاحبها بعد الدراسة والملازمة الطويلة لشيخه.

ورحل الشيخ محمد المنور إلى المشرق واستقر بمصر، ودَرَّسَ برواق المغاربة في الأزهر، وطار له صيت هناك. وفي إحدى حجات الشيخ الحسين الورتلاني حضر دروسه في "كبرى السنوسي"، وقد اجتمع عليه خلق كثير. فأثار هذا الأخير في مجلسه عشر مسائل جُلها في علم الكلام. إلاّ أنَّ أجوبة المنور لم ترق له، ولهذا قال عن جوابه في المسألة الأولى:" فوجدته كأنَّه لم يسمعه (أي علم الكلام) قط، فلم يتعب

---

1 - بكري البكري، " تمنطيط رمز تاريخ وعنوان حضارة "، ص، ص: 67، 68.
2 - أبو عبد الله محمد بن عبد الله أيوب الملقب بالمنور (ت 1172هـ/ 1758م): أخذ عن علماء الجزائر والمغرب الأقصى. مرتضى الزبيدي ، تاج العروس. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة- المطبعة الخيرية بجمالية مصر، (ط1)، 1888م، ج3، ص: 590.
3 - أبو راس الناصر، فتح الإله، ص: 54. وكان هذا الاعتراض سببا في تأليف الرماصي في المنطق.
4 - كان ملازما له حتى في سفره حيث زار معه مدينة الجزائر. أبو راس، المصدر نفسه، ص: 91.
5 - أبو راس، المصدر نفسه، ص: 53.

نفسه في شيء أصلا، فلمَّا علمت منه ذلك، تبيَّن لي أنَّه لا خبرة له به رأسا، والكلام فيه معلوم". أمَّا عن جوابه في المسألة الثانية فقال:" فلم يتفق له الجواب أيضا كأنَّه – رضي الله عنه- وإن حصل له علم تحقيقا، فقد طال عليه العهد برؤية الكتب"[1].

ومن المعلوم أنّ الشيخ الورتلاني استجاز جُملة من علماء المشرق[2]، ولكنه لم يستجز الشيخ المنور التلمساني، فهل إخفاق هذا الأخير في الإجابة عن الأسئلة المطروحة للنقاش، جعلته لا يراه كفؤا لأخذ الإجازة عنه ؟. سيّما وأنّه علّق على كثرة الحاضرين حلقته بقوله:" غير أنَّ الغالب منهم مقصودهم البركة، ومعه التحقيق من غير شك "[3].

وقد أجاز الشيخ المنور عددا من العلماء الجزائريين الوافدين على مصر، كالشيخ محمد بن عبد الرحمان الزواوي الأزهري الذي أجازه، وكتب له بذلك[4]. والشيخ علي بن محمد الجزائري[5]؛ المعروف بابن الترجمان، الذي اتخذ مسكنا له قرب الجامع الأزهر، ولهذا يغلب على الظن، أن يكون تردد على الأزهر لطلب العلم، وبالأخص على الشيخ المنور التلمساني الذي أجازه. وكان ابن الترجمان من العلماء البارزين ولهذا وصفه الجبرتي بأنَّه:" أحد أذكياء العصر، ونجباء الدهر، مَنْ جَمَعَ متفرقات الفضائل، وحاز أنواع الفواضل "، وبأنَّه" زاحم العلماء بمناكبه في تحصيل أنواع العلوم"[6].

ومن علماء تلمسان المهاجرين إلى المشرق، بعد تصديهم للتدريس بها مدة طويلة: الشيخ محمد بن عبد الرحمن اليبدري التلمساني الذي " نبذ تلمسان نبذا كليًا، ولحق بالحرمين الشريفين"[7]، عندما عُزِل عن المناصب التي كان يتولاها، ومن

---

[1] - الورتلاني، نزهة الأنظار في علم التواريخ والأخبار، ص- ص: 304- 306.
[2] - ذكر الورتلاني كل العلماء الذين أجازوه بالمشرق، فلو أجازه محمد المنور لذكر ذلك. الرحلة، ص- ص: 294- 297؛ وينظر أيضا الفصل الثالث، ص:202.
[3] - الحسين الورتلاني، المصدر نفسه ، ص، ص: 303، 304.
[4] - الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص: 471.
[5] - محمد بن علي الجزائري (1100- 1185هـ/1771م): دخل الروم مرارا، وحظي عند أرباب الدولة. عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم الأخبار، تح: إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية - منشورات محمد علي بيضون، (ط1)، 1997. ج1، ص: 288.
[6] - عبد الرحمن الجبرتي، المصدر نفسه، ج1، ص: 287.
[7] - أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، ص: 49.

بينها القضاء. وذلك بعد أن " ألحق عوام تلمسان بالفقهاء، وسفهائهم بالزهاد" - كما وصفه تلميذه أبو راس[1]. وكان هذا الشيخ أحد علماء تلمسان الأربعة الذين اتصل بهم الشيخ محمد الموفق بن عبد الله الجلالي وأجازوه. أمَّا الإجازات الثلاثة المتبقية فقد منحها له كل من: السيد محمد بن للو، والسيد الداودي القروي، والسيد الطالب[2].

ودخل الفقيه أبو عبد الله محمد العيد بن محمد الغجالي القسنطيني الشاذلي، مصر أثناء رحلته لأداء الفريضة، واجتمع فيها" مع بعض أهل الإغاثة والنصر فأجازوه في الفقه المالكي، وفي الأحزاب الشاذلية، ودلائل الخيرات[3]". وممَّن أجازه في بعض ذلك نزيل مصر القطب الشيخ محمد العربي التلمساني الذي كتب له الإجازة في أوائل ربيع الأول سنة 1132هـ/ 1719م، وقال فيها حاكيا عن نفسه:" وقد تلقى العبد الفقير، المعترف بغاية العجز والتقصير، محمد العربي التلمساني دلائل الخيرات عن المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وهذه نعمة عظيمة من أكبر النعم..."[4].

أمَّا نوع هذه الإجازة، فلا يستبعد أن تكون إجازة رواية، كما قد تكون إجازة صوفية لأنَّ كلاهما من رجال التصوف. وللإشارة فإنَّ الفقيه محمد العيد لم يكن من فطاحل العلماء، فلم يأخذ غير الفقه والتوحيد، بشهادة الشيخ محمد الشريف الجعدي الذي التقى به أثناء زيارته لمدينة الجزائر في سنة 1143هـ/ 1730م. وقد قال بأنَّه: " أخذ من الفقه طرفا، وتبوأ من التوحيد غرفا"، وذلك ما أخبره هو به، كما لاحظ ذلك بنفسه لأنَّ حاله تشهد به.

يتضح ممَّا تقدم أنَّ إهمال العثمانيين للعلم ولحركة التعليم بالجزائر، انعكس سلبا على التعليم من المستوى العالي بها. ولقلة المناصب الدينية والعلمية بها، فلم يكن

[1] - أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، ص: 49.
[2] - البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص: 151.
[3] - دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار- صلى الله عليه وسلم- للشيخ الصوفي محمد بن سليمان بن داود، أبي عبد الله الجزولي المراكشي المغربي المكي المالكي (ت 863هـ أو870 هـ حسب ابن القاضي). درة الحجال، ج2، ص: 297؛ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. بيروت: دار مكتبة الحياة. مج 4، ج7، ص، ص: 258، 259.
[4] - الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص: 544.

للطلبة مُحفِّز لمواصلة التعليم سوى الرَّغبة في العلم، والطموح الذاتي، ولهذا كان جلهم يكتفي بالتعليم الأولي، لينشغل بطلب الرزق عن طلب العلم.

ومع ذلك فلا جدوى من الحط من مستوى الدروس العليا في الجزائر. فقد عقد كبار مدرسيها حلقات دروس ذات مستوى راقي في معاهد مختلفة، وبالأخص في جوامعها العظمى. وقد تبادل العلماء الجزائريين الإجازات العلمية فيما بينهم، ورغم قلتها إلاّ أنّها تعبِّر عن مستوى العلماء الجزائريين لأنَّ الإجازة لا تمنح إلا من طرف أكابر العلماء. وممَّا تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو انحصار الإجازات المتبادلة بينهم في إجازات القراءة والرواية. فلم أجد أي ذكر أو أية إشارة في المصادر والمراجع التي اطِّلعت عليها، لإجازات التدريس والإفتاء، والإجازة بالقراءات القرآنية، وهو أمر مستغرب بالأخص في منطقة زواوة الشهيرة بعلم القراءات.

الفصـــــل الثـــاني

الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين وعلماء المغرب الأقصى وتونس

I - التعليم من المستوى العالي بالمغرب وتونس خلال العهد العثماني

II- إجازات القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (16–17م)

IIII – إجازات القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين (18– 19م)

كان لعلماء الجزائر صلات ثقافية وثيقة بأقرانهم في المغرب الأقصى وتونس، في وقت لم تكن فيه الحدود السياسية تتحكم في حركة الأفراد، فتنَّقل هؤلاء العلماء بين هذه الأقطار؛ طلبا للعلم أو هجرانا لبلدانهم لظروف مختلفة، في مقدمتها الظروف السياسية، حيث دأب العلماء على هجران البلدان التي تكثر فيها الفوضى والفتن إلى أخرى أكثر أمنا واستقرارا، بحثا عن جو ملائم للعطاء الفكري. كما كان لاهتمام الحكام بالحركة الفكرية دور كبير في استقطاب العلماء إلى بلدانهم. واتصل علماء المغرب الإسلامي فيما بينهم أيضا في المشرق، خصوصا أثناء الرحلات الحجازية. وكان لتنقلاتهم دور إيجابي في توثيق الصلات الثقافية بينهم، فتبادلوا التآليف والفتاوى، والآراء في المسائل الفقهية والكلامية المتنوعة، واستجازوا وأجازوا بعضهم البعض.

I /- التعليم من المستوى العالي بالمغرب الأقصى وتونس:

شهد القرن العاشر الهجري (16م) تحولا سياسيا في المغرب الإسلامي[1] عموما، حيث تزامن دخول المغرب الأوسط في طاعة العثمانيين مع قيام الدولة السعدية[2] في المغرب الأقصى، والتي بُويِع أول سلاطينها سنة 916هـ/ 1510م، في الوقت الذي كانت فيه الدولة الحفصية في المغرب الأدنى تعيش مرحلة من التدهور، أدَّت في النهاية إلى خضوعها هي الأخرى للخلافة العثمانية.

وقد انتعشت الحياة الفكرية بالمغرب الأقصى مع قيام الدولة السعدية، وما ساعد على ذلك هو: أنَّ السلاطين السعديين أنفسهم كانوا رجال علم وأدب. حيث

---

1 - لم أتناول الإجازات العلمية المتبادلة مع علماء المغرب الإسلامي عموما، دون تخصيص لهذين القطرين، لأنَّ المادة العلمية المتوفرة لا تسعفني لذلك، فلم يشتهر علماء قطر طرابلس (ليبيا) الذي كان تابعا للخلافة العثمانية، ولم تترجم المصادر إلاّ لعدد قليل منهم، ولم تكن به مراكز فكرية، بل كاد ينعدم فيها التدريس تماما. وقد صور الورتلاني تصويرا واضحا لتدهور حالتها الثقافية، وانعدام التدريس في مدينة طرابلس، وأشار إلى وجود بعض المدارس في بعض القرى والمدن، لتدريس القرآن الكريم وبعض العلوم ويشيرإلى كثرة الأولياء والصالحين والمزارات بها. مختار فيلالي، رحلة الورتلاني عرض ودراسة، ص، ص: 176-179.

2 - قامت الدولة السعدية على أنقاض دولة الوطاسيين؛ وهم فرقة من بني مرين. وقد عجزوا عن مقاومة البرتغال، ورده عن سواحل المغرب، واشتغلوا بالكيد لبعضهم حبا في الرئاسة، فثارت عليهم الرعية؛ وفي مقدمتها الأعيان والعلماء، ونصبوا رجلا من أشراف السعديين وهو محمد القائم. محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص: 45.

كان محمد القائم[1] أوّل سلاطينها فقيها، فاشتغل بالتدريس قبل أن يُختار للإمارة. كما كان ابنه محمد المهدي الشيخ أديبا، وأبناؤه محمد المتوكل وأحمد المنصور[2]، وأحفاده محمد بن عبد القادر وزيدان كلهم علماء أدباء. وعليه فمن الطبيعي أن يتكاثر عدد العلماء والطلبة أيام إقبال الدولة السعدية بعد أن وُطِئَت لهم الأكناف، وأُغْدِقت عليهم الأرزاق[3].

تُعد ولاية السلطان أحمد المنصور الذَّهبي التي تزيد عن ربع قرن الأبرز في تاريخ الدولة السعدية من جميع النواحي، في مقدمتها الحياة الفكرية التي بلغت في عهده أوج ازدهارها، وتجلى ذلك في تزايد معاهد العلم. فقد كان هذا السلطان نفسه عالما، مولعا بالحديث الشريف فأخذه رواية ودراية، وتلقى إجازات كثيرة[4]. فكان يقدم المساعدات المختلفة للطلبة والعلماء، ويحضر مجالس العلم بالقرويين[5]، عند حضوره إلى فاس، ويكرم العلماء القائمين على ذلك[6].

وحتى مع الفتنة التي أصابت المغرب خلال القرن الحادي عشر الهجري (17م)، إثر اقتتال أبناء السلطان أحمد المنصور على العرش[7]، لم يُعدم العلماء والمتعلمون، وعددهم آنذاك كثير بالزوايا الكبرى منها: الزاوية الناصرية في

---

[1] - محمد بن عبد الرحمن القائم بأمر الله (ت 923هـ/ 1517م): كان يقطن درعة موطن أجداده، ونظرا لما عرف به من حسن السيرة، نصبته الرعية سلطانا عليها في سنة 916هـ/1510م، وبعد وفاته خلفه ابنه أحمد الأعرج. محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص: 43.

[2] - السلطان أبو العباس أحمد المنصور بالله ابن السلطان أبي عبد الله الشيخ (956- 1112هـ): كان عالما أديبا، مشاركا في عدة علوم، وله بعض التآليف. بويع في جمادى الأولى سنة 986هـ/ 1578م، واهتم بالمنشآت الدينية والعلمية بناءا وترميما، وتوسعت الدولة في عهده حتى شملت صحراء تيكوران وتوات سنة 990هـ. الناصري، الإستقصا، ج5، مواضع متفرقة مثلا الصفحات: 89، 91، 98، 99، 117، 118؛ أحمد بن القاضي، جدوة الاقتباس، ج1، ص، ص: 114، 115.

[3] - محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص: 55.

[4] - أشهرها إجازة الشيخ أحمد المنجور. كما استجاز مراسلة بعض علماء مصر فأجازوه كالإمام بدر الدين القرافي الذي أجازه عامة. أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، تح: محمد زروق. الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1986. ج1، ص- ص: 533-535؛ أحمد الناصري، كتاب الإستقصا، ج5، ص: 155.

[5] - يعرف الجامع الأعظم بفاس بجامع القرويين، وهو في غاية الكبر، يبلغ محيط دائرته نحو ميل ونصف، وله واحد وثلاثون بابا كلها كبيرة وعالية. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص: 224.

[6] - عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية. الرباط (المغرب)، 1977. ص- ص: 307- 313.

[7] - بعد وفاة السلطان أحمد المنصور استفحل الصراع بين أبنائه الثلاثة وهم: أبو عبد الله محمد الشيخ المأمون، وأبو فارس عبد الله الواثق، وزيدان الناصر، فدخل المغرب في فوضى، وضعفت سلطة الدولة؛ حتى اقتصر ملك السعديين على العاصمة مراكش في سنة 1069هـ/1658م، لظهور عدد من الزعماء المحليين واستقلال كل منهم بمنطقته، وتنازعهم فيما بينهم. عبد الكريم كريم، المرجع نفسه، ص- ص: 328- 330.

درعة، والزاوية العياشية في الأطلس الكبير[1]، والزاوية الدلائية[2] بتادلا في الأطلس الكبير أيضا، وتُعَّد الأخيرة أهمها فقد اشتهرت بإيواء الطلبة ونشر العلم[3]، ففي الوقت الذي كانت فيه فاس[4]، ومراكش وغيرها من المدن العلمية تُعاني من ضروب المحن والفتن، ظلَّت الزاوية الدلائية أحسن البقاع التي يلجأ إليها العلماء، بحيث يجدون الطمأنينة والهدوء، فيتفرّغون للعلم، لهذا تطورت الزاوية وكثرت فيها المدارس التي ازدحمت بالطلاب، وتكاثر عدد العلماء المشتغلين بالتدريس في مساجدها، وتكوَّنت فيها خزانة كتب عظيمة[5]. وهكذا فقد كادت الفتن أن تقصف بالعلم والثقافة بالمغرب لولا الزاويا المذكورة.

وبعد هذه الفوضى التي عمَّت المغرب أكثر من نصف قرن، تمَّكن السلطان المولى رشيد بن علي الشريف ثاني أمراء الدولة العلوية - الناشئة على أنقاض الدولة السعدية- من القضاء على الإمارات المتنازعة[6] الواحدة تلو الأخرى، ودانت له آخر إمارة بالطاعة سنة 1081هـ/ 1670م. فأعاد بذلك للمغرب وحدته الداخلية[7]. وظهر حرصه على العلم حتى أثناء حروبه، حيث خرَّبَ الزاوية الدلائية مركز إحدى الإمارات المحلية في سنة 1079هـ، ونقل أهل العلم من

---

1 - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص: 55.

2 - هناك زاويتان دلائيتان، تبعد إحداهما عن الأخرى بنحو 12 كلم، أسس أولاهما الشيخ أبو بكر بن محمد الدلائي حوالي عام 974هـ/ 1566م في مرتفعات جبال الأطلس المتوسط، وشيد الثانية حفيده السلطان محمد الحاج الدلائي عام 1048هـ/ 1638م بين خنيفرة وقصبة تادلا. محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص: 499.

3 - عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي. بيروت: مكتبة المدرسة - ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، (ط3)، 1975. ج1، ص: 279.

4 - أصبحت فاس العاصمة الثقافية للمغرب مركزا للفتن، وسدّ جامع القرويين عدة مرات وتعطلت الصلاة فيه مرات عديدة مثلا في سنوات: 1040هـ، 1048هـ، 1050هـ. القادري، نشر المثاني، ج3، ص، ص: 290، 376، 380.

5 - محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي. الدار البيضاء (المغرب): مطبعة النجاح الجديدة، (ط2)، 1988. ص: 74.

6 - الإمارات المحلية التي ظهرت بالمغرب في القرن 11هـ هي: الدلائية بالمنطقة الوسطى للمغرب، والمجاهد العياشي بالسهول الشمالية الغربية على الأطلس، وبودميعة بسوس والجنوب المغربي، وأخيرا العلويون بسجلماسة ودرعة؛ وهم الذين تمكنوا من الإستلاء على حكم المغرب والقضاء على الإمارات المذكورة. عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ص: 333.

7 - عبد الكريم كريم، المرجع نفسه، ص: 336.

رجالها مَكرمين إلى فاس، وكثيرا ما كان يتعهدهم ببره وإحسانه. ومن مآثره العلمية تشييد مدرسة الشراطين بفاس[1].

لقد نعم المغرب الأقصى بالاستقرار نسبيا في عهد الدولة العلوية، واهتم جَل سلاطينه بالعلم خاصة السلطان المولى محمد بن عبد الله (ت 1204هـ/ 1789م)، الذي كان دائم الاهتمام بالجانب العلمي والتعليمي، فعمل على القضاء على علم الفروع وعلم الكلام معا، واعتنى بنشر كتب السنة، وبعث بأوامره إلى كافة علماء المغرب، وألزمهم باتباعها، ولكنه لم يمنع النظر في كتب الخلاف عموما، كما أمر بالرجوع إلى الأمهات التي عليها الاعتماد[2]. ذلك ما تضمنه المنشور الذي أصدره سنة 1203هـ/1788م[3].

أهم الحواضر العلمية بالمغرب في عهد الدولتين السعدية والعلوية هي: فاس، والحاضرة مراكش. كما كانت مدينة ترودانت[4] هي الأخرى من الحواضر العلمية المشهورة في المغرب[5]. وقد شهدت أكبر مساجد مراكش نشاطا علميا واسعا مثل: جامع الشرفاء، ومسجد باب دكالة، ومسجد أبو العباس السبتي، إلى جانب مدرسة ابن يوسف. كما ألحقت بهذه المساجد مكتبات غنية بالكتب[6].

أمَّا فاس فقد وُجِد بها العديد من المراكز العلمية كجامع الأندلس، ومدرسة العطارين، المدرسة المصباحية ومدرسة الحلفاويين[7]، وأشهر مراكز العلم بها، بل بالمغرب الإسلامي كله: جامع القرويين الذي تَّم تجديده على عهد السعديين،

---

1 - عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص: 284.

2 - عبد الله كنون، المرجع نفسه، ج1، ص: 284.

3 - يتضمن المنشور ثلاثة فصول: خصص الأول والثاني للقضاء والإمامة. أما الثالث فهو مخصص للتعليم. وكان موجه للمدرسن في مساجد فاس. ومن جملة ما ورد فيه تحديد الكتب التي تقرأ في كل علم من العلوم، فأمر مثلا في علم الكلام بالاقتصار على عقيدة ابن أبي زيد القيرواني لأنها عقيدة سلفية خالية من التأويل الذي يجنح إليه الأشاعرة، وباقتصار مدرسي مختصر خليل على خمسة شروح له فقط تم تحديدها. وقال بعد ذلك:" ومن أراد أن يخوض في علم الكلام والمنطق، وعلوم الفلاسفة وكتب الغلاة الصوفية، وكتب القصص فليتعاط ذلك في داره مع أصحابه... ومن تعاطى ما ذكرنا في المساجد نالته عقوبة فلا يلومَنَ إلا نفسه". عبد الهادي التازي، جامع القرويين " المسجد والجامعة بمدينة فاس". بيروت: دار الكتاب اللبناني، (ط1)، 1972. ج3، 723.

4 - تعرف أيضا " بالمحمدية "؛ وهي مدينة عظيمة في سوس، تقع جنوب الأطلس الكبير، بعيدة عنه بحوالي أربعة أميال. حسن الوزان، وصف افريقيا، ج1، ص: 117.

5 - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص: 405.

6 - محمد حجي، المرجع نفسه، ج1، ص: 55.

7 - عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ص- ص: 308- 316.

وأنشئت بجواره مكتبة عظيمة[1]. وظل يحتفظ بمكانته أيام العلويين، فظهرت به كراسي علمية جديدة، بالإضافة إلى استمرار الكراسي التي كانت موجودة من قبل[2].

ونتيجة لهذا الانتعاش الذي عرفته الحركة الفكرية مع السعديين ثم العلويين[3]، فمن الطبيعي أن يظل المغرب الأقصى الوجهة الرئيسية لكثير من طلبة العلم الجزائريين، حيث استمر تدفقهم على مدنه وبالأخص فاس؛ كما كان قبل دخول العثمانيين إلى الجزائر. وأصبح المغرب ملجأ يأوي إليه المناهضين لاستبداد بعض البايات. وقد دخله علماء كثيرون من تلمسان، وهران، مدينة الجزائر، ومن قسنطينة وعنابة، فلقوا من رحابة صدر المغاربة، وعناية الملوك، وسخاء عطاياهم ما سّلاهم عن الاغتراب، ودفع بهم إلى الانكباب على التدريس والتأليف. ورغم تشابه الثقافة بين القطرين، لُوحِظَ بعض التمَّيز لدى العلماء الجزائريين المهاجرين في بعض العلوم، سيَّما في علم الكلام؛ الذي ازدهر في تلمسان مع الشيخ محمد بن يوسف السنوسي، ولهذا نشر المهاجرون من تلاميذه كتبه في المغرب، فاعتمدها العلماء وراجت بينهم[4].

وبالمقابل كان لعلماء المغرب الأقصى حركة واسعة في الجزائر خلال هذا العهد، لأسباب كثيرة منها: أنَّ النزاعات السياسية بالمغرب أدَّت ببعض علمائه إلى مغادرته طلبا للهدوء والاستقرار في الجزائر، كما كانت شهرة بعض العلماء الجزائريين، تجلب إليهم بعض علماء المغرب الرّاغبين في الأخذ عنهم. إضافة إلى اتخاذ المغاربة الجزائر طريقا للحج بحرا وبرا، وكثيرا ما كانوا ينزلون

---

[1] - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص: 55.
[2] - محمد بن عزوز، كرسي الحديث بظهر حصة العين بجامع القرويين بمدينة فاس. الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي- بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2003. ص: 23.
[3] - ولهذا يذهب محمد بن عبد الكريم إلى:" أنّ الحركة العلمية في المغرب الأقصى كانت في القمة بالنسبة إلى الأقطار العربية الأخرى مثل: الجزائر وتونس وطرابلس الغرب والشام وحتى مصر بأزهرها المعمور". المقري وكتابه نفح الطيب، ص:61.
[4] - محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص: 68.

بالمدن الجزائرية؛ فيشترون لوازمهم، ويتصل العلماء المرافقين للركب بعلماء الجزائر، فيجيزون ويستجيزون[1].

أمَّا إيالة تونس الناشئة على أنقاض الدولة الحفصية[2]، فقد اهتم حكامها الجدد بالعلم والتعليم، فأخرجوها من الركود الفكري الذي ورثته عن الحفصيين. واستدل أحمد عبد السلام على تقهقر الحياة العلمية بها خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، بقلة العلماء المُترجم لهم في كتب التراجم المشرقية "كخلاصة الأثر" للمحبي بالمقارنة مع عدد العلماء المغاربة المترجم لهم[3]. أمَّا حسين خوجة فقال في سياق ترجمته للعالم المولى أحمد أفندي بأنَّه:" وجد تونس إذ ذاك خاوية من العلم"[4].

اجتهد بعض حكام تونس من الدايات[5]، والبايات في النهوض بالتعليم، فعاد النشاط الثقافي والتعليمي إلى الظهور بها في النصف الثاني من القرن الحادي العشر الهجري (17م). ورغم سعي حكامها لإشاعة المذهب الحنفي إلاَّ أنَّهم لم يهملوا المذهب المالكي، فجدّدوا المدارس المالكية القديمة كالمدرسة الشماعية، والمدرسة الوفيقية، والعصفورية، والعنقية، والمنتصرية وغيرها. كما بنى مراد باي الثاني المدرسة المرادية، ونصَّب على رأسها شيخا مالكيا[6].

كان اهتمام البايات المراديين[7] بالمنشآت الدينية والتعليمية كبيرا. فقد شيَّد حمودة باشا المرادي جامعا للحنفية بمدينة تونس, كما أمر ببناء مدرسة بالقيروان.

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 439.

[2] - اضطربت الأحوال الداخلية في الدولة الحفصية اثر الخلافات التي مزقت الأسرة الحاكمة؛ فاستعان بعض أمرائها بالإسبان الذين استولوا على مدينة تونس سنة 942هـ/ 1535م، ونصبوا الحسن بن محمد حاكما عليها. وكان أخوه الأمير رشيد قد طلب الحماية والعون من خير الدين بربروس فأجابه، وبعد أحداث طويلة تمكن سنان باشا من فتحها سنة 981هـ/ 1583م، وظلت ولاية عثمانية إلى سنة 1298هـ / 1881م. وتداول على حكمها: البشوات والدايات، والبايات من آل مراد وآل حسين بن علي. الصلابي، الدولة العثمانية، ص- ص: 215- 220؛ خوجة، ذيل البشائر، ص، ص: 21، 22.

[3] - أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19م، ترجمة: أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحليوي. تونس: المجمع التونسي للعلوم والفنون- بيت الحكمة، (ط1)، 1993. ص، ص: 26، 27.

[4] - قدم المولى أحمد أفندي تونس من بلاد الروم (القسطنطينية) أيام عثمان داي (1007- 1019هـ). ذيل بشائر أهل الإيمان، ص: 167.

[5] - مثل يوسف داي الذي تولى بين سنتي(1019- 1047هـ)، فقد أنشأ جامع للمذهب الحنفي، وبجانبه مدرسة. حسين خوجة، المصدر نفسه، ص: 92.

[6] - حسين خوجة، المصدر نفسه، ص، ص: 47، 48.

[7] - تأسست الدولة المرادية سنة 1019هـ/1610م على يد مراد الأول، وانتهت سنة 1114هـ/ 1702م.

وسار أبناؤه وأحفاده على سنته، ومنهم ابنه مراد الثاني، الذي بنى عددا من المساجد والمدارس بقابس وباجة وتونس و جربة وغيرها[1].

كما اهتم البايات الحسينيين أيضا بالتعليم، خاصة مؤسس الدولة حسين بن علي (1117- 1153هـ/1705- 1740م)، الذي أسَّس زاويا بكل من القيروان وصفاقس، نفطة وسوسة، وعدة مدارس في مناطق مختلفة، وغيرها من الإجراءات التي تخص التعليم. وجرى خلفاؤه من الحسينيين على سيرته في رفع رسوم العلم[2].

كان بتونس خلال العهد المدروس عدد من الحواضر العلمية، في مقدمتها تونس، إلى جانب عدد من المدن كالقيروان، وصفاقس وجربة[3].

وظل جامع الزيتونة[4] أهم مراكز التعليم في القطر التونسي، رغم أنَّ الحكام الأوائل لم يولوه أي عناية، ولعَّل ذلك لارتباطه بالمذهب المالكي, إلاَّ أنَّه أخذ يسترجع مكانته مع نهاية القرن الحادي عشر الهجري, ورتب به العلماء دروسهم. ولمّا توَّلى حسين بن علي رأس الدولة الحسينية رتب به شيوخا يقرأون القرآن الكريم، وأساتذة لتدريس العلوم المختلفة بلغ عددهم الثلاثين، هذا زيادة على مدرسي الأحباس والمتطوعين[5].

رغم وطادة العلاقة بين العلماء الجزائريين بأقرانهم في تونس، إلاَّ أنّ زيارة هؤلاء للجزائر كانت قليلة نسبيا خلال هذا العهد، يعود ذلك إلى اكتفائهم بما يأخذونه عن علمائهم، لاسيما في جامع الزيتونة الذي يروي غليلهم، ويتوجهون أن أرادوا المزيد إلى المشرق، فلم تكن الجزائر تقدم لهم شيئا تقريبا ممَّا كانوا

وهي التي وضعت إطارا لخطة الباي فبرز هذا اللقب، وغطى على جميع الألقاب الأخرى. وقد أحدثت خطة الباي بطلب عثمان داي، وكلفه بقيادة المحلة المكلفة بجمع الضرائب. خوجة، المصدر نفسه، ص، ص: 27، 28.

[1] - أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون، ص: 35.

[2] - أحمد عبد السلام، المرجع نفسه، ص- ص: 65- 67.

[3] - الوزير السراج، الحلل السندسية، ص: 56. ترجم حسين خوجة في كتابه " ذيل بشائر أهل الإيمان " لعلماء كل مدينة على حدة.

[4] - أسسه الوالي الأموي في المغرب عبد الله بن الحبحاب سنة 114هـ/ 732م. السراج، المصدر نفسه، ج2، ص: 558.

[5] - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان، ص، ص: 46، 47.

يطلبون. أمَّا الجزائريون فقد رحلوا إلى تونس لطلب العلم والتجارة[1]، كما اتصلوا بعلمائها أثناء ترددهم على المشرق ذهابا وإيابا. وهناك من العلماء الجزائريين من استقر بتونس، وساهم في تنشيط الحركة الفكرية بها؛ فقد ترجمت المصادر التونسية لعدد من هؤلاء[2].

والحاصل أنَّ الظروف السياسية والفكرية، أثرت على التواصل الثقافي بين الجزائر وجارتيها. وكانت علاقة العلماء الجزائريين بأقرانهم في المغرب الأقصى أكثر متانة ممَّا هي عليه بينهم وبين علماء تونس، على الرغم من ازدهار الحركة العلمية في القطرين، ذلك ما سوف نلمسه من خلال حجم الإجازات المتبادلة بينهم.

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 46.

[2] - درَّسَ عدد منهم بجامع الزيتونة مثل: الأستاذ ساسي المقري الزواوي (ت 1100هـ/ 1689م)؛ وكان عالما بالقراءات السبع والعشر، والشيخ عاشور بن موسى القسنطيني (ت 1074هـ/1663- 1664م) الذي درس به وبغيره، ومنهم القاضي محمد بن أحمد الشريف الحسني الجزائري الذي رحل إلى تونس سنة 1093هـ/ 1682م، وأخذ عن علمائها، ثم تصدى للتدريس بالجامع المذكور. خوجة، ذيل البشائر، ص، ص: 189، 248، 249؛ الوزير السراج، الحلل السندسية، ج2، ص: 419.

II /- إجازات القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (16-17م):

1- إجازات بعض علماء تلمسان للشيخ محمد بن عسكر:

عرفت مدينة تلمسان اضطرابات وفتن خلال الأربعين سنة الأولى[1] لدخول العثمانيين إليها، ولهذا هجرها عدد كبير من علمائها إلى المغرب الأقصى؛ بحثا عن الهدوء والاستقرار. فحظوا هناك بتقدير سلاطين المغرب، وتولوا المناصب العلمية الرفيعة. كما عقدوا حلقات دروس أقبل عليها المغاربة، فقرؤوا عليهم واستجازوهم.

ومن جملة هؤلاء العلماء: الشيخ العلامة محمد شقرون بن هبة الله[2]، الذي قدم فاس سنة 967هـ/ 1559م، واستقر بها إلى وفاته. فكانت مدة إقامته بها حوالي ست عشرة سنة. وقلده السلطان الغالب بالله الفتوى، ورياسة العلم بحضرة مراكش. فجعل له كرسيا للدَّرس في مشور قصره، كان يحضره السلطان وسائر الأمراء[3]. وقد وصفه ابن القاضي بأنَّه كان:" يقوم على ابن الحاجب أتم قيام، وكان عارفا بالأصلين، والبيان والمنطق"[4].

وكان ابن شقرون يتنقل بين فاس ومراكش، ويُفتي الناس بهما. ومن تلامذته المغاربة الشيخ محمد بن عسكر[5] الذي لازمه عدة سنوات، وأخذ عنه علوم جمة،

---

[1] - ظَلَّ الزيانيون متشبثين بملك تلمسان مستظهرين في أغلب الأحيان بالإسبان، إلى أن أفتى بعض علماء المدينة بخلع آخرهم وهو الحسن بن عبد الله سنة 962هـ/1555م، فالتجأ إلى إسبانيا وانقطع خبره، وحينها أعلن صالح رايس نهاية دولة بني زيان، وضم تلمسان إلى الإيالة الجزائرية، وتسببت هذه الفتوى بهجرة كبرى للعلماء من تلمسان. محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص: 39؛ وج2، ص: 355.

[2] - محمد بن محمد بن هبة الله الوجديجي الملقب بشقرون التلمساني (908- 983هـ): ومن تلامذته سعيد المقري. له شرح على رجز أبي إسحاق التلمساني في الفرائض. أحمد بن القاضي، درة الحجال، ج2، ص: 215؛ ابن مريم، البستان، ص:261؛ أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 599.

[3] - محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي – أحمد توفيق. الرباط: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977. ج1، ص: 82.

[4] - أحمد بن القاضي، جدوة الاقتباس، ج1، ص: 325.

[5] - محمد بن علي بن عمر بن الحسين بن مصباح ابن عسكر الحسني العلمي: (936- 986هـ/ 1529م – 1578م)، نال حظوة كبيرة لدى السعديين، فولوه قضاء مسقط رأسه شفشاون، ثم القصر الكبير. ودرَّس مدة طويلة بشفشاون، وكان تردده على البلاط السعدي في فاس ومراكش يتيح له فرصة ملاقاة فطاحل العلماء ومناظرتهم، فاتسعت معارفه وغدا شخصية علمية مرموقة في عصره، ولكن أدركه شؤم السياسة فانحاز لمحمد المتوكل المخلوع، وهلك معه في معركة وادي المخازن. ابن عسكر، دوحة الناشر، ص: 7؛ الناصري، الاستقصاء، ج5، ص، ص: 81- 82؛ حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص: 423؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص: 524.

فأجازه مرتين على الأقل. الأولى سنة 969هـ/1561م ورد فيها:" أجزت الفقيه... أبو عبد الله محمد بن سيدي بن علي عسكر جميع مروياتي، وكل مسموعاتي عن أشياخي... فليرو عني ما رويت، وليتحدث بما سمعت على شرط الإجازة، ووصفها إجازة صحيحة ثابتة كما يجب "(1). وتتميز هذه الإجازة بكونها جِدُّ مختصرة، خلافا لغالب الإجازات المعروفة في تلك الفترة. والثانية سنة 972هـ/ 1564م، حيث أجازه في عقائد الشيخ السنوسي وشروحها، و"محصل المقاصد" للشيخ ابن زكري(2)، حسبما أجازه في ذلك شيخه عثمان المنوئي، كما أخذه عن الشيخين بإجازتهما له في ذلك جملة وتفصيلا(3).

وبعد مُضي سنة تقريبا على تواجد ابن شقرون بفاس، ورد إليها جملة من فقهاء تلمسان(4)، من بينهم الشيخ أحمد بن أحمد العبادي(5)؛ فأكرمه السلطان أعظم تكريم، وفضله عن بقية المهاجرين، وقال:" لا تُسَوُّوه بأحد من الفقهاء وغيرهم فإن همته كبيرة "(6). ولماّ اشتغل بالتدريس، انثالت عليه الناس من كل ناحية. وممَّن أخذ عنه بفاس الشيخ محمد بن عسكر، ولكن لم يلازمه ملازمته لابن شقرون، وإنَّما لقيه وأخذ عنه مروياته، فأجازه العبادي في سلسلة المشايخ الصوفية، وفي الحاجبين الأصلي والفرعي، وكتب له بذلك، وأجازه بهذه العبارة:" أجازني والدي

---

1 - ابن عسكر، دوحة الناشر، ص: 106. نص هذه الإجازة كاملا في الفصل الرابع، ص:228.

2 - أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري التلمساني (ت 899هـ): من مؤلفاته " مُحصل المقاصد ممّا به تعتبر العقائد" وهو منظومة كبرى في علم الكلام، بها أكثر من ألف وخمسمائة بيت. ابن عسكر، المصدر نفسه، ص، ص: 108، 109؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 267.

3 - ابن عسكر، دوحة الناشر، ص: 106.

4 - حين وقعت الفتنة في تلمسان، استغاث جملة من العلماء بالسلطان السعدي، فرحّلهم من تلمسان، وأمدهم بالجند، ونقل بعض أعيانها إلى فاس، ووصل كل منهم على قدر حاله، ووصل أحمد العبادي بألف مثقال ذهبا عدا الهدايا، ورغم هذا التقدير الذي حظي به بفاس، إلا أنه لم يستقر بها لأنه أجبر إلى الانتقال إلى مراكش لأمور لم يذكرها صاحب الدوحة، فرجع إلى تلمسان ومنها إلى مليانة. ابن عسكر، المصدر نفسه، ص: 107.

5 - سبقت ترجمته ووالده في الفصل الأول، ص: 85.

6 - ولعّل هذا التكريم الذي حظي به العبادي بالإضافة إلى تمكنه من العلوم، يرجع لسمعة والده أحمد بن محمد بالمغرب، حيث كان قد ورد على فاس على عهد الدولة الوطاسية ، فقدمه الناصر بن الشيخ الوطاسي للتدريس بجامع القرويين مع توافر العلماء بهذا الجامع. ابن عسكر، المصدر السابق، ص- ص: 107-108.

- رحمه الله- الحاجبين عن الشيخ محمد بن عيسى البطوئي"[1]، ثم سرد سنده إلى الإمام ابن الحاجب.

2 – إجازات الشيخ سعيد المقري لبعض علماء المغرب:

ظلَّت الصِّلات الثقافية وثيقة بين مدينتي فاس وتلمسان خلال العهد العثماني؛ لقرب المسافة بين المدينتين، ولذلك قلَّما نجد من علماء تلمسان من لم يدرس بفاس؛ لعدم إرضاء مدينتهم لطموحهم العلمي، كالشيخ العلامة سعيد المقري الذي مكث مدة بالمغرب الأقصى، ودرس على علمائه قبل أن يعود إلى تلمسان ويتصدى للتدريس بها، ولهذا كان المغاربة على معرفة تامة بمنزلته وبفضله[2]. وقد استغل اثنان من علماء فاس فرصة وجود ابن أخيه الشيخ أحمد المقري بالمغرب أثناء رحلته الأولى سنة 1009هـ/ 1600م[3]، ليكلفوه بإستجازته لهما وهما: الشيخ أحمد ابن القاضي[4]، والشيخ أحمد ابن أبي القاسم التادلي[5].

فأمَّا الأول فقد حمَّله استدعاءا كتابيا، يتكون من شطرين: نثري ونظمي. ورد في جزئه النثري بعد الحمدلة والتصلية:" وبعد، فيطلب العبد الضعيف... من السيد الكامل أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري القرشي، الذي ملك أزِمَّة العلوم... وحاز قصب السبق في المنثور والمنظوم، أن يتفضل عليه بالإجازة العامة, الجامعة التامة فيما لسيدنا من مروي ومقروء ومجاز ومسموع، وأن يتفضل بذكر مشيخته

---

[1] - ابن عسكر، دوحة الناشر، ص: 107.

[2] - درس سعيد المقري على أجلة علماء فاس منهم: الشيخ عبد الواحد الونشريسي، وعلي بن هارون، وعبد الوهاب بن محمد الزقاق التجيبي. وقد كان الشيخ أحمد بن القاضي على معرفة تامة بمكانته، ولهذا قال في ترجمته:" انتهت إليه رياسة بلده تلمسان". أحمد بن القاضي، جدوة الاقتباس، ج2، ص: 520.

[3] - سوف نتطرق لهذه الرحلة بالتفصيل في ص: من هذا الفصل، ص: 104.

[4] - أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية، الشهير بابن القاضي (960- 1025هـ): تخرج على كبار علماء المغرب عندئذ مثل الشيخ: السراج والقصار والمنجور، رحل إلى المشرق وجاور بالحرمين الشريفين مدة، وأخذ عن علماء مصر كالشيخ: سالم السنهوري، وبدر الدين القرافي. له عدة مؤلفات منها: المنتقى المقصور على محاسن الخليفة المنصور، وجدوة الاقتباس، ودرة الحجال وغيرها. عبد الكبير الكتاني، زهر الآس، ج2، ص: 100؛ ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس. الدار البيضاء: مطابع إديال، (ط2)، 1990. ج1، ص- ص: 326- 328؛ محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص- ص: 92- 99.

[5] - أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي (ت 1013هـ): صاحب زاوية الصومعة بتادلا، له مشاركة في العلوم والمعرفة بالتصوف، أخذ عن الشيخ يعزى الخروبي، والشيخ محمد بن عبد الرحمن الشريف. محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1996. ج3، ص، ص: 1137، 1138.

الأعلام... وأن يبتدأ بالمسلسل بالأولية حديث الرحمة ليكون أول مروي العبد عنه ". ومما تضمنه الشطر النظمي المتكون من ستة عشر بيتا قوله[1]:

ولمَّا نأيتُم ولم أستطع   أسير لحضرتكم بالقدم
سعيت إليكم برجل الرسول   وخاطبتكم بلسان القلم

إلى أن قال:

فإني استجزتك من أرض فاس   لتسعف يا بحر علم فكم
لما صح عنكم وجاز لكم   رواية كل بشرط مُتم

فنظم له العّلامة سعيد المقري إجازة أباح له فيها رواية مروياته في عشرين بيتا. قال فيها مستدركا - بعد التواضع المعتاد لدى العلماء-:[2]

ولكن أجزتكم مكرها   ولا بطل بل لأمر مهم
بما صح عنا وجاز لنا   رواية كل بشرط مُتم

وبما أنَّ الإجازة جواب للاستدعاء، فقد تكرّرت فيها بعض عباراته، من ذلك البيت الخامس عشر في الإجازة، وسيما عجزه وهو:" رواية كل بشرط مُتم". والإجازة التي نحن بصدد الحديث عنها مؤرخة في سنة 1009هـ. والمعلوم أنَّ رحلة أحمد المقري الأولى استمرت إلى سنة 1010هـ؛ أي أنَّها تأخرت عن الإجازة بحوالي سنة، ممَّا يعني أنَّ أحمد المقري كلَّفَ بدوره من يحمل الاستدعاء إلى عمه بتلمسان قبل عودته إليها. والملاحظ أنَّه أجازه عامة بناءا على طلبه، ولكنه لم يُلَّبِ رغبته بذكر شيوخه، وبإجازته بالحديث المسلسل بالأولية.

وأمَّا الثاني وهو الشيخ أحمد بن أبي القاسم التادلي، فقد أكّد على المقري أن يستجيز له عمَّه سعيد المقري، وما ذلك حسب المقري إلاَّ " لحرصه على أنواع العلوم"، وإلاَّ فقد شاركه في شيوخه كالخروبي، وقاربه في السّن[3]. وللإشارة فإنَّ أحمد المقري لم يذكر شيئا عن الاستدعاء الذي تقدم به التادلي لعمِّه، ممَّا يعني أنَّه شفهي، سيَّما وأنَّه قال:" أكد عليّ أن أستجيز له مولانا العم". والتأكيد لا يكون

---

[1] - أحمد المقري، روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تقديم: عبد الوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، (ط2)، 1983. ص: 267.
[2] - أحمد المقري، المصدر نفسه، ص- ص: 266- 269. نصها الكامل في الفصل الرابع ص: 251.
[3] - أحمد المقري، المصدر نفسه، ص: 303.

غالبا مع الاستدعاء الكتابي. كما لم يذكر شيئا عن إجازة عمِّه للتادلي. فهل كانت إجازته له شفهية هي الأخرى؟ ولكن ذلك أمر مستبعد، إذ كيف تكون إجازة شفهية مُراسلة؟

وقد سبق الحديث عن الإجازة مراسلة؛ التي لا يجرى العمل بها إلاَّ في الإجازة بالرواية بين أعلام العلماء، وهو ما تأكد لنا، فكلاًّ من أحمد بن القاضي وأحمد التادلي من أعلام المغرب آنذاك، فليسا في حاجة إلى إجازة تثبت مستواهما العلمي، وما يطمحان إليه هو إجازة لرواية مرويات عالم محدث جليل القدر كالشيخ سعيد المقري.

3- الإجازات المتبادلة بين الشيخ أحمد المقري وعلماء المغرب وتونس:

تزيد المدة التي مكث فيها المقري بالمغرب عن الخمس عشْرة سنة، ولهذا كوَّن علاقات وطيدة مع علمائه، بل لا يزال مفخرة المغاربة إلى الآن. وخلال هذه المدة درس ودرَّس، وأجاز واستجاز، فلم تنقطع صلاته بهؤلاء العلماء حتى عندما كان بالمشرق، فظل يتراسل معهم، كما درسوا عليه هناك.

أ- أحمد المقري مُجَازًا:

زار الشيخ أحمد المقري المغرب الأقصى لأول مرة في سنة 1009هـ/ 1600م، فدخل فاس في الرابع صفر، وفي نفس اليوم الذي حلَّ بها توجه إلى جامع القرويين، حيث حضر حلقة الشيخ علي بن عمران السلاسي[1]، في "مختصر خليل"[2]، وناقشه في بعض المسائل الفقهية. ومنذ ذلك الحين انتشرت سمعة المقري العلمية بين علماء فاس؛ فأقام بها نحو سبعة أشهر يُفيد ويستفيد، ويروي ويستجيز، إلى أن التقى بأحد قواد السلطان أحمد المنصور فأعجب به، واصطحبه معه إلى مراكش عاصمة السعديين، حيث البلاط غاصًا بالعلماء والأدباء الذين كانوا يفدون على السلطان ليمدحوه بأشعارهم من الشام والعراق،

---

[1] - قاضي فاس ومفتيها: أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسي (960- 1018هـ). اليفرني، «صفوة من انتشر»، ورقة: 104ظ؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 296.

[2] - أحمد المقري، روضة الآس، ص: 333.

مصر والحجاز وغيرها[1]. فأقام بها هي الأخرى حوالي سبعة أشهر، ثم عاد إلى فاس، ليغادرها بعد أن قضى بها مدة راجعا إلى تلمسان، في ذي القعدة 1010هـ/ سبتمبر 1602م. وبهذا يكون غيابه عن تلمسان واحدا وعشرين شهرا.

وقد خلَّد المقري هذه الرحلة بكتاب ألَّفه في علماء المغرب سماه " روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس"؛ عدّ فيه حوالي أربعة وثلاثين عالما من علماء المغرب؛ الذين اتصل بهم ولقيهم بمراكش وفاس، وفي رحلته هذه استجاز خمسة من أعلام المغرب حينئذ فأجازوه، وكتبوا له بذلك. ولم يرد عنه في كتابه المذكور أنَّ أحدًا من العلماء إستجازه، ولو فعل أحدهم لما تردد المقري في تسجيل ذلك؛ لحرصه الشديد على جمع إجازاته سواء كان مانحا أو متلقيا لها. وهذا قد يعني أنّه لم يكن بلغ آنذاك مبلغ العلماء الكبار المانحين للإجازة، فلم يكن قد تجاوز السابعة والعشرين من عمره.

وكانت إحدى هذه الإجازات شفهية؛ حيث أجازه الوزير الأديب عبد العزيز الفشتالي[2] بمراكش في جميع نظمه ونثره. وتحسّر المقري على تلقيه لها لفظا، وبرَّر ذلك بضيق الوقت لتأهبه للسفر[3]. وهنا يتبن لنا أنَّ العلماء كانوا يُحبِّذون الإجازة المكتوبة؛ لما تتميز به من مصداقية.

ومن أبرز علماء المغرب الأقصى آنذاك: الشيخ أحمد بن القاضي، الذي لقيه أحمد المقري بكل من مراكش وفاس، فاستفاد من علومه، ثم استجازه فأجازه جميع ما يجوز له وعنه روايته، وما أخذه عن شيوخه. وكتب له ثلاث إجازات: اثنتان بمراكش في يوم عرفة من عام 1009هـ، والثالثة بفاس بعد إجازتي مراكش بأشهر.

هذا، ولم يورد المقري في كتابه "روضة الآس" الإجـازة الأولى والثـانية

---

[1] - محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص- ص: 143- 154.

[2] - أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي (956- 1031هـ): كـان إماما أديبا، ولي الـوزارة للمنصور الذهبي. أخذ عن المنجور والحميدي والزموري وغيرهم. وأخذ عنه الكثير من العلماء. مـن: مؤلفاته تاريخ الدولة المنصورية، وشرح مقصورة المكودي. المحبي، الخلاصة، ج2، ص: 425؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 298.

[3] - أحمد المقري، روضة الآس، ص: 163.

بنصوصها، واكتفى بعرض ما احتوت عليه؛ حيث أجازه ابن القاضي جميع ما يجوز له وعنه روايته، وما أخذه عن شيوخه، وأجازه أيضا بجميع تآليفه وما له من منظوم ومنثور، وكل ذلك بشرطه المعتبر المأثور، ومن جملة المؤلفات التي أجازه بها بعد قراءتها عليه كتاب أبو القاسم الحوفي في الفرائض، وتلخيص ابن البنَّاء[1]. كما أجازه جميع تآليف ابن البناء، وصحيح البخاري والموطأ، وحديث الرحمة المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعه منه. هذا ولم يفت المقري أن يذكر شيوخ شيخه أحمد بن القاضي ومؤلفاته؛ التي أجازه بها وعددها أربعة عشر كتابا[2].

أمَّا الإجازة التي أورد المقري نصّها كاملا فلا تتضمن تاريخ ومكان كتابتها، ويغلب على الظن أنَّها الإجازة الثالثة؛ أي التي كتبها له بفاس لأنَّها لا تحتوي على مقدمة كالإجازات المتعارف عليها، بل بدأها الشيخ بالتأكيد على ما ذكره المقري بقوله": ما ذكره السيد الفقيه... أبو العباس أحمد المقري صحيح"، وهذا يعني أنَّه اطلع على ما كتبه المقري حول الإجازتين السابقتين؛ وفيها أجازه بجملة من الفهارس[3], بالإضافة إلى مصنفات الحافظ العراقي، ومصنفات أحمد الزروق، ومصنفات خليل بن إسحاق، وممَّا ورد فيها قوله": أجزت له الفهارس التي أذكرها بأسانيدها إلى أربابها، وما اشتملت عليه من المقروءات والمجازات وغير ذلك"[4].

ولا يُستبعد أن يكون الشيخ أحمد بن القاضي قد أجاز للمقري أيضا في رحلته الثانية، حيث كان ابن القاضي في آخر أيامه ملازما تدريس "صحيح البخاري" بجامع الأبَّارين بفاس، وعندما يقرب اختتامه يُجيز الحاضرين كل يوم؛ لتحصل الرواية لمن سمع، ولو حديثا واحدا على طريقة المشارقة. وكان المقري من جملة

[1] - أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء (654- 721هـ). أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص- ص: 148- 152.

[2] - أحمد المقري، روضة الآس، ص- ص: 284- 297.

[3] - من بين الفهارس التي أجازه بها: فهرسة محمد بن غازي العثماني، وفهرسة ابن حجر العسقلاني، وفهرسة المنتوري، وفهرسة أبو جعفر بن الزبير، وفهرسة محمد الوادي آشي. أحمد المقري، روضة الآس، ص، ص: 296، 297.

[4] - أحمد المقري، المصدر نفسه، ص- ص: 295- 297.

الحضور[1]، فيكون قد أجازه في جملة الحاضرين. كمَا درَّس ابن القاضي بالزاوية الدلائية مدة غير قصيرة[2]، وكان المقري من المترددين عليها؛ قبل أن تُسند إليه الخطابة والإمامة بجامع القرويين[3].

ولقي الشيخ أحمد المقري في رحلته الأولى: الشيخ العلامة أبو العباس أحمد بابا التنبكتي[4] بمراكش، وتذاكر معه في فنون جمَّة، واستعار منه جملة من الكتب بخزانته، وقد استجازه فأجازه بجميع تآليفه، وكتب له بذلك عدة مرات. وأورد المقري في "روضة الآس" نصَّي إجازتين؛ الأولى كتبها له في أواسط محرم سنة 1010هـ/1- 1602م، على ظهر أول ورقة من مسودته لكتابه " نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، وممَّا جاء فيها:" أجزت الفقيه... سيدي أحمد بن محمد المقري... أن يروي عني هذا التعليق في التاريخ، وجميع ما جمعته في الفنون"، وبعد أن استعرض مؤلفاته التي أجازه بها قال:" وأجزته غير ذلك ممَّا جمعته في العربية والفقه والحديث"، وأجازه أيضا أن يروي عنه جميع كتاب "خليل"[5].

أمَّا الإجازة الثانية كتبها له ثلاثة أشهر بعد الأولى، يوم 15 ربيع الثاني 1010هـ؛ وهو يوم خروجه من مراكش؛ وممَّا جاء فيها قوله:" أجزت الفقيه المُشار إليه... أن يروي عني جميع ما يجوز لي وعني روايته، ممّا أخذته من شيوخنا، وسادتنا الفضلاء معقولها ومنقولها متى شاء، بأي لفظ شاء، على شرطه المعتبر عند أهل الأثر". ثم عدَّدَ بعض مروياته بأسانيدها من جملتها: "موطأ

[1] - عبد الكبير الكتاني، زهر الآس في بيوتات أهل فاس، ج2، ص: 100.

[2] - محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص: 94.

[3] - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص: 367.

[4] - أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر محمد أقيت التنبكتي الصنهاجي (963- 1032هـ): المؤرخ الإمام، بيته شهير بالجاه والعلم. أخذ عن والده، وعمه أبو بكر، ولازم الشيخ محمد بغيغ وأجازه. أخذ عنه: أبو القاسم بن أبي النعيم وابن أبي العافية وغيرهما. له ما يزيد عن الأربعين تأليفا منها: شرح على المختصر وحواش على مواضع منه، وشرح صغرى السنوسي ونيل الابتهاج. أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج، تح: علي عمر. المغرب: مكتبة الثقافة الدينية، (ط 1)، 2004. ج2، ص- ص: 286- 289؛ المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص- ص: 170- 172؛ القادري، نشر المثاني، ج1، ص- ص: 271- 274.

[5] - أحمد المقري، روضة الآس، ص، ص: 304، 305.

مالك" والصحيحين البخاري ومسلم، و" الشفا " للقاضي عياض، وغيرها من الكتب الحديثية والفقهية[1].

كما اجتمع أحمد المقري أيضا بأحد أقطاب التصوف بالمغرب؛ نزيل مراكش الشيخ أحمد بن أبي القاسم التادلي، وهو صاحب زاوية الصومعة بتادلا فأخذ عنه. ويوم خروجه من مراكش في التاريخ المُشار إليه سابقا، إستجازه فأجازه بمنزله بكل ما تجوز له وعنه روايته، وجميع تآليفه[2]، وما أخذه عن شيوخه، فأخرج له ستين مجلدا كلها من تصنيفه، وأجازه إياها. وأجازه أيضا جميع ما له من منظوم ومنثور وأدعية وأذكار، وكل ما رواه عن شيوخه أئمة التصوف كالشيخ محمد الخروبي الطرابلسي[3]، بالإضافة إلى ما تحَّمله عن شيوخه كالإمام يعزا الجزولي. وصافحه وشابكه كما صافحه وشابكه الخروبي وغيره بسنده إلى الإمام ابن مرزوق. وأذن له في لبس الخرقة من طريق عبد القادر الجيلاني، وأبي الحسن الشاذلي، وأبي مدين – رضي الله عنهم-[4].

وهكذا فبما أنَّ التادلي من شيوخ التصوف، فقد أجاز للمقري رواية مروياته في علم الحقيقة والشريعة.

واتصل أحمد المقري في فاس بالشيخ أبي عبد الله محمد القصار[5]، فأجازه جميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه، وكتب له بذلك يوم سفره من فاس إلى تلمسان؛ وهو يوم الخميس 17 ذي القعدة 1010هـ. وذكر في إجازته هذه مروياته التي أجازه بها بأسانيدها منها: حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وموطأ

---

1 - المقري، روضة الآس، ص- ص: 303- 306.

2 - له عدد كبير من المؤلفات أغلبها في التصوف، منها: سراج الباحث في شرح المباحث، والدرة النفيسة في فضائل الأدعية الشريفة، ونور المصباح في فضائل حزب الفلاح. المقري، المصدر نفسه، ص- ص: 300- 302.

3 - المتصوف أبو عبد الله محمد الخروبي الصفاقسي نزيل الجزائر (ت 963هـ): من مؤلفاته: كفاية المريد وشرح تصلية القطب أبي محمد عبد السلام ابن مشيش، ورسالة ذو الإفلاس إلى خواص أهل مدينة فاس. ابن عسكر، دوحة الناشر، ص: 114.

4 - أحمد المقري، المصدر السابق، ص- ص: 300- 302.

5 - أبو عبد الله محمد بن قاسم بن علي القيسي الغرناطي أصلا الشهير بالقصار (936- 1012هـ): الفقيه المحدث شيخ الفتيا بفاس، أخذ الفقه والحديث عن أبي النعيم رضوان بن عبد الله الحملولي الفاسي، وعن حمزة خروف الأنصاري التونسي، وعن اليستني، وعبد الوهاب الزقاق، والمنجور، وزين العابدين البكري، وعنه أعلام منهم عبد العزيز القشتالي. وله عدة تآليف، وفهرسة جمعت رواياته في الفقه. المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص: 121؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 295.

الإمام مالك، والصحيحين (البخاري ومسلم)، ومختصر ابن الحاجب الأصلي والفرعي، و"البردة "[1]، و"رسالة ابن أبي زيد" [2] في الفقه، وكتاب " قوت القلوب" للإمام أبي طالب المكي، و"إحياء علوم الدين للغزالي"[3]، و"جمع الجوامع" لابن السبكي وجميع تصانيفه، وتصانيف البيضاوي، وتصانيف الإمام عياض، وتصانيف القرافي، وابن حجر وزكريا، وأنشده البيت المشهور في الإجازة وهو[4]:

أَجَزْتُ لكم مروينا مطلقا وما   لنا سائلا أن ترحموا بدعاء

وهكذا فلم يستجيز المقري إلاَّ خمسة من العلماء الذي لقيهم بكل من فاس ومراكش، وهم آنذاك أعلام المغرب، فأجازوه بإجازات تصب كلها في نوع واحد، وهي الإذن برواية مروياتهم أو مؤلفاتهم. ولكن لا نعلم يقينا إن تلقى إجازات أثناء رحلته الثانية.

ب- الشيخ أحمد المقري مُجيزا:

رجع أحمد المقري ثانية إلى المغرب الأقصى في سنة 1013هـ/1604-1605م، ومكث به هذه المرة أربعة عشر عاما، انتهت بتوجهه إلى المشرق في أواخر رمضان سنة 1027هـ/ 1617م. وبما أنَّه لم يصرح بالأسباب التي جعلته يعود ثانية إليه، فقد حاول بعض الباحثين استنباطها[5] منها: تدهور الثقافة في تلمسان، ونُضوب معينها، وإعراض أهل البلاد عن طلبها لانشغالهم بالحروب الداخلية وضروريات المعاش، فلم يجد المقري لبضاعته العلمية والأدبية رواجا في سوق الثقافة الكاسدة، بالإضافة إلى إحسان المغاربة إليه في رحلته الأولى، كل

---

[1] - قصيدة " الكواكب الدرية في مدح خر البرية"، المعروفة بالبردة لشرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي المولد، المغربي الأصل، البويصري المنشأ: (608هـ- 695هـ / 1213م- 1296م). السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص: 464؛ البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص: 138.

[2] - كتاب الرسالة في الفقه المالكي لإمام المالكية في وقته العلامة عبد الله أبي محمد بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني: (ت 386هـ/ 996م). ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص- ص: 376- 378.

[3] - أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الشافعي الغزالي(450- 505هـ). البغدادي، المرجع السابق، ج2، ص، ص: 79، 80.

[4] - المقري، روضة الآس، ص- ص: 322- 329.

[5] - محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص- ص: 159- 163، محمد عبد الغني حسن، المقري صاحب نفح الطيب، ص، ص: 28، 29.

ذلك جعله يحن للعودة إلى ديارهم[1]، ومنها أيضا أنَّه أراد أن يُقيم في فاس لازدحامها بالعلماء، وليكون قريبا من السلطان زيدان بن المنصور الذي لجأ إليه، وبقي تحت كنفه، وكان هذا السلطان فقيها، وله مشاركة في العلوم وتفسير القرآن[2]، واعتبر محمد حجي رحلة المقري الأولى إلى المغرب- حينما كانت الدولة السعدية في أوج قوتها- رحلة استطلاعية قرَّر من خلالها الاستيطان به[3].

ومهما كانت أسباب عودة المقري هذه المرة إلى فاس، فقد استقر هناك مُعَّمِرا وقته بالتأليف والتدريس، حيث ألفى في ظل السلطان أبي المعالي زيدان مكتبة حافلة بالمخطوطات في شتى الفنون، وفي ذلك يقول:" حللت الحضرة الفاسية- حفظها الله – حيث المجالس غاصة بالعامة والخاصة، والمساجد آهلة معمورة... وحلل المعارف فضفاضة، والعوارف الجليلة مفاضة"[4]. وفي أوائل جمادى الأولى سنة 1022هـ/ جوان 1613م أسندت إليه وظيفة الإفتاء، والخطابة، والإمامة بجامع القرويين، فظل متوليا لها أزيد من خمس سنوات، إلى أن خرج متوجها إلى المشرق[5].

وأثناء إقامة المقري بالمغرب كان يحضر حلقات كبار علمائه، منها حلقة قاضي الجماعة بفاس الشيخ أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني[6] سنة 1018هـ/ 1609م، الذي كان ينعقد لإقراء " تلخيص المفتاح"[7] بعد العصر[8]. كما أقام مدة في الزاوية الدلائية يدْرُس الحديث الشريف على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي (ت 1046هـ)، والشيخ أحمد بن القاضي[9].

[1] - محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص: 162.
[2] - محمد عبد الغني حسن، المقري صاحب نفح الطيب، ص: 28.
[3] - الحركة الفكرية، ج2، ص: 367.
[4] - أحمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج1، ص: 4.
[5] - أحمد المقري، نفح الطيب، ج7، ص: 135.
[6] - أبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني الأندلسي (952- 1032هـ): قاضي الجماعة بفاس، أخذ عن القصار وأبي زكريا السراج وأحمد بابا وغيرهم. حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج3، ص: 1263؛ عبد الكبير الكتاني، زهر الآس، ج2، ص: 59؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 298.
[7] - تلخيص المفتاح في المعاني والبيان للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي(666- 739هـ/ 1339م)، وهو تلخيص القسم الثالث الخاص بالبلاغة من كتاب مفتاح العلوم لسراج الدين أبي يعقوب يوسف السكاكي المتوفى سنة 626هـ. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص، ص: 156، 157.
[8] - محمد القادري، نشر المثاني، ج1، ص: 254.
[9] - محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص، ص: 94، 115.

وقد تصدى الشيخ أحمد المقري للتدريس هناك؛ فتخرج عليه عدد من أعلام المغرب وأجازهم كالشيخ أحمد بن علي السوسي البوسعيدي (ت 1046هـ)، وأحمد بن موسى الأبار الفاسي، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري[1]؛ الذي أجازه نثرا[2] بعد أن قرأ عليه الموطأ والرسالة، ومختصر خليل، وابن الحاجب وغير ذلك[3]. كما حضر الشيخ محمد الشهير بابن القاضي[4] دروسه بفاس في عدة علوم منها الفقه، الحديث وعلم الكلام، وقرأ بعض المختصر فأجازه المقري به، وبكل مروياته ومصنفاته من نظم ونثر[5].

أمَّا الفقيه أبو الحسن علي الفاسي الشهير بالشامي[6]، فقد جمعته به صداقة متينة، وله معه مراسلات تدل على ذلك. وكان يحضر دروسه بالقرويين، كما تبادل معه الأشعار والألغاز والتقاريظ، من ذلك التقريظ الذي كتبه له على " أزهار الرياض بأخبار القاضي عياض " بعد اطلاعه عليه في أواخر محرم سنة 1026هـ/1617م. وفيه أخبر بأنَّه أجازه قائلا:" فلمّا أوقفني على هذه الرياض... وأسمعني منها - حفظه الله - جملة جميلة من لفظه، وأملى عليَّ من قصائدها عدة حفيلة من وافر حفظه، وأجازني ذلك كله، وجميع مروياته الحميدة الآثار، وكلما أسنده وأسند إليه من نظام أو نَثَار، حسبما كتب ذلك بخطه بمحول هذا الصفح... إجازة تامة قرت بها العينان"[7].

---

1 - علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن الأنصاري السجلماسي(ت 1057هـ/ 1647م): أخذ على علماء المغرب الأقصى، وحج ودخل مصر سنة 1043هـ وأخذ عن علمائها كالشهاب الغنيمي وعلي الأجهوري، ثم رجع واستقر بمدينة الجزائر. له مؤلفات كثيرة غالبها نظم. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص، ص: 173، 174؛ اليفرني، «صفوة من انتشر»، ورقة: 103ظ؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 308.

2 - محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص: 271.

3 - محمد اليفرني، المصدر السابق، ورقة: 103.

4 - محمد بن قاسم بن القاضي المكناسي (ت 1041هـ/ 1631م): من فقهاء فاس، أديب بارع في الكتابة وقرض الشعر، طارت شهرته في التدريس بالقرويين على حداثة سنه. وأخذ عن عمه أحمد بن القاضي. توفي قتيلا لاتهامه بالموافقة على تمكين النصارى من ثغر العرائش. ابن زيدان، اتحاف أعلام الناس، ج4، ص، ص: 40، 41؛ محمد حجي، موسوعة الأعلام المغرب، ج3، ص: 1292.

5 - أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، ص، ص: 77، 78.

6 - الأديب أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي(ت 1032هـ/ 1623م): اشتهر بالشامي نسبة إلى الشام لأنّ جده قدم من الشام إلى فاس. فقيه أصولي وأديب شاعر عمل كاتبا عند أحمد المنصور، ثم عند ولي عهده المأمون. من مؤلفاته: شرح مقصورة المكودي، ودرة الإسعاف بنظم أجداد بعض الأشراف. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص، ص: 141، 142؛ المقري، نفح الطيب، ج6، ص: 59؛ حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص: 374.

7 - أحمد المقري، الرحلة، ص: 202.

ومن جملة من أخذ عليه بفاس وأجازه في السنة المذكورة الأستاذ أبو عبد الله محمد بن يوسف التاملي[1]، وأورد المقري في " فتح المتعال"[2] وفي "الرحلة" القصيدة التي استجازه بها، وهي في خمسة عشر بيتا، وإجازته له نظما في اثنين وعشرين بيتا بتاريخ جمادى الأولى سنة 1026هـ. نكتفي هنا بالمقصود منها؛ وهو قول الناظم[3]:

وها أنا ذا أشهدت أني أجزتكم على السنن المعلوم والمقصد الأوفى
جميع تآليفي ونظمي وإن وهي ونثري وإن حاز الركاكة والضعفا
وكل الذي أرويه عمن لقيته من السادة الغر الآلى أحسنوا الرصفا

وكتب إليه الفقيه محمد بن الفقيه عبد الواحد بن أبي عبد الله الرجراجي المراكشي باستدعاء نثري، وقصيدة يمدحه ويستجيزه بها؛ منها قوله[4]:

هذا محبكم العفيف ببابكم إذ أنت حقا ملجأ الضعفاء
جودوا بحقكم له برجائه لا زلتم في الخير والنعماء

ولكن المقري الذي ذكر هذا الخبر لم يورد إجازته له، والغالب على الظن إجازته لما جرت به العادة. والملاحظ أنَّ المقري لم يذكر أسماء بعض العلماء الذين أجازهم في المغرب؛ من ذلك إجازة في أربعة أبيات افتتحها بقوله[5]:

أجزتك يا عبيد جميع ما قد رويت عن الشيوخ ذوي الكرامة
منثوري ومنظومي جميعا لمن قد شاءه مني ورامه

والجدير بالذكر أنَّ صلات المقري بالمغاربة لم تنقطع برحلته، بل درس عليه عدد منهم في المشرق، وحصلوا على إجازاته. فقد أخذ عليه العالم الشيخ أبو

---

1 - الأستاذ المقرئ أبو عبد الله محمد بن يوسف التاملي السوسي المراكشي (ت 1048هـ/ 1638م): أخذ بفاس عن الحسن الدراوي، وأبي عبد الله الترغي، ومحمد الصغير المستغانمي وغيرهم. اليفرني، « صفوة من انتشر»، الأوراق: 103ظ، 104و؛ المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص: 271.
2 - هذا ما ذكره اليفرني في الصفوة، ورقة: 104و. لم أتمكن من اطلاع عليها لأن نسختي المكتبة الوطنية، وهما تحت رقمي: 2002 و2003 مبتورتي الأخر.
3 - أحمد المقري، المصدر السابق، ص، ص: 192، 193.
4 - أحمد المقري، المصدر نفسه، ص: 124.
5 - أحمد المقري، المصدر نفسه، ص: 175.

بكر السوسي المراكشي[1]؛ الوافد لنواحي مصر فأجازه نثرا بجميع مؤلفاته ومروياته[2].

ولم تكن صلات المقري وثيقة بعلماء تونس كما هي مع علماء المغرب الأقصى، ولذلك فلم يجز إلاَّ لعدد قليل منهم. فأثناء رحلته إلى المشرق سنة 1028هـ/ 1618م نزل بمدينة سوسة[3]، واستقر بها مدة، فاستجازه مكاتبة من مدينة تونس الشيخ محمد تاج العارفين[4]؛ وهو حينئذ من كبار علماء تونس. وذلك ما ذهب إليه صاحب "المُؤنس" بقوله:" ولم يكن بالديار التونسية من يوم حلّ بها العسكر العثماني من تعاطى الرواية والدراية إلاَّ الشيخ... أبو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني... وكان مجلسه من أجّل المجالس"[5]، ثم حضر إلى المقري بسوسة، فنظم له إجازة في ثلاثة وأربعين بيتا منها[6]:

أجزتك تاج العارفين جميع ما رويت عن أعـلام الهـدى قلا أو كثرا

مجـازا ومقـروءا وإذنـا بشرطه وكل الـذي لفقـته نظما أو نثرا

وأجاز المقري بتونس أيضا للشيخ أبي القاسم بن جمال الدين المسراتي القيرواني[7] جميع مؤلفاته ومروياته؛ في قصيدة نظمها له في ثمانية أبيات[8].

إنَّ جل إجازات الشيخ أحمد المقري في الرواية، حيث كان يُجيز أقرانه من العلماء، وتلامذته رواية مروياته ومؤلفاته. ولم يمنح لتلامذته إجازات خاصة فيما قرؤوه عليه إلا نادرا. كما لا نعلم أنَّه أجاز أحدا في التدريس أو الفتوى أو

---

1 - أبو بكر بن مسعود مفتي المالكية بدمشق(984- 1032هـ): ولد بمراكش وبها نشأ، رحل إلى المشرق وعاش به متنقلا بين مصر ودمشق التي استقر بها أخيرا. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص: 97.

2 - أحمد المقري، الرحلة، ص، ص: 121، 122.

3 - سوسة: مدينة كبيرة عتيقة على ساحل البحر المتوسط تبعد بمئة ميل من تونس. الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 83.

4 - أبو عبد الله محمد تاج العارفين بن أبي بكر العثماني التونسي: كان حيا سنة 1037هـ/ 1628م. هو أول من تولى الإمامة بجامع الزيتونة من بيت البكريين، واستمرت الإمامة وراثية في بيته لمدة 173سنة. قرأ على الشيخ أبي يحي الرصاع، وأخذ عنه ابنه أبو بكر، ومحمد فتاتة، ومحمد الحجيج وغيرهم. وله " إعمال النظر الفكري في تحرير الصاع النبوي". مخلوف، شجرة النور، ص، ص: 293، 294؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، ص، ص: 116- 117.

5 - ابن أبي دينار، المُؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح: محمد شمام. تونس: المكتبة العتيقة، (ط3)، 1967. ص: 317.

6 - المقري، المصدر السابق، ص، ص: 153، 154؛ وينظر النص كاملا، ص- ص: 256- 257.

7 - أبو القاسم بن جمال الدين محمد بن خلف المسراتي (ت 1065هـ/ 1654م بمصر): أجازه النور الأجهوري، والدشطوطي البكري وغيرهم. محمد مخلوف، شجرة النور، ص: 305.

8 - أحمد المقري، المصدر السابق، ص: 176.

القراءات القرآنية. وللإشارة فإنّ المقري كان من أحرص العلماء على الاحتفاظ بإجازاته، ولهذا أوردها بنصوصها في كتبه:" كفتح المتعال"، و" نفح الطيب"، و" روضة الآس" و"الرحلة".

4- إجازات الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري لبعض العلماء الجزائريين:

لقد طالت مرحلة الفوضى التي عمَّت المغرب الأقصى أواخر الدولة السعدية، حتى كادت أن تقضي على المراكز العلمية به؛ وفي مقدمتها جامع القرويين. ولهذا زار بعض علمائه الجزائر، ودرسوا بها ثم عادوا إلى بلادهم، في حين كان بعضهم ينشد الهدوء والاستقرار اللّذيْن فُقِدا فيه؛ فاستوطنوا الجزائر كالشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري؛ الذي استقر بأسرته في مدينة الجزائر بعد عودته من الحج[1]، فوجد فيها ترحيبا كبيرا من طرف حاكم الجزائر آنذاك يوسف باشا[2]؛ الذي قرَّبه منه[3].

دخل الشيخ علي الأنصاري مدينة الجزائر بين عامي 1045 - 1047هـ/ 1635- 1636م، وكان بها ساعة قدومه إليها علماء بارزون؛ أمثال الشيخ سعيد قدورة، والشيخ أحمد الزروق بن داود[4]. ولكن الطلاب كانوا في حاجة إلى المزيد من رجال العلم، ولاسيما من المغرب الذين اعتادوا التوَّجه إليه لاستكمال معارفهم في جامع القرويين وغيره، فكان مجيء الشيخ الأنصاري إليهم فرصة نادرة عليهم أن يغتنموها[5]، فأخذ عليه عدد كبير من طلبة العلم الجزائريين، سيما وأنَّه كان متمّكنا من عدة علوم، حتى وصف بأنَّه" كان آية باهرة في جميع العلوم"[6].

1 - اليفرني، « صفوة من انتشر »، ورقة: 103ظ.

2 - أبو الجمال يوسف باشا: تولى بين سنتي 1050 و1052هـ/ 1640م و1642م، ثار عليه جند الإنكشارية وسجنوه. وكان محبا للعلماء، ولهذا ذهب وفد منهم إلى استنبول برئاسة محمد بن علي القوجلي طالبين تدخل الباب العالي في تعيينه على الجزائر وإقصاء خصومه. المدني، محمد عثمان باشا، ص، ص: 37، 38. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1990.ج3، ص: 204.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 371.

4 - لا نعلم عما إذا تبادل الأنصاري الإجازات مع بعض هؤلاء العلماء.

5 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 371.

6 - المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص: 174.

ومن بين أكثر تلامذة الشيخ الأنصاري ملازمة له في الجزائر الشيخين: أبو حفص عمر المانجلاتي، وعيسى الثعالبي. فقد لازمه الأول " أربع عشرة سنة نهارا وليلا في غالب الأوقات " فأخذ عنه جملة من الفنون[1]. ومع أنَّ المنجلاتي لم يذكر في إجازته لابن زاكور أنَّ الأنصاري أجازه، إلاّ أنَّ المدة التي قضاها في الدراسة عليه تكاد تؤكد على إجازته له؛ إجازات تعليمية بإقرائه لبعض المتون، كما فعل مع تلميذه الشيخ عيسى الثعالبي؛ الذي لازمه كما يقول العياشي " لزوم الشاخص، وخدمه خدمة الرَّاغب حتى اختص به، وصار من علِيَة أتباعه "[2]. وتزيد المدة التي لازمه فيها على عشر سنين، قرأ عليه فيها علوما كثيرة، استوفى ذكرها في فهرسه "كنز الرواة ". حيث أجازه عدة مرات، وأنابه عنه في مباشرة التدريس[3]. ويغلب على الظن أنَّ إجازات الأنصاري للثعالبي تتنوع بين الإجازات التعليمية، وإجازات الرواية.

وقد ذكر المحبي شيوخ يحي الشاوي الملياني بمدينة الجزائر، وعدّ من بينهم الشيخ عبد الواحد الأنصاري قائلا بأنَّه:" روى عنهم الحديث والفقه وغيرها من العلوم، وأجازه شيوخه"[4]، فهل كان الشيخ الأنصاري من جملة شيوخه الذين أجازوه؟

ومن بين تلامذته أيضا قاضي الحنفية بمدينة الجزائر الشاعر محمد بن علي القوجيلي[5]. وقال في شيخه عبد الواحد الأنصاري قصائد رائعة؛ من بينها هذا

---

1 - ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص، ص: 10، 11.

2 - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص: 127.

3 - عدَّدَ المحبي في ترجمته للثعالبي الكتب التي قرأها على الأنصاري، وهي كثيرة جدا. خلاصة الأثر، ج3، ص: 240.

4 - المحبي، المصدر نفسه، ج4، ص: 486.

5 - الشاعر محمد بن علي القوجيلي(ت 1080هـ/ 1669م): محدث من أبرز الشعراء الجزائريين خلال القرن 11هـ. تولى وظائف لدى يوسف باشا. ترك بعض التآليف منها: عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع؛ وهو منظومة في مخرجي أحاديث الجامع الصحيح للبخاري. وله شعر في أغراض مختلفة كالمدح والغزل والرثاء والوصف. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج3، ص- ص: 204، 205؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص: 500.

الاستدعاء الذي يقع في اثنتين وثلاثين بيتا، أكتفي هنا بالمقصود، وهو قول الناظم[1]:

يا معنمَا وهب الجزيل لمن — مِنْ بابِه يرجو ندى المثرى

إنّا جمعنا من مذاهبكم فأجِزْ — جُزيت بأعظم الأجِر

فيما انتقيتم في فوائدكم — من رائقٍ في النظم والنثر

مع ما تجوز لكم روايته — من كل فن شامخ القدر

بدراية ورواية ثبتت — بصحيح إسناد عن الغُر

نقلا عن الأعلام سلسلة — لا يُقتنى بسلاسل التبر

وأجلها جمع البخاري إذ — ما مثله جمع مدى الدهر

ومن تلامذة الشيخ الأنصاري أيضا مفتي الحنفية بمدينة الجزائر: الشيخ محمد المهدي[2] جّد ابن علي الشاعر المشهور في القرن الثاني عشر الهجري. وقد قال في شيخه المذكور قصائد؛ منها هذه القصيدة الغزلية[3] التي استجازه بها؛ منها قوله[4]:

فيا رّبة الحُسْن الذي ملك النُهى — عسى عطفةَ يحيا بها المُتنشق

عِديني بوصلٍ وامْطلي بنجَازه — فوعدٌ جميل منك لا شك يصْدُقُ

وإن لم أكن أهلاً لِما أنا آملُ — فحُبي شفيع بالوسائل أسْبقُ

فيا قلبي المُضنّى رُويدك فاتئِد — فمَلبُوسُ ذاك الشوق لا يتخُرق

أألخشى اندراسا للعُلى وزعيمها — علي بن عبد الواحد المتصدّق[5]

---

[1] - أحمد بن عمار، أشعار جزائرية، تح: أبو القاسم سعد الله. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988. ص، ص: 122، 123.

[2] - محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العلج: كان مفتيا للحنفية بمدينة الجزائر سنة 1045هـ/ 1635م. ويظهر أنَّه ظل بها إلى سنة 1069هـ/ 1658م. ويبدو أيضا أنه نقل إلى أزمير من خلال رسالة بعث له بها محمد بن راس العين؛ وهو من علماء مدينة الجزائر. ابن عمار، المصدر السابق، ص، ص: 22، 23؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 479؛ البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص: 219.

[3] - تأثر معظم الشعراء الجزائريين في هذه الفترة بالشعر الأندلسي، فكانوا لا يدخلون إلى الأغراض الشعرية المختلفة إلا من خلال الغزل.

[4] - ابن عمار، المصدر السابق، ص: 113.

[5] - رغم أنَّ هذه القصيدة غير تامة في كتاب " أشعار جزائرية"، فإنَّه يبدو أن قائلها يستجيز بها الأنصاري على ما هي عادتهم عندئذ. ومن الأبيات المتصلة بهذه الأبيات وتؤكد أن القصيدة هذه استدعاء قول الناظم: « فوجهُ عُلاه واضح متهلل ♦ وبحر ندَاه طافح يتدفق
وجود سواه بالمعالي مقيد ♦ وجود يديه بالمعَارف مطلق

تمثل كل من هاتين القصيدتين استدعاءا، وهما كل ما وصلنا عن إجازة الشيخ الأنصاري لمحمد القوجيلي ومحمد المهدي. ذلك أنَّ العادة جرت بأن لا يرفض الشيخ الإجازة لكبار العلماء كالشيخين المقصودين بالإجازة، رغم أنَّهما حنفيان، لأنَّ الإجازة لا علاقة لها بالمذهب، إلاَّ أن تكون إجازة تدريس أو فتوى خاصة بمذهب معين.

5- الإجازات المتبادلة بين الشيخ عيسى الثعالبي وعلماء المغرب وتونس:

كان المغرب الأقصى يتخبط في ضروب المحن والفتن؛ في الفترة التي هاجر فيها الشيخ عيسى الثعالبي إلى المشرق (وهي سنة 1061هـ/ 1650م)، ولهذا لا يُسْتَغْرَب أنَّه لم يتَّجه إليه كما هي عادة العلماء الجزائريين الرَّاغبين في الهجرة، سيَّما وأنهم كانوا يُلاقون رعاية منقطعة النظير من طرف سلاطينه، كما لا يُعرف من سيرته الذاتية أنَّه درس بالمغرب، أو رحل إليه لأي سبب آخر. ومع ذلك فقد كانت له صلات وثيقة ببعض علمائه منذ كان بالجزائر؛ حيث لازم بها الشيخ عبد الواحد الأنصاري فأجازه عدة مرات، وقد سبق الحديث عن ذلك.

وأثناء رحلته إلى المشرق، نزل الشيخ عيسى الثعالبي بمدينة تونس، وأخذ عن كبار علمائها كالشيخ أبي بكر بن الشيخ تاج العارفين البكري (ت 1072هـ)، ولكن المحبي[1] لم يذكر عمَّا إذا أجازه أم لا، أمَّا محمد مخلوف فقد ذكر العلماء الذين أخذ عنهم الثعالبي بتونس ومصر، ثم أضاف قائلا:" وأجازوه وأثنوا عليه بما هو أهله"[2]، ولم يخصص مَنْ منهم أجازه. فهل كان الشيخ المذكور من جملة العلماء المُجيزين له؟، ويغلب على الظن أنَّه قد أجازه رواية؛ لأنَّ العلماء ما كانوا يفوتون فرصة استدعاء كبار المحدثين؛ كالشيخ أبي بكر تاج العارفين الذي خلف "والده في مجلس تدريسه، وقام بعلم الحديث الشريف أحسن قيام"[3].

أقام لأرباب المعارف سوقها ♦ فكسادها قد عاد في الحين ينفِق »

1 - خلاصة الأثر، ج3، ص: 241.

2 - شجرة النور، ص، ص: 311، 312.

3 - ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص: 317.

وكان الشيخ أبو سالم عبد الله العياشي[1] ممَّن تتلمذ على الشيخ عيسى الثعالبي بالمشرق، فقد لقيه أثناء تردده على الحج، واجتمع به للمرة الأولى بين سنتي 1064 و1065هـ/ 1654م في القاهرة[2]، وسمع منه بعض مسند أحمد ابن حنبل، وأجازه[3] جميع مروياته عن أشياخه، وكتب له ذلك بخطه[4].

ولقيه مرة أخرى بمكة في حجه سنة 1073هـ/ 1662م، فقرأ عليه جملة من المتون وأغلبها في الحديث النبوي الشريف[5]. واستجازه العياشي هذه المرة أيضا في مروياته وفي بعض المؤلفات التي قرأها عليه، فأجازه مرات عديدة. وقد عبّر العياشي عن رضاه بالتتلمذ على الثعالبي قائلا:" قرأت عليه وسمعت في أزمان قليلة ما لم يسمع غيري في عمره، وكُفيت مؤنة تقييد الأسانيد بموافقتي له في كثير من شيوخه"، ولمّا حصل العياشي على نسخة من فهرسة شيخه المسماة "بكنز الرواة "، أجازه بها، وناوله إياها[6]. كما سمع من لفظه "كتاب الدعاء" لابن أبي الدنيا بكامله، وأجازه به وبكل ما اشتمل من أدعية وأذكار. وسمع منه أيضا "خطبة القاموس" في اللغة، وأجازه باقيه[7]، وخطبة النبي – صلى الله عليه وسلم – الأخيرة وأجازه بها[8]، وجميع رسالة ابن أبي زيد في منزله بجانب المسجد الحرام، وأجازه بها وبسائر مروياته خصوصا مؤلفات أهل مذهب مالك جميعا،

---

[1] - أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي السجلماسي(1037- 1090هـ): أخذ عن والده، وأخيه عبد الكريم، وعبد القادر الفاسي وهو عمدته، والشبراملسي والبابلي وغيرهم. وأخذ عنه ابنه حمزة وعبد السلام بناني وغيرهم. له عدة تآليف منها فهرسته " اقتفاء الأثر"، ومنظومته في بيوع ابن جماعة وشرحها. القادري، نشر المثاني، ج2، ص- ص: 254- 263؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 314.

[2] - عبد الله العياشي، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ج2، ص: 129.

[3] - للعياشي فهرسة صغرى تعرف "بإتحاف القاري بأسانيد الأجلاء"، أو " إجازة العلماء لأبي سالم لعبد الله ابن محمد العياشي"، وهي توجد في آخر رحلته في بعض نسخها الخطية، غير أنَّها لم تطبع معها، وذكر فيها الاستدعاءات التي قدمها لمشايخه المشارقة، يطلب فيها الإجازات لنفسه ولولده حمزة ولجماعة من مشايخه وأقرانه. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى. الدار البيضاء: طبع ونشر وتوزيع دار الكتاب، (ط2)، 1960. ج2، ص: 285.

[4] - محمد القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج2، ص: 186.

[5] - ذكر العياشي الكتب التي قرأها على الثعالبي في الحجاز في مواضع متفرقة من الرحلة، وجلها في الحديث الشريف، مثلا ج2، الصفحات: 139، 161، 167، 170، 176.

[6] - العياشي، المصدر السابق، ج2، ص: 133.

[7] - المصدر نفسه، ج2، ص، ص: 176، 177.

[8] - المصدر نفسه، ج2، ص: 182.

وسمع منه أيضا جميع كتاب السنن للنسائي المسمى "بالمجتبى" بالمسجد الحرام، فلمَّا كان يوم ختمه أنشد العياشي مُستجيزا شيخه بخمسة أبيات افتتحها بقوله [1]:

ختمنا كتاب المجتبى وأتمــه   وأسمعناه شيخنا مسند الدنيـا

واختتمها بقوله:

أجزنا وكل الحاضرين جميع ما   رويتم بلا شرط يحض ولا تينا

وللعياشي استدعاءٌ جماعي لعلماء المشرق، بلغ عدد المذكورين فيه بالإضافة إليه تسعة من بينهم ابنه حمزة، فكتب لهم عليه ستة عشر عالما مُجيزين لهم من بينهم الشيخ عيسى الثعالبي[2]. وكان من عادة العلماء مراجعة شيوخهم فيما ألَّفوه، والأخذ برأيهم فيه، ولهذا عرض العياشي على شيخه الثعالبي قصائده المدحية المرتبة على حروف المعجم، وراجعه فيما يحتاج إلى مراجعة منها فاستحسنها، وإستجاز هو بدوره تلميذه فيها[3].

وقد كان الشيخ عبد الله العياشي يستدعي لنفسه ولأصحابه من يلقاه من أجِّلة العلماء، وفي طريق عودته إلى المغرب استجاز جماعة من العلماء، وكتب إليهم بإجازات المشايخ لهم عند وصوله إلى طرابلس، ومن جملة أصحابه المُجازين شيخه عيسى الثعالبي[4].

وظلَّت صلة العياشي قائمة بشيخه حتى بعد عودته إلى المغرب، فقد استدعى في سنة 1076هـ/1665م الشيخ عبد القادر الفاسي[5] لنفسه ولجماعة من المشايخ من بينهم شيخه الثعالبي، فكتب لهم ولده الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر إجازة ضمَّنها مشهور أسانيد والده، وهي فهرسة في نحو كراستين، وكتب إثرها

---

1 - العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص: 176.

2 - عبد الحفيظ بن محمد الفاسي، معجم الشيوخ المسمى "رياض الجنة أو المُدهش المطرب"، تعليق: عبد المجيد الخيالي. بيروت: دار الكتب العلمية- منشورات محمد علي بيضون، (ط1)، 2003. ج1، ص: 71.

3 - العياشي، المصدر السابق، ج2، ص: 177.

4 - العياشي، المصدر نفسه، ج2، ص: 382.

5 - أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد الفاسي (1007- رمضان 1091هـ): قرأ على والده وعلى علماء فاس. لم يتصد للتأليف لانشغاله بالتدريس فتخرج عليه عدد كبير من طلبة فاس وغيرها، وممن أخذ عنه ابن علي اليوسي. أفرده ولده عبد الرحمن بترجمة في كتاب سماه " تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر". المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص- ص: 444- 451؛ محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج4، ص- ص: 1636- 1643.

والده الإجازة لمن ذكر ضمنها[1]. وممّا جاء في الفهرس - بعد الإشارة إلى إنابة والده له في كتابة الإجازة-:" فقال الشيخ المُستجاز المذكور لذلك أجزت المُستدعي المذكور وولده (أي العياشي وولده حمزة)... ثم للشيخ العالم الحافظ العامل أبي مهدي عيسى الثعالبي". وبعد أن عدّد أكثر من عشرين عالما وفقيها من المشرق والمغرب ممَّن تعمه الإجازة قال:" إجازة عامة في جميع مالنا من مقروء ومجاز ومسموع، وما تحمّلناه من الأصول والفروع، فيحدثوا عني جميعا بما شاءوا، وكيف شاءوا، على السنن المُعرف، والنهج المسنون المعروف، إيجاب لتلكم الطلبة..."[2]. ثم شرع مباشرة في سرد سند مرويات والده مبتدئا بالحديث الشريف.

وهناك عالم آخر اشتهر بالاسم نفسه مع المُجاز له سابقا، وهو الشيخ الفقيه عبد الله العياشي ابن المجاهد محمد العياشي[3]. وأخذ هو الآخر على الشيخ عيسى الثعالبي في الحرمين الشريفين، وحصل على إجازة منه[4]. وأجاز الثعالبي أيضا للشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي[5]، والشيخ أحمد بن سعيد الدلائي[6]. وكانت إجازته لهذا الأخير في سنة 1068هـ/1657م؛ وهي الإجازة التي عدّد فيها أساتذته الذين أخذ عنهم الحديث في مصر، وبالأخَّص علماء الأزهر المالكية أمثال: الشيخ علي الجهوري، والشيخ يوسف الفيشي[7].

وأخذ عنه بمكة أيضا الشيخ عبد الله محمد البوحسني المغربي[8]؛ منظومة الشيخ أحمد المقري في علم الكلام المعروفة " بإضاءة الدجنة في عقائد أهل

---

1 - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 767.
2 - الفهرس المُجاز به، ضمن مجوع رقم: 181، بدار الكتب المصرية، الأوراق: 11ظ، 12و.
3 - عبد الله العياشي (999- 1073هـ/ 1663م): كانت له مجالس علمية راقية حضرها أعيان علماء المغرب الواردين على أبيه الأمير، وفيهم محمد ميارة المعروف بالصغير. وله تآليف منها: شرح التحفة، وشرحان على المرشد المعين كبير وصغير. وقد جاهد إلى جانب أبيه. محمد مخلوف، شجرة النور، ص: 309.
4 - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص: 448. ورد في الهامش من نفس الصفحة أن هذه الإجازة ضمن مخطوط م.ع الرباط، ع: 3283 ك.
5 - محمد القادري، نشر المثاني، ج3، ص، ص: 151، 152.
6 - لم أتمكن من ترجمته، رغم الرجوع إلى مصادر ومراجع مغربية ترجمت للدلائيين، وبالأخص كتاب " الزاوية الدلائية "؛ الذي ترجم لعلماء الأسرة الدلائية، ولكنه لم يذكر هذا الاسم مطلقا.
7 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 56.
8 - عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى: هو بدوره أجاز بإضاءة الدجنة العلامة محمد بن المختار الأعمش ووجه إليه بنسخة منها، ورغبه في وضع شرح عليها، فأجابه إلى ذلك. الولاتي، فتح الشكور، ص: 160.

السنة"، فأجازه فيها عن الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري عن مؤلفها[1]. هذا وقد شهدت المنظومة المذكورة إقبالا كبيرا بأرض شنقيط[2]؛ حيث بلغت تلك الربوع في وقت مبكر جدا, وأعجب بها الشناقطة فتداولوها، وكثرت شروحهم وتعاليقهم عليها، وتنوعت حواشيهم عليها، حتى تجاوزت العشرين شرحا وحاشية[3].

6 – إجازات علماء مدينة الجزائر للأديب المغربي محمد بن زاكور:

كان المغاربة يتخذون الجزائر طريقا للمشرق برا وبحرا، وكثيرا ما كانوا ينزلون بمدنها، ويلتقون بالعلماء فيجيزون ويستجيزون. ومن القلة الذين دخلوا إليها من دون أن يكونوا متوجهين إلى المشرق أو عائدين منه: الأديب محمد بن زاكور الفاسي[4]؛ الذي حلَّ بمدينة الجزائر في سنة 1093هـ/ 1682م. وبما أنّه لم يصرح في كتابه المُخَّلد لهذه الرحلة المسمى "بنشر أزاهر البستان" عن أسبابها، فقد اختلف الباحثون في تحديدها، بين كونها عائلية وهو ما ذهب إليه بعض الدارسين المغاربة، وبين كونها علمية وهو ما ذهب إليه بعض الدارسين الجزائريين.

لقد أكّد على السبب الأول عبد الوهاب بن منصور قائلا في تقديمه للكتاب المذكور، بأنّ ابن زاكور ألّفه "عن الزيارة التي قام بها لأغراض عائلية، وتجارية إلى الجزائر وتطوان سنة 1093 و1094هـ، تلك الزيارة التي اغتنمها للاجتماع

[1] - أبو عبد الله محمد بن أبـي بكر البرتلي الـولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1981. ص: 160.

[2] - شنقيط في الأصل مـدينة من منطقة أدرار إلى الشمال من وسط موريتانيا الحالية، ونظرا لازدهارها خلال القرن 12هـ انسحب اسمها على كافة المجـال الموريتاني الحالي. حماه الله ولد سـالم، دور ركاب الحاج والأوقاف في التواصل بين المجـال الشنقيطي- السـوداني مع المشرق العربي، ضمـن مجلة " الجسرة الثقافية. قطر: نادي الجسرة الثقافي. العدد: 14، خريف 2002. ص: 40.

[3] - محمد بن المحبوب، الوصل الثقافي بين الجزائر وبلاد شنـقيط، ضمن مجلة الحضارة الإسلامية، الصادرة عن معهد الحضارة الإسلامية – جامعة وهران، العدد: 5، سنة: 1998. ص- ص: 293- 297.

[4] - أبو عبد الله محـمد بن قاسم بن زاكور الفاسـي (ت 1120هـ/1708م): أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي والكماد القسنطيني وغيرهم. له نظم كثير في أنواع من العلـم منها: حاشيته على الخزرجية، وديوان شعر. القادري، نشر المثـاني، ج3، ص: 203؛ عبد الكبير الكتـاني، زهر الآس، ج1، ص، ص: 459، 460؛ البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص: 310؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 330.

بعدد من العلماء والأخذ عنهم"[1]. كما برهن عبد الله كنون على أنّ زيارة ابن زاكور لتطوان تعود إلى الروابط العائلية، ثم أضاف قائلا ": كما لا يبعد أن يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الجزائر أيضا، لأنَّ أولاد ابن زاكور كانوا بها موجودين". ونفى كونه دخلها لطلب العلم مُستدلا على ما ذهب إليه من كون ابن زاكور " نفسه لا يذكر أنَّه خرج بقصد طلب العلم، وإنَّما يقول لما حلَّ ببلد كذا أخذ عن فلان وفلان "[2].

أمَّا نور الدين عبد القادر[3]، وأبو القاسم سعد الله [4] فقد أكّدا على أنَّ سمعة بعض العلماء الجزائريين جلبته للأخذ عنهم. وهناك فرق بين كون أسباب رحلته عائلية أو علمية، لأنَّ السبب الأخير يعني شهرة العلماء المدرسين آنذاك بمدينة الجزائر، وشدّ الرحال إليهم من المغرب الأقصى الذي كان يعج بالعلماء والأدباء الأفذاذ, وهذا الأمر على جانب كبير من الأهمية.

ومهما كانت أسباب قدوم ابن زاكور إلى مدينة الجزائر فإنّ مكوثه بها عدة أشهر، هو للتتلمذ على علمائها الأفذاذ, ولهذا رحل فور الانتهاء من القراءة عليهم, فلو وجد علماء بمنزلتهم لأطال مدة إقامته أكثر ليتمكن من الدراسة عليهم، وهذا ما جاء على لسانه في الجزء المخصص لعلماء مدينة الجزائر في الرحلة[5]:" وإنَّما لم أحفل بسواهم, ممَّن تبوأ ذُراهم, اكتفاءا بالبحار عن الجداول والأنهار... وحرصا على إتيان بيوت المعارف من أبوابها, وتلقي درر المحاسن عن أربابها"[6].

ويبدو جليا حرص واهتمام ابن زاكور بإجازات العلماء الجزائريين، فقد كان يتطلع لقراءة " مختصر سعد الدين التفتزاني "[7] على الشيخ أبي عبد الله بن خليفة

---

1 - محمد بن زاكور، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان، ص: أ.
2 - ذكريات مشاهير رجال المغرب (ابن زاكور). تطوان: مطبعة كريماديس، بدون تاريخ. ج13، ص، ص: 8، 9.
3 - صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 202.
4 - تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 439.
5 - الرحلة مقسمة إلى قسمين متساويين تقريبا، الأول مخصص لمدينة الجزائر، والثاني لمدينة تطوان.
6 - محمد بن زاكور، المصدر السابق، ص: 45.
7 - مختصر سعد الدين التفتزاني على تلخيص المفتاح في البيان والبديع والمعاني لمسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين التفتزاني (712- 791هـ): وله شرح على العضد وشرح الشمسية في المنطق، وشرح التلخيص مطول. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص: 285.

الجزائري[1]، والحصول على إجازته، فوعده بذلك فور ختمه تفسير القرآن الذي كان مشتغلا به، غير أنّه توفي قبل أن يأخذ عليه، ممَّا جعل ابن زاكور يتحسرعلى ذلك[2]. وما معاودته إستجازة الشيخ محمد قدورة عند اعتذاره عن الإجازة بكونه ليس أهلا لمنحها، إلاَّ اعترافا منه بفضله وتقدمه. وقد احتفظ ابن زاكور بإجازاتهم له كاملة في "نشر أزاهر البستان"، بل واحتفظ بإجازة الشيخ علي الشبراملسي لشيخه ابن عبد المؤمن[3]، في حين أهمل الإجازة التي كتبها له الشيخ الصفوي أبو عيسى محمد المهدي بن أحمد[4]؛ مع أنَّه ساقها بنصها العلمي، وتتبع فيها أسماء مشيخته، والمُهِّم من أسانيده[5].

ودأب الأديب محمد بن زاكور على تقديم قصائد مدحية يستجيز بها شيوخه بالجزائر، كلمَّا ختم كتابا أو أنهى الدراسة على أحدهم. فقد قرأ على الشيخ عمر المانجلاتي كتاب "جمع الجوامع" للإمام السبكي في مدة أربعة أشهر، وكانت قراءته بإحضار شُرَّاحه كالمحلى، وولي الدين العراقي، والكوراني وحواشي مع بعض شروح مختصر ابن الحاجب. ثم استجازه فأجازه برواية ما رواه عن أشياخه، ومن أجَّلِهم: الشيخ عبد الواحد الأنصاري، والشيح سعيد قدورة. وكتب له بذلك في 20 جمادى الثاني سنة 1094هـ، وأجازه بهذه العبارة:" أجزته أن يروي عني، ما رويته عن أشياخي في الفنون التي أسردها بشرطه المعتبر، عند أهل النظر"[6].

وقرأ ابن زاكور على الشيخ محمد بن عبد المؤمن الجزائري صدرا من كتاب "جمع الجوامع"، وبعضا من كتاب " تلخيص المفتاح"، و" أرجوزة ابن

---

[1] - ابن خليفة (ت ربيع الثاني 1094هـ)، أخذ بمصر عن العلامة يس الحمصي وغيره. وتصدى للتدريس بالجزائر، له شرح على السلم المرونق، وتفسير للقرآن الكريم. ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص - ص: 41- 43.

[2] - محمد بن زاكور، المصدر نفسه، ص، ص: 40، 41.

[3] - ابن زاكور، المصدر نفسه، ص: 32- 37.

[4] - إجازة الشيخ المهدي الفاسي لابن زاكور في ذي القعدة 1100هـ. محمد بن عبد الكبير الكتاني، تحفة الأكياس (وهي ذيل كتاب والده زهر الآس)، ج2، ص: 377. والفارق الزمني بين هذه الإجازة وبين إجازات علماء الجزائر له ستة سنوات. وكان من الممكن إلحاقها بها مادام كتابه ليس ككتب الرحلات المتعارف عليها بل هو فهرسة أكثر منه رحلة.

[5] - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 283.

[6] - ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص- ص: 9- 13.

التلمساني" في الفرائض[1]. ثم سأله الإجازة فيما قرأه معه أو سمعه منه؛ فأجابه إلى ذلك وكتب له بالإجازة في 23 جمادى الثانية من نفس السنة. وممَّا ورد فيها:" فأجزته بذلك (أي فيما قرأه معه وسمعه منه) على شرطه المعتبر، عند أهله بإجازة الحافظ علامة مصر أبي الحسن علي الشبراملسي... وبإجازة نزيل المدينة المنورة، ومُدَّرِس الحرم الشيخ أبي العباس أحمد بن تاج الدين". ثم أجازه برواية أرجوزة من نظمه في العقائد والفروع، متكونة من تسعة وسبعين بيتا، وكلفه بشرحها إنْ أمكنه أو مَنْ أهّله الله لذلك[2].

كما حضر مجلس الشيخ محمد بن سعيد قدورة، وسمع عليه بعضا من "الجامع الصغير"[3]، وأبوابا من "صحيح البخاري" ثم سأله الإجازة، فاعتذر عن ذلك بأنّه ليس أهلا لأن يجيز، فلم يزل ابن زاكور يُلح عليه في الطلب، ولمَّا اقترب موعد عودته إلى فاس كتب إليه باستجازة نظمية في أحد عشر بيتا منها[4]:

مولاي أسرفت في إنظار منتظر   إجازة وهي أسنى ما به اعتضدا
لا تمطلنه ففي مطل الغنى أتت   آثار صدق بأن الظلم فيه بدا
وأنت أعلم أهل العصر قاطبة   بها ومن لم يقل هذا فقد جحدا
أجز وأنجز فلا عريت من شرف   إجازة لم تغادر لكم سندا

فكتب له إجازة مطلقة عامة في أوائل رجب 1094هـ، ممَّا ورد فيها قوله:" أجزته إجازة مطلقة تامة عامة، على شروطها المتعارفة عند العلماء القائلين بها في جميع مقروءاتي معقولا ومنقولا، توحيدا أو نحوا، فليُحَّدث بذلك إن أحب عن أشياخي وأشياخهم إلى المؤلفين"[5]. وتجدر الإشارة إلى أنَّ إجازة محمد قدورة لابن زاكور تختلف عن إجازة المانجلاتي وابن عبد المؤمن له، فهي جد مختصرة، ولا تحتوي على شيوخه، ولا على سند مروياته عنهم.

---

[1] - الأرجوزة المشهورة في الفرائض لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري التلمساني نزيل سبتة (609- 697 هـ). ابن فرحون، الديباج المذهب، 1ج، ص، ص: 242، 243.

[2] - ابن زاكور، المصدر السابق، ص- ص: 22- 31.

[3] - الجامع الصغير من حديث البشير النذير لعبد الرحمن بن محمد بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب ابن محمد، المعرف بجلال الدين السيوطي (849- 911هـ). السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص: 5.

[4] - محمد بن زاكور، المصدر السابق، ص: 39.

[5] - ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص: 38.

7-إجازات علمية متفرقة خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين:

إنَّ ما عرفته علاقات الجزائريين الثقافية بالمغاربة من حيوية خلال العهد العثماني، ما هو إلاَّ امتداد لذلك التواصل الفكري الذي شهدته العهود السابقة له، ولهذا نجد صلاتهم بهم في فترة مبكرة من القرن العاشر الهجري (16م). وممّن كان بفاس عشِّية دخول العثمانيين إلى الجزائر الشيخ محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي[1] الملقب بشقرون, الوهراني الأصل[2]، الفاسي الدار[3]. وقد أخذ على علمائها كالشيخ العلامة محمد بن غازي (ت 919هـ)[4]، والشيخ أحمد الدقون[5]، وممَّا تضمنته إجازة هذا الأخير له قوله[6]:

أجاز لك الدّقون يا نجل سيدي   أبي جمعة والآل كل الذي روا
فحدّث بما استدعيت فيه إجازة   وسلم على من خالف النفس والهوى

وممَّن غلبت عليه نسبة الجزائري، نزيل مدينة الجزائر وخطيبها العلامة الشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري[7]؛ الذي دخل فاس مرتين: الأولى سنة 959هـ/ 1551م أيام السلطان السعدي محمد المهدي الشريف، سفيرا للسلطان العثماني أبي الربيع سليمان شاه صاحب القسنطيطينية[8]، وفيها أجاز للشيخ أبي عبد الله الحضري الوزرالي بسبتة. وله إجازات أخرى منحها لكل من

---

1 - الحافظ المتكلم المقرئ: محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي (ت 929هـ/1522م)، لُقب بشقرون لأنّه كان أشقر اللون. له فهرسة في مروياته. عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج2، ص: 300؛ ابن مريم، البستان، ص: 115.

2 - وجد بفاس حينئذ عدد من أفراد أسرة ابن أبي جمعة المغراوي، وهم أحفاد العلامة محمد بن عمر الهواري دفين وهران، نذكر منهم: محمد بن أبي جمعة المغراوي المتوفى بفاس سنة 917هـ، والعلامة أحمد ابن أبي جمعة المغراوي مؤلف كتاب " جواهر الاختصار والبيان" المتوفى بين سنتي 930 و940هـ. المزاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص، ص: 86، 97؛ أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 580؛ أحمد ابن القاضي، جدوة الاقتباس، ج1، ص: 246.

3 - عبد السلام بن سودة، المصدر السابق، ج2، ص: 300. لم تتحدث المصادر التي ترجمت له عن نشأته وتكوينه العلمي الأولي، وإن كان من مواليد فاس أو كان من الواردين عليها من الجزائر.

4 - أحمد بن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج1، ص: 151.

5 - الأستاذ الرواية أحمد بن يوسف الصنهاجي الشهير بالدقون (ت بفاس 921هـ/ 1515م): الخطيب بالقرويين، أخذ عن محمد المواق وغيره. أحمد بابا، المصدر السابق، ص: 136.

6 - أحمد بن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص: 132.

7 - استقر بالجزائر إلى وفاته، ودامت إقامته بها أكثر من ثلاثين سنة، لعب خلالها دورا هاما في الحياة السياسية آنذاك. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 499. وبما أنّني لم أتطرق في البحث كله إلى طرابلس، أدرجته هنا كجزائري.

8 - ابن عسكر، دوحة الناشر، ص: 114.

الشيخ محمد بن يوسف الترغي، والشيخ محمد بن أحمد الحضري[1]. أمَّا عن نوع هذه الإجازات فلا يمكن الجزم بأنَّها صوفية أو علمية، لعدم معرفتنا بما أخذوه عنه، ولأنَّه كان من أقطاب التصوف، كما كان مُتَمَّكنا من علم الظاهر، سيّما الفقه والحديث إلى جانب فصاحته اللغوية، ولهذا قال فيه معاصره ابن عسكر، كانت " له قدم بارع في فنون التصوف والمعارف الروحانية، مع تفننه في علوم الفقه والحديث"[2].

ومن أشهر من تمتع بمكانة مُتَميزة في المغرب خلال القرن العاشر الهجري من المهاجرين التلمسانيين: محمد بن الوقاد[3] ومحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن جلال[4]. وقد أصبح الأخير منهما مُفتيا وخطيبا بجامع القرويين، إلى جانب تصديه للتدريس، فتخرج عليه عدد كبير من العلماء. غير أنَّ إجازاته لهم لم تحظ بالذكر في المصادر المتداولة، إلاَّ ما ورد على لسان معاصره ابن عسكر في سياق ترجمته لأحمد بن زكري التلمساني صاحب منظومة في علم الكلام معروفة "بمُحصِّل المقاصد"، قائلا بأنَّه يصعب شرحه حتى أنَّ محمد بن يوسف السنوسي قال لمن طلب منه ذلك:" لا يقدر على شرح هذا إلا مُؤلفه". ثم ذكر العلامة محمد اليستني والشيخ ابن جلال السابق الذكر- وكان إماما في علم الكلام- وذكر بأنّه قال لهذا الأخير:" سمعت عنك أنَّك أجزته له (أي لليستني)"[5]. فهذه الإجازة على ما يبدو إجازة خاصة بالمنظومة المذكورة، ولعَّلها جاءت بعد قراءة لها.

أمَّا الشيخ محمد بن الوقاد - السابق الذكر-، فقد تصدى لنشر العلم بعدة مدن مغربية إلى أن استقر بمدينة ترودانت، وتولى بها القضاء والخطابة، وبعد وفاته

---

[1] - أحمد بن القاضي، جدوة الاقتباس، ج1، ص: 322.
[2] - ابن عسكر، المصدر السابق، ص: 114.
[3] - أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني المعروف بابن الوقاد (ت1001هـ/ 1592م): رحل من تلمسان واستقر بالمغرب، تولى القضاء والخطابة، وكانت له وجاهة عند ملوك المغرب. اليفرني، «الصفوة»، الأوراق: 72و، 72ظ.
[4] - محمد بن عبد الرحمن ابن جلال الوغراني التلمساني(908- 981هـ). أحمد بن القاضي، جدوة الإقتباس، ج1، ص: 325.
[5] - ابن عسكر، دوحة الناشر، ص- ص: 109- 111.

خلفه ابنه الشيخ المحدث عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الوقاد[1]، في الخطابة والتدريس بالمدينة المذكورة. وظلَّ هذا الأخير مداوما على طلب العلم، ومن أشهر شيوخه المغاربة العلامة الشيخ أحمد بابا التنبكتي الذي كتب له إجازتين. الأولى بكتاب "الشفاء" في سنة 956هـ/ 1549م، نقتصر منها على المفيد، وهو قول الشيخ أحمد بابا:" وبعد، فقد أجزت لسيدي الفقيه الصالح سيدي أبي زيد عبد الرحمن ابن سيدنا الإمام المفتي... سيدي محمد التلمساني نزيل سوس الأقصى بقاعدته ترودانت- أمنها الله - بكتاب الشفاء لأبي الفضل عياض... بحق سماعي له كله مرارا على سيدي والدي الفقيه المحدث أحمد بن عمر بن محمد أقيتْ"[2]، والثانية بتاريخ 13 ربيع الثاني 1007هـ/ 1598م وهي مطولة وعامة[3].

وقد أجاز الشيخ عبد الرحمن بن الوقاد بدوره عامة للعلامة عبد الرحمن ابن أحمد التمنرتي[4] صاحب فهرس " الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة "[5].

ونظرا للمكانة التي تبوَّأتها مدينة قسنطينة كأكبر الحواضر العلمية في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري، فلم يفوِّت علماء المغرب الأقصى فرصة الأخذ عن علمائها، كالشيخ سعيد الماغوسي الشهير بالحاج أبي جمعة[6]؛ الذي نزل بها أثناء رحلته إلى المشرق وأخذ على بعض أعلامها منهم: الشيخ عمر الأنصاري الشهير بالوزان، والشيخ محمد العطار، والفقيه محمد المغربي القاضي، كما قرأ على الشيخ عبد الكريم بن يحي الفكون "مختصر السعد"، و"مختصر ابن

---

[1] - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التلمساني المعروف بابن الوقاد (ت 1057هـ): كان إماما مشاركا في عدة علوم، من أشياخه: والده وسعيد المهروزي وغيرهما. اليفرني، «الصفوة»، الأوارق: 117ظ، 118و.

[2] - حسن الصادقي، مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزائن المغربية. الرباط: معهد الدراسات الإفريقية، (ط1)، 1996. ص: 42.

[3] - الفقيه المنوني، أبحاث مختارة. المغرب: مطبعة دار المناهل، 2000. ص: 343.

[4] - أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن إبراهيم بن محمد (ت 1060هـ/ 1650م). ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج2، ص: 329.

[5] - الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص، ص: 922، 923.

[6] - سعيد بن مسعود الماغوسي الصنهاجي (950- 1016هـ/ 1607م): أخذ عن أعلام بالمغرب و بمصر والحجاز والشام والقسطنطينية وأجازوه، أديب متمكن في اللغة، ألف كتبا لغوية عديدة منها: نظم الفرائد الغرر، شرح مقصورة المكودي وإيضاح المبهم من لامية العرب. أحمد المقري، روضة الآس، ص - ص: 226- 228؛ حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص: 398.

الحاجب الأصلي" فأجازه[1]. ولا يُستبعد أن يكون الحاج أبو جمعة قد مكث بقسنطينة مدة مكنته من الأخذ عن هؤلاء العلماء.

وكان للشيخ سعيد قدورة رحلة إلى المغرب الأقصى؛ حيث سافر من تلمسان إلى صحراء فجيج وسجلماسة، وحلَّ في بني عباس سنة 1015هـ/ 1606م. وأقام يُدرِّس بها مدة غير يسيرة، وخلال شهر رمضان من نفس العام، عقد مع العالم المتصوف أحمد بن أبي محلي السجلماسي[2] بالمسجد الرئيسي دروسا حديثية مشتركة، وبالأخص في "صحيح البخاري". ولم تنقطع الصلة بين الرجلين إلى أن قامت ثورة ابن أبي محلي[3]، فشرَّق أحدهما وغرَّب الآخر[4].

ودخل قدورة أيضا فاس وأخذ على علمائها[5]. إلاّ أنّ المصادر التي ورد فيها خبر تتلمذه على علماء المغرب جاء مقتضبا، فلم تذكر من شيوخه غير ابن أبي محلي, ولكن لا نعرف ما الذي أخذه عليه ولا عمَّا إذا أجازه أم لا.

وبعد عودة الشيخ سعيد قدورة إلى الجزائر وتصدره للتدريس بها، أخذ عليه بعض علماء المغرب، كالشيخ محمد بن عبد الرحمن الصيني التازي (ت 1115هـ/ 1703م) [6]، والشيخ محمد بن سليمان الروداني[7]؛ الذي نزل بمدينة الجزائر أثناء رحلته إلى المشرق فأقام بها مدة، أخذ خلالها على علمائها وعلى

---

1 - أحمد المقري، روضة الآس، ص، ص: 227، 228.

2 - أبو العباس بن أبي محلي (1022هـ/ 1613م): الأديب الفقيه الصوفي ثائر على السعديين، استولى على سجلماسة والمناطق المجاورة لها. من مؤلفاته:" الأصليت الخريت في قطع حلقوم العفريت النفريت"؛ هو فهرسة ورحلة له بوادي الساورة عام 1016هـ. وله أيضا كتاب " سم ساعة في تقطيع أمعاء مفارقة الجماعة " درج فيه أجوبة لبعض العلماء له بشأن شيخ فجيج عبد القادر السماحي رأس الدجالين المتصوفة في نظره، ومن بين هذه الأجوبة جواب الشيخ سعيد قدورة. القادري، نشر المثاني، ج1، ص: 113؛ محمد حجي، المرجع السابق. ج1، ص: 33.

3 - ذكر أحمد الناصري أن قدورة ذهب في وفد من أهل تلمسان والراشدية لتهنئة ابن أبي محلي على نجاحه في ثورته, وأنّ هذا الأخير ذكر في كتابه " الأصليت" أن قدورة من تلامذته. الاستقصاء، ج6، ص: 30. ولكن الأصح أن قدورة تتلمذ عليه قبل ثورته التي قامت سنة 1019هـ، لأنَّ كتاب الإصليت الذي ذكره ضمنه ألفه سنة 1016هـ.

4 - محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص: 627.

5 - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 279.

6 - محمد القادري، نشر المثاني، ج3، ص: 146.

7 - محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي (1037 - 1094هـ): قرأ بالمغرب على عيسى السكتاني ومحمد ابن أبي بكر الدلائي، كما قرأ على علماء مصر واستوطن الحجاز. له عدة تآليف منها فهرسته " صلة الخلف" ومختصر تلخيص المفتاح وغيرها. المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص:204- 207؛ العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص- ص: 30- 36؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 316.

رأسهم الشيخ سعيد قدورة[1]، فتلقى عنه الحديث المسلسل بالأولية وحديث المصافحة، وحديث المشابكة وغيرها[2]. ويغلب على الظن أن تكون إقامته بها طويلة لما ذكر المحبي من أنَّ الشيخ سعيد قدورة " هو أجل مشايخه "[3]، وهذا لا يتأتى دون قراءته عليه لعلوم شتى خلال مدة كافية لذلك. وقد كانت الدراسة في ظروف كهذه عادة ما تتوج بإجازة علمية. وممّا يذكر أنّ الشيخ محمد الروداني قد خلّد أسانيد شيخه سعيد قدورة في ثبته " صلة الخلف بموصول السلف"، وأشهرها عن شيخه سعيد المقري، لاسيَّما في الحديث والفقه المالكي وأصول[4].

كما أخذ الشيخ عبد الله العياشي صاحب الرحلة على علماء جزائريين آخرين عدا الشيخ عيسى الثعالبي، فأثناء عودته من الحج سنة 1073هـ، لقي بطرابلس (الغرب) الشيخ عاشور القسنطيني، وتقدم له باستدعاء كتبه لنفسه ولأصحابه، وخاطبه ببعض الأبيات منها[5]:

للشيخ عاشور الإمـام الأمجد — حاوي الكمالات التقي الأرشد

مُدَّت يدي لتنال كل فضيلة — علما وذوقـا من إمـام مرشد

فأجاز له ولهم لفظا، واعتذر عن عدم كتابة الإجازة بضيق الوقت، ومزاحمة الأشغال لقرب السفر[6]. وبما أنَّه لم يقرأ عليه شيئا فهي إجازة رواية. وتلقى الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي أيضا إجازة من الشيخ عاشور القسنطيني[7].

وكان الشيخ يحي الشاوي قد درَّس بعض علماء المغرب وتونس بالمشرق، كالشيخ أبي الحسن علي النوري الصفاقسي[8]؛ الذي قرأ عليه بالجامع الأزهر[9].

---

[1] - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج2، ص: 30.

[2] - محمد الروداني، صلة الخلف بموصول السلف، تح: محمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1988. ص: 31.

[3] - المحبي، المصدر السابق، ج4، ص: 204.

[4] - محمد الروداني، المصدر السابق، مثلا: الصفحات: 21- 23، 31، 453.

[5] - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج2، ص: 382.

[6] - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشي، ج2، ص: 382.

[7] - محمد القادري، نشر المثاني، ج3، ص، ص: 151، 152.

[8] - أبو الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي (1053- 1117هـ/43 أو1644- 1706م): تمهر في علم القراءات، بنا بصفاقس زاوية ومدرسة. له عدة تآليف منها:" غيث النفع " في إخلاف القراءات، وتنبيه الغافل في علوم التجويد. محمد مخلوف، شجرة النور، ص، ص: 321، 322؛ خوجة، ذيل البشائر، ص- ص: 127- 129؛ مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ج2، ص- ص: 358- 368.

[9] - محمود مقديش، المصدر نفسه، ج2، ص: 360.

ومن جملة ما قرأ عليه شرح المرادي على الألفية، فأجازه في سنة 1078هـ /1667م بما رواه عن مشايخه المغاربة وهي: الموطأ والشفا والصحيحان، وحزب البحر للشاذلي، وكتب الشيخ السنوسي وغير ذلك[1]. وقال علي النوري في فهرسته - معجبا بذكاء شيخه-:" ولمَّا كتب الإجازة قال: مؤرخة بمجموع الاسم واللقب، فعددت حروف يحي الشاوي، فوجدتها ثمانية وسبعين وألف، وذلك هو التاريخ"[2].

أمَّا الشيخ محمد بن سنة المغربي[3] فقد تلقى إجازات جملة من كبار علماء مدينة الجزائر آنذاك كالشيخ عمر بن محمد المانجلاتي، ومحمد بن عبد المؤمن، ومحمد بن سعيد قدورة، ومحمد بن خليفة، وعيسى الثعالبي، ومحمد بن عبد الكريم الجزائري[4]. وذكر الكتاني بأنَّه:" حصل على إجازات كثيرة، وأغلب من أجازوه لم يَرَوْه". وبما أنَّه لم يدخل مدينة الجزائر فيغلب على الظن أنّ هؤلاء العلماء أجازوه مراسلة كما جرت العادة بذلك، إلاّ الأخير منهم فيُفترض أن لا تكون إجازته مراسلة، لأنَّ محمد بن عبد الكريم[5] استقر بفاس إلى أن توفي بها، وهي من المدن التي زارها الشيخ ابن سنة.

وكان الشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري قد رحل إلى المشرق، ودرس على العلماء به وأجازوه، ومنهم الشيخ أبي الغيث المعروف بالقشاش التونسي (ت1031هـ)[6]. كما كان يتردد على فاس[7]، إلى أن استقر بها منذ سنة 1083هـ

[1] - محمد مخلوف، شجرة النور، ص: 321.

[2] - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 1133.

[3] - أبو عبد الله محمد بن محمد بن سنة (1042- 1102هـ/ 1593م): جال في بلاد الصحاري، ودخل أرض السودان مرارا وسوس الأقصى، وشنقيط وتوات، وتنبكت، وأوزان وفاس، وغيرها. ولازم الإمام محمد بن أحمد بغيغ التنبكتي وأجازه عامة. الكتاني، المرجع نفسه، ج2، ص، ص: 1026، 1027.

[4] - عبد الحي الكتاني، المرجع نفسه، ج 2، ص: 1027.

[5] - أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم (ت بفاس 1102هـ): الفقيه المعمر أخذ العلم بالجزائر، وبالمشرق والمغرب. ومن شيوخه: عبد القادر الفاسي و أبو عبد الله السوسي الجزائري، والقشاشي والأجهوري وغيرهم. القادري، نشر المثاني، ج3، ص: 23؛ الجبرتي، عجائب الآثار، ج1، ص: 85؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 327.

[6] - عبد الرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج1، ص: 85.

[7] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 426.

/ 1672م؛ أي مع قيام الدولة العلوية، فأكرمه السلطان مولاي إسماعيل " مرارا، وكان يجله ويعظمه"، ولازم بها العلامة الشيخ عبد القادر الفاسي[1].

وقد ترجم له تلميذه المُسْنِد أبو عبد الله محمد المعروف بالصغير بن عبد الرحمن الفاسي (ت 1134هـ/ 1721م) في فهرسته " المنح البادية في الأسانيد العالية"؛ الذي صدَّره بمشايخه الذين أجازوه عامة، ومن جملتهم الشيخ محمد بن عبد الكريم، ثم قال:" فهؤلاء الخمسة عشر كلهم أجازوني... وتركت غيرهم ممَن هو نازل عنهم"[2]. فهو بالنسبة للمغاربة يعد من أجل العلماء.

كمَّا استقر بفاس في نفس الفترة الشيخ محمد بن أحمد القسنطيني المعروف بابن الكماد[3]، وحصل له من التكريم ما كان حصل لسابقه، وحظي بمكانة رفيعة عند ملوك المغرب الأقصى[4]. وكان قد " ارتحل لفاس برسم القراءة على مشايخها". وعند دخوله إليها تصدر لإقراء "جمع الجوامع" للسبكي فأبدع في إقرائه، ورأى الطلبة من حفظه ما لم يكونوا يعهدوه، فكثر الازدحام عليه"[5]. وكانت له ملكة في علم الكلام والمنطق، والحفظ التام في علم الحديث والفقه وغيرها من العلوم، ولهذا "أذعن له الكافة من علماء فاس"[6]. وعليه فقد زاحم علماء فاس بتكوينه العلمي الجزائري فقط, وفيه دلالة على متانة التعليم الذي كان يؤديه بعض العلماء الجزائريين حينئذ.

وقد شغل كرسي البخاري بجامع القرويين[7]، بالإضافة إلى تدريسه علوم مختلفة منها: التفسير والأصول، والفقه والبيان والمنطق، فتخرج عليه عدد كبير

---

[1] - محمد القادري، نشر المثاني، ج3، ص، ص: 23، 24.

[2] - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص، ص: 595، 596.

[3] - اختيار الهجرة على الدخول في المنافسات على المناصب, رغم أنَّ انتماءه إلى عائلة شهيرة بالعلم والشرف في قسنطينة، كاف لإيصاله إلى أرقى المناصب الدينية والعلمية بها. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 427.

[4] - كتب له تلميذه العالم النحوي محمد بن أمير المؤمنين إسماعيل (ت 1116هـ) أيام خلافته بسوس الأقصى قصيدة يمدحه فيها منها: (ابن زيدان، اتحاف أعلام الناس، ج4، ص: 78).

فمن مبلغ عني رسالة شيقٍ ♦ إلى عالم الأعلام صدر الأكابر
... إلى شيخنا أسمى السمي محمد ♦ أحملها هوج الرياح العواطر
فيا دوحة العام التي عمَّ عرفها ♦ جميع البرايا بين باد وحاضر.

[5] - اليفرني، « صفوة من انتشر»، ورقة: 164ظ.

[6] - نشر المثاني، ج 3، ص: 155.

[7] - محمد بن عزوز، كرسي الحديث بظهر حصة العين بجامع القرويين بمدينة فاس، ص: 43.

من علماء المغرب، وممَّن أخذ عنه العديد من العلوم: الشيخ عبد الرحمان الجامعي[1], والشيخ محمد بن عبد السلام بناني الفاسي[2]، والشيخ محمد المسناوي الدلائي (ت 1136هـ)[3].

كما أخذ عنه الشيخ أحمد بن مبارك[4]، وأجازه فيما رواه عن شيخه محمد المغربي عن النور الأجهوري، وعن عبد الله بن عبد المؤمن، ومفتي الجزائر محمد الموهوب، وأحمد بن عبد العظيم، وأحمد بن الواثق، وهؤلاء عن الشيخ سعيد قدورة بسنده[5]. وأخذ عليه أيضا الفقيه السجلماسي إبراهيم بن عبد الرحمن الملاحفي (ت 1130هـ) فأجازه[6].

[1] - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجامعي الفاسي (1087- 1144هـ / 1676– 1731م): قرأ بفاس على عبد الرحمن بن علي الفاسي، ومحمد الكماد القسنطيني وغيرهما. درّس بالقرويين، وله عدة تآليف. خوجة، ذيل البشائر، ص: 254؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 351؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ص: 10. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 306. التازي، جامع القرويين، ج3، ص، ص: 222، 223.

[2] - أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن حمدون الفاسي (ت 1163هـ/ 1749م): البناني نسبة إلى قرية بنان. أخذ عن أحمد بن الناصر، وميارة الصغير وأبو سالم العياشي واليوسي وغيرهم. وأخذ عن علماء المشرق كالخرشي وعبد الباقي الزرقاني، وله منهم إجازات. وأخذ عنه من لا يعد كثرة. له تآليف منها شرح لامية الزقاق، وشرح الإكتفاء للكلاعي، واختصار شرح الشهاب على الشفا وغيرها. القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 81؛ الكتاني، زهر الآس، ج1، ص، ص: 151، 152؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 353.

[3] - عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش (لسان المقال)، تح: أبو القاسم سعد الله. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1983. ص: 43؛ محمد محفوظ، المرجع السابق، ج 2، ص: 10؛ محمد القادري، المصدر السابق، ج3، ص: 267.

[4] - أبو العباس أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي (1090- 1156هـ): أخذ عن القاضي بردلة، ومحمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد القسنطيني وغيره. وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ التاودي، وأبو حفص عمر الفاسي وغيرهم. له تآليف منها شرح على جمع الجوامع، وكشف اللبس عن المسائل الخمس. القادري، المصدر السابق، ج4، ص: 41؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 352.

[5] - محمد مخلوف، شجرة النور، ص: 352.

[6] - عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي. الرباط: المطبعة الملكية، 1978. ص: 157.

III/ - إجازات القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين (18/ 19م):

1- إجازة الشيخ محمد الطيب الفاسي للشيخ مصطفى بن رمضان العنابي:

لم تخل المهمات السياسية من تواصل ثقافي؛ فكثيرا ما كان الحكام يجعلون من بين وفد السفارة بعض العلماء الأفذاد القادرين على التفاوض، فيقومون إلى جانب مهمتهم السياسية بالاجتماع بالعلماء، وعقد حلقات معهم يتم فيها النقاش حول المسائل الفقهية، والكلامية المختلفة، ويجيزون ويستجيزون. ومن السفراء المغاربة الواردين إلى الجزائر الشيخ محمد الطيب بن محمد الفاسي[1]؛ الذي اختاره السلطان المولى إسماعيل " لعلمه وفصاحته"[2] ليرأس الوفد المغربي إثر واقعة المشارع[3]. فدخل مدينة الجزائر سنة 1103هـ/ 1691م صحبة الأمير عبد الملك ابن السلطان مولاي إسماعيل، والكاتب الوزير محمد الغساني (ت 1119هـ)[4] صاحب الرحلة المعروفة " برحلة الوزير في افتكاك الأسير"[5].

ومن بين العلماء الذين اجتمع بهم الشيخ محمد الطيب الفاسي الشيخ مصطفى ابن رمضان العنابي[6]، فتباحث معه في مسائل علمية واستجازه فأجازه. ومِمَّا قاله محمد الطيب عن هذا اللقاء:" ولمّا دخلت مدينة الجزائر كان ممَّا أتحفني الله بلقائه، من أعلامها الفقيه النَّبيه... مصطفى بن رمضان الحنفي الشهير بالعنابي، فتذاكرت معه في فتوى علمية، واستفدت منه فوائد سنية، وذكرت له زوائد ودررا، علقت بذهني ممَّا سمعته من جهابذ علومهم مرضية، فحمله حسن نيته، وخلوص طويته، أن استدعى منِّي إجازة في ذلك وغيره"[7].

---

1 - أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي (1064- 1113هـ/ 1701م): أخذ عن والده وعمه، وجده، وابن عمه المهدي الفاسي، وأبي سالم العياشي. له تآليف منها: شرح مقدمة جده في الأصول، فهرسة والده في رفع الأسانيد. مخلوف، شجرة النور، ص: 329.

2 - الناصري، الاستقصاء، ج7، ص: 79.

3 - وقعت معركة "المشارع" بين الجيشين الجزائري، والمغربي عند وادي ملوية في رمضان سنة 1103هـ/ 1691م، هزم فيها الجيش المغربي. الناصري، المصدر نفسه، ج7، ص: 79.

4 - محمد بن عبد الوهاب بن عثمان (ت 1119هـ): فقيه وأديب. قُلد ولاية تطوان مدة أعوام، ثم أصبح وزيرا، ثم سفيرا. ابن زيدان، احاف أعلام الناس، ج4، ص، ص: 159، 160.

5 - ابن سحنون، الثغر الجماني، (من مقدمة التحقيق)، ص: 75.

6 - سبقت ترجمته في الفصل الأول، ص: 48.

7 - ابن سحنون، الثغر الجماني، ص، ص: 75، 76.

يتضح من سياق النَّص أنَّ هذا المقطع هو جزء من الإجازة المشار إليها، وهو ما لم يذكره البوعبدلي؛ الذي اكتفى بقوله بعد إيراد هذا المقطع:" وقد أجازه فعلا ". وبالجمع بين هذا المقطع، وما أورده أبو القاسم سعد الله حينما تحدث عن هذه الإجازة، قائلا بأنَّ محمد الطيب الفاسي سمَّى ابن العنابي في إجازته له": بالفقيه النبيه، العلامة الدراكة، المشارك النحرير أبو الخير مصطفى بن رمضان الحنفي الشهير بالعنابي"[1]. وهذا ما تضمَّنه الجزء الذي أورده البوعبدلي ولم يذكر أنَّه إجازة.

ويتبين أيضا أنَّ هذه الإجازة تتكون من شطرين نثري ونظمي[2]، لما ذكره أبو القاسم سعد الله من أنَّ الأرجوزة التي أجازه بها تبلغ حوالي سبعين بيتا، منها هذا البيت[3]:

أقول مُجِيبًا مُفْصِحًا بلسانـي أجزت الفقيه المصطفى التركماني

أمَّا نوع هذه الإجازة الذي لم تبيّنه المقاطع المذكورة، فيغلب على الظن أنَّها ليست تعليمية؛ لأنَّه لم يأخذ عليه كتابا أو كتبا معينة، كما أنَّ هذا النوع من الإجازات يُمنح في أغلب الأحيان في سنوات الطلب، وقد كان مصطفى العنابي حينئذ من كبار العلماء، فهي على الأرجح إجازة رواية.

2- الإجازات العلمية المتبادلة بين الشيخ أحمد البوني وعلماء المغرب:

تتلمذ الشيخ أحمد بن قاسم البوني على مشايخ تونسيين ومغاربة، وهذا ما ذكره في إجازته لابنه أحمد الزَّروق[4]، وبما أنَّنا لم نحصل على هذه الإجازة لا نعرف ما إذا أجازوه أم لا، عدا الشيخ محمد بن سليمان الروداني الذي أجازه بفهرسته المسماة "بصلة الخلف بموصول السلف"[5]. وممَّا لا شك فيه هو أنَّه تتلمذ عليه بالمشرق، ذلك أنَّ هذا الأخير دخل مدينة الجزائر قبل سنة 1066هـ،

---

1 - المفتي الجزائري: ابن العنابي، ص، ص: 15، 16.

2 - يتناقص لدي احتمال كتابته له إجازتين إحداهما نظمية وأخرى نثرية، لأنَّ كلا من البوعبدلي وأبو القاسم سعد الله يؤكدان أنَّه قد كتب إجازة واحدة.

3 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص، ص: 15، 16.

4 - حول هذه الإجازة ينظر ص: 68.

5 - عبد الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 427.

لأنَّه تتلمذ على الشيخ سعيد قدورة المتوفى في التاريخ المذكور، وفي هذا التاريخ كان البوني ابن ثلاث سنوات. في حين استقر الروداني بالمشرق إلى وفاته، كما رحل إليه البوني، وقرأ على المشايخ به.

وتتلمذ على أحمد البوني بعض العلماء المغاربة في بونة، حيث كان الشيخ عبد الرحمن الجامعي الفاسي قد قدم إلى الجزائر بعد سنة 1119هـ[1]، ومكث بها مدة زار أثناءها عدد من مدنها، واجتمع بأعلامها آنذاك. فوفد على الرباط بوهران واجتمع بالشيخ مصطفى الرماصي[2]، ودخل أيضا مدينة الجزائر وأعجب بالأديب محمد بن محمد بن سيدي بن علي[3]. ولكن لا أعلم إذا ما أخذ عنهما شيئا، أو أجازوه.

أمَّا في بونة فقد أخذ على الشيخ أحمد البوني[4]. وترجم له الجامعي في رحلته المسماة " بالتاج المشرق الجامع ليواقيت المشرق والمغرب"، فقال مُتحدثا عن بونة: " لمَّا دخلتها أممتُ دار الشيخ... أبي العباس أحمد بن الولي الصالح، البر الناجح، أبي عبد الله قاسم بن الولي الصالح، أبي عبد الله محمد المعروف بساسي، فوجدته طلق المحيا، وأنزلني بمنزل لإكرام أضيافه مُهيا"؛ وأثناء المدة التي لازمه فيها كان يحضر مجالس دروسه، وذلك ما عبَّر عليه بقوله:" فأقمت عنده ينزهني في كل يوم في رياض تآليفه الحديثية وغيرها... وكنت أحضر أثناء تلك المدة مجلس رواية الصحيحين بين يديه، مع مشايخ بلده وولديه... ولمَّا وقفت في علم الحديث على البحر العباب، والعجب العجاب، سألته الإجازة فيما وقفت عليه وغيره من تصانيفه"[5].

---

[1] - دخلها بعد الفتح الأول لوهران وساهم في الفرحة بهذا الفتح بشرحه على أرجوزة المفتي محمد الحلفاوي التي تسجل أحداث الفتح، ونال الجامعي حظوة لدى محمد بكداش باشا. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 443.

[2] - ابن سحنون، الثغر الجماني، ص، ص: 30، 31.

[3] - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص، ص: 197، 198.

[4] - ذهب كل من محمد محفوظ (تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ص: 10)، ومخلوف (شجرة النور، ص:351) إلى أنَّ الجامعي" رحل إلى قسنطينة، وأخذ عن عالمها الشيخ أحمد البوني"، لكن الأصَّح هو أنه درس عليه في عنابة لا في قسنطينة، لأنَّ البوني تصدى للتدريس ببونة، وشدت إليه الرِّحال من مناطق مختلفة.

[5] - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 236.

ولا أعلم عمّا إذا تصدر الجامعي للتدريس بالجزائر، ولكنَّه رحل منها إلى تونس قبل سنة 1136هـ واستقر بها نهائيا، ودرَّس بجامع الزيتونة حيث " كان له درس عظيم، ومحفل جسيم، ومدحه العلماء، وشكرته الطلبة"[1].

3- إجازات بعض علماء المغرب للمنور التلمساني ومحمد الجعدي بفاس:

شهدت سنة 1133هـ/ 1720م، وفود بعض العلماء الجزائريين إلى فاس بقصد الأخذ عن مشايخها كالشيخ محمد بن عبد الله أيوب التلمساني الملقب بالمنور الذي استقر مدة بها، وأخذ على مشايخها. ووُجِدَ له مجموعة من الإجازات التي كتبها له مشايخه تضمنت إجازاته العامة من: الشيخ أبي العباس أحمد بن مبارك اللمطي، وشيخه أبي عبد الله المسناوي بتاريخ 1133هـ، وأبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمن بن زكري الفاسي، ومن أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد ابن الحاج، ومحمد بن محمد بن حمدون بناني، ومن العلامة القاضي محمد العربي ابن أحمد بردلة (ت 1133هـ)، ومن أبي عبد الله محمد الصالح بن المعطي الشرقاوي، ومن أبي الحسن علي بن أحمد الحريشي[2]، ومن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي[3]؛ الذي أجازه بفهرسته" المنح البادية في الأسانيد العالية "[4].

ويظهر أنَّ إجازاته هذه كانت حوالي سنة 1133هـ، لأنَّ شيخه محمد المسناوي أجازه في هذه السنة، وتوفي خلالها أحد هؤلاء الشيوخ، ممَّا يعني أنَّه أجازه قبلها أو أثناءها. إلى جانب إجازة صوفية مُنِحت له هناك مؤرخة ب12 ذي الحجة من نفس السنة[5].

---

[1] - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان، ص: 255.

[2] - عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص: 570.

[3] - أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (1058- 1134هـ/1721م): أخذ عن جده وعن عمه محمد، وعن أبيه وبه تخرج وأجازه، وأبي سالم العياشي، والخرشي والزرقاني، وعنه أخذ جماعة منهم: ابنه أبو مدين، ومحمد عبد السلام بناني وغيرهم. له تآليف منها: الكوكب الزاهر في سير المسافر. الكتاني، المرجع نفسه، ج2، ص- ص: 596- 598؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 333.

[4] - عبد الحي الكتاني، المرجع نفسه، ج2، ص: 598.

[5] - لدينا وثيقة مؤرخة بسنة 1133هـ، شهد فيها كاتبها عبد العزيز بن محمد التادلاوي بأنَّ شيخا صوفيا لم يذكر اسمه، واكتفى بنعته بالشيخ العارف بالله، أذن للمنور في التاريخ المذكور أعلاه في تلقين الورد لمن طلبه منه، وكان المنور قد لازم الشيخ لمدة 23 يوما، والوثيقة رغم أنَّها كاملة لا يوجد بها اسم المُجيز،

كما قصد الشيخ محمد بن علي الشريف الجعدي الجزائري فاس في السنة المذكورة، للقراءة على مشايخها، فاجتمع هناك بالشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي، وسأله الأخذ عليه، فأجابه إلى ذلك وناوله فهرسته" المنح البادية "، فقرأها كلها، ثم طلب منه الإجازة بجميع ما فيها, فأجازه بذلك. وأجازه أيضا أن يُجيز بجميع ما فيها. ثم سمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وحديث الضيافة، ثم أضافه على الأسودين، ولقَّنه وشابكه وناوله السبحة وصافحه وألبسه الخرقة. ثم ناوله أوائل الكتب الستة، فقرأها عليه وهو يسمع، ثم أول "الموطأ "، والجل من جامع الترميذي، والكثير من سنن ابن ماجة، ومسند الدرامي، و"مفتاح الشفا "؛ وهو لوالده الشيخ عبد الرحمن الفاسي حاذى به الشفا للقاضي عياض، وقرأ عليه أيضا المقالة المنسوبة للعلامة عبد الرحمن الثعالبي، وذلك في شوال من السنة المذكورة[1].

ومن خلال ما قام به الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي بافتتاحه القراءة والرواية بالحديث المسلسل، ليُتبعه بكتب الحديث بما فيها الصحاح، تتضح أهميته عند العلماء.

4- إجازات بعض علماء المغرب لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري:

بالرَّغم من مشقة السفر حينئذ، فقد شغف بعض رجال العلم بالترحال، كالشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الذي انتقل إلى العديد من الأقطار الإسلامية. من ذلك أنَّه زار المغرب الأقصى مرتين على الأقل (1145هـ و1156هـ/ 1743م)[2]. واشتهر في مجال أدب الرِّحلة برحلته المعروفة " بلسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" [3]؛ التي سجل فيها مذكراته لفترة تناهز الأربع

فقد تكون تابعة إلى جزء غير موجود، ربما يكون طلب المنور لشهادة الكاتب. الوثيقة ضمن مجموع رقم: 181، مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية، ورقة: 27.

[1] - محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص: 543.

[2] - كما أدى فريضة الحج مرتين: سنة 1130هـ وسنة 1161هـ/1748م. ومكث في هذه السنة ببلد رشيد وظل مقيما بها إلى حوالي عام 1168هـ. ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ص: 433.

[3] - يفهم ممَّا سجله ابن حمادوش في رحلته هذه أنَّ ما وصل إلينا منها هو الجزء الثاني، بينما باقي الرحلة وهو الجزء الأول والجزء الثالث أيضا في حكم المفقود. سعيدوني، المرجع نفسه، ص: 433.

سنوات من حياته (1156-1161هـ/ 1743-1748م). وهي تضم عدداً من الإجازات كتبها له بعض أعلام المغرب الأقصى.

فقد رحل الشيخ ابن حمادوش سنة 1156هـ إلى مدينة تطوان[1] من أجل طلب العلم[2]، وأقام بها مدة، اتصل خلالها بالعديد من العلماء، والتقى في الجامع المعروف بجامع لكاش بالشيخ أحمد الورززي[3]، فأتاه بصحيحي البخاري ومسلم، وموطأ الإمام مالك، فكان يحمل الكتاب منها، ويسرد سنده إلى مؤلفه من كناشته، ثم يقرأ منه نحو الورقة ويضعه ويحمل الأخر. ولما انتهى من كل ذلك، أجاز ابن حمادوش، وكتب له وناوله الكناشة لينقل منها بعض الأسانيد.

ثم داوم الشيخ عبد الرزاق خلال إقامته على حضور دروس الورززي، فسمع منه درسا من " السبكي"، و"مختصر خليل" الذي كان يُدَّرِسُه ضحى كل يوم، والتفسير بين المغرب والعشاء. وفي يوم 17 محرم 1156هـ كتب له الإجازة بخطه، ذكر فيها بأنَّه رغب في أن يسمع عنه بعض الحديث، ثم أضاف قائلا :" فأسمعته بعض موطأ مالك بن أنس – رضي الله عنه- من رواية يحي بن يحي الليثي، وأجزته سائره، وأسمعته بعض صحيح مسلم بن الحجاج القشيري، وأجزته سائره، ورغبني أيضا أن أجيزه في كل ما صحت لي روايته من مسموع ومجاز... فأسعفته... أن يروي عني الكتب الستة، أعني البخاري ومسلم، وأبا داوود والترميذي، والنسائي وابن ماجة وموطأ مالك، ومسند أحمد بن حنبل"[4].

وأجازه أيضا أن يروي عنه بعض الفهارس، حيث قال:" وكذلك أجزته بكل ما صحّت لي روايته من جملة ما في فهرسة الإمام ابن غازي المكناسي ثم الفاسي، كذا ما في فهرسة الشيخ محمد بن سليمان السوسي ثم المكي، وما في

---

[1] - مدينة صغيرة، تبعد بنحو ثمانية عشر ميلا عن المضيق، وستة أميال من البحر. الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص: 318.

[2] - مارس التجارة إلى جانب اتصاله بالعلماء. وفي هذه الرحلة كان حريصا على اقتناء الكتب بالشراء وبالنسخ. ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش (لسان المقال)، مواضع متعددة مثلا: ص، ص: 70، 71.

[3] - أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي الدرعي التطواني (ت 1179هـ/ 1765م): الورززي نسبة إلى ورزازة بناحية السوس، وبيتهم بيت علم. حج مرتين وزار بيت المقدس، أجازه علماء مصر، وله فهرس جمع فيه مروياته. الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص، ص: 1110- 1112.

[4] - عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش (لسان المقال)، ص، ص: 37، 38.

فهرسة الشيخ إبراهيم الكردي ثم المدني، وغير ذلك مما صح لي"[1]. ولابن حمادوش إجازة أخرى من شيخه الورززي بمدينة الجزائر في سنة 1159هـ[2] سوف يرد ذكرها.

كما حضر الشيخ ابن حمادوش مجالس دروس الشيخ محمد بن عبد السلام بناني الفاسي[3]. وقد كان له مجلس بالقرويين كان يحضره الأعلام[4]، فتقدم إليه باستدعاء نظمي في اثنتي عشر بيتا، يهمنا منه هذه الأبيات [5]:

أبح لي أنل من بحر علمك غرفةً ... أبل بها حرّ الفؤاد من الجـهل

أجزني وأطلق لـي رواية كلـّما ... رويته عن أشياخ غر أولي الطول

ووشح بخطك الشـريف إجازتي ... فذاك لها الزهر النضيد مع الفـل

فأجازه وكتب له بذلك في أواخر محرم 1156هـ، منه المقطع الموالي:" قلت: أجزت الفقيه المذكور جميع ما يجوز لي وعنِّي روايته، من مقروء ومسموع ومُجاز، كل ذلك بشرطه عند أهله، وأذنت له أن يحدث عني بكل ما سمعه منِّي، أو بلغه عنِّي من مؤلفات ومناولات". ثم عدَّدَ مؤلفاته وهي: شرح على كتاب الاكتفاء للإمام الكلاعي المسمى "بمغاني الوفاء بمعاني الاكتفاء"، وشرح على اللاَّمية الزرقانية في الفقه، وشرح على الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، وشرحه على الصلاة لعبد السلام بن مشيش، ثم أضاف قائلا:" وغير ذلك ممَّا جمعته أو نظمته إجازة تامة عامة"[1].

أخذ ابن حمادوش أيضا بفاس على الشيخ أحمد بن مبارك المعروف بالسجلماسي، حيث كان يقرأ عليه "مختصر السنوسي" في المنطق صبيحة كل

---

[1] - ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص: 38.

[2] - المصدر نفسه، ص- ص: 259- 263.

[3] - أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن حمدون الفاسي (ت 1163هـ/ 1749م): البناني نسبة إلى قرية بنان، أخذ عن أحمد بن الناصر، وميارة الصغير وأبي سالم العياشي واليوسي وغيرهم. وأخذ عن علماء المشرق كالخرشي وعبد الباقي الزرقاني، وله منهم إجازات. وأخذ عنه من لا يعد كثرة. له تآليف منها: شرح لامية الزقاق، وشرح الإكتفاء للكلاعي، واختصار شرح الشهاب على الشفا وغيرها. القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 81؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 353.

[4] - عبد الكبير الكتاني، زهر الآس، ج1، ص: 152.

[5] - ابن حمادوش، المصدر السابق، ص: 39.

يوم، حتى ختمه عليه يوم الثامن جمادى، ثم تقدم إليه باستدعاء نظمي في ثلاثة عشر بيتا منها [2]:

وإنِّـي طلبـت الله أن أرى وجـهكم   وأسجد عن تلك الأكف على البرّي

وها أنا قد نلت الذي كنـت أشتـهي   وقد بقيت لي الإجازة في النشري

فضع خطك المرفوع في نصب صفحتي   وعقب به من قد لقيت من الغرى

لم يكتب ابن مبارك الإجازة فور تسلمه الاستدعاء، بل أخذه معه إلى داره ليتفرغ لها، ولكن المنية وافته قبل كتابتها. وقد علَّق ابن حمادوش عن تأخيره لكتابتها بقوله:" كأنَّه استقل واستحيا أن يضع يده نثرا ولا قدرة له على الشعر"[3].

وحرصا منه على هذه الإجازة، تقدم ابن حمادوش بطلب مكتوب إلى القاضي بوخريص السجلماسي[4]، يطلب فيه الشهادة على إجازة ابن مبارك له، ومؤكدا فيه على قراءته عليه لمختصر السنوسي، وعلى تقييده عليه شرحا سماه "الدرر على المختصر"، كان قد رآه الشيخ ابن مبارك وفرح به. وبأنَّه تقدم له باستدعاء، وحين تقديمه له في المسجد دخل عليهما القاضي بوخريص" فشاهدها (أي الإستجازة) حقا فسأله ما هذا؟، قال: إجازة فلان لأوقع إثرها بالبنان". فكتب له القاضي بوخريص يشهد له بإجازة ابن مبارك له، وأجازه هو بدوره فيما رواه عن ابن مبارك، وغيره مما له من معقول ومنقول، وذلك في يوم 27 جمادى الأولى 1156هـ[5].

في 27 رجب من نفس السنة، قبض الشيخ عبد الرزاق إجازته التي كتبها له الشيخ البناني، ورفعها إلى الشيخ أحمد السرائري[6] بأمر من شيخه البناني، وأخبره بأنَّ شيخه أرسله إليه ففرح بذلك، وكتب له بالإجازة في اليوم الموالي.

---

[1] - ابن حمادوش، الرحلة، ص: 63.
[2] - ابن حمادوش، الرحلة، ص: 83.
[3] - ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص: 86.
[4] - قاضي فاس أبو محمد عبد القادر بن العربي بوخريص الفاسي (1118- 1188هـ/1774م): أخذ عن عبد الله العراقي وغيره، ولازم الشيخ ابن مبارك، وهو عمدته الذي أفنى عمره في خدمته، وأخذ عنه جملة من الطلبة. مخلوف، شجرة النور، ص: 356.
[5] - ابن حمادوش، الرحلة، ص- ص: 89- 91.
[6] - أحمد السرائري التطواني: توفي سنة 1156هـ. القادري، نشر المثاني، ج4، ص، ص: 42، 43.

وممَّا ورد فيها قوله:" أجزته فيما سمع وغير ذلك مما يصح لي وعني روايته، إجازة تامة عامة"[1]. ثم ظل يتردد على مجلسه فقرأ عليه " ألفية العراقي" بشرحها من زوال الشمس إلى صلاة الظهر، وختمها عليه في أكثر من أربعة عشر مجلسا. وقد كان ابن حمادوش يقرأ الأبيات، والسرائري يسمع، ثم يضعها ويقرأ الشرح[2].

5 – إجازات الشيخ أحمد الورززي لبعض علماء مدينة الجزائر:

ورد الشيخ أحمد الورززي مرتين إلى مدينة الجزائر. الأولى في سنة 1159هـ /1746م، والثانية في سنة 1162هـ/ 1748م. فقد حلَّ بها للمرة الأولى في يوم 22 رمضان ليغادرها راجعا إلى بلده يوم 15 شوال؛ أي بعد مكوثه بها لمدة ثلاثة وعشرين يوما. هذه الرحلة التي يُفترض أن تكون رحلة علمية لنزوله بمدرسة الجامع الكبير، وإلقاءه بعض الدروس في الجامع المذكور. كإلقاءه درس في التفسير تلبية لرغبة بعض علمائها. كما قام بتصحيح كتاب "الدرر على المختصر للسنوسي" للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش بحضور جماعة من الطلبة. وكان مؤلفه قد قرأ كتاب المختصر للسنوسي في تطوان على الشيخ ابن مبارك، وأثناء قراءته كتب الشرح المذكور. ورغم مرور ثلاث سنوات على ذلك إلاّ أنّ ابن حمادوش استغل فرصة قدوم شيخه الورززي إلى مدينة الجزائر ليصححه عليه، لأنّه من تلامذة الشيخ ابن مبارك المذكور، بالإضافة إلى أنّه "محقق في الفنون، وخصوصا المنطق"[3].

واستغرق تصحيحه حوالي عشرين يوما؛ حيث شُرِع فيه يوم 23 رمضان ليُخَتم في 13 شوال من السنة المذكورة، وهي مدة كافية لتصحيحه تصحيحا دقيقا، سيَّما وأنَّه كان يعقد لذلك ثلاث جلسات في اليوم: الأولى من طلوع الشمس إلى الضحى، والثانية إلى الزوال أو عند صلاة الظهر، والثالثة من صلاة العصر إلى الغروب. أمَّا عن طريقة التصحيح فقد بيّنها ابن حمادوش بقوله:" اشتغلنا به قراءة

1 - عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص، ص: 67، 68.
2 - المصدر نفسه، ص: 70.
3 - المصدر نفسه، ص: 258.

بحث وتفتيش، فما قَبِلَهُ ممَّا كان منصوصا قَبْلَه للمتقدمين أو من كلام شيخنا ابن مبارك أثبته، وممَّا لم يَقْبَلْه حذفته "[1]. وكتب الشيخ الورززي بخط يده على أول ورقة من كتاب "الدرر" « إجازة تأليف ». وهي بعد الحمدلة والتصلية:

" يقول من يضع اسمه عقب تاريخه: أنَّ مؤلف هذا الشرح على مختصر الشيخ السنوسي، وهو الشريف سيدي عبد الرزاق بن محمد الجزائري، سرده عليَّ على وجه من المذاكرة، لعّل أن نجد فيه ما يحتاج للإصلاح أو التكميل، فأصلحنا منه المواضع التي تحتاج إلى الإصلاح على حسب ما سهل الله سبحانه علينا. ونرجو من الله سبحانه أن يكون كلـه أو جله صوابا. وإن وقع فيه خطأ فيكون معدودا محصورا. وهو إن شاء الله يصلح للإقراء والمذاكرة... " [2].

إنَّ قول الشيخ الورززي بصلاحية " كتاب الدرر" للإقراء والمذاكرة تُوحي بأنَّها إجازة تأليف، إلاّ أنَّ أبا القاسم سعد الله محقق الرحلة وواضع عناوينها لم يُسَمها كذلك وعنونها هكذا:" شهادة الشيخ الورززي للمؤلف على كتابه الدرر". ولكنَّه ذكره في " تاريخ الجزائر الثقافي" قائلا بأنَّ الورززي أعطا لابن حمادوش شهادة تدل على براعته في معالجة هذا الموضوع، وبأنَّ الشيخ أحمد بن عمار قرظ هذا الكتاب، وقال بأنَّه كتاب صغير الحجم كثير الفائدة، وأجاز قراءته وشجع عليه[3].

وشهد على هذه الإجازة أربعة من طلبة الجزائر يهمنا منها شهادتين[4]، لأنّهما تؤكدان على أنَّ ما كتبه الورززي لابن حمادوش إجازة بالتأليف، حيث كتب أبو القاسم بن يوسف الحسني ما يلي:" ما ذكر يُمنة هذه الورقة من تجويز التأليف المسمى بالدرر تأليف العالم... عبد الرزاق على يد العالم العلامة البركة أبي العباس سيدي أحمد الورززي من أوله إلى آخره صحيح...". وكتب

---

[1] - عبد الرزاق ابن حمادوش، الرحلة، ص، ص: 258، 259.
[2] - ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص: 259.
[3] - تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 152.
[4] - الشهادتان الأخريتان الأولى لعبد الرحمن بن علي بن الشارف المازوني، والثانية للأديب أحمد بن عمار؛ الذي كتب له شهادة وتقريظا في نفس الوقت لكتاب الدرر؛ هي أكبر بحوالي ثلاث مرات من إجازة الورززي نفسها.

البرنوصي ما صورته: " وبمثل ما شُهِدَ به أعلاه يشهد به عبد الملك بن محمد بن محمد بن إبراهيم البرنوصي الدار، السليماني أصلا، وأنَّه أجَازه فيه أواخر شوال عام تسع وخمسين ومائة وألف"[1].

وأثناء زيارة الورززي الثانية لمدينة الجزائر، اجتمع بأحد أبرز علمائها آنذاك، وهو مفتي الحنفية الشيخ محمد بن محمد المهدي المعروف بابن علي[2]. وقد كان المفتي الحنفي يقوم بمهمة التدريس بالجامع الجديد الحنفي، إلى جانب وظيفة الإفتاء والخطابة. وكان ابن علي موصوف بالحفظ الغزير، ورواية الحديث النبوي، والمهارة في التفسير، بالإضافة إلى اشتهاره بجودة الشعر والنثر، والفصاحة في الخطابة. وكانت له صلات قوية بعلماء المغرب الذين زاروا الجزائر على عهده كالشيخ عبد الرحمن الجامعي، والشيخ الورززي المذكور. وله شعرا في كليهما، وقال في الأخير منهما قصيدة بارعة طالبا منه الإجازة [3]، افتتحها بهذا البيت[4]:

خَلِيْلِي عَادَ الأُنْسُ وَالعَوْدُ أَحْمَد   فَقَدْ زَارَنَا شَيْخُ المَشَايِخِ أَحْمَد

إلى أن قال:

فَمَالَك قد أصبحت مَآلَك علمه   وفي خلدي أنت الإمام المجدد

فجد لي بما أرجوه منك فإنّني   رأيت كنزا للذخائر يقصد [5]

وإن لم أتوصل إلى إجازة الورززي لابن علي، فالذي لا شك فيه هو إجازته له، كما جرت العادة بعدم رفض الإجازة، سيما وإنْ المستجيز من كبار العلماء. وهكذا فقد ربطت الشيخ الورززي علاقات حميمة مع علماء مدينة

---

[1] - ابن حمادوش، الرحلة، ص- ص: 259- 262.

[2] - محمد بن محمد بن محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العلج: ولد حوالي سنة 1090هـ/ 1679م وتوفي على الأرجح سنة 1169هـ/ 1755م. وهو من أسرة ذات صلة بالوظائف الرسمية، تولى الفتوى الحنفية بمدينة الجزائر سنة 1150هـ، واستمر بها إلى سنة 1169هـ. وكان على صداقة متينة مع الأديب أحمد ابن عمار، وقد تبادل معه القصائد. وله ديوان شعر يشتمل على قصائد بليغة في المدائح النبوية. ابن عمار، أشعار جزائرية، ص: 197؛ البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص: 328؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص- ص: 300- 310؛ نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 194.

[3] - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص، ص: 272، 273.

[4] - ابن عمار، أشعار جزائرية، ص: 84.

[5] -من خلال هذا بالبيت يتبين أن غرض القصيدة الإستجازة. ابن عمار، أشعار جزائرية، ص: 84، ها: 3.

الجزائر التي كان يتردد عليها، دون أن يكون متوجها إلى المشرق أو عائدا منه، وفي ذلك دليل آخر على ذيوع صيت علمائها.

6- إجازات الشيخ عبد القادر بن شقرون الفاسي لبعض العلماء الجزائريين:

أخذ على الشيخ عبد القادر بن شقرون الفاسي[1] بعض العلماء الجزائريين بفاس، كالشيخ محمد أبي راس الذي اتصل به، وتذاكر معه في بعض المسائل[2]، وقاضي وهران الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله بن محمد المدعو" دحو" المشرفي المعسكري شارح "النصيحة الزروقية". وقد أجازه ابن شقرون بالإضافة تلميذه الطيب بن كيران [3] عامة مالهما[4].

وفي طريق الشيخ ابن شقرون إلى الحج سنة 1193هـ/1779م، نزل بنواحي بسكرة، فوفد عليه بعض علماء المنطقة، وكان من بينهم الفقيه خليفة ابن حسن القماري، الذي اعتاد على الخروج من قريته قمار لملاقاة ركب الحج المغربي، فيأخذ من علمائه، ويأخذون منه. وفي السنة المذكورة أطلع ابن شقرون على نظمه لمختصر خليل المسمى "بجواهر الإكليل في نظم مختصر خليل"[5]. وبعد أن قرأ هذا الأخير أجزاءا منه، كتب له بتقريظ في شهر ربيع الثاني. ممَّا جاء فيه قوله:" وقد أطلعني على نظمه الجليل، لمختصر أبي الدنيا خليل، المكتوب هذا أول ورقة منه، فطالعت منه البدء والختام، ومواضع منه أنبأتني على أنَّه مقدام من فرسان البراعة، وأئمة اليراعة، إذ هو نظم عذب الموارد،

---

1 - القاضي أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون الفاسي (ت 1219هـ/ 1804م): أخذ عن أبي العباس الهلالي، وأبي العباس الدلائي، وعبد الرحمن المنجرة، وعبد القادر بوخريص وغيرهم. وحج ولقي أعلاما وأخذ عنهم منهم الشيخ مرتضى. وعنه أخذ السلطان أبو الربيع سليمان. من مؤلفاته "شرح العشرة الثانية من الأربعين النووية ". عبد الكبير الكتاني، زهر الآس، ج1، ص، ص: 150، 151؛ ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج1، ص: 333؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 374، 375.

2 - محمد أبو راس، فتح الإله ومنته، ص: 105.

3 - أبو عبد الله الطيب بن محمد بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران (1172- 1227هـ/ 1812م): عرف بتبحره في علم الأصول والفروع. له تآليف عديدة منها: شرح على توحيد المرشد المعين. مخلوف، شجرة النور، ص، ص: 376، 377؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص: 373؛ التازي، جامع القرويين، ج3، ص: 807.

4 - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 460.

5 - اطلع الشيخ الناصري الدرعي صاحب "الرحلة الكبرى" على منظومة الشيخ القماري، اثر لقاءه بناظمها في سيدي عقبة، وحكم عليها حكما يختلف قليلا على حكم ابن شقرون قائلا:" وهو نظم سلس لا بأس به، غير أنَّ صاحبه غير متمكن من الصناعة العروضية، وإنَّما للنظم عنده سجية ". أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 78.

مهذب المقاصد، سلس العبارة، رائق الإشارة... وقد طلب مني... أن أوقع عليه ما تيسر، ولم يعذرني إذ أنا على سفر، فساعدته إسعاد محب صادق، فرقمت هذه الحريفات"[1].

وأمَّا كون هذا التقريظ هو إجازة، فذلك ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله[2]، غير أنّه لم يقل "إجازة التأليف". والملاحظ أنّ هذه الإجازة لا تتضمن أي إذن من أي نوع، كما في إجازة الورززي لابن حمادوش المذكورة سابقا.

7- إجازات محمد بن محمود العنابي لبعض علماء أسرة بيرم التونسية

أسرة بيرم تركية الأصل، دخل أول أفرادها تونس أثناء الفتح العثماني لها[3]. وشهد القرن الثاني عشر بزوغ شهرتها العلمية، حيث أنجبت العديد من العلماء[4]، الذين توارثوا الخطط الدينية الرفيعة، وفي مقدمتها القضاء والإفتاء الحنفيين. ولمَّا كان الشيخ محمد بن محمود العنابي يمر بتونس أثناء تردده على المشرق، فقد ربط علاقات وردية مع بعض علمائها، ومنح إجازات لبعضهم ممَّن التجؤوا إليه، وطلبوا منه ذلك نثرا وشعرا، ولا سيَّما علماء أسرة بيرم[5]، وقد جمعته بهم مودة كبيرة، تشهد عليها الرسائل المتبادلة بينه وبين الشيخ محمد بيرم الرابع[6]، منها الرسالة التي بعث بها إليه أثناء إقامته بمصر، والتي تضمنت قوله:" فقد كتبنا إليكم... من خضراء تونس... تجديدا لعهود المودة القديمة "[1].

---

[1] - الطاهر بن بلقاسم التليلي،« اتحاف القاري بحياة خليفة بن حسن القماري»، ورقة: 12، 13.

[2] - تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص، ص: 49، 77.

[3] - بيرم أصل هذا اللقب بالتركية بيرام ويعني العبد، وقد قدم بيرام إلى تونس صحبة جند سنان باشا لاستنقاذ البلاد من الاحتلال الإسباني سنة 981هـ/ 1573م، وطاب له المقام بتونس. محفوظ، معجم المؤلفين التونسيي، ج1، ص: 130.

[4] - من أفراد هذه الأسرة الذين تولوا الخطط الدينية الحنفية الكبرى، وفي مقدمتها رئاسة الفتوى الحنفية: رأس الأسرة شيخ الإسلام محمد بن حسين المعروف ببيرم الأول (1214هـ/ 1800م)، وابنه محمد بيرم الثاني (ت 1247هـ/ 1831م)، وحفيده محمد بيرم الثالث (ت 1259هـ/ 1843م). تراجمهم مستوفاة في كتاب العمر، لحسن حسني عبد الوهاب. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1990. ج2، الصفحات: 928، 929، 934، 940، 941.

[5] - هناك عوامل تكون قد ساهمت في تمتين العلاقة بينه وبين هذه الأسرة، فكل من أسرتي ابن العنابي وأسرة بيرم، تركية الأصل، حنفية المذهب، دخلت المغرب الإسلامي مع الفتح العثماني، وتقربت من السلطة الحاكمة وحظيت بمناصب دينية رفيعة.

[6] - محمد بن محمد بن محمد بن محمد، المعروف ببيرم الرابع (1220- 1278هـ/ 1806- 1861م): حمل نفس اسم و لقب أبيه وجديه قبله، وهو يروي عن أبيه وغيره. تولى خطة التدريس، ثم الإفتاء ثم رئاسة الفتوى الحنفية سنة 1259هـ/ 1843م، بالإضافة إلى توليه نقابة الأشراف، وإمامة عدة جوامع، وإدارة

لقد تلقى محمد بيرم الرابع إجازتين على الأقل من الشيخ ابن العنابي، إحداهما صوفية مشافهة بالأحزاب الشاذلية[2]، والثانية إجازة علمية كتابية، عدَّد فيها طرق تلقيه للحديث الشريف والفقه. فذكر بأنَّه روى "صحيح البخاري" بطرق عديدة، ولكن طريق السماع والقراءة إنَّما هي على والده محمود (ت 1234هـ)، وبأنّه سمعه على جده محمد بن حسين قاضي الجزائر (ت 1203هـ)، بالإضافة إلى قطعة من أول كتاب " فضائل القرآن" ووقعت له منه إجازة تتضمنه. كما روى صحيح البخاري أيضا سماعا لبعضه، وإجازة لباقيه عن شيخه الإمام أبي الحسن علي بن عبد القادر بن الأمين. ثم قال:" وقد أجزت بهذا، وبكل ما أجازني به مشائخي، الشاب الفاضل اللَّوذعي الكامل أبا عبد الله محمد بن شيخ الإسلام محمد بن شيخ الإسلام محمد الشهير ببيرم- حفظه الله- إجازة عامة بشرطها المعلوم لأهله..."[3]. وبعد ختمه للإجازة ألحق بها بعض الأمور هي:

1- فقرة تحت عنوان:« تتمة» أرَّخ فيها لوفاة شيخه، وعمدته ابن الأمين بسنة 1236هـ، ثم أضاف قائلا:" وقد أجاز جميع من أدرك حياته، وقد اقتديت أنا به في ذلك، فأجزت بكل ما أجازني به مشايخي جميع من أدرك حياتي"[4]. فهذه الإجازة التي أجاز بها لجميع من أدرك حياته « إجازة عامة للعموم » الهدف منها نشر السند.

2 - التأكيد على إجازته لمحمد بيرم الرابع بقوله:" نعم أجزت الشاب الأديب الفاضل السيد محمد بن شيخ الإسلام محمد بكل ما تجوز عني روايته ".

العديد من المدارس، كما كان مستشارا للأمير محمد باي (1855- 1859م). من أشهر مؤلفاته: التراجم المهمة للخطباء والأئمة. الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص، ص: 242، 243؛ أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون، ص: 602؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص: 686.

[1] - بعث له بهذه الرسالة بعد سنة 1260هـ يجدد له فيها المودة، ويوصيه فيها خيرا بأحد العلماء المغاربة. وبعث ابن العنابي بدوره أبيات في تحية آل بيرم رد عليها محمد بيرم الرابع بأربعة أبيات أيضا، وكان قد قرظ كتاب " شرح الدر المختار" لابن العنابي في سنة 1245هـ. أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري: ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي، ص- ص: 123- 127.

[2] - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: 38.

[3] - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص- ص: 115- 118.

[4] - أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري: ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي، ص: 118.

3- تذييل الإجازة بختمه الذي يحمل عبارة :« منتظر لطف الودود عبده محمد ابن محمود سنة 1232هـ» .

لكن التاريخ الذي يحمله الختم ليس تاريخ الإجازة على ما يبدو من عدة أوجه منها: أنَّ ابن العنابي كان بالجزائر في السنة المذكورة، مُتَوَليا لقضاء الحنفية[1]. ومنها أنَّه أجاز بمصر لكل من إبراهيم السقا وعبد القادر الرافعي في سنة 1242هـ. ولكنه أرَّخ لإجازته للأول بسنة 1242هـ، بينما وضع ختمه المُشار إليه في إجازته للثاني، وهو يحمل نفس التاريخ أي 1232هـ. وهذا التاريخ هو الذي يوجد دائما في ختمه الموضوع على وثائق أخرى[2]. ونَّص الإجازة نفسه يؤكد أنَّ تاريخ 1232هـ، ليس هو تاريخ الإجازة، إذ كيف يكتبها فيه، وقد أخبر فيها عن وفاة والده التي كانت سنة 1234هـ، وعن وفاة شيخه ابن الأمين التي كانت سنة 1236هـ[3].

أمَّا تاريخ الإجازة الحقيـقي فهو بين سنتي 1236 و1245هـ؛ حيث حج الشيخ ابن العنابي سنة 1236هـ، واستقر بالأزهر لمدة تسع سنوات، ثم رجع إلى الجزائر وحلَّ بتونس بين سنتي 1244- 1245هـ/ 1828- 1829م[4]. فهو إمَّا أن يكون قد أجاز لمحمد بيرم في المشرق، أو في تونس أثناء نزوله بها.

لقد أقام الشيخ ابن العنابي هذه المدة في تونس مُحَاطًا بالعلماء، وكلهم أشادوا به ونوَّهوا بعلمه. كما أكرمه باي تونس عندئذ، وأحاطه بالتبجيل والتعظيم[5]، واستجازه عدد من علماء تونس، من بينهم: الشيخ مصطفى بيرم عم محمد بيرم

---

[1] - ذلك ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله (المفتي الجزائري، ص: 28) انطلاقا من مجموعة من الوثائق. بينما ذهب عبد الحميد بيك (أعيان من المشارقة والمغاربة، ص: 187) إلى بأنَّه كان بين سنتي 1213هـ و1236هـ مفتيا للمالكية بالجزائر.

[2] - كان له بحكم منصبه في الدولة ختما خاصا به. أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري، ص، ص: 36، 37.

[3] - للأمانة العلمية فإنَّ أبا القاسم سعد الله لم يناقش هذا الأمر، لا حين تحدث عن إجازات المترجم له، ولا في الفصل الثالث المعنون بنصوص منه وعنه أين نقل نص الإجازة كاملا. أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص- ص: 115- 118.

[4] - عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، ص: 188.

[5] - أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري ابن العنابي، ص: 30.

الرابع السابق الذكر. وقد استدعاه بقصيدة من أربعة عشرة بيتا تضمنت هذه الأبيات[1]:

فكم طابت الخضراء نشرا وبهجة   وكل إناء بالذي فيه رَاشـح

...ولستَ الذي يراد بالمدح قـدره   فقدرك معلوم ومجدك واضح

واطلب مـن علّيـاك نيل إجازة   بفضلك لا أني لذلـك صالح

والذي لا شك فيه هو أنَّ ابن العنابي لبى طلب المستجيز لحرصه على نشر سلسلة السند على أوسع نطاق، حتى أنّه كان يجيز كل من أدرك حياته.

8 – إجازات علمية متفرقة خلال القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين:

هناك إجازات علمية كثيرة متبادلة بين العلماء الجزائريين وعلماء القطرين لم ترد حولها إلاّ إشارات في الكتب التراجم والرحلات. منها أنَّ الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني[2] استقر بالمغرب، وأخذ على علماء فاس كالشيخ محمد بن أحمد ابن مبارك السجلماسي الذي أجازه، كما درَّس هناك بجامع القرويين، فصار من أشهر الأساتذة به. ثم عاد إلى بلده سنة 1129هـ، وتفرغ للتعليم بزاويته بتنلان[3].

وإذا كانت رحلة العلماء الجزائريين إلى تونس قليلة، بالمقارنة مع رحلاتهم إلى المغرب الأقصى، فإنَّهم بضرورة أداء فريضة الحج وطلب العلم كثيروا الرِّحلة إلى المشرق، ولهذا كانوا ينزلون بها، ويتصلون بعلمائها. ومن هؤلاء الشيخ أحمد ابن عمار الذي ربط علاقات متينة مع أقرانه بها، وتبادل معهم الإجازات والتقاريظ[4]. ومن أشهر تلامذته بها الشيخ إبراهيم السيالة [1] الذي

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: 129.

[2] - عمر بن عبد القادر التنلاني (ت 1152هـ/ 1739م): نحوي من فقهاء قصر تنلان بمنطقة توات. من مشايخه المغاربة: محمد بن زكري الفاسي، ومحمد حفيد ميارة. تخرج عليه الكثير من الطلبة بزاوية بتنلان، وأجاز الكثير منهم. فرج محمود فرج، إقليم توات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ص- ص: 88- 98.

[3] - فرج محمود فرج، إقليم توات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ص: 89، وص: 113.

[4] - من ذلك التقريظ النثري الذي كتبه للكاتب الوزير أبي محمد حمودة بن محمد بن عبد العزيز التونسي (ت 1202هـ)، على رسالة في مسائل من الكلام، ردَّ بها على أسئلة بعض علماء قسنطينة في صفر سنة 1196هـ. الوزير حمودة، الكتاب الباشي، تح: محمد ماضور. تونس: الدار التونسية للنشر، 1970. ج1، ص، ص: 19، 20. .

جمع ثبتا في أسانيد شيخه سمَّاه " بمنتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد "، فأجازه به سنة 1204هـ/1789م[2].

كما نزل بها الشيخ أبو راس مرات عديدة منها سنة 1205هـ/ 1790م، فأكرمه السيد حمودة باشا، واجتمع بعلمائها، وأجلة فقهائها كمفتي الحنفية بها السيد محمد بيرم الذي قرأ عليه "مختصر الكنز" في الفقه الحنفي، والشيخ أحمد بن عبد الله السوسي المغربي الأصل، التونسي الدار. وقد خاطبه أبا راس قائلا:" أحببت أن أكون من تلامذتك الرّاغبين في إجازتك، وإن لم أكن لذلك أهلا، فيكون ذلك منك لنا وبلا، كي تهب علي نفحاتكم، وسناء بركاتكم "، فأجازه في جميع ما يتعلق بالدِّين ووصائله، وفروعه وأصوله ومسائله، وكتب له بخط يده[3].

كما كان أبو راس كثير الزيارة للمغرب الأقصى، من ذلك الزِّيارة التي قادته إلى فاس سنة 1216 هـ/1802هـ حيث أقام بها مدة، وأهدى العديد من المؤلفات إلى السلطان المغربي سليمان، منها شرح بعنوان " روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان"[4]. وأثناء زياراته هذه كان يتصل بالعلماء[5] ويأخذ عنهم ويأخذون عنه. لكن لا نعرف إن أثمرت هذه الاتصالات بإجازات علمية أم لا.

هذا، ولم تقتصر علاقات العلماء الجزائريين بتونس بالتردد على المشرق، بل إنَّ منهم من درس مدة هناك كالفقيه النحوي محمد الصالح الزواوي[6]، حيث وُجِدَ بخطه أنّه قرأ وأُجيز بجامع الزيتونة[7]. غير أنَّ صاحب " تعريف الخلف" لا يذكر شيوخه ولا بما أجيز. ويبدو أنَّه تلقى بها تكوينا مُهما، إلى جانب ما يكون قد أخذه بالجزائر، لاشتغاله بالتدريس في جبل بني عيسى بمجرد عودته منها.

---

[1] - إبراهيم بن عبد الله السيالة: كان حيا سنة 1204هـ/ 1790م. كحالة، معجم المؤلفين، ج1: ص: 40.

[2] - عبد الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص، ص: 121، 122.

[3] - محمد أبو راس، فتح الإله، ص، ص: 51، 52، وص: 115.

[4]- G. Faure – biguet, « notice sur le chiKh Mohammed Abou Ras », p p : 311, 318.

[5] - منهم الطيب بن كيران، والشيخ حمدون، والفقيه الشيخ محمد بن بنيس الذي بحث معه في تفسير ابن عطية. محمد أبو راس، فتح الإله ومنته، ص- ص: 101- 106.

[6] - محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي الرحموني (ت 2- 1243 هـ/ 1827م): من شرفاء العش في بلد امشدالة. تآليفه كثيرة منها: ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب، والدليل على الأجرومية وشرح على الأزهرية، وحاشية على شرح الصغرى لمؤلفها. الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 533؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 382.

[7] - الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 533.

وبحكم قرب الجهة الغربية للجزائر من المغرب الأقصى، فقد كان علماؤها الأكثر اتصالا وتواصلا مع أقرانهم به، حيث أجاز الشيخ ابن أبي طالب المعروف بالشارف المازوني للشيخ أبي العباس أحمد التادي الحمودي العلمي السويفي (ت 1236هـ)[1]. كما تلقى الشيخ أبو عبد الله محمد المهدي بن محمد المدعو بالكتروسي[2] بمدينة مازونة استدعاءا كتابيا من فاس سنة 1240هـ/1827م من طرف الشيخ محمد التوهامي بن رحمون[3]، وممَّا ورد فيه:" وليكن في كريم علمك، أنَّني أطلب من سيادتك إجازة تامة شاملة، مطلقة عامة، في جميع ما لديك من العلوم، والأسرار والفهوم، والطرق الصوفية والأحاديث المسلسلات إلى خير البرية تبركا بسندك العالي..."[4].

ثم تحدث عن مشروعية طلب الإجازة مراسلة، والأسباب الداعية إلى ذلك، ثم ختم الاستدعاء بستة أبيات، منها[5]:

عبدك الملتجئ لفضلك يرجو　　من علا مجدكم عموم إجازة

يدرك الفوز بالفضائل عنها　　وتكون إلى السعود مجازة

دم بربع السعود قاموس علم　　كل ناح ينال منك مفازة

وليس لدينا دليل على إجازة محمد المهدي له، إلاّ ما تعارف عليه بين العلماء، من عدم رفضهم الإجازة بالرواية ولو طالت المسافات، وهذا الاستدعاء دليل قاطع على ذلك التواصل الفكري الذي جمع علماء مازونة بأقرانهم في المغرب الأقصى.

---

1 - عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ، ج1، ص: 119.

2 - أبو عبد الله محمد بن المهدي بن محمد بن المهدي بن أحمد بن علي الإدريس الحسني المازوني الكتروسي. ينتمي إلى أسرة آل الكتروسي العلمية التي حظيت بتأييد، ودعم كبير من طرف بايات الغرب، فتولى عدد من أفرادها مناصب دينية هامة كالقضاء والفتوى والخطابة والإمامة. تملك عائلة الكتروسي بمازونة تسعة وثائق تاريخية تعود إلى الفترة الممتدة من (1080 إلى 1247هـ/ 1667 إلى 1829م)، وهي عبارة عن رسائل من بايات الغرب إلى العائلة بخصوص التعيين في المناصب المذكورة. بوكفة يوسف، «مدرسة مازونة الفقهية »، رسالة ماجستير، ص: 17.

3 - محمد التوهامي بن محمد المكي بن عبد السلام بن رحمون العلمي الحسني الإدريسي (ت 1263هـ/ 1847م): كان عالما مسندا. أخذ عن جماعة وافرة من أهل المشرق والمغرب. وله ثبت في مروياته. عبد الحفيظ الفاسي، المصدر السابق، ج1، ص: 118.

4 - وثيقة ملك لعائلة الكتروسي بمازونة.

5 - الوثيقة نفسها.

وكان علماء الراشدية على اتصال دائم بالمغرب، فقد رحل الشيخ أبو عبد الله محمد بن الموفق الجلالي إلى فاس، والتقى بأكابر علمائها واستفاد منهم[1]، وأجازه جماعة ذكرهم في إجازته لتلميذه عبد القادر الراشدي كالسيد محمد جسوس[2]، والسيد التاودي بن سودة[3]، والسيد محمد البناني والسيد عبد الله السوسي، والسيد عمر السوسي، والسيد إدريس العراقي الحسني، ومولاي بن عبد الرحمن إدريس وغيرهم[4].

كما تبادل معهم الشيخ العلامة عبد القادر المعروف بابن عبد الله سقط المشرفي الإجازات العلمية. ومن مشايخه المغاربة[5] الشيخ الهادي بن محمد الشريف الذي أجاز له ثبته[6]، والشيخ محمد بن محمد بن عربي البناني المالكي، وعلي بن محمد الميلي. وأجاز ابن عبد الله سقط بدوره لبعض المغاربة في فاس كالشيخ أبي العباس أحمد بن الطاهر الأزدي المراكشي، والشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن الإمام أبي العباس أحمد الشدادي الفاسي عامة ما له مطلقا بتاريخ 1247هـ /1831م، أي حوالي سنة بعد دخول الفرنسيين إلى الجزائر. وقال فيها: " إجازة عامة تتناول من وجد منهما من الأولاد، ومن سيوجد منهم من الأحفاد، وكل من استجازهما"[7].

أمَّا الإمام محمد بن علي السنوسي، فقد انتقل إلى فاس لطلب العلم، ثم رحل مكة حاجا، فلقي بها الشيخ أحمد بن إدريس المغربي الميسوري (ت 1253هـ/ 1837م) وأخذ عنه. وحصل له نفوذ عظيم في الحجاز وضواحيه، إلا أنَّه آثر

[1] - محمد بن سحنون، الثغر الجماني، ص: 228.

[2] - أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد جسوس(1089- 1182هـ): أخذ عن أبي عبد الله المسناوي، محمد بن عبد القادر الفاسي، والعربي بردلة. أخذ عنه جماعة من الأعيان كالشيخ التاودي بن سودة. من تآليفه: شرح خليل، والرسالة، وشرحان على الحكم بن عطاء الله. عبد الكبير الكتاني، زهر الآس، ج1، ص، ص: 280، 281.

[3] - أبو عبد الله محمد بن الطالب بن سودة المرّي الفاسي التاودي (1128- 1207هـ): أخذ عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني الناصري، وأحمد بن مبارك السجلماسي، حج وقدم مصر سنة 1182هـ، وعقد دروسا بالجامع الأزهر. تولى القضاء بالمغرب سنة 1203هـ. من تآليفه: حاشية على الزرقاني شارح خليل، وشرحان على الأربعين النووية. الجبرتي، عجائب الآثار، ج2، ص- ص: 105- 107.

[4] - المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص: 151.

[5] - دخل المغرب الأقصى سفيرا للأمير عبد القادر بعد الاحتلال الفرنسي، وبعد انحلال المقاومة رجع إليه واستقر بمكناس إلى أن توفي بها. المشرفي، « ياقوتة النسب الوهاجة»، ورقة: 11ظ.

[6] - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 1099.

[7] - عبد الحي الكتاني، المرجع نفسه، ج2، ص- ص: 577- 579.

تركه والانتقال إلى طرابلس (بليبيا) فوُفِق لنشر دعوته بأكثر بقاعها، حتى برقة ومجاهل إفريقيا، وأسَّس بها العديد من الزوايا أشهرها زاوية جغبوب[1].

فأخذ عنه هناك عدد من المغاربة منهم: عبد الهادي بن محمد الشاوي الفاسي (ت 1319هـ)؛ الذي لقي السنوسي أثناء حجه سنة 1260هـ، ثم رحل إليه مرة أخرى من المغرب، ولازمه بجغبوب إلى وفاته، فسمع عليه الكتب الستة، وغيرها مما كان يُقرؤه مدة مقامه عنده، فأجازه عامة[2]. كما أخذ عنه الشيخ أحمد بن الطالب بن محمد بن سودة (ت 1321هـ) بالمدينة المنورة سنة 1267هـ، فأذن له في الطريقة وأجازه عامة. وكان ابن سودة قد لقي في الاسكندرية الشيخ مصطفى بن محمد الكبابطي الجزائري[3] فأجازه[4].

يتجلى من حصاد الفقرات السابقة أنَّ تبادل الإجازات العلمية بين علماء الجزائر وأقرانهم في المغرب الأقصى، كان أكبر حجما وأكثر تنوعا، ممَّا كان بينهم وبين نظرائهم في تونس رغم الصِّلات الوثيقة التي ربطتهم بهم، ولعَّل مرد ذلك إلى الأسباب والعوامل التالية:

1- قرب تونس من الجامع الأزهر، ولهذا كان الرّاغبون في الاستزادة من العلم يلتجئون إليه فيأخذون عن علماء مصر، والعلماء المجاورين به الوافدين من مختلف مناطق العالم الإسلامي.

2- إزدهار حلقات الدروس من المستوى العالي بتونس، نتيجة لجهود حكامها العثمانيين الذين شّيدوا المدارس والمساجد والزوايا العلمية، وأقفوا عليها الأوقاف كثيرة وشجعوا العلماء، خاصة بجامع الزيتونة الذي رتب فيه الحكام عدد كبير من المدرسين، وأجروا لهم رواتب ثابتة، هذا إلى جانب الأستاذة المتطوعين به. وعليه فلم تكن الجزائر تقدم لهم أكثر ممَّا في بلادهم.

---

1 - عبد الحفيظ الفاسي، معجم المشايخ، ج1، ص، ص: 105، 106.

2 - عبد الحفيظ، المصدر نفسه، ج2، ص، ص: 222، 223.

3 - مصطفى بن محمد بن عبد الرحمن (1186- 1278هـ): أخذ على علماء الجزائر في عصره كالشيخ علي بن الأمين، كان مفتيا في مدينة الجزائر عند الاحتلال، ولما دافع عن الأوقاف ورفض تسليم سجلاتها للمحتلين احتجزوه، ونفي إلى الاسكندرية في سنة 1259هـ، فظل مقيما بها إلى وفاته. عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، ص، ص: 212، 213؛ الزهار، مذكرات الزهار، ص: 183.

4 - عبد الحفيظ الفاسي، معجم المشايخ، ج2، ص- ص: 80- 82.

3- أمَّا عن تفضيل العلماء الجزائريين للاستقرار بالمغرب على تونس، فهو إكرام ملوكه لهم، ومنحهم أرقى المناصب الدينية كالفتوى المالكية بفاس، والخطابة في جامع القرويين، وهذا ما لم يحظوا به مطلقا في تونس، لتقديم حكامها الأحناف لعلماء مذهبهم على علماء المالكية حتى من بين علماء قطرهم.

الفصل الثالث

الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين وعلماء المشرق

I - التعليم من المستوى العالي بالمشرق خلال العهد العثماني

II- إجازات القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (16–17م)

IIII – إجازات القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين (18– 19م)

ظلَّ المشرق الإسلامي يُمَّثِلُ المرجعية الدينية لأهل المغرب الإسلامي عموما، نظرا لوجود مركز الخلافة والمقدسات الإسلامية به. فقصدوه للحج والمجاورة، ولطلب العلم أيضا. كما اختار بعضهم الاستقرار به لأسباب عديدة، وفي مقدمتها الأسباب السياسية، فكثيرا ما هاجر العلماء من بلدانهم خوفا من التورط مع أصحاب السلطة. ولهذا فرغم أخطار السفر آنذاك، وتعرض ركب الحج لنهب الأعراب، فقد رحل عدد كبير من أهل العلم الجزائريين إلى المشرق، فأفادوا واستفادوا، وأجازوا واستجازوا. في حين لم تشهد الجزائر وفود علماء المشرق إليها إلاّ في أحيان قليلة جدا وذلك لتفوقه من الناحية الفكرية.

I /- التعليم من المستوى العالي بالمشرق خلال العهد العثماني:

لقد خضع المشرق الإسلامي منذ العقد الثاني من القرن العاشر الهجري (16م) للخلافة العثمانية[1] وعاصمتها القسطنطينية، وبرز به خلال هذا العهد العديد من الحواضر العلمية والثقافية، التي ازدهرت بها حلقات الدروس العليا، وفي مقدمتها مدينة القاهرة بمصر، ومكة المكرمة والمدينة المنورة، إلى جانب مدينة دمشق بالشام[2].

وتأتي القاهرة على رأس الحواضر العلمية المذكورة، فقد تنوعت المراكز العلمية بها، وحفلت بالعديد من المدارس، بعضها قديمة كالمدرسة الأشرفية، والمدرسة الصرغتمشية[3]، والمدرسة الصلاحية[4]، ونظرا لأهمية هذه الأخيرة فلا يُخْتار شيخ الأزهر إلاَّ من بين مدرسيها. ومن أهم المدارس الحديثة مدرسة أبي

---

1 - تمكن السلطان سليم الأول (ت 926هـ) من دخول حلب في سنة 922هـ/ 1516م إثر هزمه السلطان الغوري في معركة مرج دابق، ثم دخل مدينة دمشق، والمناطق المجاورة لها. وفي سنة 923هـ تمكن من دخول مصر. أما شريف مكة المسمى أبو التميمي بن محمد أبي البركات، فقد سلم له ما كان بيده من الآثار الشريفة، فقبلها منه. وهكذا فقد أصبح المشرق الإسلامي تابعا للخلافة العثمانية. إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص- ص: 113- 116.

2 - عبد القادر أحمد عطا، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي. بيروت: دار الجيل، (ط1)، 1987. ص: 62.

3 - هي مدرسة صرغتمش المعروفة بجامع صرغتمش؛ الذي أنشأه سيف الدين صرغتمش الناصري في سنة 757هـ/ 1256م. السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص: 231.

4 - بناها السطان صلاح الدين الأيوبي سنة 572هـ، وجعل التدريس والنظر بها للشيخ نجم الدين الجُنوشاني، ورتب له راتبا. وهي مجاورة لضريح الإمام الشافعي. وقد كان التدريس بها مشروطا لأعلم علماء الشافعية. السيوطي، المصدر السابق، ج2، ص: 225؛ المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص: 40.

الذهب التي أنشئت سنة 1189هـ/ 1775م، والتي حملت اسم مؤسسها الذي أقرَّ بها العديد من المدرسين، ورتب لهم رواتباً سخية[1].

كما وُجدَ بها العديد من الزوايا التي كانت الدراسات فيها تميل للاتجاهات الصوفية، بالإضافة إلى الدراسات الإسلامية العامة، ومن أهمها: زاوية الخضري والزاوية القريبة من المشهد الحسيني، والزاوية الملحقة بالجامع الكبير بالمنصورة[2].

وقد اقتضت الضرورة أحيانا أن عُقدت الحلقات العلمية بالمنازل، لأنّ ذلك يُعد مفخرة لأصحابها من العلماء الذين لم يستطيعوا أن يجمعوا المريدين حولهم، لقلة بضاعتهم من العلم، فجمعوهم في بيوتهم حول شيوخ العصر، وهناك بعض مشاهير العلماء منعتهم ظروف الصحة أو غيرها من الانتقال إلى المدارس أو المساجد والزوايا فاندفع الطُلاب نحوهم يأخذون عنهم في بيوتهم. وبيوت العلماء كثيرة من أكثرها شهرة: بيت حسن الجبرتي الذي كانت حلقات الفكر به لا تكاد تتوقف. ومن بيوت العظماء بيت أحد أعيان التجار بمصر: وهو الحاج أحمد بن محمد الشرابي (ت1171هـ/1757م)، فقد كان العلماء يترددون إلى منزله؛ الذي كانت به مكتبة للإعارة والمطالعة الداخلية[3].

وكان أكثر مساجد مصر مراكز فكر وإشعاع، جلس بها العلماء وتحَّلق حولهم الطلاب. وأُطلق على كل شيخ من شيوخ المساجد لقب "شيخ عمود": فبجوار الأعمدة المتعددة كان يجلس هؤلاء العلماء. واكتسبت بعض هذه المساجد شهرة في مجال التعليم منها: جامع عمرو، وجامع شيخون، ومسجد الإمام الشافعي، ومسجد كتخدا بالأزبكية، بالإضافة إلى جامع المشهد الحسيني، الذي تصدى للتدريس به مجموعة عظيمة من شيوخ العصر وفطاحل الشعراء[4].

[1] - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (ط7)، 1986. ج5، ص- ص: 346- 348.
[2] - أحمد شلبي، المرجع نفسه، ج5، ص- ص: 350- 352.
[3] - أحمد شلبي، المرجع نفسه، ج5، ص، ص: 352، 353.
[4] - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج5، ص- ص: 348- 351.

أمَّا الجامع الأزهر[1] بالقاهرة فقد احتل الصدارة في مصر، بل وفي العالم الإسلامي، وإن أفل نجمه قليلا في العهد العثماني حسب جومييه (J-jomier). ومن أسباب احتلاله لهذه المكانة حينئذ[2]، انقراض الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس، ووقوعه في مكان يتوسط العالم الإسلامي، وقربه من الحجاز، بالإضافة إلى أهمية مصر الاقتصادية. ولهذا اجتمع به عدد كبير من العلماء الوافدين عليه من مناطق مختلفة[3]. وكانوا يعرفون "بالمجاورين"[4].

وقد كان بعض هؤلاء المجاورين يُقيم بالقرب منه، في حين يقيم البعض الآخر داخله، وينقسمون إلى طوائف لكل منها حارة ورواق خاص بها[5]. ومن أقدم الأروقة التي شهدها الأزهر: رواق المغاربة[6] وهو رواق كبير مخصص لأهل المغرب الإسلامي[7]، وقد أصبح الرِّواق بمثابة مؤسسة ثقافية واجتماعية تقدم خدمات لأبناء المغرب الإسلامي، وترعاهم طوال مدة دراستهم في الأزهر، أوأداء مهمتهم العلمية إن كانوا مدرسين. وكان الرِّواق يصرف لهم مرتبات، ولكن لا يستحقها إلاّ من كان مالكي المذهب. وكانت رئاسته بيد أحد المغاربة المالكيين المشتغلين بالتدريس بالأزهر، فكان هو النَّاظر على الأوقاف المحبوسة عليه. وقد

---

[1] - بناه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى المعز لدين الله الفاطمي بعدما اختط الإسكندرية، وكان بناؤه في شهر رمضان من سنة 361هـ/ 972م. وبدأت به حلقات دروس الفقه الشافعي في صفر 365هـ/ أكتوبر 975هـ، وكان قاضي القضاة أبو الحسن علي بن نعمان أول من جلس للتدريس به. السيوطي، حسن المحاضر، ج2، ص: 221.

[2] - حظي الجامع الأزهر ببعض الرعاية من طرف رجال الدولة العثمانيين، فكثيرا ما زاره الفاتح سليم شاه، وأمر بتلاوة القرآن فيه، وتصدق على فقراء المجاورين. جومييه، الجامع الأزهر: مسجد وجامعة في القاهرة. ترجمة: إبراهيم زكي خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية. القاهرة: دار الشعب. ج3، ص- ص: 183- 185.

[3] - جومييه، المرجع نفسه، ج3، ص: 186.

[4] - يسمى العلماء والطلاب "بالمجاورين " لسكناهم بجوار الأزهر. ونفس المصطلح يطلق على المقيمين بجوار المسجد الحرام.

[5] - الحارة عبارة عن حجرات يضع فيها المجاورين متاعهم. والرواق هو الفضاء الواقع بين العمودين، وكان يقرأ فيه الدرس لجماعات صغيرة، وتقام فيه الأذكار. ويتبع تقسيم الأروقة تارة التقسيم الجنسي، وتارة أخرى التقسيم المذهبي. وبالأزهر عدد من الأروقة أهمها: رواق الصعايدة، وهو أهم أروقة المالكية، وكان لكل رواق شيخ. جومييه، المرجع السابق، ج3، ص، ص: 187، 188.

[6] - يقع رواق المغاربة في الجانب الغربي من الجامع الأزهر، وهو على يمنة الداخل من باب المغاربة، أحد أبواب الجامع التسعة الرئيسية، وقد تم تجديده في سنة 872- 901هـ/ 1467- 1466م، وهذا يعني أنّه كان قائما من قبل. وقد كانت به مكتبة كبيرة. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517- 1798م). تونس- الجزائر: المجلة التاريخية المغربية، وديوان المطبوعات الجامعية، 1982. ص: 99.

[7] - جومييه، المرجع السابق، ج3، ص، ص: 186، 188.

وَجِدَ الرِّواق العون المادي الضخم من التجار المغاربة المقيمين بمصر، أو المترددين عليها[1].

وكانت مكة المكرمة والمدينة المنورة مركزين مهمين من مراكز العلم في الدولة الإسلامية. وقد كثر الوافدون على مكة بالخصوص بعد الفتح العثماني لها، ودَّبَ النشاط في الحركة العلمية بها، نتيجة ازدياد عدد العلماء الذين طاب لهم مجاورة بيت الله الحرام، وممَّا ساهم في تنشيط الحياة الفكرية بها تشييد العثمانيون للعديد من مدارس من أهمها: مدرسة الأشرف قايتباي، ومدرسة الوزير محمد باشا، والمدرسة المرادية التي أسسها السلطان مراد الثالث (982- 1003هـ)، ومدارس السلطان سليمان (926- 974هـ)، فقد أمر هذا الأخير عام 972هـ/1564م، بإنشاء أربع مدارس في الجهة الجنوبية للمسجد الحرام يُدَّرَس في كل واحدة منها أحد المذاهب الفقهية الأربعة، وأوقف عليها أوقافا، وحدَّدَ الرواتب التي تدفع للطلاب والمدرسين، ولم يكن يُعيَّن بها إلاَّ كبار العلماء. ونظراً لعدم وجود عالم ضليع في تدريس الفقه الحنبلي في زمن بناءها، فقد جُعِلَت المدرسة المخصصة لهذا المذهب دارا للحديث، وأصبحت تدرس الحديث الشريف بالصحاح الست. وقد صارت المدرسة المالكية السليمانية أرقى المدارس الأربع[2].

وقد كان المسجد الحرام أهَّم المراكز العلمية والتعليمية في الحرمين الشريفين، لتعدد حلقات الدروس به، والتي كان يعقدها مشايخ من أجلة علماء الحرم، وآخرين وافدين عليه من مختلف مناطق العالم الإسلامي للحج والمجاورة[3].

أما مدينة دمشق فقد اشتهرت بجامعها الأموي[4]، الذي تعددت به حلقات الدروس. كما وُجد بها عدد كبير من المدارس في مطلع القرن العاشر الهجري،

---

[1] - عبد الرحيم عبد الرحمن، المغاربة في مصر في العصر العثماني، ص- ص: 99- 101.

[2] - عبد الرحمن بن صالح عبد الله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص- ص: 61- 66.

[3] - هذا ما يُستخلص من كتب تراجم الرِّجال في العهد العثماني؛ بحيث نجد أنَّ عددا كبيرا من العلماء من مختلف مناطق العالم الإسلامي قد وجاوروا ودرسوا ودرّسوا به، ومنهم عدد من علماء الجزائر كالشيخ عيسى الثعالبي والشيخ أحمد المقري، الشيخ محمد بن أحمد الشريف الأزميري... وغيرهم.

[4] - بني الجامع الأموي في سنة 88هـ/ 658م، من طرف الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، مكان كنيسة ماريوحنا. البدري، نزهة الأنام في محاسن الشام. بيروت: دار الرائد العربي، (ط1)، 1980. ص: 22.

وعددها 159 مدرسة، بعضها مخصص لتدريس القرآن الكريم، والآخر للحديث الشريف، وبعضها للمذاهب الفقهية وغيرها من العلوم[1].

ووُجِدَ بالمشرق العديد من المدارس والزوايا والمساجد، التي قامت بمهمة التعليم، غير أنّها لم تَرْقَ إلى مستوى المراكز العلمية التي حفلت بها الحواضر الثلاثة السالفة الذكر، فبعضها كان ببيت المقدس ونابلس وحلب[2]، وبعضها الآخر في القسطنطينية وغيرها كان بمراكز تعليمية أخرى[3].

هذا، وبالرَّغم من تنوع مراكز الثقافة التي ازدهرت بها حلقات الدروس العليا بالمشرق، فقد وُصِفَت الحياة الفكرية به بالتراجع أيام العثمانيين[4]. وأوعز عبد القادر عطا ذلك إلى تحول القسطنطينية إلى عاصمة الدولة، ومركز الثقل ومحور ارتكاز في العالم الإسلامي، وبالتالي مركز النشاط العلمي والثقافي في الدولة التي تتكلم اللُّغة التركية[5].

كما حَمَّل عمار هلال العثمانيين مسؤولية إصابة العالم العربي الإسلامي بالضعف الثقافي والحضاري، مُعتبرا القرن العاشر الهجري أول مرحلة من مراحل التقهقر الذي مسّ جميع النواحي، وفي مقدمتها العلوم وأصحابها وهي الظاهرة التي استمرت حسب رأيه طيلة العهد العثماني[6].

والواقع أنَّ العصر كان عصر ركود في الحركة العلمية والأدبية في كل البلاد الإسلامية، وهو ما أجمله محمد بن عبد الكريم بقوله": إنَّ الحركة العلمية قد وقفت عجلتها، ونفذت طاقتها، وأصبحت اجترار في العقائد والفقهيات، وتزويقا في

---

1 - عبد الرحمن بن صالح، تاريخ التعليم في مكة، ص: 66.

2 - عبد القادر أحمد عطا، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس، ص: 62.

3 - الزياني، الترجمانة الكبرى، ص، ص: 111، 112.

4 - ذهب إلى ذلك العديد من المؤرخين العرب والمستشرقين. كمحمد بن عبد الكريم الذي يرى بأنّ الحركة العلمية والأدبية بالمغرب الأقصى كانت في القمة بالنسبة إلى باقي الأقطار الإسلامية الأخرى، لأنه لم يخضع للعثمانيين. المقري وكتابه نفح الطيب، ص: 61. أما كارل بروكلمان فقد قال بأنَّ حياة العثمانيين العلمية كانت خلوا أو تكاد من الأصالة والإبداع. تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، (ط9)، 1981. ص: 482.

5 - تبَنّى عبد القادر عطا ما ذهب إليه الدكتور جمال الدين الشيال. التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس، ص: 62.

6 - عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية (فيما بين القرنين التاسع والعشر الميلاديين/ 3- 14هـ). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995. ص، ص: 292، 293.

العبارات، وتقليدا للسابق ولو كان مخطئا، وكفرانا للاحق ولو كان مصيبا، وساد النقل، ونُبِذَ العقل"[1]. فمن الطبيعي أن تتأثر حلقات الدروس بصورة مباشرة بهذا الوضع، ولهذا يرى عبد القادر عطا بأنَّ الجمود كان " طابع هذه الدراسة، بحيث أصبح المُدرِّسون يرددون ما قاله السابقون، ويدرسون المتون والكتب القديمة دون أن يؤلفوا أو يكتبوا كتبا جديدا"[2].

وهكذا فقد أجمعت آراء هؤلاء الباحثين على اتسام الحركة العلمية والأدبية بالركود خلال العهد المدروس. ولكن علينا أن نُمَيِّز بين نوعين من العلوم: العلوم العقلية التي أصابها تدهور كبير، واختفت معالمها في بعض المناطق، وأوشكت على ذلك في مناطق أخرى، وبين العلوم النقلية التي عرفت تراجعا محسوسا عمَّا كانت عليه في العهود السابقة، رغم أنّنا نجد العصر يعج بالمحدثين والفقهاء، والنحويين والأدباء، والشعراء والقراء والمؤرخين، الذين تمتلئ بهم كتب التراجم والرجال المؤلفة لتلك القرون[3]. ولكن لا أحد يُنْكِر بأنَّ هذا العصر قد أنجب العديد من العلماء الأفداد، المدرسين في مختلف العلوم النقلية سِيما العلوم الإسلامية[4]. أمَّا التراجع الحقيقي فقد مسَّ الحياة الأدبية بالخصوص، فلم يكن هناك أدباء بارعين، وشعراء فطاحل، فضمر الشعر، بالرغم من كثرة النَّظامين[5].

ومهما كان الأمر فقد قصد جمهور من العلماء الجزائريين المشرق لأسباب متعددة، وفي مقدمتها الحج والمجاورة، عملا بقول الرّسول - صلى الله عليه وسلم- :" لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى"[6]. وقد جاور الحرم المكي عدد من العلماء الجزائريين[7]، بينما لم تسمح

---

[1] - محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص: 78.
[2] - عبد القادر بن عطا، التصوف الإسلامي، ص: 63.
[3] - شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله، ج3، ص: 1653.
[4] - من الانتقادات الموجهة إلى هذا العصر في العلوم الإسلامية إغلاق باب الاجتهاد، واقتصار المؤلفين على الشروح والحواشي، والاختصارات والتعليقات.
[5] - شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج3، ص: 1653.
[6] - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب الحج، باب" لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد"، رقم: 1397. ص: 722.
[7] - من الجزائريين المجاورين بالحرم الشيخ عيسى الثعالبي الذي جاور بالحرم بين سنتي 1062 و1063هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص: 241.

الظروف لآخرين بالمجاورة كالشيخ أحمد المقري الذي اكتفى بأداء فريضة الحج. وقد برَّر ذلك لشيخه محمد بن أبي بكر الدَّلائي في رسالة كتبها له في أواخر ربيع الأول سنة 1041هـ، مُجِيبا على تساؤل قد يتبادر إلى شيخه قائلا: " ولسيدي أنَّ يقول ما بال فلان لا يجاور بالمدينة، ويكمل بالحلول فيها دينه؟ وما له من أرب بمصر والشام"، ثم أجاب مبينا الأسباب وهي:" أنَّه يحتاج إلى مُؤَنٍ كثيرة... وأنّ الأعراب تنتهب ما في ذلك المقام جهرا... وهناك أيضا مانع عظيم، وهو أنَّهم يعتقدون أنَّ المغربي المجاور هناك يَصُبُّ عليه المال مطرا، ولو فرض أنَّه أعطاهم الألوف لما قنعوا بذلك"[1].

وتقترن رحلة الحج بالنسبة للعلماء عادة بطلب العلم، فيؤدي العالم فريضتين في آن واحد: فريضة الدِّين وفريضة طلب العلم. وكان اقتصار أفراد هذه الفئة على القيام بإحدى الفريضتين تحط من قيمة الرحلة؛ ولذلك كان يجتهد كل من يرتحل لطلب العلم إلى المشرق في أن لا يعود إلى بلاده دون آداء فريضة الحج، كما يجتهد الحجاج من العلماء في أن لا يفوتهم الاتصال بالعلماء هناك والأخذ عنهم. فكانت مكة في موسم الحج تعج بالعلماء من مختلف البلاد الإسلامية، وكأنَّها مؤتمر عالمي للفكر الإسلامي، ونفس الشيء يُقال عن القاهرة التي كانت محط رحال الحجاج المغاربة[2].

كما كانت هناك رحلات علمية كثيرة إلى المشرق، سيَّما وأنَّ أهل المغرب الإسلامي عامة كانوا ينظرون بعين الإكبار إلى كل من يأخذ عن علماءه، أو يحصل على إجازاتهم[3]. وكانت هذه الرحلات عادة ما تتجه إلى الجامع الأزهر لرسوخ المنزلة العلمية التي احتلها في نفوس أهل العلم الجزائريين، ولعظم المكانة التي يتبوؤها خريجوه في الأوساط العلمية وغير العلمية في الجزائر[4].

---

[1] - محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني، ج1، ص: 301.
[2] - العيد مسعود، " العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني"، مجلة سيرتا، ع: 1، سنة: 1979. ص: 48.
[3] - أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون، ص: 40.
[4] - العيد مسعود، العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق، ص: 48.

ونظرا لتردد الجزائريين على المشرق للأسباب السالفة الذكر، فقد كانت صلاتهم الثقافية وثيقة بعلمائه، على الرغم من قلة وفود المشارقة على الجزائر[1]. وقد أفاد العلماء الجزائريون هناك واستفادوا، وأجازوا واستجازوا.

[1] - دخل الجزائر مع الدولة العثمانية بعض العلماء الأحناف، الذين وفد جلهم من استنبول، فاستقروا بها، وتولوا بها المناصب الحنفية العليا كالإفتاء والقضاء والخطابة، ولكن ما لبثوا أن أصبحوا من الجزائريين، فتولى أبناؤهم هذه الوظائف من بعدهم، ولم تعد الدولة بحاجة إلى علماء وافدين من المشرق. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، ص- ص: 197- 199.

II /- إجازات القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (16-17م):

1- الإجازات العلمية المتبادلة بين أحمد المقري وعلماء المشرق:

غادر الشيخ أحمد المقري مدينة فاس في أواخر رمضان من سنة 1027هـ/ 1617م قاصدا حج بيت الله الحرام، فركب البحر من ثغر تيطوان، وعرَّجت به السفينة على مدينة الجزائر وتونس، فسوسة وصولا إلى الإسكندرية. فكان هذا آخر عهد له بالمغرب الإسلامي، حيث استقر بالمشرق إلى أن وافته المنية سنة 1041هـ[1].

لقد اتخذ الشيخ أحمد المقري الحج[2] ذريعة لمغادرة المغرب الأقصى، لمَّا اضطربت أحواله إثر تطاحن أبناء السلطان أحمد المنصور على العرش، وهو ما لم يُصَّرِح به المقري، ولكن يُفْهَم ممَّا ورد في بعض مؤلفاته أنَّ تلك الفتنة أزعجته فاضطر إلى الهجرة، ومن ذلك قوله مُتَحدثا عن هجرته من المغرب:" إنَّه لمَّا قضى المَلِكُ الذي ليس لعبيده في أحكامه تعقب أو رَّد... برحلتي من بلادي، ونقلتي عن محل طارفي وتلادي، بقطر المغرب الأقصى الذي تمت محاسنه، لولا أنَّ مسامرة الفتن سامت بضائع أمنه نقصا "[3].

حلَّ الشيخ المقري بمصر في جمادى الأولى من عام 1028هـ/ 1618م[4]، ودَرَّسَ مدة الحديث والعقائد بالجامع الأزهر[5]. ولمَّا اقترب موسم الحج توجه إلى الحرمين الشريفين، فأدّى الفريضة، وأقام هناك مدة، ثم عاد ثانية إلى مصر في محرم 1029هـ/ 1619م فاستوطنها نهائيا، وظلَّ يتردد منها على الحرمين الشريفين، فحج خمس مرات، وزار المدينة المنورة سبع مرات، أمَّا بيت المقدس

---

1 - المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص: 303.

2 - رغم أنَّ المقري طلب إذنا للحج من السلطان زيدان، وصرح في العديد من مؤلفاته أنه خرج من المغرب للحج، إلا أنّ المؤرخين المعاصرين له، والدارسين لهذه الشخصية يشيرون إلى أسباب سياسية أخرى تقف وراء رحلته، منها اتهامه بالميل إلى قبيلة شراكة، ورفضه الفتوى بشأن ثغر العرائش. اليفرني، «صفوة مَنْ انتشر»، ورقة: 57 ظ؛ الناصري، الاستقصا، ج6، ص: 22.

3 - أحمد المقري، نفح الطيب، ج1 ص: 13.

4 - أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، ص: 61.

5 - عبد الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 574.

فقد سافر إليه ثلاث مرات، ودمشق مرتين[1]، وعند عزمه على العودة إليها والاستقرار بها في المرة الثالثة وافاه الأجل[2]. فيكون بذلك قد قضى حوالي اثني عشر عاما منتقلا بين مصر والشام والحجاز.

وفي المشرق عاش المقري حياة حافلة بالنشاط العلمي، حيث تفرغ هناك للتأليف والتدريس، فعقد دروسا بكل مكان كان يحل به، فهرع إليه الأعيان والعلماء، وجلسوا للسماع والقراءة عليه. وبهذا انتشرت إجازاته بين المشارقة. والحاصل أنّ التكريم الذي حظي به هناك لا يقِّل عن ذاك الذي أحاطه به المغاربة، حتى تساوى في المنزلة مع أعلام المشرق، وهو ما ورد في قصيدة رثاه بها الشيخ المصطفى بن محب الدين الدمشقي، وساواه فيها بعلامة مصر الشهير الشيخ إبراهيم اللَّقاني المتوفى معه في نفس السنة، منها هذا البيت[3]:

مَضَى المَقري اثْرَ اللقاني لاحقا　　　إمامان ما للدهر بعدهما خلف

وقد كانت استفادة الشيخ أحمد المقري العلمية بمصر ضئيلة، بالنسبة إلى ما استفاده بفاس، لأنَّه أتاها كعالم نحرير، فأفاد أكثر ممَّا استفاد. ويبدو ذلك جليا في مظهرين:

1- مؤلفاته العديدة التي ألَّفها هناك في العلوم المختلفة.

2- تلامذته الذين جلسوا إليه وأخذوا عنه علوما كثيرة وأجازهم فيها. وفي التفاف طلبة الأزهر حوله بمجرد وصوله إلى مصر، دليل واضح على مقدرته العلمية التي أتى بها من المغرب.

ومع ذلك جلس إلى حلقات بعض المشايخ بالمشرق على سبيل المذاكرة وهم: الشيخ نور الدين علي بن زين العابدين الأجهوري (ت 1066هـ)، ونجم الدين محمد بن محمد العامري الغزى (ت 1061هـ) صاحب "الكواكب السائرة في أعيان المائة

---

[1] - محمد القادري، نشر المثاني، ج1، ص، ص: 299- 300.
[2] - المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص: 311.
[3] - المحبي، المصدر نفسه، ج1، ص: 9.

العاشرة "، وعبد الرؤوف بن تاج الدين المناوي (ت 1031هـ). كما كان يحضر دروس صهره الشيخ يوسف بن عبد الرزاق بن أبي العطا بن وفا (ت 1051هـ)[1].

وهناك إجازة علمية مُطَّولة كتبها له الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الصديقي المالكي[2] في مصر، مؤرخة في 12 ربيع الأول سنة 1029هـ/ 1619م، أبدى فيها الصديقي إعجابا كبيرا بالمقري، وضمّنها عدة أبيات في مدحه، وأشار إلى استدعائه له بالإجازة بقوله:" فطلب منِّي الإجازة حق المطلوب بها أن يكون طالبا، والمرغوب منه أن يكون في مثلها راغبا، فقدمت عزمي وأخرت... وقلت يا سبحان الله ما بال بحر يستفيض غديرا، وما بال بلبل يستزيد من الرّخم هديرا، وعلمت أنَّ شوامخ الشجر إذا مدَّت غصون أوراقها، واتصل ثمر شجرها بساقها، ليس إلاّ لتكريم وفادها، وتقرب من نفعها قاصدها ". وهكذا إلى أن صرح بلفظ الإجازة قائلا:" فاستخرت الله الذي لم يخِب مُستخيره... وأجزت له بما رويته وأخذته، واستندت عليه واعتمدته، عن السلف العظام، والسادة الأعلام، مشايخ الإسلام، من مرويات ومسموعات، ومصنفات ومجموعات، إجمالا وتفصيلا، فروعا وأصولا، معقولا ومنقولا، عموما وخصوصا "[3]. ثم شرع في ذكر مشايخه الذين روى عنهم، مُبتدئا بعمدته خاله الشيخ محمد الصديقي (ت 994هـ)، مضيفا إلى ما تقدم مصنفاته من شروح ورسائل.

وقد جَدَّ المقري في الاشتغال بالتدريس بالمشرق، فكان مُدَّرِسًا بارعا في كل فن يطرق بابه، سيَّما إملاء الحديث والعقائد، فدرّس برواق المغاربة بالجامع الأزهر، وبالإسكندرية وثغر رشيد[4]. كما درّس بالمسجد الأقصى أثناء زياراته له،

---

[1] - محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص، ص: 265، 266.

[2] - أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوارث المالكي(ت 1045هـ/ 1635م): الصديقي نسبة إلى صديقة. كان عالما في غالب العلوم، أخذ عن أئمة عصره، وهو من شيوخ عبد الباقي الحنبلي. من مؤلفاته: شرح على متن التهذيب في المنطق، وله عقيدة نظما، وشرح من المواهب قطعة. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص، ص: 234- 236؛ مخلوف، شجرة النور، ص، ص: 291، 292.

[3] - أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، ص- ص: 111- 116.

[4] - مدينة رشيد: بلدة قريبة على البحر والنيل، قرب الإسكندرية، وهي أكبر ثغور مصر وأهمها، وأقربها من استنبول، وبعد فتح العثمانيين لمصر زادت العناية بها، ووصلت إلى أوج ازدهارها العمراني بما شيد فيها من مساجد، ومنازل، وقلاع، وبوابات وغيرها، وانتعشت اقتصاديا. إبراهيم عناني، رشيد في التاريخ. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1987. ص، ص: 26، 27.

وبمكة وبالمدينة المنورة التي درس الحديث الشريف في مسجدها، وبالجامع الأموي بدمشق.

ومن جملة تلامذته الذين درسوا عليه بمصر وأجازهم الشيخين: عبد الباقي الحنبلي الدمشقي[1]، وعبد القادر بن غصين الغزي[2]. فأمَّا الأوَّل فقد درس عليه العقائد والحديث بالأزهر، وقد ذكره في ثبته قائلا:" دخلت مصر سنة ثمانية وعشرين (1028هـ)، فوجدته في صحن الجامع الأزهر يقرأ العقائد، وله مجلس عظيم، فلم يستنكر عليه ما كان يُورِده من الأعاجيب، لأنَّ العقائد فن أهل المغرب. فلمَّا دخل رجب افتتح البخاري "[3].

وأمَّا الشيخ ابن غصين[4]، فقد قرأ عليه أرجوزته في العقائد المسماة "بإضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة"، وهو الآخر ذكر قراءته عليه بقوله:" أنا مِمَّن كان السبب للشيخ في نظمها، فإني كنت أقرأ عليه صغرى الشيخ السنوسي في مصر، فسألنا منه نظمها في العقائد، فكان كلَّما قرأ درسًا نَظَمَه، فيقرؤه غدا كذلك إلى أن ختمها"[5].

هذا، وقد اشتهرت "إضاءة الدجنة " كثيرا، وهو ما جاء على لسان مؤلفها، في رسالة بعث بها إلى شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي في سنة 1041هـ: " وقد كُتِبَ من هذه العقيدة بالحرمين، واليمن، ومصر، والشام أكثر من ألفي نسخة، كَتَبْتُ خطي على أكثرها. ودرَّستُها بمكة، وبيت المقدس، ودمشق، ومصر والإسكندرية ورشيد وغزة - ولله المنة- والعزم الآن على شرحها متوافر"[6].

---

[1] - عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي الأزهري الدمشقي (1005-1071هـ/ 1660م): الشهير بابن البدر، ثم بابن فقيه فصة. ولد ببعلبك، وقرأ بها على والده، ثم ارتحل إلى دمشق وقرأ على مشايخها، ثم إلى مصر، وتصدر للإقراء بالجامع الأموي سنة 1041هـ، وأخذ عنه الكثير من العلماء. المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص، ص: 283- 285.

[2] - محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص: 193.

[3] - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 574.

[4] - عبد القادر بن أحمد بن يحي، المعروف بابن غصين الغزي الشافعي (1013- 1087هـ): رحل إلى مصر سنة 1033هـ، وأخذ بها عن الشيخ علي الحلبي، والبرهان اللقاني، والشمس البابلي وغيرهم. وكانت له مع شيخه المقري علاقة وثيقة، حتى أن المقري توسط له عند الأمير ليبني له مدرسة عند المسجد الحرام. المحبي، المصدر السابق، ج2، ص: 437؛ العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص: 305.

[5] - أبو سالم العياشي، المصدر نفسه، ج2، ص: 306.

[6] - محمد القادري، نشر المثاني، ج1، ص: 303.

أجاز المقري بثغر رشيد الشيخ أحمد بن مسعود الرَّشيدي نظما في ثمانية أبيات[1]، والشيخ محمد بن نور الدين الرشيدي نظما مرتين: الأولى في ثلاثة أبيات[2]، والثانية في اثنتي عشرة بيتا بكل ما أخذه عن شيوخه، وبكل ما صنفه نظما ونثرا. وممَّا ورد في الثانية قوله[3]:

هذا كتـاب به الأسـلاك تنتظم وثغره عن علوم الشرع مبتسـم

فيه أجزت الرشيدي الذي بُهرت خلالـه الأوحد الدراكـة الفهـم

محمد نجل نور الدين سيدنا من فضله في جبين العصر مرتسـم

ما أخـذت عن شيوخي من كل العلـوم تـروى وتُغتنـــم

وما كتبت من الأوضاع في عمري نظمـا ونثرا وبحر العجز يلتطم

ومن بين تلامذته المصريين الشيخ أحمد بن القاضي شهاب الدين العجمي[4]، الذي حضر عليه بعض الدروس في المنطق، وفي " شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع"، و"المواهب اللدنية"[5], فحرّر له إجازتين. الأولى في جمادى الأخيرة سنة 1033هـ/ 1623م، أجازه فيها بمروياته، وبكتاب "المواهب اللَّدنية " الذي قرأه عليه. فهي إجازة عامة وخاصة "بالمواهب اللدنية "، وقال فيها:" أجزت... الشيخ أحمد القاضي شهاب الدين العجمي... جميع ما تجوز لي وعني روايته بشرطه، فقد حضرني... قطعة من شرح المحقق الجلال المحلي على جمع الجوامع، وحضرني في المنطق وغيره "، إلى أن قال:" وأجزته المواهب اللَّدنية إذ جمعني وجملة من الأعلام بعض الدروس فيها، فليروي عنِّي ذلك وغيره بشرطه، من كل ما تصح لي وعنِّي روايته"[6].

---

[1] - أحمد المقري، الرحلة، ص، ص: 68، 69.
[2] - أحمد المقري، المصدر نفسه، ص: 149.
[3] - أحمد المقري، المصدر نفسه، ص: 152.
[4] - أحمد بن أحمد بن محمد المعروف بالعجمي الشافعي الوفائي المصري (1014- 1086هـ): قرأ على عدة مشايخ منهم: البرهان اللقاني، والشهاب الغنيمي، والخفاجي، والشمس البابلي. وأخذ عنه جماعة منهم: الشيخ الخياري، وإبراهيم بن محمد الجنيني. من تآليفه: شرح ثلاثيات البخاري، ورسالة في الآثار النبوية. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص: 176.
[5] - المواهب اللَّدنية بالمنح المحمدية في السيرة النبوية لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد القسطلاني المصري الشافعي(851- 923هـ). حاجي خليفة، كشف الظنون، ج5، ص، ص: 115، 116.
[6] - أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، ص: 83.

والثانية في نفس السنة أجازه فيها بهذه العبارة:" أجزت الشاب الموفق بفضل الله... الشيخ أحمد بن القاضي شهاب الدين الشهير بالعجمي- حفظ الله شبابه ويسر للخير أسبابه- بكل ما تجوز لي وعني روايته من مؤلف ومجموع، ومقروء ومجاز ومسموع، على الشرط المعتبر عند أصحاب الأثر، وقد حضرني... في عدة دروس في المنطق والأصلين"[1].

ولمّا كان المقري كثير التردد على الحرمين الشريفين - كما أسلفنا الذكر- فقد اتصل بحكامه[2] وبأعيان العلماء به، وربط معهم علاقات وِّدية. ومن هؤلاء الشيوخ الذين عقد معهم صداقة متينة الشيخ عبد الرحمن المرشدي[3] مفتي الحنفية بمكة، وخطيب المسجد الحرام. وكان هذا الأخير يحضر بعض دروسه في الحديث[4]، رُفقة ابنه الشيخ حنيف الدين[5].

وقد نظم المقري في سنة 1030هـ/ 1620م، إجازة بمروياته في إحدى وأربعين بيتا، للابن (حنيف الدين) أفاد فيها بأنه روى عنه "موطأ " الإمام مالك ابن أنس مع الصحيحين، وسائر الكتب الستة لمّا قرأ عليه بعضها[6]. كما أجاز المقري بمكة نثرا لخطيب الحرم الشيخ تاج الدين المالكي المكي[7]، بمؤلفاته ومروياته بعد أن قرأ عليه بعض المتون منها صدرا من "الموطأ "[1].

---

1 - أحمد المقري، المصدر نفسه، ص، ص: 89، 90.

2 - كان سلطان المغرب الغالب بأمر الله قد كتب كتابا إلى شريف مكة السيد إدريس بن حسن العلوي الهاشمي حمله المقري معه، يستوصيه به خيرا. وذكر فيه بأنّه كتبه للمقري " تنويها بذكره، وتنبيها على عظم شأنه وقدره". ومنذ أول حجة له ظل المقري يتصل به، وبخلفه ابن أخيه محسن بن الحسين(ت 1038هـ). وله مع هذا الأخير مراسلات كثيرة، أورود بعضها المقري، في رحلة المقري، مواضع متفرقة مثلا: الصفحات: 53، 54 و 138، 139، و 218- 220، و 241.

3 - عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري الحنفي المكي (ت 1037هـ): تعاطى الفتوى على مذهب أبي حنيفة سنة 1012هـ، وباشر إمامة المسجد الحرام وخطابته في سنة 1020هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص: 369- 376.

4 - من ذلك حضوره دروسه في صحيح البخاري في شهري شعبان ورمضان سنة 1033هـ بطيبة المشرفة، وكان ابنه حنيف الدين قارئ الدرس. وله مع المقري عدة مراسلات. أحمد المقري، المصدر السابق، ص: 87؛ و241.

5 - حنيف الدين بن عبد الرحمن بن عيسى (1014-1067هـ): مفتي الحنفية بالحجاز. أخذ عن والده، وعن عبد العزيز الزمزمي وغيرهم. تولى الخطابة والتدريس بالمسجد الحرام. من مؤلفاته: شرح مناسك الوسيط. المحبي، المصدر السابق، ج2، ص- ص: 126- 128.

6 - أحمد المقري، المصدر السابق، ص، ص: 81، 82.

7 - القاضي تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم بن تاج الدين بن محمد المعروف بابن يعقوب (ت 1066هـ): أخذ عن أكابر شيوخ عصره كالعلامة عبد القادر الطبري، وعبد الملك العصامي وغيرهم. وتصدر للتدريس

وفي إحدى زياراته لمكة لقي المقري بها المفتي الدمشقي الشيخ عبد الرحمن ابن عماد الدين[2]، فحبَّبَ إليه دمشق، وطلب منه زيارتها[3]. فأجاب دعوته ودخلها لأول مرة في شعبان من سنة 1037هـ/1627م، ثم عاد إليها للمرة الثانية في شهر رمضان سنة 1040هـ، وحصل له بها إكرام كبير في الزيارتين[4].

وقد دامت زيارته الأولى لدمشق أزيد من شهرين، حيث دخلها في شهر شعبان، وغادرها راجعا إلى مصر في أواخر شوال من السنة المذكورة[5]. وفيها أقام بالمدرسة الجقمقية. وقد لقيت دروسه في الجامع الأموي إقبالا كبيرا من طرف الأعيان والطلبة والعلماء. وفي ذلك قال المحبي:" ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين إلى دمشق، ما اتفق له من الحظوة وإقبال الناس"[6]. ودرَّس جملة من الفنون، وأملى صحيح البخاري، بعد صلاة الصبح تحت قبة النسر[7]. ولمّا كثُر الناس بعد أيام خرج إلى صحن الجامع. أمَّا يوم الختم وهو يوم 27 رمضان، فقد كان حافلا جدا، إذ اجتمع فيه الألوف من الناس، فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن، وأُتِيَ بكرسي الوعظ، فصعد عليه وتكلم بكلام في العقائد والحديث الشريف، وترجم للبخـاري. وكانت الجلسة من طـلوع الشمس إلى قرب الظهر، ثم ختم الدرس، ونزل عن الكرسي فازدحم الناس على تقبيل يده[8].

وفي زيارته هذه أجاز المقري عددا من علماء دمشق. وقد تلقى تلامذته إجازته بالقبول والرضا, وافتخروا بإحرازهم لها، كالأديب الدمشقي يحيى

بالمسجد الحرام، وكان بمكة من صدور الخطباء المدرسين. من مؤلفاته: رسالة في شرح قصيدة لعفيف التلمساني. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص- ص: 457- 464.

1 - أحمد المقري، الرحلة، ص: 90.

2 - عبد الرحمن بن محمد العمادي الدمشقي (978- 1051هـ): مفتي الحنفية بالشام، وُلي التدريس بعدة مدارس منها: المدرسة الشبلية، ثم السلمية، ثم السليمانية. من مؤلفاته: الروضة الريا فيمن دفن بدريا. المحبي، المصدر السابق، ج2، ص- ص: 380- 389.

3 - محمد بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص: 200.

4 - المحبي، المصدر السابق، ج1، ص: 311؛ المقري، الرحلة، ص: 38.

5 - المقري، نفح الطيب، ج7، ص: 136.

6 - المحبي، المصدر السابق، ج1، ص: 305.

7 - قبة النسر في وسط رواقات المسجد، وهو اسم حادث أطلقه العوام لأنَّهم شبهوها بالنسر في شكله، لأنَّ الرواقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة. عبد الله البدري، نزهة الأنام في محاسن الشام، ص: 35.

8 - المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص، ص: 304، 305.

المحاسني[1]، الذي اعترف له في رسالته إليه بأنَّه تلميذه الذي لم يزل مُعترفا من فيض علومه، معترفا بحقه، ويؤكد الافتخار بالتتلمذ عليه قائلا:" إنَّ الرَّاقم لهذه الصحيفة... هو تلميذكم، من تشرف بدرسكم, وافتخر بإجازتكم"[2].

ولمّا رأى الشيخ أحمد المقري إقبال أهل دمشق عليه "عقد في كتابه "نفح الطيب" فصلا يتعلق بها وبأهلها، وأورد في مدحها أشعارا[3]". وقد تضمن هذا الفصل بعض الإستدعاءات التي تلقاها من علمائها إلى جانب ست إجازات نظمها لبعضهم هناك، جاءت أربعة منها مؤرخة بسنة 1037هـ/ 1627م، واثنتان بدون تاريخ.

فقد تقدم إليه الشيخ محمد بن يوسف الكريمي[4] باستدعاء نظمي في خمسة وأربعين بيتا، وصفه بشمس المحاسن، وبالبدر وببحر الهدى والعلم، وقطب دائرة الفضائل، وغيرها من الأوصاف، ثم قال[5]:

هي بعض أوصاف لذاتك قد غدت كالبحر عذبا ماؤها لم ينضب

جاءتك تسألك القبول وحسبها فخرا قبولك وهو جُل المطلب

تروم منك إجازة فاقت بما ترويه بالسند القوي عن النبي

فأجابه المقري بإجازة نظمها له في ستة وعشرين بيتا, وبعدما أشار إلى إستجازته قال[6]:

يسأل من مثلي بها الإجازة بشرطها عند الذي أجازه

... فليرو عني ما سمعت كله وما جمعت في الفنون جملة

---

1 - يحي بن أبي الصفا بن أحمد المعروف بابن محاسن الدمشقي (ت 1053هـ/ 1643م): الحنفي الأديب. أخذ عن عبد الرحمن العمادي، ويوسف الفتحي. وُلي بالمدرسة الغزالية. المحبي، المصدر السابق، ج4، ص: 463.

2 - أحمد المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 453.

3 - المحبي، المصدر السابق، ج1، ص: 304.

4 - محمد بن يوسف بن يوسف الكريمي الدمشقي (1008- 1068هـ/ 1657م): أديب قرأ على الشرف الدمشقي، وفضل الله بن عيسى، وعبد الرحمن العمادي وغيرهم. تخرج في الأدب على أبي الطيب الغزى، وأتقن اللغتين الفارسية والتركية. درّس بالمدرسة العزية بدمشق، ثم سافر إلى الروم، وولي بها قضاء الركب لشامي سنة 1034هـ. المحبي، المصدر نفسه، ج4، ص، ص: 73، 74.

5 - أحمد المقري، نفح الطيب، ج2، ص، ص: 434، 436.

6 - أحمد المقري، خلاصة الأثر، ج2، ص: 437.

على شروط قررت في الفن مرجتيا حصـول كل مَنْ

ومن جملة تلامذته الذين درسوا عليه الحديث في الجامع الأموي، الأديب يحي المحاسني الذي لازمه كما يقول المحبي:" لزوم الظل للشيخ"[1]، فأجازه المقري بمروياته بإجازة نظمها له في أربعة وأربعين بيتا، خصَّصَ ثمانية منها لذكر سند بعض مروياته، وفي مقدمتها صحيح البخاري. وبعدما أشار الشيخ المقري لإستجازة المحاسني قال[2]:

وبعد ذلـك استمـطر الإجازة من نوء وعدي اقتضى إنتجازه

... فليروي عني كل ما يصـح لي بشـرطه الذي يزين كالحـلي

كما إستجازه مفتي الحنفية بدمشق عبد الرحمن العمادي لأبنائه الثلاثة[3] وهم: عماد الدين، وشهاب الدين، وإبراهيم وهو أصغرهم، وناظم الاستدعاء. فأجابه المقري بإجازة نظمها لهم في تسعة وسبعين بيتا ضمَّنها أسانيد بعض مروياته[4].

وفي زيارته هذه لازمه نقيب الشام محمد بن كمال الدين الحنفي[5]، وحضر دروسه في "شرح الهمزية لابن حجر"، وفي "إضاءة الدجنة "، وقرأ عليه بعضا من صحيح البخاري، ومـن صحيح مسلـم، ومن " الأربعيـن النووية "، فأجازه بسائرهن، وما تصح له وعنه روايته، وكتب له بالإجازة [6].

وحضر الأديب الدمشقي أحمد بن شاهين[7] هو الآخر دروس المقري بالجامع الأموي في عقيدته "إضاءة الدجنة "، ثم سأله أن يُجيزه فيها وفي غيرها،

---

1 - المصدر نفسه، ج4، ص: 463.

2 - أحمد المقري، نفح الطيب، ج2، ص- ص: 430 - 432؛ المقري، الرحلة، ص، ص: 163، 164.

3 - أبناء عبد الرحمن العمادي مفتي الحنفية الثلاثة، هم على التوالي: عماد الدين مفتي الحنفية (1004- 1068هـ)، وشهاب الدين الشاعر (1007- 1078هـ)، إبراهيم الأديب (1012- 1078هـ). وقد حظوا بمناصب متعددة بدمشق، ودرسوا في عدة مدارس، وتولوا في بعض الأحيان قضاء الركب الشامي. المحبي، المصدر السابق: ج1، ص- ص: 23- 25؛ المصدر نفسه، ج2، ص- ص: 231- 235؛ المصدر نفسه، وج3، ص: 203.

4 - أحمد المقري، نفح الطيب ج2، ص- ص: 426- 428؛ المقري، الرحلة، ص- ص: 165- 167.

5 - محمد أفندي المعروف بابن حسن، محمد بن محمد بن محمد بن الحسين الحنفي الدمشقي (1024- 1085هـ): قرأ بدمشق على شيوخها وأجازوه. منهم: محمد بن منصور بن محب، والعلامة عبد اللطيف الجالقي، وعمر القاري. المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص: 125.

6 - ترجمة المُجاز له (محمد أفندي) بخط ولده إبراهيم، ضمن مجموع رقم: 335، مصطلح الحديث – دار المصرية، الأوراق: 77 ظهر- 79 وجه.

7 - الأديب أحمد بن شاهين القبرصي الأصل، الدمشقي المولد (995- 1053هـ): لزم الحسن البوريني،

فنظم له إجازة في ستة وخمسين بيتا. وهي تختلف في بعض التفاصيل عن جُل إجازات المقري، التي قدَّم لها غالبا بالحديث عن فضل علم الرواية والإسناد، لأنَّها تخص الحديث الشريف. أمَّا هذه فقد قدم لها بالحديث عن فضل علم التوحيد (أصول الدين) لأنَّها تتعلق بكتاب فيه كقوله:[1].

وإنّ فضل علم أصول الدين هدى وخيرا جّل عن تبيين

لأنّـه أصـل يعـم النفـع به وكـل ما سـواه فـرع

ثم أخبر المقري بأنَّه درَّس الكتاب المذكور بمصر ومكة والشام، وكان المُستجيز من جملة الحاضرين دروسه فيها بدمشق، فأجازه بهذه الأبيات:

فليرو عنـي كل ما أسمـعته إيـاه بالشـرط وما جمـعته

مع القصور راجيا للأجر من الفنـون نظـمها والنثـر

كهـذه العقـيدة السـديدة والنعـل ذات المـدح العديدة

كذاك ما لفقت في عمـامه من خص بالإسراء والإمـامة

والفقه والحديث والنحو وفي وأسرار وفق وهو بالقصد وفي

وتلقى الشيخ أحمد المقري استدعاءا في خمسة أبيات من طرف الشيخ محمد المحاسني[2] فأجازه بكل ما يرويه في ستٍ وعشرين بيتا. هذه بعض الأبيات من إجازته [3]:

فليرو عنّي كلّ ما يصح على شـروط غيثها يسـح

... وكل ما لفقت أو جمعت نظما ونثرا مثل ما أسمعت

وروى عنه الشيخ محمد بن علي بن عمر القاري[1] بعضا من صحيح البخاري, ثم سأله الإجازة، فأجابه إلى ما طلب بإجازة نظمية في اثنين وأربعين

وعمر القاري، وعبد الرحمن العمادي. تولى القضاء بالركب الشامي سنة 1030هـ. المحبي، المصدر السابق، ج1، ص- ص: 210- 217؛ البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص: 159.

[1] - أحمد المقري، نفح الطيب، ج2، ص، ص: 425، 426؛ المقري، الرحلة، ص- ص: 167- 169.

[2] - محمد بن تاج الدين بن أحمد المحاسني الدمشقي الحنفي (1012- 1072هـ): خطيب بجامع دمشق، من بيت علم، قرأ على علماء عصره منهم: الشرف الدمشقي، وعبد اللطيف الجالقي، والعمادي المفتي وعمر القاري، والنجم الغزى وغيرهم. كان خطيبا بعدة جوامع منها: الجامع الأموي، الذي كان يدرس فيه في غالب الأوقات. المحبي، المصدر السابق، ج3، ص- ص: 408 - 411.

[3] - أحمد المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 438.

بيتا, أباح له فيها رواية مروياته، منها: صحيح البخاري, وكل ما ألَّفه في الفنون[2]. وهناك إجازة نثرية كتبها المقري بأرض الخليل للشيخ محمود بن أحمد العمادي الخليلي، ضمنها سبعة أبيات، مطلعها[3]:

أجازك العبد يا من هو محمود ما قد رواه وهو معدود

وأجاز نظما في ستة أبيات للشيخ زين العابدين[4] بما يرويه عن شيوخ المغرب منظوما ومنثورا[5]، وفي سبعة أبيات لزاهد اسمه عبد المنعم[6]. إنَّ هاتان الإجازتان تختلفان بعض الشيء عن الإجازات التي نظمها المقري لأكابر علماء مكة ودمشق لورودها في أبيات قليلة، وتخليه عن المقدمة، حيث افتتحتهما مباشرة بقوله: " أجزت فلان".

وأخذ عنه الشيخ محمد ميرزا بن محمد، المعروف بالسروجي الدمشقي الميداني المتوفى بمكة سنة 1088 هـ/1677م، فأجازه بجميع مؤلفاته ومروياته[7]. كما أجاز نظما للشيخ شهاب الدين المرواني[8].

وقد كان الشيخ أحمد المقري مُهتما بتسجيل أسانيد مروياته فكتب فهرسا فيها. وذلك ما جاء عن تلميذه الشيخ عبد الباقي الحنبلي المذكور سابقا، الذي قال في ثبته، أنَّ المقري أحال في إجازته له على فهرسته[9] المتضمنة لأسانيده[10]. ونجده حريصا على ذكر أسانيده حتى في إجازاته لتلامذته، ولا يُثنيه عن ذلك إلاَّ عذر

---

1 - محمد بن علي بن عمر الشهير بالقاري: ولد سنة 1011هـ، وقرأ على جده، وعلى المفتي فضل الله ابن عيسى البوسني، وعلى الشرف الدمشقي وغيرهم. كان شاعرا، درس بالمدرسة الشامية الجوانية، وولي قضاء الحج سنة 1051هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص، ص: 45، 55.

2 - أحمد المقري، نفح الطيب، ج2، ص، ص: 440، 441.

3 - أحمد المقري، الرحلة، ص: 71.

4 - لم أتمكن من ترجمة الشيخين: زين العابدين وعبد المنعم لأنَّ أسمائهم غير تامة.

5 - أحمد المقري، الرحلة، ص: 83.

6 - أحمد المقري، الرحلة، ص: 175.

7 - المحبي، المصدر السابق، ج 4، ص، ص: 202، 203.

8 - العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص: 382.

9 - ذكر ناصر الدين سعيدوني في كتابه (من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ص: 331) أنَّ للمقري ثبت مفقود يسمى " الجنابذ " على شاكلة " روضة الأس". فهل هو نفس الفهرس الذي أحال عليه المقري في إجازته لعبد الباقي الحنبلي أم هو فهرس آخر؟

10 - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 576.

قاهر كمداهمة سفر أو غيره. فيعتذر للمُجاز عن ذلك في بعض الأحيان، كاعتذاره للشيخ محمد بن يوسف الكريمي الدمشقي في إجازته له بقوله[1]:

ولي أسانيد أبى وقتي عن   تفصيلها لما من الرحلة عَّن
والعذر باد والكريم يقبل   والصفح نهج يقتفيه الأنبل

ومن خلال دراسة إجازات المقري لعلماء المغرب والمشرق على حد سواء نجده يُكثر من نظم إجازاته، كما نجد أغلبها عامة تشمل جميع معارفه ومؤلفاته، وقلما يحرر إجازة خاصة تتعلق بعلم أو جملة علوم معينة. وقد نال جل إجازاته أصحابها بعد القراءة والملازمة له، فاعترف لهم فيها بأنَّهم حصلوا على ملكة تامة تؤهلهم لرواية العلم عنه ونقله إلى الآخرين.

2- الإجازات العلمية المتبادلة بين الشيخ عيسى الثعالبي علماء المشرق:

لقد طال شُؤم السياسة هذه المرة الشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي، فاضطر إلى مغادرة الجزائر، والاستقرار بمكة المكرمة إلى أن توفي بها في سنة 1080هـ/1669م[2]. فدامت مدة إقامته بالمشرق حوالي تسعة عشرة عاما.

وكان الشيخ عيسى الثعالبي من جملة خواص يوسف باشا, فأيّده لمّا قامت الثورة المعروفة بثورة ابن صخرية[3] بالشرق الجزائري. وعند وفاة الباشا المذكور أصبح خائفا على نفسه، فلم يعُد إلى مدينة الجزائر التي استولى على الحكم فيـها خصوم الباشا[4]، وظلَّ ينتقل بين جبال زواوة، وقسنطينة، وبسكرة، ثم توجه

---

1 - أحمد المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 437.
2 - محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج1، ص: 165.
3 - علم مراد باي قسنطينة بدسائس بعض الزعماء المحليين، فاستدعاهم إلى معسكره، وأعدمهم في سنة 1047هـ/ جوان 1637م، فكان ذلك سببا لاندلاع ثورة عارمة عمّت كل بايليك الشرق، تزعمها أبو عبد الله محمد الصخري بن أحمد الشريف من شيوخ الذواودة، فاختل النظام، وهزم مراد باي مرات. وعندما تولى يوسف باشا السلطة، زار البايليك بنفسه على رأس قوات معتبرة، وراسل الزعماء الدينيين، والأعيان فتمكن من إخماد هذه الثورة، ولم يعد من رحلته هذه التي استغلها لإخضاع بسكرة وضواحيها إلا عام 1642م. العنتري، فريدة منسية، ص- ص: 36- 38؛ ابن سحنون، الثغر الجماني، ص: 59.
4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص، ص: 53، 54.

إلى المشرق للحج سنة 1061هـ/1652م، فأدَّى الفريضة سنة 1062هـ، وجاور بالحرم المكي سنة 1063هـ [1].

وفي السنوات الأولى لإقامته بالمشرق أكَّب الثعالبي على الدرس، فأخذ عن أجلة مشايخ الحرم كالقاضي تاج الدين المالكي (ت 1066هـ)، والإمام زين العابدين الطبري[2]، والشيخ عبد العزيز الزمزمي[3]، والشيخ علي بن الجمال المكي، فأجازوه بمروياتهم. كما أخذ على الأستاذ أحمد القشاشي[4]، ولازم بها الحافظ محمد بن علاء الدين البابلي القاهري الأزهري الشافعي (1077هـ)[5].

وبعد أدائه الفريضة ومجاورته بمكة، رجع إلى مصر، ومكث بها بين سنتي 1064هـ و1065هـ/1653م و1654م، فأخذ عن إمام المالكية بها الشيخ علي الأجهوري[6]، والشيخ شهاب الدين الخفاجي الحنفي[7]، والشيخ سلطان بن أحمد المزاحي[8]، والشيخ أبو الحسن علي الشبراملسي الشافعي[9] وغيرهم، فأجازوه بمروياتهم وأثنوا عليه[1].

---

1 - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص: 127. لم يتفق مع المحبي (خلاصة الأثر، ج3، ص، ص: 242، 243) على الفترة التي جاور فيها الثعالبي بالحرم، ودرس على مشايخه، فبينما ذكر العياشي أنَّها كانت في أيام مجاورته بمكة بين سنتي 1062، 1063هـ، ذهب المحبي إلى أنَّ ذلك كان بعد عودته من مصر أي بعد سنة 1065هـ.

2 - علي بن عبد القادر الطبري الحسني المكي الشافعي (ت 1070هـ): من مؤلفاته التاريخ المسمى بالأرج المسكي والتاريخ المكي". المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص- ص: 161- 166.

3 - عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز، الشيرازي الأصل، المكي الزمزمي الشافعي(997- 1072هـ). المحبي، المصدر نفسه، ج2، ص، ص: 426، 427.

4 - أحمد بن محمد يونس المدعو عبد النبي بن أحمد البدري (ت 1071هـ): من مؤلفاه شرح على حكم ابن عطاء. المحبي، المصدر نفسه، ج1، ص- ص: 343- 346.

5 - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج2، ص:128.

6 - علي بن زين العابدين بن محمد بن أبي محمد عبد الرحمن (967 - ت 1066هـ): وذكر القادري تاريخ ولادته في سنة 975هـ. نور الدين الأجهوري نسبة إلى قرية أجهور الورد بريف مصر، شيخ المالكية بعصره بالقاهرة، أخذ عن شيوخ كثيرين منهم محمد الرملي، وحسن الكرخي. وأخذ عنه علماء كثر منهم: البابلي والنور الشبراملسي والشهاب العجمي. من مؤلفاته: شروحه الثلاثة على مختصر خليل، وشرح على ألفية ابن مالك. المحبي، المصدر السابق، ج3، ص- ص: 157- 160؛ القادري، نشر المثاني، ج2، ص: 81.

7 - أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة، الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ): من مؤلفاته الريحانة. المحبي، المصدر نفسه، ج1، ص- ص: 331- 343.

8 - سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل، المزاحي المصري الشافعي (985- 1075هـ)، من مؤلفاته حاشية على شرح المنهج للقاضي زكريا في الفقه الشافعي. المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص، ص: 210، 211.

9 - علي بن علي أبو الضياء نور الدين الشافعي القاهري (7 أو 998 - شوال 1087هـ): الشبراملسي نسبة إلى شبراملس قرية بمصر. أخذ عن الشيخ علي الأجهوري، وأحمد بن خليل السبكي وغيرهما. من مؤلفاته: حاشية

وأخذ الثعالبي عن الشيخ المسند البرهان الميموني الشافعي[2]، فأجازه وكتب في إجازته له بأنَّه " ما رأى منذ زمان من يماثله، بل من يقاربه". وقد أبدع الشيخ عيسى الثعالبي في الاستدعاء الذي تقدم به لشيخ الشافعية بمصر محمد الشوبري[3]، وأخيه أحمد[4] شيخ الحنفية، فلما رآه الكبير منهما وهو الشمس محمد قال - معتذرا عن كتابة الإجازة-: " قد جاء في الحديث أنَّ الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء[5]، وإنِّي لا أحسن كتابة إجازة تناسب هذا الاستدعاء الحسن، ثم طلب من أخيه أحمد الكتابة عليه فقال:" أنا على مذهب الأخ". ثم رحل عيسى الثعالبي إلى الصعيد فسمع الحديث على الشيخ علي المصري، وقرأ عليه مصنفاته في الطريقة. وفي سنة 1065هـ رجع إلى مكة[6].

وأخذ أيضا على الشيخ خير الدين بن أحمد الرملي[7]، ثم استجازه فأجازه. وكان هذا الأخير " سَمْحًا بالإجازة، ما طلبها أحد منه ورَّده، بل كل من طلبها منه يجيزه إمَّا بالكتابة، وإما باللسان حتى أنَّه أجاز أهل عصره" [8]. واستجاز للثعالبي صاحبه الشيخ أبو سالم العياشي جملة من أكابر العلماء فأجازوه. ومن جملتهم مُجيزه المذكور الشيخ الرَّملي، والشيخ عمر بن عبد القادر المشرفي، ويوسف بن

على المواهب اللدنية، وحاشية على شرح الشمائل لابن حجر. المحبي، المصدر نفسه، ج3، ص- ص: 174-177؛ القادري، نشر المثاني، ج2، ص: 219.

1 - المحبي، المصدر السابق، ج3، ص: 241.

2 - إبراهيم بن محمد بن عيسى المصري الشافعي، الملقب ببرهان الدين الميموني (991- 1079هـ): اشتهر بالتبحر في عدة علوم، وله تصانيف كثيرة منها: حاشية على المختصر. المحبي، المصدر نفسه، ج1، ص، ص: 45، 46.

3 - محمد بن أحمد الملقب بشمس الدين الخطيب الشوبري الشافعي (977- 1069هـ): شيخ الشافعية في وقته، وكان يلقب بالشافعي الصغير. المحبي، المصدر نفسه، ج3، ص، ص: 385، 386.

4 - أحمد بن أحمد الشوبري (ت 1066هـ): كان يلقب في مصر بأبي حنيفة الصغير، وكان جامعا بين الشريعة والحقيقة. المحبي، المصدر نفسه، ج1، ص، ص: 174، 175.

5 - أخرجه مسلم، في باب « الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الاشفرة »، رقم الحديث: 1955، ص: 1081.

6 - المحبي، المصدر السابق، ج3، ص: 242.

7 - خير بن أحمد الرملي (ت1081هـ): شيخ الحنفية، ولد بالرملة، وقرأ بها ثم ارتحل إلى مصر. من مؤلفاته: حواش على منح الغفار، وحواش على شرح الكنز للعيني. المحبي، المصدر نفسه، ج2، ص- ص: 134 - 139

8 - المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص: 139.

حجازي القاسمي الجنيدي، وعبد القادر بن غصين، وعبد الله بن محمد الديري وغيرهم[1]. ولكنَّه حصل على جل إجازاته بعد كد وجد.

واجتهد الشيخ عيسى الثعالبي هناك في دراسة الحديث النبوي، فأخذه رواية ودراية، على كبار محدثي ومسندي المشرق، ولكنَّه لم يكتف بذلك بل " تتبع الخزائن الكبار بمصر والحجاز، فاستخرج منها غرائب المصنفات، وقيد الكثير منها، وانتقى الثنائيات والثلاثيات، والرباعيات من الأحاديث، وما فوق ذلك من العشاريات من كثير من المصنفات والجوامع والمساند والأجزاء"[2]. وألَّف عدد من الفهارس[3]، أهمها " كنز الرواية المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع "[4] الذي " رتَّبه على أسماء شيوخه، يبدأ أولا بالتعريف بالشيخ، وذكر مؤلفاته ومقروءاته، وأسماء شيوخه حتى يستوفي جميع ذلك، ثم يذكر مقروءاته هو عليه، وما قرأه عليه من المؤلفات، ثم يذكر سند شيخه إلى ذلك المُؤَلِف... "[5].

ورغم اشتهاره بالتبَّحر في الحديث الشريف، فقد كان مُلِّماً بالعلوم الأخرى، وهذا ما ذكره العياشي قائلا بأنَّه كان": كامل الأدوات من نحو وتصريف، ومنطق وكلام، وبيان وأصول"[6]. ولهذا شهدت حلقاته إقبالا كبيرا من طرف أهل الحرم، وذلك ما شاهده العياشي[7] عند حضوره لختم " الشفاء" للقاضي عياض، وقال بأنَّه

---

[1] - الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 502.

[2] - العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص: 132. لم يكن الثعالبي من المواظبين على الحديث وهو في الجزائر، ولكنه اجتهد في أخذه بالمشرق، ولهذا قال العياشي بأنَّه تجددت له رغبة في خدمته هناك بعد أن " كان فيه قبل من الزاهدين".

[3] - له فهرسة مسماة "بمنتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد"، جمعها في أسانيد شيخه البابلي المصري، ولمّا وقف عليها قال:" جزاه الله عنا خيرا، قد عرفنا بأسانيدنا التي كنا لا نعرفها ". وألف له تلميذه العياشي في عمدة الأثبات ثبتا سماه " مقاليد الأسانيد في أسانيد عيسى الثعالبي". عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص، ص: 605، 808.

[4] - استغرق الجزء الذي تملكه الكتاني من هذا الفهرس تراجم لسبعة من شيوخ الثعالبي وهم: علي بن عبد الواحد الأنصاري، وعبد الكريم الفكون، وسعيد قدورة، ومحمد بن عبد الفتاح الطهطائي القاهري، وعلي الأجهوري والشيخ تاج الدين المالكي، وأبو القاسم بن جمال الدين المسراتي. عبد الحي الكتاني، المرجع نفسه، ج1، ص: 501.

[5] - العياشي، المصدر السابق، ج2، ص: 133.

[6] - العياشي، رحلة العياشي، ج2، ص: 128.

[7] - نفس الشيء ذهب إليه المحبي في قوله": وكان للناس فيه اعتقاد عظيم". خلاصة الأثر، ج3، ص: 242.

كان:" يحضر مجلسه فيه غالب النجباء من متفقهي أهل مكة، وكان يوم ختمه يوما مشهودا حضره أكابر الفقهاء، وأديرت فيه كؤوس الأشربة الحلوة..."[1].

وقد تخرج على الشيخ عيسى الثعالبي عدد كبير من العلماء، وانتفع به جماعة من الأعلام منهم: الأستاذ إبراهيم بن حسن الكوراني، وأحمد بن محمد النخلي، والسيد أحمد بن أبي بكر شيخان، والسيد محمد بن عمر شيخان، والشيخ عبد الله العباسي[2]. ولا تذكر المصادر إلاَّ القليل ممن أجازهم كالشيخ محمد الشلى الحضرمي[3] الذي لازمه بمكة، وسمع منه الحديث المسلسل بالأولية، وسورة الصف، ومسند الصحبة، وألبسه الخرقة، ولقنه الذكر. كما أخذ عنه الحديث الشريف، والتفسير والمعاني، والبيان والبديع، والنحو والصرف، واللغة والمنطق، وأصول الدين، وروى عنه الفقه بالإجازة، وأجازه الثعالبي جميع مروياته[4].

وقد لازمه الشيخ الحسن بن علي العُجَيْمِي[5]، فسمع منه الكثير، وروى عنه غالب مروياته[6] منها الأربعين الإدريسية[7]، التي أجازه بها عن الشيخ صفِّي الدين القشاشي[8]. وأجاز الثعالبي أيضا الشيخ محمد أمين المحبي[9] صاحب

---

1 - العياشي، المصدر السابق، ج2، ص: 176.

2 - المحبي، المصدر السابق، ج3، ص: 242.

3 - محمد بن أبي بكر بن أحمد الشلى الحضرمي نزيل مكة (1030- 1093هـ): الملقب بجمال الدين، أخذ عن جماعة ببلده والهند، ثم رحل إلى الحرمين، وأخذ عن مشايخه مثل القشاشي، وعبد العزيز الزمزمي. من مؤلفاته كتاب تاريخ مسمى بنفائس الدرر. المحبي، المصدر نفسه، ج3، ص- ص: 336 - 338.

4 - المحبي، المصدر نفسه، ج3، ص: 337.

5 - أبو علي حسن بن علي بن يحي بن عمر العُجيمي المكي الحنفي (ت 1113هـ): لازم القشاشي وأخذ عنه، واعتنى بعلم رواية الحديث. القادري، نشر المثاني، ج3، ص، ص: 136، 137.

6 - القادري، المصدر نفسه، ج3، ص: 137.

7 - مطلع الإدريسية " سبحانك لا إله إلا أنت يا رب كل شيء". وسميت كذلك لمّا ورد أن إدريس عليه السلام دعا الله بها فرفعه مكانا عليا. عبد القادر بن المختار الخطابي، « الكوكب الثاقب »، ورقة: 54 ظ.

8 - عبد القادر بن المختار الخطابي، المصدر نفسه، ورقة: 53 ظ، 54و.

9 - محمد أمين بن فضل الله بن محب الله الدمشقي الحنفي (1061-1111هـ/ 1699م): من شيوخه إبراهيم الفتال، وعبد الغني النابلسي، ومحمد الروداني. برع في صناعة الإنشاء، ودرس بمدارس دمشق وتولى بمصر نيابة القضاء. من مؤلفاته: خلاصة الأثر، ونفحة الريحانة. المرادي، سلك الدرر، ج4، ص، ص: 101، 102؛ صلاح الدين منجد، المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني وآثارهم المخطوطة. بيروت: دار الكتاب الجديد، (ط 1)، 1964. ص: 57.

"خلاصة الأثر"، والشيخ إبراهيم بن حامد القاكي بحديث الرحمة المسلسل بالأولية والضيافة، المصافحة والمشابكة وتلقين الذكر وغير ذلك[1].

وقد لازمه الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري[2]، وأخذ عنه كثيرا، فاستجاز له الثعالبي كل من لقي من كبار العلماء الموجودين بالقاهرة، أثناء زيارته لها في سنة 1066هـ[3]. ويغلب على الظن أنّه قد أجازه هو الآخر، لأنّه كان من الملازمين له، وطلب الإجازة له دليل على أنّه كان يرى فيه كفاءة لذلك.

وهناك إجازة كتبها الشيخ عيسى الثعالبي في سنة 1075هـ/1664م للشيخ محمد بن محمد العيثاوي الدمشقي[4]، نكتفي هنا بأهّم ما ورد فيها وهو:" أجزت الأخ في الله سيدي الشيخ محمد المذكور جميع ما أرويه من الصحاح الست التي هي أصول الإسلام، ومناط غالب الأحكام، وساير الجوامع والمساند، والمعاجم والمشيخات، والأجزاء الأربعينيات، وجميع التصانيف في سائر الفنون منقولها ومعقولها، وفروعها وأصولها، مما للعبد به اتصال، وله فيه تفصيل أو إجمال. إجازة عامة مطلقة تامة، بشرطها المحرر، وضابطها المقرر، عند أئمة الأثر، وجهابذة النظر. وكذلك أجزت لأولاد سيدي محمد المذكور، وأهله وأقاربه، وأهل مجلسه جميع من ذكر على الوصف الذي سُطر"[5].

3- الإجازات العلمية المتبادلة بين يحي الشاوي وعلماء المشرق:

لقد خرج الشيخ يحي الشاوي من الجزائر في سنة 1074هـ/ 1663م، قاصدا بيت الله الحرام، فأدّى الفريضة، ولكنَّه لم يعد إليها، بل استوطن القاهرة في نفس السنة. ومنذ ذلك التاريخ أخذ يُكَّرر السفر منها إلى الحرمين الشريفين، وبلاد الروم،

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص، ص: 56، 57.

[2] - إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن موسى الخياري المدني الشافعي (1037- 1083هـ): خطب بالمسجد النبوي، ودرَّس بعدد من المدارس، وله تآليف عديدة. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص- ص: 25- 28.

[3] - المحبي، المصدر نفسه، ج1، ص: 25؛ عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 808.

[4] - محمد بن محمد بن أحمد العيثاوي الدمشقي الشافعي (ت 1080هـ/ 1669م): كان علامة في جميع العلوم، أخذ عن شيوخ كثيرين منهم: عبد الرحمن العمادي، ورمضان العكاري، درّس في الجامع الأموي. المحبي، المصدر السابق، ج4، ص، ص: 201، 202.

[5] - الإجازة ضمن مجموع رقم: 335 - مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية. الأوراق: 29 وجه-31 ظهر؛ وينظر أيضا الفصل الرابع، ص: 231.

والشام. فيكون بذلك قد قضى اثنتين وعشرين سنة بالمشرق، حتى وافته المنية هناك في سنة 1096هـ/ 1684[1].

أمَّا أسباب هجرته من الجزائر فيُحيط بها غموض كبير، لعدم تطرق المصادر إليها بشكل واضح، حيث ذهب العياشي إلى أنّه كان راجعا إلى بلده رفقة ركب الحج الجزائري، ثم تخّلف عنه في مصر، لأنّه استهول المشي في البر، واختار ركوب البحر، ثم غيَّر رأيه ومكث بالقاهرة. وقد عبّر عن ذلك بعبارة غامضة:" وكان ذلك لأمر أراده الله به"[2]. أما خصمه الشيخ محمد بن رسول البرزخي نزيل المدينة، فقد اتَّهمه في كتابه " العقاب الهاوي" بأنَّه " ارتكب في الجزائر ما أوجب إخراجه منها"[3]. فلعَّله يقصد بذلك تورطه في المشاكل السياسية كشيخه الثعالبي[4]. ولكن لا يُستبعد أن يكون طموحه الكبير، ونهمه العلمي الدافع لهجرته، إذْ لم تُروِ ظمأه منابع العلم في الجزائر[5].

ومهما كانت أسباب هجرته فقد حاز الشاوي في المشرق على تقدير العلماء، وأصحاب السلطان في كل البلاد التي دخلها خصوصا بلاد الروم – دار الخلافة-[6] ومصر التي تولى بها قضاء المالكية مرتين، وإمارة ركب الحج المغربي، حيث حج بالركب مرتين[7]. أمَّا ما ذهب مقديش إليه من أنَّ السلطان العثماني وَّلاه بطلب منه "مشيخة الجامع الأزهر، فكان كذلك إلى وفاته"[8]. فهو قول مردود من وجوه

1 - المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص- ص: 486- 488.

2 - الرحلة العياشية، ج2، ص: 368.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 135.

4 - للغموض الذي يحيط بهجرته لم يستطع أبو القاسم سعد الله إيعاز سبب هجرته إلى عامل سياسي، مع أنَّه قال بأنّه هاجر إليه بعدما جرب الحياة السياسية، فاتخذ الحج طريقا للهجرة واستقر بمصر. هذا وكان الشاوي بالجزائر عندما قامت ثورة ابن صخري في شرقها، التي قاومها يوسف باشا، وقد جعلت هذه الثورة العلماء يقفون في أغلب الأحوال مع السلطة العثمانية.

5 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص- ص: 104- 106.

6 - دخل الشاوي القسطنطينية مرتين على الأقل، فأكرمه في المرة الأولى شيخ الإسلام يحي المنقاري، والصدر الأعظم " الوزير الأول"، وحضر مجلس درس السلطان، وفي المرة الثانية أنزله مصطفى باشا صاحب السلطان في داره. المحبي، المصدر السابق، ج4، ص: 487.

7 - العياشي، المصدر السابق، ج2، ص: 368.

8 - نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ج2، ص: 383.

عدة[1] منها: اشتراط المذهب الشافعي فيمن يتولى مشيخته[2]، بالإضافة إلى انفراد مقديش بهذه الرواية [3].

وليس مُستغربا ما ناله الشاوي من الحظوة هناك، لما اتصف به من علم وذكاء، فقد وُصِف بأنّه كان:" بارعا في الأصول والفروع"، وبأنّه كان" سريع الجواب، حاد الذهن والفطنة، يسلك من كل باب أراده"[4]. وكان يحي الشاوي مواظبا " على التعلم والتعليم "[5] أينما حلّ[6].

أمَّا مشواره العلمي بالمشرق فيبدأ منذ عودته إلى القاهرة، بعد حجه سنة 1074هـ/ 1663م، حيث روى عن علمائها كالشيخ سلطان المزاحي، والشمس البابلي، والشيخ النور الشبراملسي وأجازوه بمروياتهم[7]. وظل حريصا على تلقي إجازات كبار العلماء، ففي إحدى زيارته إلى بلاد الروم[8] اتصل بالشيخ خير الدين الرملي فأخذ عنه وأجازه. وقد ذكر صاحب "خلاصة الأثر" أنه" آخر من أجازه"[9]. فتكون إجازته له حوالي سنة 1081هـ، وهي سنة وفاة الشيخ الرملي.

وأوّل ما نزل بالقاهرة تصدر الشاوي للتدريس بالأزهر، واستمر على القراءة مدة قرأ فيها "مختصر خليل" في الفقه، وشرح الألفية للمرادي، وعقائد السنوسي وشروحها، وجمل الخونجي لابن عرفة في المنطق[10]، وبعد مدة وُلي بمصر التدريس في المدرسة الأشرفية والسليمانية والصرغتمشية[11].

---

1 - ومنها اختيار شيخ الأزهر من بين مدرسي المدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعي، والتي كان التدريس بها مشروطا لأعلم علماء الشافعية. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج5، ص: 347.

2 - المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص: 40.

3 - اعتبر الكتاني هذه الرواية غريبة لانفراد مقديش بها. فهرس الفهارس، ج2، ص: 1134.

4 - محمود مقديش، المصدر السابق، ج2، ص: 381.

5 - العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص: 368.

6 - ذكر مقديش أنّه أخذ معه تلامذته في إحدى رحلاته من مصر إلى القسطنطينية، ولم يفارق في طريقه الدروس إلى أن بلغها. فإن صحت هذه الرواية يكون الشاوي مواظبا على التعليم حتى في أسفاره. المصدر السابق، ج2، ص: 381.

7 - المحبي، المصدر السابق، ج4، ص: 486

8 - يغلب على الظن أنَّها زيارته الأولى إلى الروم التي زارها مرتين، ولكن لا أدري متى كانت بالضبط.

9 - المحبي، المصدر السابق، ج2، ص: 138.

10 - الخونجي محمد بن ناماورو، ويقال ما ماء ورد بن عبد الملك أفضل الدين أبو عبد الله الشافعي (ت 646هـ). البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص: 123.

11 - المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص، ص: 486، 487.

ويظهر أنَّه قد فَقَدَ في السنوات الأخيرة من إقامته بالمشرق الحظوة التي نالها به، حيث انقلب عليه أهل مصر فرُفعت عنه وظائفه، ومن جملتها التدريس، وذلك حوالي سنة 1090هـ[1]، كما انقلب عليه رجال الدولة الذين قرَّبُوه أوَّل الأمر. وذلك لأسباب غامضة[2] يمكن أن نجملها في اكتسابه عداء بعض علماء المشرق، لأخذه وظائف بعض علماء مصر أثناء إقامته بها[3]، بالإضافة إلى التدريس مكان بعضهم دون إذن منهم في البلاد التي كان يزورها[4]. ودخوله في مُهاترات مع بعض علماء الصوفية[5].

وقد أخذ عليه عدد كبير من علماء المشرق[6]، فانتشرت إجازاته بينهم. ومن تلامذته الذين أجازهم: إبراهيم بن محمد الدمشقي (ت 1120هـ)، وأبو المواهب ابن عبد الباقي الحنبلي الدمشقي (ت 1126هـ)، وإلياس بن إبراهيم الكردي نزيل دمشق (ت 1138هـ)[7]، والشيخ محمد الكفيري بن زين الدين عمر (ت 1130هـ)[8]، والشيخ محمد العمادي بن إبراهيم بن عبد الرحمن الدمشقي (ت1135هـ) [1].

---

1 - صلاح الدين المنجد، " صفحات في تاريخ دمشق في القرن الحادي عشر. مستخرجة من كناش إسماعيل المحاسني"، ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ماي- نوفمبر 1960 مج: 6، ص: 91.

2 - منها أنّه لم يصل أثناء رحلته إلى الروم سنة 1089هـ، إلى من تتلمذ عليه، ولا إلى من أكرمه، كأنّه لم يجتمع بأحد منهم من قبل. صلاح الدين المنجد، المرجع نفسه، ص: 91.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص، ص: 135، 136.

4 - ذكر المدرس بالجامع الأموي الشيخ إسماعيل المحاسني بأنَّ الشاوي درّس مكانه أثناء زيارته للشام، ولم يراع خاطره. صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص:91.

5 - كان الشاوي يدافع عن أهل السنة، وينتقص من شأن المتصوفة وعلماء الباطن، من ذلك أنّه وضع رسالة سماها " النبل الرقيق في حلقوم الساب الزنديق"، رد بها على رسائل تضمنت آراء معاصره نور الدين الكوراني نزيل المدينة، مُتهما إياه بإتباع آراء المعتزلة، والقول بالاتحاد واستنقاص الرسل، ولذلك حكم بكفره وأوجب قتله، فتصدى محمد بن رسول البرزخي نزيل المدينة للرد عليه بلسان الكوراني، وسمَّى رده " العقاب الهاوي على الثعلب العاوي والنشاب الكاوي للأعشى الغاوي والشهاب للأحول الشاوي". اتهم فيه الشاوي بعدة اتهامات لا تليق بالعلماء المبجلين، منها أنّه اغتر بعدما لقي إكرام رجال الدولة أثناء زيارته لاستنبول، وأخذ في منازعة الأولياء وتكفيرهم، ونفى التصوف عن بعضهم، وبأنّ رجال الدولة الذين قرَّبوه أول الأمر انقلبوا عليه، كما انقلب عليه أهل مصر، فرفعوا عنه وظائفه. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص، ص: 135، 136.

6 - وفي تراجم الكتب المشرقية عدد كبير من العلماء الذين درسوا على الشاوي، وبالأخص كتاب سلك الدرر للمرادي.

7 - محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ورد ذلك في تراجمهم. مواضع متفرقة على التوالي: ج1، ص، ص: 26، 70، 266.

8 - إجازة الشاوي لمحمد زين الدين الكفيري بدار الكتب المصرية، مصطلح الحديث، مجموع: رقم: 313،

ولمَّا مرّ الشيخ يحي الشاوي بالرملة في أثناء رحلته إلى الروم، اتصل بابن أخت شيخ الإسلام خير الدين الرَّملي السالف الذكر، مُفتي الحنفية بها الشيخ محمد بن تاج الدين الرملي[2]، فسمع منه هذا الأخير الحديث المسلسل بالأولية، وقرأ عليه طرفًا من "الكشاف" وغيره، فأجازه بمروياته. ومن إجازة الشاوي له ولولده[3]:

أجزت أخانا الفاضل العلم الذي تسّمى بمن في الناس في الحشر يشفع

ونجلا له والله يُنجح قصده أبا للهدى والشخص بالاسم يرفع

وقال بذا يحي ونجل محمد ومن معرب الأوطان والله ينفع

وأجاز الشاوي أيضا لتقي الدين الحصيني[4] بالإجازة التي منحه إياها شيخه محمد السعدي البهلول[5]، في الموطأ وصحيحي البخاري ومسلم، والشفاء. فقد وُجِدَ أسفل إجازة شيخه المذكور له بخطه ما صورته، بعد الحمدلة والتصلية:" أجزت الفقيه النبيه السيد تقي الدين الحصيني في هذه الكتب الأربعة وغيرها بهذه الأسانيد وبغيرها. قال ذلك كاتبه يحي الشاوي المغربي- لطف الله به-" [6].

وأخذ عنه الشيخ أحمد بن محمد النخلي النقشبندي[7]، وترجم له في فهرسه وعظم شأنه، وذكر أنه أجازه بجميع مروياته ومؤلفاته. قال منها: " الترجيح في بيان ما للبخاري من التصحيح"، وحواشي التسهيل، والألفية، وفيما له في علم الكلام، وفي إعراب الكلمة المشرفة[8].

وهي بخط المُجيز نفسه.

1 - المرادي، المصدر نفسه، ج4، ص، ص، ص: 33، 57.

2 - محمد بن تاج الدين بن محمد الحنفي، المقدسي الأصل، الرملي المولد والنشأة (ت 1097هـ): قرأ على كبار مشايخ الإسلام، منهم الشيخ سلطان المزاحي المصري، والنور الشبراملسي. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص- ص: 411- 413.

3 - المحبي، المصدر نفسه، ج3، ص: 412.

4 - تقي الدين بن محمد شمس الدين بن محمد بن محمد محب الدين الحصني الحسيني الشافعي الدمشقي (1053- 1129هـ): نشأ بدمشق وأخذ العلم عن جماعة منهم: عبد القادر الصفوري، وعبد الباقي الحنبلي، ومحمد بن علي بن سعد الدين المكتب. درّس، وتولى مشيخة زاوية أسرته سنة 1098هـ. له مجاميع في الأنساب والتاريخ. المرادي، سلك الدرر، ج2، ص: 7؛ شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله، ج3، ص: 1677.

5 - ينظر هذه الإجازة الفصل الأول، ص: 45.

6 - ضمن مجموع رقم: 335- مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية، ورقة: 17 وجه.

7 - أحمد بن محمد بن أحمد بن علي المكي، الشهير بالنخلي (1044- 1130هـ). المرادي، سلك الدرر، ج1، ص: 170.

8 - الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص، ص: 1133، 1134.

وصادف دخول الشيخ يحي الشاوي إلى بلاد الروم في المرة الثانية[1] وجود جماعة من علماء دمشق بها، فالتمسوا منه القراءة فأذن لهم في ذلك، وشرعوا في القراءة عليه وهم: محمد أمين المحبي صاحب " الخلاصة "، والشيخ أبو الإسعاد بن أيوب[2]، وزين العابدين البصري، وعبد الرحمن المجلد[3]، والسيد أبو المواهب سبط العرفي الحلبي، فقرؤوا عليه: سورة الفاتحة من البيضاوي مع حاشية العصام، ومختصر المعاني مع حاشية الحفيد والخطائي، وبعض شرح الدواني على العقائد العضدية، فأجاز الشاوي الجميع بإجازات نظمها لهم[4].

وقد احتفظ المحبي بنَّص إجازة الشاوي له، وهي في خمسة عشر بيتا، تتضمن إجازته بإقرائه متن صحيحي البخاري ومسلم، والموطأ، وأجازه جميع ما يصح له من أمور الشرع، وفي علم الكلام، وختم الإجازة بانتقاده المتكلمين الذين ينفون صفات الله ومطلعها[5]:

أجزت الإمام اللوذعي المعّبرا ... أمينا أمين الدّين روحا مصورا
سليل محب الديـن بيت هداية ... وبيت منار العلم قدَّ مَا تقـررا
بإقرائه متن البخـاري الذي به ... تقاصر عنه من عداه وقصرا
موطأ شفاء والشـفاء لمسـلم ... إذ مسلما تُقريه حقا تصـدرا
وباقي رجال النقـل حقا مبينـا ... وتفسير قول الله في الكل قررا
أجزت المسمى في الشرع كله ... كما تصح لي فأترك مراه تكدرا

---

[1] - يغلب علـى الظن أن تكون زيارته الثانية، لأنَّـه أجاز عبد الرحمـن الشامي سنة 1090هـ، وقد سبق له دخولها سنة 1081هـ.
[2] - أبو الإسعاد بن أيوب الخلـوتي الدمشقي نزيل القسطنطينية، ولد بدمشق سنة 1053هـ، وقرأ بها وارتحل إلى الروم، واستقر بـها ودّرس بعدة مدارس بها. ولاشتغاله بالطب صار في مرستان أبي الفتح السلـطان محمد خان في القسطنطينية رئيسا للأطباء. المرادي، المصدر السابق، ج1، ص، ص: 54، 55.
[3] - عبد الرحمن بن محي الدين السليمي الدمشقي الحنفي، المعـروف بالمـجلد (1030- 1140 هـ): العالم النحوي، اشتغل بطلب العلم في دمشق فقرأ على أعلام دمشق منـهم: محمد الكردي وعبد الباقي الحنـبلي وغيرهم، ودرَّس بالجامع الأموي. المرادي، المصدر نفسه، ج2، ص، ص: 329، 330
[4] - محمد بن خليل المرادي، المصدر نفسه، ج2، ص: 118.
[5] - المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص: 487. ونصها كاملا في الفصل الرابع، ص: 268.

وهناك إجازة نظمية في خمسة عشر بيتا، نظمها الشيخ يحي الشاوي للشيخ عبد الرحمن الشامي في سنة 1090هـ/1679م، وهذه أبياتها الأولى[1]:

أجزت الذكي اللّوذعي المعظما   بكل الذي لي من علـى متمما
بخاري موطى مسلم وشفـاينا   وفقه ونحـو والكلام وما انتما
وأصل لفقه والحديث وكـل ما   تفســره الأعـلام دُرًا منظما
لأن كان أهلا للإجـازة حيثـما   بدا ذهنه الوقـاد أو قـد تكلما
فيا عابد الرحمان خـذها مدنية   مفتحة الأبـواب للخـير مغنما
وحبلك مِنَّـا وصـله واتصالـه   بمن فاق فوق الكل خيرا معلما
أجزتك يا شامي الديار بغـربة   وكل غريب من غريب تعظما
تمنطـق بنحو جـالسا ومحدثا   وفسر بفقه الدين والدين عظما

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الشيخ يحي الشاوي لم يورد اسمه كاملا في هذه الإجازة[2]، واقتصر ذكره في صدر البيت الثالث عشر بقوله:" مُجيزكم يحي"، ولم يرد في المجموع الذي توجد الإجازة ضمنه ذكرا لاسم المُجيز. وإنَّما هناك عدة أمور تقودنا لنسبها إليه هي:

1- خط المُجيز: حيث وُجِد أسفل إجازة الشاوي لتقي الدين الحصيني المُشار إليها سابقا عبارة « هذا خط العلامة يحي الشاوي ». وهو نفس الخط الذي كتبت به الإجازة التي نحن بصدد الحديث عنها.

2- التشابه الكبير بين هذه الإجازة وإجازته للمحبي المذكورة سابقا: بحيث قدمهما بحمدلة نثرية في جملتين مسجوعتين، كما كانت الافتتاحية متقاربة وهي: "أجزت...اللوذعي ". وكلاهما مقفاة، وتقعان في خمسة عشر بيتا، كما تنتميان إلى البحر الطويل، بالإضافة إلى تكرار عبارة « وصل وسلم بكرة وعشية»، وهي صدر البيت الرابع عشر في هذه الإجازة، وصدر البيت الخامس عشر في إجازته للمحبي.

---

[1] - الإجازة ضمن مجموع رقم: 335 - مصطلح الحديث، بدار الكتب المصرية، ورقة: 27 ظهر.
[2] - لم يذكر الشيخ يحي الشاوي اسمه مطلقا في إجازته للمحبي. ولكن لم يكن هناك إشكال لتقديم المحبي لها على أنَّها إجازته له.

إنَّ هذا التشابه الكبير بين الإجازتين قد يدل على أنَّهما كتبتا في فترات متقاربة، ولعَّله يقودنا أيضا للتعرف على المُجاز له. فقد أجاز الشاوي نظما للطلبة الشاميين الذين حضروا مجلسه رفقة المحبي في بلاد الروم، ويسمى أحدهم عبد الرحمن المجلد، ويغلب على الظن أنَّه المقصود بالإجازة لاعتبارين:

1- قول الشاوي في البيت السابع بأنّه أجازه بغربة بالنسبة لهما (المُجيز والمُجاز له)، ومن المعلوم أنَّه قد أجاز لعبد الرحمن المجلد الدمشقي في الروم.

2- هذه الإجازة مؤرخة في سنة 1090هـ، وإن لم يذكر تاريخ إجازته للمحبي، فقد رحل الشاوي لإسطنبول سنة 1089هـ، ولعله لم يعد منها حتى السنة الموالية.

هذا، وقد زار الشيخ يحي الشاوي الشام عدة مرات، من ذلك نزوله بها في غرة ربيع الأخر سنة 1089هـ، أثناء توجهه إلى حضرة السلطان، ومغادرته لها في يوم 18 من نفس الشهر[1]. واجتمع في هذه المرة " علماؤها وشهدوا له بالفضل التام، وتلقوه بما يحب، ومدحه شعراؤها، وإستجاز منه نبلاؤها"[2]. فكان يعقد دروسا في " الألفية " بكرة النهار في منزله، وعقد دروسا أيضا في الجامع الأموي، وألقى دروسا بعد الظهر في " الحكم"، ودروسا بعد العصر في "التسهيل"، ودروسا بعد المغرب في "عقيدة " السنوسي. وكان من جملة الحاضرين لدروسه صالح وسليمان[3]، ولدا الشيخ إسماعيل المحاسني[4]. فقرءا عليه أوائل متن "التوضيح"، وأول الجامع الصحيح للبخاري، وأجازهما بمروياته، وبالمصافحة المتصلة بالنبي- صلى الله عليه وسلم-[5].

---

1 - صلاح الدين المنجد، "صفحات في تاريخ دمشق "، مج: 6، ص: 91.
2 - المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص: 487.
3 - سليمان بن إسماعيل المحاسني الدمشقي (ت 1135هـ): تولى التدريس بالجامع الأموي سنة 1125هـ، وكان يدرس بالمدرسة السليمية، والصالحية. المرادي، سلك الدرر، ج1، ص، ص: 246، 247.
4 - إسماعيل بن تاج الدين بن أحمد المعروف بالمحاسني (1020- 1102هـ): الدمشقي الحنفي خطيب الجامع الأموي والمدرس به، ودرس أيضا بالمدرسة الجوهرية وبالسليمية. المرادي، المصدر نفسه، ج1، ص، ص: 246، 247.
5 - صلاح الدين المنجد، "صفحات في تاريخ دمشق "، مج: 6، ص: 91.

4- إجازات بعض علماء المشرق للشيخ محمد بن عبد المؤمن الجزائري:

من العلماء الجزائريين الذين تشح المصادر حولهم، الشيخ أبو عبد الله محمد ابن عبد المؤمن الحسني، فكان من ذلك أنَّني لم أتمكن من الوقوف على حقيقة رحلته إلى المشرق، إن كانت رحلة علمية أو رحلة حجازية، اغتنمها للأخذ عن مشايخه. وفي كل الأحوال لم تكن هجرته إليه نهائية.

وقد تلقى به إجازتين من كبار علمائه. الأولى منحها له العالم المُدَّرِس بالحرم الشيخ أبو العباس أحمد بن تاج الدين[1]، عن جمال الدين محمد بن علان الصديقي الشافعي، عن محمد بن أحمد الرملي، عن الشيخ زكريا، عن ابن حجر بسنده المتصل، وطرقه المعروفة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم-[2].

والثانية منحها له بمصر أحد أبرز المدرسين بالجامع الأزهر الشيخ أبو الحسن علي الشبراملسي الشافعي في سنة 1083هـ/ 72- 1673م. كان قد حضر مجلسه، وقرأ عليه جزءا من صحيح البخاري، قراءة أجاد فيها، ثم التمس منه أن يجيزه برواية ما رواه عنه، وبما قرأه عليه وسمعه منه، فأجابه إلى ذلك، وحررَّ له إجازة نثرية قدَّمها بالحديث عن فضل العلم. فمن جملة ما ورد فيها بأن العلم:" أشرف شيء يتحَّلى به الإنسان، وأكمل وصف يتكمل به الأعيان". ثم أتى ببعض الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية في فضله، لينتقل إلى الحديث عن أهمية علم الحديث الشريف، مبينا فضائل الإسناد، مُدَّعِمًا رأيه بأقوال بعض أعلام الأمة الإسلامية.

أمَّا العبارة التي أجازه فيها فهي:" أجزته برواية ذلك[3]، وبرواية ما تحل لي روايته من صحيح الإمام البخاري، ومن صحيح الإمام مسلم، ومن الشفا للقاضي عياض، ومن الجامع الصغير للجلال السيوطي، ومن غيرها من الكتب الحديثية كالمواهب، ومن التفاسير والعلوم العقلية والاعتقادية، بشرطه المقيد عند أهل

---

[1] - أبو العباس أحمد بن تاج الدين المكي: أخذ العلم عن أبيه، وعمن أدركه من مشايخ الحرم كالشيخ خالد ابن أحمد المالكي، وكان ملازما للشيخ عيسى الثعالبي. تمهر في علم الحساب والتوقيت والتنجيم، وورث خطة والده في قضاء مكة، والتدريس والإمامة. القادري، نشر المثاني، ج2، ص: 106؛ العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص: 230، مخلوف، شجرة النور، ص: 303.

[2] - محمد بن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص: 24.

[3] - أي بما سمعه منه، وقرأه عليه.

الأثر". ثم استعرض المُجيز بعض أسانيده في المصنفات والعلوم المذكورة، وأكَّد على إجازته بقوله:" وأجزته أيضا أن يُفيد ذلك لمن شاء، في أي وقت شاء، إجازة عامة"[1].

5- الإجازات المتبادلة بين علماء المشرق والشيخ قاسم البوني وابنه أحمد:

تُعَّد أسرة ابن ساسي البونية إحدى الأسر العلمية الصوفية الشهيرة في الجزائر العثمانية. من أبرز أفرادها الشيخ قاسم بن محمد الساسي البوني المالكي وابنه أحمد[2]. وكانت لكليهما رحلة علمية إلى المشرق.

فأمَّا الشيخ قاسم، استقر به مدة طويلة، وبالأخص في الجامع الأزهر، أين قرأ على أشهر علمائه، ودرَّس هناك. ثم عاد إلى الجزائر، فكان موجودا بها في سنة 1045هـ/ 1635م[3]. وقد وقف الشيخ عبد الحي الكتاني على ثبت صغير للعلامة علي الأجهوري، عليه ختمه إجازة منه به للشيخ أبي عبد الله القاسم، وهي مؤرخة في سنة 1064هـ/ 1653م؛ أي بعد عودة هذا الأخير إلى الجزائر، ولهذا لا يُستبعد أن يكون قام برحلة ثانية إلى المشرق، ولعَّلها رحلة حج، لأنَّ توليه الإفتاء المالكي في بونة يمنعه هذه المرة من الإقامة الطويلة هناك.

وفي هذا الثبت أجاز الأجهوري لأهل عصره عامة، وذكر فيه شيوخه الذين أجازوه بالحديث، كما استعرض أسانيده في الفاتحة الشمهروسية، وإسناد الفقه المالكي، وطريق القوم، ومن أعلى ما حصل له روايته عن النور علي القرافي عن المُسند المعمر قريش العثماني عن الحافظ ابن الجوزي بأسانيده[4].

أمَّا ابنه الشيخ أحمد البوني العالم الشهير، كان موجودا بمصر في أواخر محرم من سنة 1092هـ/ 1681م[5]. ولازم بالقاهرة أعلاما وأخذ عنهم، كالشيخ

---

[1]- محمد بن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص- ص: 33- 37.
[2]- سبق الحديث عن هذه الأسرة، وترجمة الشيخ قاسم البوني، وابنه الشيخ أحمد في الصفحات: 66، 67.
[3]- H' assan Dardour, Annaba, p: 92.
[4] - الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 784.
[5] - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ص: 177.

عبد الباقي الزرقاني، والشيخ الخرشي، والشيخ يحي الشاوي وغيرهم. كما تصدر للإقراء بالأزهر أثناء عودته من الحج[1].

وقد ذكر بعض شيوخه المشارقة ومنهم المصريين، في رحلته الحجازية التي سماها "بالروضة الشَّهية في الرحلة الحجازية"[2]، وفي إجازته لابنه أحمد زروق[3]. لكن على الرَّغم من كثرة شيوخه بمصر وتدريسه هناك، فلا نعرف من إجازاته هناك سوى إجازة واحدة في الحديث، منحها للشيخ الفقيه حسن بن سلامة الطيبي المالكي[4] لمَّا ورد ثغر رشيد[5]. أمَّا إجازات علماء مصر له فهو أمر أميل إليه، لحرص علماء المغرب الإسلامي عموما على إجازات كبار علماء المشرق، ولتفوق أحمد البوني في علوم كثيرة سيَّما في الحديث الشريف.

6- إجازات متفرقة خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين:

يبدو أنَّ الصلات الفكرية بين العلماء الجزائريين وأقرانهم المشارقة لم تكن وثيقة خلال القرن 10هـ (16م)، كما هي عليه خلال القرن الحادي عشر الهجري. لقلة العلماء تواجدهم بالمشرق آنذاك. فلم تترجم المصادر المشرقية[6] لتلك الفترة إلاَّ لعدد قليل جدا منهم، وفي مقدمتها " الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة[7]،

---

[1] - نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 33.

[2] - هذه الرحلة مفقودة شأنها شأن الكثير من مؤلفاته، ولهذا على الرغم من كثرة شيوخه، فمن الصعب رصد تنقلاته ودراساته وإجازاته هناك.

[3] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص، ص: 63، 64.

[4] - حسن بن سلامة الطيبي (ت 1176هـ/ 1762م): تفقه على شيخه محمد بن عبد الله الزهيري وبه تخرج، وأجازه محمد بن عثمان الصافي البرلسي في طريقة البراهمة، ودرّس بجامع زغلول. عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار، ج1، ص: 229.

[5] - عبد الرحمن الجبرتي، المصدر نفسه، ج1، ص: 229.

[6] - من المصادر التي ترجمت لأعيان القرن 10هـ: الجزء الثامن (لمن وقعت وفاتهم بين سنتي: 901- 1000هـ) من " شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لكنه لم يترجم إلا لعمر البجائي المغربي ولقاسم ابن عمر المغربي الزواوي نقلا عن " الكواكب السائرة". عبد الحي الحنبلي. بيروت: دار المسيرة، (ط2)، 1979. ج8، ص، ص: 92، 93؛ ص، ص: 154، 155. كما ترجم المحبي لأحد العلماء الذين كانوا هناك في مطلع القرن 11هـ وهو أحمد بن علي بن أحمد البسكري (ت 1009هـ)؛ الذي أخذ عن عبد القادر العيدروس، له جملة من المصنفات، رحل إلى الهند وتوفي بها. خلاصة الأثر، ج1، ص: 243.

[7] - للعلامة نجم الدين الغزي الدمشقي (ت 1061هـ): يقع في ثلاث أجزاء، ترجم في كل واحد منها لطبقة. الأول مخصص لمن وقعت وفاتهم من(901 إلى933هـ)، 2:(934- 966 هـ)، 3:(967- 1000هـ).

الذي لم يترجم إلاّ لثلاثة من أهل العلم الذي يُفهم من أسمائهم أنّهم جزائريون[1]، ولم يكونوا من العلماء البارزين على ما يبدو.

أمَّا كتب التراجم المغربية[2] والجزائرية على حد سواء، فلم يتردد فيها سوى بعض الأسماء، وبالخصوص اسم نزيل المدينة المنورة العلامة طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني المتوفي بعد سنة 940هـ/ 1533م[3].

وترجم الشيخ عبد الكريم الفكون لعدد من علماء الشرق الجزائري خلال القرن العاشر ومطلع القرن الحادي عشر الهجريين في الفصل الأول من " منشور الهداية " والذي ورد تحت عنوان:" فيمن لقيته من العلماء والصلحاء "[4]، إلاَّ أنّه لم يذكر قراءتهم بالمشرق، ما عدا شيخه سليمان بن أحمد القشي، الذي رحل حاجا قبل سنة 988هـ بقليل، واستقر مدة بمصر، وأخذ على بعض علماء الأزهر، ثم عاد إلى قسنطينة بعد بضعة أشهر[5].

ونفس الأمر نجده في المراجع الحديثة[6] التي لم تذكر إلاَّ بضعة علماء كانوا بالمشرق آنذاك، فلم يستطع عمَّار هلال إحصاء سوى سبعة علماء جزائريين[7] خلال هذا القرن، منهم إحدى بنات حواء اللائي نبغن في علم الحديث، وهي أم الحَيَاء البسكرية صفِّية بنت محمد، فقد رحل والدها إلى المدينة المنورة، واستقر

---

1 - هم: عمر البجائي المغربي (ت 920هـ) كانت له مكانة عند حكام مصر، محمد بن يحي بن عبد الله المغربي الطولقي المالكي (922هـ) تولى قضاء دمشق، قاسم بن عمر المغربي الزواوي نزيل مصر (ت 927هـ). الكواكب السائرة، تراجمهم على التوالي ج1 ص، ص: 72؛ 286؛ 293.

2 - من كتب المغربية مثلا: دوحة الناشر لابن عسكر، الذي ترجم لبعض العلماء الجزائريين في القرن 10هـ وهم علماء تلمسان وبني راشد، ولم يشر إلى دراستهم على المشرق. ص- ص: 106- 122.

3 - أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 204؛ ابن مريم المديوني، البستان، ص: 116.

4 - منشور الهداية، ص- ص: 35- 60.

5 - المصدر نفسه، ص: 60.

6 - من المراجع: تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي، وشجرة النور الزكية، ترجم لواحد وهو طاهر ابن زيان، ص: 277؛ ومعجم أعلام الجزائر لنويهض نجد به خمسة من القرن 10هـ ومطلع القرن 11هـ، الصفحات: 80، 132، 177، 108، 148. واعتمدت هذه المراجع على الكواكب السائرة، وعلى شذرات الذهب للحنبلي، والبستان لابن مريم.

7 - قسم عمار هلال كتابه على أساس مراحل، تضم كل مرحلة قرن، ختمها برسم منحنى يبين فيه ذلك. فكان القرن 10هـ أقل الفترات تواجدهم به، وذلك واضح بشكل جيد في المنحنى. العلماء الجزائريون في البلاد العربية، ص- ص: 294- 297.

هنـاك مع عائلته، وكانت هي لا تزال في سن الطلب، فأكملت تعليمها هناك على يد أكابر العلماء وأجازوها، ثم جلست للتدريس بالمدينة[1].

أمّا العلماء الذين وُجِدَت حولهم تراجم مقتضبة في الكتب المشرقية، لم يكونوا من كبار العلماء، ولكن كان لبعضهم ذكر هناك. والحقيقة أنَّني لم أتمكن من التوصل إلى الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين والمشارقة خلال القرن العاشر الهجري. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ صاحب " الكواكب السائرة " المحدث الدمشقي الشهير الشيخ الغزى كان حريصا جدا على ذكر إجازات المترجم لهم. إلاَّ أنّه لم يشر إلى إجازات العلماء الجزائريين الثلاث الذين كانوا من ضمن المترجم لهم.

ولا يمكن بطبيعة الحال رد سبب قلة تواجد العلماء الجزائريين بالمشرق إلى عدم توجههم إليه، لأنّ الرحلة إليه كانت ضرورية لأداء فريضة الحج. وعليه ولو ُقلنا بقلة الرحلات العلمية إليه، لا يمكن بأي شكل من الأشكال إلغاء الرحلات الحجازية، التي كانت تستغل لطلب العلم. كما لا يمكن رده إلى قلة العلماء بالجزائر خلال هذا القرن، فقد كان بها العديد من أكابر العلماء، سيَّما في تلمسان وقسنطينة.

والاحتمال الأقرب إلى الصواب هو عدم استقرار كبار العلماء المدرسين هناك، الذين عادة ما يشتهر ذِكرهم، فيأخذ عنهم المشارقة، ويتلقوا إجازاتهم. وهنا لا بد أن تكون للاضطرابات السياسية التي شهدها المشرق، والتي صاحبت وقوعه في قبضة الدولة العثمانية تأثير على ذلك. وعليه يمكن أن نميز بين نوعين من الرحلات: الرحلات النهائية والتي كانت قليلة، والرحلات المؤقتة المرتبطة عادة بالحج، والتي كانت موجودة.

وبخلاف القرن العاشر، كثُرَت الإجازات العلمية أثناء القرن الحادي عشر. فقد قرأ الشيخ أبو الحسن علي بن داود الصنهاجي القسنطيني على الشيخ سالم السنهوري[2]، ومنح له إجازة، إلاَّ أنَّ الشيخ عبد الكريم الفكون أنكر عليه ذلك، مُبَيِّنا

---

[1] - عمار هلال، المرجع نفسه، ص، ص: 295، 296.

[2] - أبو النجاة سالم بن محمد السنهوري (ت 1015هـ/ 1606م): مفتي المالكية بمصر، من كبار المحدثين بها،

نصيب المُجَاز له من العلم، والذي لا يؤهله لاستحقاق الإجازة بقوله:" ومعه طرف من المعرفة في حفظ بعض المسائل المشهورة من الطهارة، وبعض العبادات، وبعض المعاملات، التي لا تُجهل في الغالب. ولا بحث معه، ولا تدقيق ولا نظر. والعجب إجازة الشيخ المذكور له"[1].

إنَّ الشيخ علي بن داود من تلامذة الشيخ الفكون، فهو على دِرَاية تامة بمستواه العلمي، كما كان ابن داود مُحِبًا للفكون شغوفا به، وهذا لا يدع مجالا للقول بأنَّ انتقاده إجازة السنهوري له لعداوة بينهما. ولكن المشهور بين المُحَدِّثين عدم اشتراط مستوى علمي كبير في مُتَلَقِي الإجازة بالرواية، لأنّ الهدف منها إباحة الرواية للمُجاز له، وليس إبراز مستواه العلمي[2]، فلعَّل الفكون ممَّن رفض التساهل فيها.

وكان الفكون من المترددين على المشرق، خاصة بعد توليه إمارة ركب الحج في سنة 1045هـ، وعليه فلا شك أنّه ربط صلات قوية مع العلماء به. وكان قد تدبَّح في سنة 1035هـ مع العلامة المصري الشيخ علي الأجهوري[3].

واتصل بالأجهوري الشيخ عبد الكريم بن محمد التمنطيطي، لما قصد المشرق حاجا. فحضر مجالس دروسه، ونظرا لما ظهر منه من سعة علمه، وخاصة إتقانه "لمختصر خليل"، قربَّه منه ونوَّه بجليل قدره. وكان التمنطيطي قد عدَّ حوالي أربعين مسألة على الكتاب المذكور، فأمر بتقييد تلك المباحث عنه، وقال:" هنيئا لقطر فيه أمثالك ". ثم قال:" ما أبرعك يا عالم توات". وقرأ التمنطيطي عليه الحديث فأجازه فيه، وفي جميع تآليفه ومروياته الفقهية، وغيرها إجازة مطلقة[4].

أخذ عن نجم الدين الغيطي وغيره. وأخذ عن جملة من العلماء منهم: إبراهيم اللقاني والنور الأجهوري والرملي. له مؤلفات منها: شرح على مختصر الرسالة. أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص: 191. المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص: 204؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 289.

[1] - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص، ص: 92، 93.

[2] - ينظر شروط الإجازة بالرواية في المدخل، ص: 5.

[3] - الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 783.

[4] - بكري البكري، تنطيط رمز تاريخ، وعنوان حضارة، ص، ص: 67، 68.

أمَّا ابنه الشيخ البكري بن عبد الكريم مؤسس الطريقة البكرية، فقد أقام بالقاهرة بعد تأديته فريضة الحج، فاستجاز وأجاز جملة من علماء العالم الإسلامي. كما تلقى إجازة من شيخ المشايخ بالديار المصرية الإمام الخرشي[1]. وقد تنقل بين أرجاء المشرق الإسلامي، ودخل الشام، وأسس زاوية له هناك، ثم عاد إلى بلده[2].

وهناك إجازة عامة للجزائريين منحها لهم الشيخ إبراهيم اللقاني[3]. وقد كتبها لبعضهم مثل: علي بن مبارك القلعي، وسعيد قدورة، وسحنون[4] رفيق الشيخ علي بهلول[5] وغيرهم. وقال في آخرها:" أجزت لمن ذكر، ولأولادهم، ولأهل قطرهم... جميع ما مرّ التنبيه عليه، وجميع ما يجوز لي وعني روايته من مقروء ومسموع، ومُجاز ومكاتبة، ووجادة ومراسلة، وأصول وفروع، ومعقول ومنقول"[6].

ويشترك الأشخاص المذكورين في الإجازة بانتسابهم إلى زاوية الشيخ محمد بن علي المجاجي[7] بثغر تنس[8]. فالسيد سعيد قدورة، والسيد علي بن مبارك القليعي

1 - بكري البكري، المرجع نفسه، ص: 66.

2 - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ص: 112.

3 - أبو الأمداد برهان الدين إبراهيم بن حسن اللقاني المصري (ت 1041هـ): عرف بتبحره في علم الحديث الذي أخذه عن أعلام منهم: صدر الدين الميناوي وسالم السنهوري. وعنه من لا يعد كثرة من أهل العلم. من مؤلفاته: نصيحة الإخوان في شرب الدخان، وحاشية على مختصر خليل. مخلوف، شجرة النور، ص: 291؛ المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص- ص: 6- 9؛ الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 28.

4 - الظاهر أنه هو: سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر المداوي الونشريسي: (كان حيا في حدود القرن 11هـ) تفقه بمليانة وبمدينة الجزائر، وقبره مشهور بني وعزان بنواحي الونشريس. له شرح على السراج منظومة عبد الرحمن الأخضري في الفلك. الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 156؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 74.

5 - أبو علي بن علي ابهلول المجاجي: توفي بعد 1019هـ بسنين، له حاشية على مختصر خليل. الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 32؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 361.

6 - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج2، ص، ص: 50، 51.

7 - محمد بن علي أبهلول (945- 1008هـ): كان هو وأخوه أبو علي السابق الذكر " شديدي الاعتناء بالعلم وفنونه كالتفسير والحديث، والأصول والمنطق والبيان، بعد الفقه والتوحيد وغيرهما ". ومن أشهر تلامذته الشيخ سعيد قدورة الذي رثاه بقصيدة عند مقتله. الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 440، 441 (أرخ لمقتله بسنة 1002)؛ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ص: 359.

8 - اشتهرت زاوية مجاجة بتنس ضواحي شلف بنشر العلم في حياة الشيخ محمد بن علي، فكانت تشد إليه الرحال. وبعد وفاته قام بأمر الزاوية إخوته، وأبناءه، وأحفاده. وكانت لهم حرمة عند الحكام الجزائر العثمانيين. المشرفي، « ياقوتة النسب الوهاجة»، الأوراق: 15ظ- 18و.

من تلامذتها[1]. أمَّا علي بهلول، فهو شقيق صاحب الزَّاوية. ويظهر أنَّ اللَّقاني كتب الإجازة على استدعاء جماعي لبعض طلبة الزاوية.

أمَّا تاريخ الإجازة فهو غير معروف. وكل ما وصلنا أنَّ سعيد قدورة رحل حاجا من مدينة الجزائر في سنة 993هـ وهو لا يزال مراهقا، رُفقة الشيخ أبي علي ابن بهلول السابق الذكر، وكان ذلك قبل التحاقه بزاوية تنس، بين سنتي 1004 و1009هـ، فهل لحجه سنة 993هـ علاقة بهذه الإجازة ؟ والمعلوم أنّ قدورة توجه إلى تلمسان سنة 1012هـ، ثم إلى سجلماسة سنة 1019هـ[2]. وما يمكن أن نستخلصه من تواريخ تنقلاته: أنَّ الإجازة لم تكن بين سنتي 1012 و1019هـ. كما لا يُستبعد أن تكون الإجازة في رحلة حجازية، لطلبة زاوية مجاجة قبل سنة 1009هـ، وهو تاريخ رحيل قدورة منها.

إنّ علماء زاوية مجاجة كانوا حريصين على الاستفادة من علماء المشرق في أثناء رحلاتهم الحجازية. وذلك ما تُجَّسده رحلة عبد الرحمن بن محمد المجاجي سنة 1063هـ/1652م[3]. حيث زار علماء الركب الجزائري أشهر مساجد مصر، والتقوا فيها " بكل من له في طريق العلم والخير شهرة "، وفي مقدمتها الجامع الأزهر. ومن العلماء الذين اتصلوا بهم في القاهرة والاسكندرية، وأخذوا عنهم بعض المسائل: العلامة علي الأجهوري، وشيخ القراء بمصر أبي سلطان، والعلامة أبو العباس المرسي[4].

ومن العلماء المرافقين للركب الشيخ أبو الحسن علي، وشقيقه الشيخ الجيلالي عبد القادر[5]. وهما من أحفاد الولي الصالح محمد بن علي المجاجي صاحب

---

[1] - الحاج علي بنعشيط المجاجي، الأحرف الوهاجة في ذكر شرفاء مجاجة. بومرداس (الجزائر): مطبعة ميهوبي، أولاد موسى، 2004. ص: 20.

[2] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص- ص: 358- 361.

[3] - رحلة حجازية، نظمية، مقيدة في اتجاه العودة. يبدؤها المؤلف بوصف البقاع المقدسة، ويختمها بوطنه الأصلي مجاجة الواقعة ضواحي شلف.

[4] - عبد الرحمن المجاجي، « رحلة المجاجي». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 1564. الأوراق: 3 ظهر، 4 وجه.

[5] - هما: أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن امحمد بن علي أبهلول، وكان يعرف باسم بو حسون، وشقيقه الجيلالي بن عبد القادر، وقد أشاد صاحب الرحلة بأخلاقهما العالية، وبكرمهما، وبتقديمهما العون المادي

الزاوية، فأثنى عليهما صاحب الرحلة كثيرا، كما أشار في عدة مناسبات إلى أنَّهما ذو صيت في القبيلة. وحصل الشيخ الجيلالي عبد القادر على عدة إجازات علمية بمصر، وببيت الله الحرام، وبالمدينة المنورة. وأشار إلى ذلك صاحب الرحلة بقوله[1]:

والجيلالي عبد القادر العالم التقي ... أخوه شقيق[2] حافظ للرواية
وقد جمع الإله فيه خصال من ... تقدم من أبيه والعم جملة
فمنَّ عليه الله بالعلم والتقى ... وزاده مع دين جود ورفعة
أجازه كل عالم في طريقه ... بمصر وبيت الله ثم المدينة
قد استخبروه في العلوم جميعها ... فألفوه فيها حافظا ذا بصيرة

إنَّ هذه الإشارة إلى إجازته مقتضبة جدا، ولهذا لا تُمَّكننا من معرفة العلماء الذين أجازوا، ولكن لا يستبعد أن يكون منهم بعض العلماء الأربعة المذكورين سابقا، خصوصا الشيخ علي الأجهوري.

وممّن حصل على إجازات متعددة من المشرق الشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري. فقد تلقى إجازات من أجلة علمائه منهم: علي الأجهوري السالف الذكر، ومحمد البابلي، ومحمد الزرقاني، وعبد العزيز بن محمد الزمزمي، والشهاب القيلوبي[3] والشبراملسي، والنجم الغزي، والغنيمي، والشهاب الشلبي، ومحمد الحجازي الواعظ[4].

لكل من قصدهم ببلدهم، أو أثناء رحلة الحج من الحجاج. ابن بنعشيط، الأحرف الوهاجة، ص: 23.

1 - عبد الرحمن المجاجي، رحلة المجاجي، ورقة: 17 وجه.

2 - لأنه ترجم لأخيه قبلا وهو أبو الحسن علي.

3 - أحمد بن أحمد بن سلامة الشافعي (ت شوال 1069 أو 1070هـ/ 1658م): القليوبي نسبة إلى بلدة صغيرة ضواحي القاهرة، الفقيه المحدث، لازم الشيخ الشمس الرملي، وكان متظلعا في العلوم العقلية. من مؤلفاته: حاشية على شرح المنهاج للجلال المحلى، وحاشية على شرح الأزهرية. المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص: 175؛ البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص: 162.

4 - عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار، ج1، ص: 85.

أمَّا الشيخ محمد بن علي المهدي[1] المعروف بابن علي، والد الشاعر المشهور في القرن الثاني عشر الهجري، المعروف كأبيه بابن علي، فقد رحل إلى المشرق، دَرَسَ هناك على كبار العلماء وأجازوه، ثم رجع إلى الجزائر[2].

[1] - محمد بن علي بن محمد المهدي (ت 1028هـ): نشأ بمدينة الجزائر، وأخذ على مشايخها. كان أديبا فقيها. جمع بين العلم والصلاح. وألف نوازل في الفقه الحنفي، أفرغها في قالب أسئلة وأجوبة. وكان يقول الشعر. من مؤلفاته: مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر في الفقه الحنفي. البغدادي، المرجع السابق، ج2، ص: 313. يذكر نور الدين عبد القادر نقلا عن الحفناوي أنه توفي سنة 1093هـ، بينما يُنسب إليه شعر في الفتح الأول لوهران سنة 1119هـ. وعليه فالأصح هو ما ذهب إليه البغدادي. البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص: 219؛ صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 194.

[2] - الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 478.

III /- إجازات القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين (18- 19م):

1- الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء المشرق والشيخين: محمد بن أحمد الشريف ومحمد المنور التلمساني:

استقر بعض العلماء الجزائريين بالمشرق خلال القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الهجريين[1]، ولكن لم يحظ أحد منهم بالشهرة التي اكتسبها به كل من أحمد المقري، وعيسى الثعالبي، ويحي الشاوي في القرن الحادي عشر الهجري. ومن هؤلاء الشيخ محمد بن أحمد الشريف[2]، والشيخ محمد بن عبد الله المنور التلمساني. فرغم استقرارهما هناك، وتصديهما للتدريس إلى أن وافتهما المنية، فلم يحظيا بتراجم وافية في كتب الرجال لتلك الفترة[3]، ولهذا لا تزال الأسباب التي دفعتهما للهجرة والاستقرار غامضة[4]. بل إنَّنَا لا نعرف تفاصيل مُهِّمة عن رحلتهما كتاريخ دخولهما إلى المشرق.

فأمَّا الأول فهو من الجزائريين الذين يعودون إلى أصول عثمانية، ويعتنقون المذهب الحنفي. وكان يُوَّقع اسمه في تآليفه هكذا:" خادم العلم والعلماء الشيخ محمد ابن أحمد الشريف الجزائري مولدا ومنشأً، الأزميري وطنا وملجأ ً". فقد استوطن أزمير موطن أجداده، ثم انتقل منها إلى الحجاز، وجاور به فترة من الزمن، تصدى خلالها للتدريس. ومن جملة العلماء المُترددين على حلقاته، الوزير العثماني أحمد

---

1 - العلماء الجزائريون المتواجدون بالمشرق خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري(19م)، أكثر من أية فترة خلال العهد العثماني، وذلك ما تؤكده المصادر المشرقية، بالإضافة إلى الإحصائيات التي قام بها عمّار هلال في كتابه العلماء الجزائريون في البلاد العربية الإسلامية، ص، ص: 315- 316.

2 - محمد بن أحمد الشريف الجزائري: توفي في مهجره حوالي سنة 1159هـ/ 1746م، من شيوخه محمد ابن عمر المانجلاتي، ومحمد زيتونة التونسي، ومصطفى بن إبراهيم الأزميري. ترك عدة تآليف في الفقه والحديث والتصوف، منها جامع الأصول المنيفة من مسند أحاديث أبي حنيفة، والقول المتواطي في شرح قصيدة الدمياطي، و"المن والسلوى" في الحديث. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 431؛ المرجع نفسه، ج2، ص: 47؛ البغدادي، هدية العارفين، ج2، 319؛ نويهض، أعلام الجزائر، ص: 145. وفي الكتابين الأخيرين أنَّه توفي سنة 1139هـ. وهنا تتبين لنا أهمية الإجازة التي بين أيدنا في تحديد تاريخ تقريبي لوفاته.

3 - من أهمها سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي، وعجائب الآثار للجبرتي.

4 - بالنسبة للشيخ محمد بن أحمد الشريف، فقد قال أبو القاسم سعد الله حول أسباب هجرته من الجزائر بأنَّها: " لأسباب لا نعلمها الآن ". وبدت له في موضع آخر أنَّ منها " النفي السياسية ". تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 431؛ المرجع نفسه، ج2، ص: 47.

باشا نعمان، الذي أصبح شيخا للحرم الشريف. واستجازه هذا الوزير، فأجازه "تطييبا لخاطره، وتنشيطا لفكره وناظره "، وهو ما جاء في إجازته المؤرخة في سنة 1154هـ/ 1741م.

بعد البسملة والحمدلة، افتتح الشيخ محمد الشريف إجازته بقوله:" أما بعد: فقد طلب مِنْ هذا العبد الفقير، المعترف بالقصور والتقصير، أيام المجاورة بالحرم المكي، وذلك سنة أربع وخمسين ومائة وألف، إنسان عين الفضائل والمفاخر، وسلالة فضلاء الوزراء كابر عن كابر، عمدة السلطنة العثمانية نجل الوزارة، وقائم مقامها، وقطب رحاها، وعليه مدارها... حضرة مولانا ولي النعم أبو الخيرات أحمد باشا نعمان باشا زاده، دام عزه ورفعته، وحفت بالحفظ والعناية حضرته، سماع بعض الأحاديث والإجازة فيها، وغيرها كسند السبحة والضيافة ونحوها، وهو إذ ذاك شيخ الحرم الشريف زاده الله شرفا، فأسعفته في ذلك، وأتحفته بما هنالك، تطييبا لخاطره، وتنشيطا لفكره وناظره، والله تبارك وتعالى المسؤول في التوفيق والقبول، وبه أستعين، فأقول: سمع منا الوزير المشار إليه..."[1]. وبعد استعراضه للأحاديث التي سمعها منه، ومؤلفاته التي بلغت إحدى عشر مؤلفا، يضيف قائلا:" وغير ذلك ممَّا لنا من تقييد وتقرير، وبيان وتحرير، وبسط وتفسير"[2].

أمّا الشيخ محمد بن عبد الله أيوب، المعروف بالمنور التلمساني، فقد استوطن مصر. وجاور بالجامع الأزهر، وانتصب للتدريس برواق المغاربة، فاشتهر أمره هناك[3]، وأخذ عليه العلماء، ومن أشهرهم ذِكرًا الشيخ محمد مرتضى الزبيدي[4]. وقد ترجم هذا الأخير لشيخه في كتابه "تاج العروس"[5]، وذكره في أرجوزته

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص، ص: 46، 47.

[2] - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج2، ص: 47.

[3] - الورتلاني، الرحلة الورتلانية، ص: 303.

[4] - أبو الفيض محمد بن محمد العلوي، الزبيدي النسب (1145- 1205هـ/ 1732- 1791م): نشأ في بلاده الهند، ورحل في طلب العلم، وحج مرارا. من شيوخه: عبد الله السندي، وعبد الرحمن العيدروس، دخل مصر في سنة 1167 هـ، وقرأ على مشايخها. وقد عرف بحرصه الشديد على جمع الأسانيد، وتخاريج الأحاديث، وألَّف في ذلك كتبا، ورسائل ومنظومات وأراجيز جمة. من مؤلفاته: ألفية السند، وكتاب تاج العروس. الجبرتي، عجائب الآثار، ج2، ص- ص: 73- 79؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص- ص: 526- 529؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص: 681.

[5] - مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج3، ص: 590.

المسماة " ألفية السند ومناقب أصحاب الحديث"، التي ذكر فيها مشايخه وتلامذته، ووصفه "بالعالم الفاقد للأشباه" ومنها قوله[1]:

الجهبذ البارع في الفنون عالم قطر المغرب الميمون

لقيته بمصر لما وردا أجازني ونلت منه المددا

وأخذ الشيخ محمد المنور بدوره على أجلاء علماء المشرق، كالعلامة الشيخ أحمد بن عبد الفتاح الشافعي الملوي[2]، واستجازه فأجازه، وكتب له بذلك نثرا في الخامس عشر جمادى الآخرة عام 1168هـ/ 1754م. ومن إجازته قوله: " وبعد: فقد طلب مني العالم العلامة، والحبر البحر الفهامة، مَنْ جمع بين المعقول والمنقول، والفروع والأصول، مولانا سيدي محمد بن عبد الله المنور أن أجيزه، ولست أهلا لذلك، ولكن أجبته امتثالا لأمره. فقد أجزته بالكتب الستة وغيرها من الأحاديث، والمنقولات والمعقولات، وسائر التأليفات، سواءا كانت لي أم لغيري". وبعد أن ذكر شَيْخَيْه اللَّذين روى عنهما العلوم، وفي مقدمتها الحديث الشريف: العلامة أحمد الهشتوكي، والشيخ الإمام عبد الله بن محمد المغربي القصري قال:" وقد أسمعني الشيخ المذكور بعض الكتب الحديثية من أوائلها، وهي الكتب الستة"[3]، ووضع ختمه آخر الإجازة.

2- إجازات بعض علماء المشرق لمحمد بن عبد الرحمن الزواوي الأزهري:

تُعَدُّ رحلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الزواوي[4]- مؤسس الطريقة الرحمانية بالجزائر- إلى المشرق رحلة علمية. فقد تعلم بزاوية الصديق بن أعراب بآيث

---

[1] - العيد مسعود، " العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق خلال العهد العثماني "، ص: 51.

[2] - أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجيري الشافعي الأزهري، الشهير بالملوي (1088- 1181هـ/ 1677- 1767م): قرأ على عدد كبير من مشايخ المالكية، والشافعية، والحنفية منهم الشيخ أحمد بن الفقيه، والشهاب الخليفي وغيرهم، ودرس بالأزهر، ثم رحل إلى الحرمين سنة 1122هـ، وأخذ على عدة شيوخ وأجازوه، مؤلفاته كثيرة منها: شرحان على متن السلم كبير وصغير، وشرحان على السمرقندية في البلاغة وشرح على الياسمينية. الجبرتي، عجائب الآثار، ج1، ص، ص: 234، 235؛ المرادي، سلك الدرر، ج1، مج1، ص: 116، 117؛ عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص، ص: 172، 173.

[3] - الإجازة ضمن مجموع، رقم: 181، مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية، ورقة: وجه 27، ظهر 28.

[4] - سبقت ترجمة الأزهري، في الفصل الأول، ص: 64.

ايراثن بزواوة، ثم رحل صغيرا إلى القاهرة، وذلك في سنة 1152هـ/ 1739م، وظل به أزيد من ربع قرن، ثم عاد إلى الجزائر حوالي سنة 1177هـ/ 1763م[1].

واستقر الشيخ محمد الزواوي بالقاهرة، وجاور بالجامع الأزهر، فاشتهر لذلك "بالأزهري"، ولازم الشيخ محمد بن سالم الحنفي[2] مؤسس الطريقة الخلوتية، فتلقى عليه تربية روحية، وتكوينا علميا. حيث أخذ عليه طريقته الخلوتية، فأجازه بأورادها في سنة 1168هـ/1754م، وبأن يجيزها لكل من طلب منه ذلك، وكتب له إجازة نثرية في ذلك[3]. كما كلَّفه بمهمة إلى السودان لنشر الأوراد، وبعد عودته إلى مصر، ألبسه الخرقة، وأذن له في التربية والتعليم، ثم صرفه إلى وطنه لبث العلم وتربية الخلق[4].

وقد ذكر الشيخ محمد الأزهري بأنَّ شيخه المذكور أجازه بالإجازة العامة والخاصة، ولمّا سأله مُستفسرا عمَّا تخوله هذه الإجازة بقوله:" هذه الإجازة التي أجزتني بها بلسانك المبارك، وكتبتها لي ببنانك المباركة، ما كفيتها يا أستاذي، هل هي مُقيدة في بعض العلوم دون بعض، أو عامة في سائر العلوم، والأوراد والحركات والسكنات، والأقوال والأفعال، وسائر الفوائد والدعوات، والرِّياضات في الجلوات، والعزلات والخلوات، لنفسي ولغيري من سائر تلاميذي، وإخواني وغيرهم؟ " فأجابه قائلا:" آذنتك إذنا عاما دائما لك، ولغيرك ممّن انتمى إليك، لا ينفعك إلاّ الإطلاق طول عمرك، في كل زمان ومكان، والباب مفتوح لك، ولمن أصدقك "[5]. ثم سلّمه كتابا له في أسانيده، وطلب منه أن ينسخه لنفسه ففعل.

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 507.

[2] - محمد بن سالم الشافعي الخلوتي (1100-1181هـ/ 1767م): الحفناوي نسبة إلى بلده حفنا القريبة من بلبيس، ولهذا تعرف طريقته الصوفية بالحفنية في بعض الأحيان. درس بالقاهرة على علماء عصره وأجازوه بالتدريس، فدرس في سنة 1122هـ. من شيوخه: أحمد الخليفي، ومحمد الديربي، وعبد الرؤوف البشبيشي، والملوي وغيرهم. تخرج عليه الكثير من العلماء المعاصرين له. من تآليفه المشهورة: " حاشية على شرح العضدية للسعد"، وشرح الهمزية لابن حجر. الجبرتي، عجائب الآثار، ج1، ص- ص: 237- 246.

[3] - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص، ص: 180، 181؛ الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص، ص: 470، 471.

[4] - محمد الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 458.

[5] - محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص: 469.

ثم كتب له إجازة بخط يده على ظهر نسخته هذه، وذلك في يوم 27 محرم، إلاَّ أنَّه لم يذكر سنة كتابتها، وقال بأنّه كتبها له بعد الإجازة الصوفية المؤرخة في سنة 1168هـ بعدة سنوات. وممّا ورد فيها بعد الحمدلة والتصلية:" قد أجزت الحسيب النسيب، السالك الأريب، ولدنا الفهامة السيد محمد بن عبد الرحمن القجطولي الزواوي الباعليوي الحسني بما تضمنه هذا الثبت، وبما تجوز لي روايته من معقول- نفعه الله ونفع به- منظوما في سلك أهل قربه أفضل صلاة وسلام على أكمل السلام"[1]. وبهذا يكون الشيخ الحفناوي عمدته في علمي الظاهر والباطن.

كما أخذ الشيخ محمد الزواوي الأزهري على عدد آخر من أعلام مصر في عصره. فقد روى الفقه المالكي عن الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي[2] فأجازه فيه، وكتب له بذلك[3]. وممَّن كتب له بالإجازة أيضا الشيخ علي ابن خضر بن أحمد العمروسي[4]، والشيخ حسن بن غالب الجداوي المالكي[5]، والشيخ أحمد الدرديري المالكي[6]، وهي التي قال عنها المُجاز:" كتبها لي بيده المباركة، ككتابة أستاذي وأستاذه الحفناوي"[7].

---

1 - محمد الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 469.

2 - أبو الحسن علي بن أحمد الصعيدي العدوي (1112- 1189هـ/ 1700-1775م): قدم مصر وحضر دروس عبد الوهاب الملوي، والشلبي وسالم النفزاوي وغيرهم. من مؤلفاته: حاشية على ابن التركي، وعلى الزرقاني على العزية، وعلى أبي الحسن على الرسالة، وعلى شرح الخرشي والزرقاني، وكلاهما على المختصر. ودرَّس بالأزهر وغيره. مخلوف، شجرة النور، ص: 341.

3 - محمد مخلوف، المرجع نفسه، ص: 372؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 471.

4 - أبو الحسن علي بن خضر بن أحمد العمروسي (ت 1173هـ/ 1759م): من شيوخه السلموني، ومحمد الزرقاوي، والشهاب النفزاوي، ودرَّس بالأزهر. من مؤلفاته: اختصار المختصر الخليلي وشرحه. مخلوف، المرجع السابق، ص: 339.

5 - حسن بن غالب الجداوي الأزهري المالكي (1128- 1202هـ/ 1715- 1787م): أخذ على الشيخ محمد السلموني، وخضر العمروسي وغيرهم. له مؤلفات وحواشي. مخلوف، المرجع السابق، ص: 360.

6 - أحمد بن محمد بن أحمد الصعيدي العدوي الأزهري الخلوتي (1127- 1201هـ/ 1714- 1786م): قرأ على شيوخ كثيرون منهم الملوي والجوهري. عُين شيخا على المالكية، ومفتيا وناظرا على وقف الصعايدة، وشيخا على طائفة الرواق. من مؤلفاته: أقرب المسالك لمذهب مالك، ورسالة في متشابهات القرآن. الجبرتي، عجائب الآثار، ج2، ص، ص: 22، 23؛ مخلوف، المرجع السابق، ص: 359.

7 - الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 471.

3- إجازات بعض علماء المشرق للشيخ حسين الورتلاني:

أحسن الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورتلاني[1] استغلال رحلاته الحجازية، حيث حج ثلاث مرات على الأقل، الأولى في سنة 1153هـ/1740م، والثانية في سنة 1166هـ/ 1752م، والثالثة في سنة 1179هـ/1765م، واستغرقت الأخيرة ثلاث سنوات، حيث امتدت إلى سنة 1181هـ/ 1767م[2]. وهي لذلك رحلة علمية أكثر منها حجة عادية.

وعلى الرغم من غلبة الروح الصوفية عليه أكثر من الروح الفقهية، فقد كان يجمع بين علوم الظاهر والباطن[3]. ولهذا كان حريصا على توسيع معارفه أثناء إقامته بالحجاز ومصر. فدرس بالحرمين الشريفين على الشيخ المدرس أحمد الإشبيلي بعض "مختصر السعد"، وقرأ بالأزهر على الشيخ عمر الطحاوي الرسالة الوضعية، وبعض تفسير ذي الجلالين، وسمع من الشيخ الزياتي الشافعي بعض المسائل في النحو، وحضر عليه دروسا في المحلى. كما حضر دروس الشيخ سالم النفزاوي، وقرأ عليه مدة مختصر السعد في حجتة الأولى[4].

حصل على إجازات علمية وأخرى صوفية، من ثمانية من علماء مصر، وبعضهم أجازه أكثر من مرة. وذلك ما نجده في رحلته المعروفة " بنزهة الأنظار في فضل علم التواريخ والأخبار"، ولكن على الرغم من ضخامة حجم الرحلة إلاّ أنَّ الحيز المخصص لشيوخه قليل جدا. والمُلاحظ أنَّه أهمل نصوص إجازاته، مخالفا في ذلك ما جرى عليه أصحاب الرحلات، الذين كانوا يوردون إجازاتهم ولو كثرت[5].

---

1 - سبقت ترجمة الورتلاني في ص: 62.

2 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ص: 418.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 394.

4 - الورتلاني، " نزهة الأنظار" الرحلة الورتلانية، ص- ص: 294- 297.

5 - عادة ما نجد الرحالة يوردون نصوص إجازاتهم ولو كثر عددها، فحتى العياشي الذي لم يورد إجازاته ضمن الرحلة، ذيلها بثبت صغير أوردها فيه. والواقع أنّه لولا كتب الرحلات لما وصلت إلينا أغلب الإجازت العلمية، ومنها الإجازات واردة في البحث.

تلقى الورتلاني جل إجازاته أثناء رحلته الأخيرة، والتي كان فيها قد بلغ مبلغ كبار العلماء، واشتهر بالتدريس بزاوية الأسرة بزواوة. ومع ذلك لا يذكر إن أجاز هو بدوره لعلماء المشرق. وكل ما ذكره أنّه ناقش كثيرا من العلماء هناك، واستطاع الانتصار عليهم، كالشيخ علي الصعيدي- وهو من كبار علماء الأزهر المالكية آنذاك – فقد حضر مجلسه في الفقه في "مختصر خليل بشرح الخرشي"، وكان الشيخ بصدد كتابة حاشية عليه، فباحثه في بعض المسائل الفقهية، واستطاع إقناعه بأوجه نظره، وقال الورتلاني في ذلك:" وبعد ذلك لا يكتب قولة على الخرشي إلاّ أن يُعلمني بالبحث فيها "[1].

هذا، وقد كتب له الشيخ علي الصعيدي إجازة في جميع العلوم، ولمّا إطَّلع على شرحه على الخطبة المسمى " بمقدمة شرح السنوسي على صغراه " أجازه في التأليف[2]. وكان الشيخ المُجيز من العارفين في علم الكلام- موضوع الكتاب المُجاز فيه- ومن مدرسي كبرى السنوسي في الأزهر. كما كان الورتلاني هو الآخر مُولعا بعلم التوحيد[3]. وقد وضع فيه بالإضافة إلى شرحه السابق الذكر، حاشية على شرح السكتاني المراكشي على صغرى السنوسي. بالإضافة إلى أنّه كان مدرسا بارعا فيه، ولهذا أعجب به طلبة الأزهر، وطلبوا منه جميعهم أن يقرئهم كبرى السنوسي[4]. كما أنَّه حضر مجالس الشيخ المنور التلمساني في كبرى السنوسي برواق المغاربة، وناقشه في جملة من المسائل في علم الكلام[5]. وبهذا فالمُجَاز والمُجيز كلاهما من العارفين بعلم الكلام موضوع الكتاب، وهو ما يعطي إجازته له بالتأليف مصداقية كبيرة.

---

[1] - الورتلاني، الرحلة، ص، ص: 286، 287.
[2] - الورتلاني، المصدر نفسه، ص: 287.
[3] - لهذا ناقش علماء الخنقة الذين لا يدرسون هذا العلم، وانتصر له، وبيَّن أنه ضروري لمعرفة الله سبحانه وتعالى. الورتلاني، المصدر نفسه، ص: 117.
[4] - اجتمع بطلبة الأزهر، وطرحوا عليه مسائل فيه، فلمَّا أعجبوا بإجابته طلبوا منه جميعهم أن يقرئهم كبرى السنوسي، فوعدهم بذلك، إلاّ أن ظروفا استجدت فعجلت بسفره. الورتلاني، المصدر نفسه، ص: 285.
[5] - الورتلاني، المصدر نفسه، ص- ص: 303- 311.

كان الورتلاني قد حضر بعض دروس الشيخ محمد البليدي[1] في الرسالة في حجته الأولى، وكرّرَ الاتصال به في حجته الثانية، فأجازه في العلوم كلها، وكتب له بذلك بخط يده. وزار العلامة الشيخ خليل المغربي في مسجد الحسين، وقرأ عليه " القطب على الشمسية" (التصورات والعكوس)، و"التناقض" بحاشية السيد عليه، فأجازه بخط يده في سائر العلوم. واتصل بالعلامة الشيخ أحمد بن عبد الفتاح الملوي، فأجازه هو الآخر في سائر العلوم. وأجازه أيضا الشيخ الإمام العمروسي[2].

وأخذ القراءات السبع إفرادا على الأستاذ أبي القاسم الربعي القسنطيني، بقراءته سورة الفاتحة، وسورة البقرة، فأجازه هو الآخر[3]. ويظهر أنَّها إجازة رواية بالقراءات القرآنية، لأنّ الإجازة التعليمية بالقرآن الكريم والقراءات القرآنية تتطلب قراءة القرآن الكريم كله، ولا يتحصل عليها الطالب إلا بعد إجراء امتحان[4].

كما تلقى إجازات علمية وصوفية من طرف علماء جمعوا بين علم الظاهر والباطن، فقد زار الشيخ علي الفيومي[5] وحصل منه على إجازة، ولا يستبعد أنَّها إجازة صوفية لأنّه من رجال التصوف، يُلَّقن أذكار الشيخ البدوي، ويُلبس الخرقة. ولمّا كان الشيخ الفيومي يكثر من عباراته في الغيب وغيره من أمور الكشف " أنكر عليه أهل زمانه ذلك... وكثر أعداؤه"، غير أنَّ الورتلاني لم ينكره عليه، وقال بأنَّه حقق منه الكشف[6].

---

[1] - أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي المالكي، الشهير بالبليدي (ت 29 رمضان 1176هـ/ 1762م): أخذ العلم عن أعلام منهم: محمد الزرقاني، وأحمد النفزاوي، وإبراهيم الفيومي وغيرهم. وأخذ عنه أعلام منهم: الصعيدي والدردير، وعلي بن عبد الصادق. له تآليف منها حاشية على شرح عبد الباقي الزرقاني. الجبرتي، عجائب الآثار، ج1، ص: 227؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 339.

[2] - الورتلاني، الرحلة، ص، ص: 285، 286.

[3] - المصدر نفسه، ص: 299.

[4] - حول كيفية تحصيلها ينظر المدخل، ص، ص: 18، 19.

[5] - أبو الحسن علي الفيومي المالكي (ت رمضان 1185هـ/ 1771م): شيخ رواق أهل بلاده، حضر دروس إبراهيم الفيومي، وعلي الصعيدي، وله في علم الكلام الباع الطويل. الجبرتي، المصدر السابق، ج1، ص: 288؛ مخلوف، المرجع السابق، ص: 341.

[6] - الورتلاني، المصدر السابق، ص، ص: 287، 288.

ومن شيوخ مصر الذين اعتبرهم الورتلاني بأنَّهم عمدته[1]: الشيخ عبد الوهاب العفيفي[2] والشيخ محمد الحفناوي. وكان الأول متصدر لتربية المريدين، فأخذ عنه الطريق، ورسم الحقيقة، ولقنه الذِّكر، وجدد عليه العهد في الطريقة الشاذلية. وأجازه إجازة مطلقة في سائر العلوم العقلية والنقلية، وأجاز أيضا ولده الصغير محمد، ولقنه الذكر على الطريقة الشاذلية[3]. وكذلك كان الشيخ محمد بن سالم الحفناوي، جامعا بين الحقيقة والشريعة. فحضر الورتلاني مجلس إقراءه، وتلقن منه الذكر على طريق أشياخه، وأذن له في الإعطاء والإذن، وأجازه في المعقول والمنقول، وكتب له ذلك بخط يده[4].

وهكذا فإن جل الإجازات التي حصل عليها الورتلاني "عامة لجميع العلوم"، استحقها بعد حضور وملازمة.

4- الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء المشرق والشيخين: أحمد بن عمار ومحمد أبي راس:

من العلماء الجزائريين المترددين على المشرق الشيخ أحمد بن عمار وتلميذه محمد أبي راس الناصري. فأمَّا الأول فقد رحل إليه[5] مرتين على الأقل، حيث حج في سنة 1166هـ/ 1752م[6]، وجاور بالحرم المكي حوالي اثني عشرة سنة[7]؛ وكان موجودا هناك في سنة 1172هـ /1758م[8]. ورجع إلى الجزائر بعد سنة

[1] - قال متحدثا عن الأول:" وعليه اعتمادنا "، ووصف الحفناوي " بشيخنا وعمدتنا ". وذلك لكونهما من أهل التصوف.

[2] - عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازي بن عبد القادر العفيفي المالكي البرهاني (ت 1172هـ): ولد بمدينة عفيف إحدى قرى مصر ونشأ بها، ودرس على علماء مصر كالشيخ سالم النفزاوي, ومحمد البليدي. الجبرتي، عجائب الآثار، ج1، ص، ص: 212، 213؛ المرادي، سلك الدرر، ج3، ص: 141.

[3] - الورتلاني، الرحلة، ص- ص: 288- 292.

[4] - الورتلاني، المصدر نفسه، ص، ص: 292، 293.

[5] - من غير الممكن الجزم بأنه كان من المهاجرين نهائيا، لأنّ حياته لا تزال غامضة في نهايتها على الأقل. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص، ص: 430، 431.

[6] - أكد وجوده بالقاهرة في هذه السنة زميله الشيخ حسين الورتلاني؛ الذي قرأ معه على الشيخ خليل المغربي في مسجد الحسين . الورتلاني، المصدر السابق، ص: 286.

[7] - لم تكشف المصادر المتوفرة عمّا إذا بقي من سنة 1166 هـ إلى سنة 1172هـ مجاورا بمكة، أو أنه رجع إلى الجزائر، ثم حج من جديد. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص: 226.

[8] - فهرس الفهارس، الكتاني، ج1، ص: 122.

1178هـ، وتوّلى بها فتوى المذهب المالكي سنة 1180هـ[1]. ثم سافر ابن عمار إلى تونس للاستيطان سنة 1195هـ/ 1780م، وكان في سنة 1205هـ/ 1790م بالمشرق[2]. والغالب أنَّه لم يعد إلى الجزائر، وظل مجاورا إلى وفاته، حيث ذكر تلميذه محمد أبو راس أنَّه توفي بالحرمين[3].

وكغيره من العلماء أفاد واستفاد ابن عمّار بالمشرق، وأخذ على علمائه، وأخذوا عنه. ومن تلامذته الذين أجازهم هناك: الشيخ عبد الوهاب المكي الهندي، وهي من بين إجازاته التي اصطبغت بالصبغة الأدبية[4]، والشيخ محمد خليل المرادي[5]، صاحب "سلك الدرر" الذي حرر له الإجازة في أواخر ذي الحجة من عام 1205هـ/ 1790م، وأجازه فيها بهذه العبارة: "هذا، وقد أجزت السيد المُسْتجيز المُجاز، رجل الحقيقة لا المَجاز، مفتي الشام، والغيث الذي تستمطر بروقه وتشام، السيد محمد خليل المذكور أعلاه، دام فضله وعلاه "[6]. وذلك بعد أن ذكر ثلاثة من شيوخه المشارقة. والملاحظ أنّه لم يبين ما أخذ عليه المرادي، ولا بما أجازه، فهي إجازة رواية.

أمَّا تلميذه الشيخ محمد أبو راس الناصري فقد حج مرتين: الأولى عام 1204هـ/ 1790م، والثانية عام 1226هـ/ 1812م، وزار الشام، ومصر، وفلسطين[7]. واتصل هناك بالعديد من العلماء ذكرهم في كتابه " فتح الإله ومنته،

---

1 - تولى الفتوى المالكية سنة 1180هـ/ 1766م، وعزل منها في نفس السنة، ثم ولي بها من جديد في نفس السنة، ومكث بها إلى سنة 1184هـ/ 1770م.
Albert Devoulx ;"Les Edifices Religieux de l’ancien Alger" , R-Af, N° : 10, Année : 1866,pp: 375-376 .

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 229.

3 - فتح الإله ومنته، ص: 49.

4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 185.

5 - محمد خليل بن علي المرادي، البخاري الأصل، الدمشقي المولد والوفاة (ت 1206هـ/1791م): مفتي الحنفية بدمشق، ونقيب الأشراف بها. من مؤلفاته: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، وعرف البشام ممن ولي الفتوى بالشام، وتحفة الدهر نفحة الزهر في أعيان المدينة من أهل العصر. عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار، ج2، ص، ص: 99، 100؛ صلاح الدين المنجد، المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني، ص: 73.

6 - أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983. ص، ص:67، 68؛ نصها في الفصل الرابع، ص: 240.

7 - سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ص: 461.

في التحدث بفضل ربي ونعمته"[1]. ويظهر أنّه لم يكن يرجع إلى الجزائر فور أداءه الفريضة، بل يستقر هناك مدة، تُمَّكنه من الاتصال بالعلماء والأخذ عنهم. حيث دامت رحلته الأولى ما يقرب من سنة[2]، اتصل خلالها بأكابر العلماء وحصل على إجازاتهم.

ومن العلماء الذين أخذ عنهم وأجازوه شيخ المالكية محمد الأمير[3]؛ الذي وصفه في إجازته له "بالحافظ". وقرأ على العلامة عبد الله الشرقاوي الشافعي[4] شيخ الأزهر، فأجازه ولقبه في إجازته له " بشيخ الإسلام ". كما رحل إلى ينبع البحر وروى عن الشيخ عمارة العلاف الينبعي بعض صحيح البخاري وأجازه بالباقي، ثم رحل إلى أم القرى، والتقى بمفتي الحنفية بها الشيخ عبد المالك الشامي القلعي[5]، فقرأ عليه نبذة من الكنز، وشيئا من التفسير في سورة النور، وأجازه بالباقي[6].

وأثناء عودته إلى الجزائر من رحلته الأولى اتصل في مصر بالشيخ مرتضى الزبيدي، وقرأ عليه أوائل الصحيحين، و"رسالة القشيري[7]"، و"مختصر العين"، و"مختصر الكنز الراقي"، وأجازه بالباقي. ثم كتب له الإجازة وبعضها:" إنِّي أجزت الفقيه العالم المتفنن الحافظ فلان " إلى أن قال:" ذاكرني في فوائد جمة،

1 - مواضع متعددة من فتح الإله مثلا: 58- 65.

2 - كان في شهر شعبان من سنة 1205هـ في طريق العودة إلى الجزائر، بعد أخذه بمصر على علماءها. الناصري، فتح الإله، ص: 59.

3 - أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأزهري، الشهير بالأمير (1154- 1232هـ/ 1741- 1816م): أصله من مازونة بالجزائر، وكان أهله قد رحلوا إلى مصر. وهو من أبرز فقهاء المالكية في عصره. درس عن الصعيدي، والبليدي وغيرهما، أخذ عنه الكثير من العلماء كالدسوقي وأحمد الصاوي. له ثبت أتى فيه بتفصيل رواياته عن مشايخه، من مؤلفاته أيضا المجموع وشرحه، وحاشية عليه وحاشية على شرح الزرقاني على المختصر. مخلوف، شجرة النور، ص، ص: 362، 363. الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص، ص: 133، 134.

4 - عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشافعي الأزهري الشهير بالشرقاوي (1150- 1227هـ): قرأ على علماء الأزهر، وتولى مشيخته. من مؤلفاته: شرح العقائد المشرقية، وشرح رسالة عبد الفتاح العادلي في العقائد، ومختصر الشمائل وشرحه. الجبرتي، عجائب الآثار، ج3، ص- ص: 264- 268.

5 - عبد الملك بن عبد المنعم بن تاج الدين القلعي الحنفي (ت 1229هـ/ 1814م): أقام بمكة، وأفتى بها. من مؤلفاته: الكواكب الدرية من فتاوى القلعية، بلوغ القصد في تحقيق مباحث أحمد. البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص:628؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص: 319.

6 - محمد أبو راس، فتح الإله ومنته، ص- ص: 116- 118.

7 - الرسالة القشيرية في التصوف للمحدث الصوفي عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة القشيري، (376- 425). البغدادي، المرجع السابق، ج1، ص، ص: 607، 608.

وذكرني بمطالب مهمة ". وقد أعجب أبو راس بإنصاف شيخه قائلا ": أنظر إلى هذا الإنصاف الجميل الأوصاف، الذي اتصف به... من أنَّ مثلي يذكره بالمسائل"[1].

5- إجازات بعض علماء الأزهر للشيخ حمودة بن محمد المقايسي:

كان للشيخ حمودة بن محمد بن حمودة المقايسي الجزائري[2] رحلة علمية إلى المشرق[3]. ولكن لا نعرف تاريخها ولا مدتها؛ إلاّ ما وُجد بخط يده في أواخر بعض الكتب، يثبت قراءتها بالقاهرة على بعض مشايخ الأزهر. منها ما وُجد على آخر نسخة بخط يده من " الحكم لابن عطاء الله الإسكندري"[4]، يؤكد فيها أنَّه ابتدأ قراءته بالجامع الأزهر على الشيخ الأمير في الفاتح من شهر رمضان، وختمه عليه في اليوم الثاني والعشرين منه، وذلك سنة 1203هـ. ومنها أنَّه قرأ " شرح القطب الرازي على الشمسية " في شهر شعبان من سنة 1204هـ/ 1789هـ[5].

كما أثبت في آخر ورقة من " تقرير القوانين" الكتاب المعروف في آداب البحث والمناظرة، بأنَّه طالعه مع الشيخ حسن بن محمد العطار الشافعي الأزهري[6] بمنزل هذا الأخير، الكائن بالمشهد الحسني تجاه مسجد الحسين، وكان الفراغ منه في أواخر ربيع الثاني من سنة 1212هـ[7].

---

[1] - محمد أبو راس، فتح الإله ومنته، ص، ص: 59، 116.

[2] - سبقت ترجمته، ص: 66.

[3] - لم يستقر المقايسي هناك، مفضلا العودة إلى مدينة الجزائر، وأصَّر على ذلك حتى عندما عرض عليه أهل تونس الإقامة بينهم، لمباشرة التدريس هناك ويقومون بكل ما يحتاجه. ولكنه لم يتول أية وظيفة بها. فقد وجد بخطه متحدثا عن عودته قائلا:" فوجدت فيها علماء أصحاب جاه، وكان في ذلك الوقت لا يسود إلاّ من يتردد على أصحاب المملكة، فكنت أتعيش بالصنعة، وأكلت كتبي"، أي باعها. الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 150.

[4] - الحكم العطائية لأحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري (ت 709هـ/ 1309م). كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص: 274.

[5] - الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص، ص: 149، 150.

[6] - حسن بن محمد المصري المكنى بأبي السادات المشتهر بالعطار (1180 - 1250هـ): وقرأ بالأزهر على شيوخ كثيرين منهم: محمد عرفة الدسوقي الكبير، والشيخ الأمير الكبير، وعلي بن محمد قبان وغيرهم، وأجازه مشايخه. من تآليفه: حاشية على الأزهرية، وحاشية على شرح قواعد الإعراب. عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، ص، ص: 87، 88.

[7] - الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 150.

من خلال هذه النصوص يتأكد لنا أنَّه كان بالقاهرة في السنوات الثلاث المذكورة، ولكن لا نعلم إن مكث بها كل هذه المدة، أي بين التاريخ الأول والثاني (1203هـ و1212هـ) وهي مدة حوالي تسع سنوات، أو أنَّه عاد إلى الجزائر ليرحل إليها من جديد. وتؤكد هذه النصوص أيضا أن دراسته بالأزهر كانت دراسة فعلية هدفها تلقي العلم، وليس تحصيل الرواية فقط.

وأثناء المدة التي مكث فيها هناك قرأ على مشايخه جملة من الكتب في فنون متعددة كالموطأ، والشفا للقاضي عياض، وسنن ابن ماجة، وسنن أبي داود، وجامع الترميذي، وسنن النسائي[1]، والقطب بحاشية عبد الحكيم[2]، والمطول والعقائد النسفية[3]، مع مراجعة حواشي عبد الحكيم[4].

وقد أجازه الشيخ حجازي بن عبد المطلب العدوي المالكي[5]، والعلامة الشيخ محمد الأمير بثبته وبغيره سنة 1205هـ/1790م. كما أجازه عامة الشيخ مرتضى الزبيدي وكتب إجازة بخطه وحلاَّه فيها " بالشيخ الصالح، الوجيه الورع، الفاضل المُفيد، السيد الجليل، والماجد النبيل"، وذكر أنه أسمعه حديث الأولية بشرطه، حيث لم يسمعه أحد، ثم عمَّمَ له الإجازة، وبخصوص مؤلفاته قال بأنَّها نافت عن مئتين إلى وقت تسطيره[6].

ونظرا لتفوق المقايسي أذِنَ له شيوخه في الأزهر بالإقراء، كالشيخ حسن العطار والشيخ محمد الدسوقي المالكي[7]، والشيخ محمد بن علي المعروف

---

1 - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 209.

2 - الملا عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السلكوتي (ت 1067هـ). المحبي، خلاصة الأثر، ج2، ص، ص: 318، 319.

3 - المطول وهو شرح لمختصر القزويني في البلاغة، والعقائد النسفية في توحيد الماتوردية وهما للتفتزاني، وقد سبقت ترجمه في ص: 125.

4 - الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 150.

5 - أخذ عن الشيخ أمير وغيره. له عدة مؤلفات منها: حاشية على مجموع الشيخ أمير. مخلوف، شجرة النور، ص: 364.

6 - الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 345.

7 - محمد بن أحمد بن عرفة (ت 1230هـ/ 1814م): الدسوقي نسبة إلى بلده دسوق من قرى مصر، حضر مصر، وقرأ على شيوخها كالشيخ علي الصعيدي، والدردير، وحسن الجبرتي. من مؤلفاته: حاشية على مختصر السعد، حاشية على كبرى السنوسي. الجبرتي، عجائب الآثار، ج3، ص: 349؛ مخلوف، شجرة النور، ص، ص: 361، 362.

بالصَّبان[1]، والشيخ محمد الأمير[2]. ولكن لا نعرف طبيعة هذا الإذن، فهل هي تزكية منهم له في مباشرة التدريس، أم كتبوا له بذلك إجازات تدريس، كما هو متعارف في هذا النوع من الإجازات.

وهناك إجازة تعليمية كتبها له الشيخ محمد الدسوقي المالكي، بعد قراءته عليه " شرح القطب الرازي على الشمسية"؛ فقد وُجد في آخر الكتاب المذكور نصين، الأول بخط المقايسي ورد فيه بعد الحمدلة والتصلية:" ختم هذا الشرح النفيس... تدريسا وتحقيقا، وتدقيقا وتنميقا، على حضرة أستاذنا خاتمة المحققين، صدر الأعلام المدرسين... مولانا الشيخ محمد المعروف بالدسوقي... في يوم الاثنين المبارك، السادس والعشرين من شهر شعبان سنة 1204هـ"[3].

والثاني إجازة بخط شيخه محمد الدسوقي المذكور، ورد فيه بعد الحمدلة والتصلية:" فقد لازمني في حال قراءتي لهذا الشرح، السيد الفاضل اللوذعي الكامل " إلى أن قال:" وبحث وأجاد ولازم واستفاد، وطلب مني إجازة بذلك، ظنًّا منه أنِّي أهلا لها، فأجبته راجيا من الله تعالى أن يُحقق ذلك، قائلا: قد أجزته به، وبغيره ممّا تلقيته عن أشياخي من منقول ومعقول، وفقه وأصول"[4]، وذيلها بختمه.

6- الإجازات المتبادلة بين الشيخ مرتضى الزبيدي والعلماء الجزائريين:

يُعَّد الشيخ مرتضى الزبيدي الحنفي أشهر المسندين المتأخرين، لتميزه عن غيره من العلماء بطريقته في تدريس الحديث الشريف. فقد شرع إملائه على طريق السلف في ذكر الأسانيد، والرواة المخرجين على طرق مختلفة. فكان كل من قدم له يُملي عليه الحديث المسلسل بالأولية، وهو حديث الرحمة برواية مخرجيه، ويكتب له سندا وإجازة وسماع للحاضرين. ولذلك اشتهر أمره عند الخاصة والعامة، ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم، وعملوا من أجله ولائم فاخرة، فكان يذهب إليهم مع

---

[1] - محمد بن علي الصبَّان الشافعي المصري (ت 1206هـ): حضر على مشايخ مصر كأحمد الجوهري والبليدي. من تآليفه:حاشية على الأشموني، وحاشية على شرح العصام على السمرقندية. الجبرتي، المصدر السابق، ج2، ص- ص: 96- 98.

[2] - نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص: 209.

[3] - الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 149.

[4] - الحفناوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 148.

خواص الطلبة، والمقرئ، والمستملي، وكاتب الأسماء. فيقرأ لهم شيئا من الأجزاء الحديثية كثلاثيات البخاري، والدرامي، أو بعض المسلسلات بحضور الجماعة، وصاحب المنزل، وأصحابه، وأحبابه، وأولاده، وبناته ونسائه من وراء الستائر، وبين أيديهم مجامر البخور مدة القراءة ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم-، ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين والتاريخ، ويكتب الشيخ تحت ذلك «صحيح ذلك»[1]. وكانت هذه طريقة المُحَّدِثين في القرون الإسلامية الأولى. هذا ولم يقتصر تدريسه للحديث على الرواية، بل انتقل إلى الدراية[2].

كما ارتفع شأنه عند أرباب الدولة في مصر، وطار ذكره في الآفاق، وكاتبه الملوك من الترك والحجاز، والهند والشام، وملوك المغرب والجزائر[3] وغيرها، وكثرت عليه الوُفود من كل ناحية، وترادفت عليه الهدايا والصلات[4]. وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة، فكانوا في أيام طلوع الحج ونزوله يتزاحمون على بابه من الصبح إلى الغروب، وكان لهم فيه اعتقاد زائد، ولذلك قال الجبرتي:" وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى، حتى أنَّ أحدهم إذا ورد مصر حاجا ولم يزره، ولم يصله بشيء لا يكون حجه كاملا "[5].

وكان الجزائريين من جملة أهل المغرب الإسلامي الذين اتصلوا به، حكاما ورعية. فتبادل الإجازات مع العلماء منهم. وأخذ الشيخ مرتضى الزبيدي عن الشيخ محمد المنور التلمساني نزيل مصر وحصل على إجازة منه [6]. ومن شيوخه الذين أجازوه مكاتبة من الجزائر مفتي عنابة الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الحسني الشهير بزروق، وذلك سنة 1179هـ/ 1765م[7]. وأجازه مكاتبة أيضا الشيخ أحمد

---

1 - ينظر إجازات السماع في المدخل، ص: 15.

2 - الجبرتي، عجائب الآثار، ج2، ص، ص: 75، 76.

3 - في " الثغر الجماني" لابن سحنون جوابا من الشيخ مرتضى لباي وهران محمد الكبير بتاريخ جمادى الأولى 1201هـ/1786م، كرد على رسالة بعث بها له هذا الأخير. ص، ص: 149، 150.

4 - الجبرتي، المصدر السابق، ج2، ص: 76.

5 - الجبرتي، المصدر نفسه، ج 2، ص: 77.

6 - العيد مسعود، " العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق خلال العهد العثماني "، ص: 51.

7 - الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 238.

البوني[1] وهو غير الشيخ أحمد التميمي البوني المشهور. كما أجازه من قسنطينة الشيخ عبد القادر الراشدي، وقد ترجم له الزبيدي في معجمه وحلاَّه "بشيخنا الإمام المحدث الصوفي النظار"[2].

ونشر الشيخ مرتضى الإجازة بين المعاصرين له ومنهم الجزائريين، وفي هذا يقول أبو القاسم سعد الله:" كان لمحمد مرتضى الزبيدي تأثيرا على علماء الجزائر بطريق الإجازة"[3]، فقد أجازهم فرادى وجماعات، وله إجازة عامة لأهل الراشدية، وأخرى لأهل قسنطينة تقع في مجلد صغير[4].

أمَّا طريقته في الإجازة، فاشترط أن يقرأ عليه المُجاز أوائل الكتب التي يجيزه بها. من ذلك ما قاله لبعض علماء الأزهر لما طلبوا منه الإجازة:" لا بد من قراءة أوائل الكتب"[5]. وهي نفس الطريقة التي أجاز بها العلماء الجزائريين، فقد روى عنه الشيخ حمودة المقايسي وهو من مسندي الجزائر، وأجازه عامة، وكتب له ذلك بخط يده[6]. كما اتصل به الشيخ محمد أبي راس، وحصل على إجازة منه[7]. وجمع هذا الأخير فهرسة في أسانيد شيخه سماها " السيف المنتضى في أسانيد الشيخ مرتضى"[8].

وكان الشيخ أحمد بن عمَّار ممَّن ترددوا على مصر في أيام شهرة الشيخ مرتضى، ولهذا لا يستبعد أن يكون قد أجاز له أيضا، ولغيره من علماء الجزائر الجزائر الذين ترددوا على مصر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر[9].

ومن العلماء الذين أجازهم الشيخ مرتضى أيضا: شيخ الجماعة بمستغانم محمد بن الجندوز، والسيد مصطفى بن عبد القادر الراشدي، والسيد عبد القادر بن

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 47.
[2] - الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص: 239.
[3] - تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 51.
[4] - الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص: 538. وذكر أنه يملك نص إجازته لأهل قسنطينة.
[5] - الجبرتي، عجائب الآثار، ج2، ص: 75.
[6] - الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص: 345.
[7] - محمد أبو راس، فتح الإله ومنته، ص، ص: 115، 116.
[8] - بشير ضيف بن أبي بكر، معلمة التراث الجزائري، ج2، ص: 115.
[9] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 51.

دح الراشدي، ومحمد السنوسي وابن سعد التلمساني[1]. هذا ولا تزال بعض الأسر العلمية ببني يعلى العجيسي تحتفظ بإجازاته لبعض تلامذته منهم[2].

ولم تقتصر علاقاته بعلماء الشمال، وإنّما تعدت ذلك إلى علماء الجنوب، منهم علماء بلدة آقبلي (من عمالة توات)؛ التي ذكرها الزبيدي في مصنفه " معجم المشايخ"، وترجم لبعض أعيانها كرئيس ركب الحج التواتي الشيخ أبي نعامة الكنتي شيخ الزاوية القادرية الكنتية الملقب بالبكاي، وحلاَّه بالوَّلي الصالح وأثنى عليه وأجازه عندما قدم القاهرة في سنة 1197هـ[3].

7- إجازات الشيخ ابن العنابي لبعض علماء المشرق:

كان الشيخ محمد بن محمود العنابي الحنفي[4] من المترددين على المشرق. فقد قصد بيت الله الحرام في سنة 1236هـ/ 1820م، وأدَّى الفريضة، وأقام يُدّرس ويُفيد بالأزهر لمدة تسع سنوات. وأثناء إقامته هناك حج ثلاث مرات[5]، ثم رجع إلى الجزائر، وحلَّ بها في سنة 1245هـ[6].

إثر وقوع الجزائر في قبضة المحتل الفرنسي سنة 1246هـ/ 1830م، كان الشيخ ابن العنابي من المُحَّمسين على الجهاد، ممَّا أدى إلى نفِيه[7] بالإسكندرية سنة

---

[1] - الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 540.
[2] - المهدي البوعبدلي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الجماني، (من مقدمة التحقيق)، هامش: 2، ص: 69.
[3] - حماه الله ولد سالم، " دور ركاب الحاج والأوقاف في التواصل بين المجال الشنقيطي- السوداني مع المشرق العربي"، ص: 41.
[4] - سبقت ترجمته في ص: 49.
[5] - عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، ص، ص: 187، 188.
[6] - يذهب عبد الحميد بيك (المصدر نفسه، ص: 188) إلى أنّ والي الجزائر حسن باشا بعث في طلبه في سنة 1245هـ، وأرسل له بسفينة مخصوصة، فتوجه بها إلى الجزائر في التاريخ المذكور. ولكن الأصح هو ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله (المفتي الجزائر ابن العنابي، ص: 29) انطلاقا من بعض الوثائق المتواجدة بالمكتبة الوطنية بتونس، من أنّ ابن العنابي حل بهذه الأخيرة في أواخر سنة 1244هـ، وظل بها فترة من الزمن، وكان بالجزائر في بداية سنة 1245هـ. فلو عاد في سفينة مخصوصة لما نزل بتونس ومكث بها مدة من الزمن.
[7] - تذهب أغلب الروايات إلى أنه سُجن من طرف كلوزيل، ثم نفي إلى مصر بين سنتي 1830م و1831م، بينما يذهب عبد الحميد بيك إلى أنه أصبح معرضا للخطر، بعد الوشاية به إلى السلطات الفرنسية، ولذلك خاف على نفسه وتوجه إلى الإسكندرية. أعيان من المشارقة والمغاربة، ص، ص: 188- 189.
أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائر، ص: 33- 35.

1831هـ، وفي السنة نفسها وُلي بها إفتاء الحنفية، فظل على ذلك إلى سنة 1266هـ/1849م[1].

وخلال تواجده بالقاهرة تصدر الشيخ ابن العنابي لتدريس الحديث الشريف والفقه بالجامع الأزهر، حيث التف حوله تلاميذ وعلماء فأجازهم. فكان من تلامذته الذين أجازهم في رحلته الأولى الشيخ إبراهيم بن علي الشهير بالسقا[2]، في الخامس من شهر شعبان سنة 1242هـ/ 1826م. وممَّا جاء في إجازته له:" وقد قرأ عليَّ الشيخ الإمام الفاضل ابن الحسن إبراهيم بن علي بن حسن المعروف بالسقا... جُل صحيح البخاري إلى باب الإحتباء من كتاب اللّباس، وسمع ذلك الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن يوسف القتباني إمام الجامع الأزهر، والشيخ الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن عثمان الدمياطي الغمراوي الشافعي... والشيخ أبو الحسن إبراهيم بن حسن الكردي الشافعي..."، كما ختمها بقوله:" قال هذا وكتبه: الفقير إليه سبحانه محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري الحنفي الشهير ببلده بابن العنابي... بتاريخ خامس شعبان سنة 1242هـ"[3]. فهي إجازة قراءة لإبراهيم السقا، وسماع للحاضرين حين قراءته عليه.

كما كتب في شهر رمضان من نفس السنة إجازة عامة للشيخ عبد القادر الرافعي، بعد أن قرأ عليه أوائل كتب الحديث وغيرها. وهي كالسابقة إلاَّ في بعض التفاصيل[4]. وقد ذيل الإجازة بختمه[5].

---

[1] - عبد الحميد بيك، المصدر السابق، ص- ص: 188- 190.

[2] - أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن حسن السقا الشافعي (1212- 1298هـ/ 1797- 1880م): ولد بالويداري بالقاهرة. من أعلام مصر ومسنديها يروي عن الأمير الصغير، وثعيلب الضرير وهو أعلى شيوخه إسنادا، ومحمد صالح الرضوي البخاري، وإبراهيم الرياحي. له عدة مؤلفات منها: حاشية على فضائل رمضان للأجهوري، ورسالة في الطب النبوي، وبلوغ المقصود مختصر السفر المحمود في تأليف العساكر والجنود، وأشهر مؤلفاته حاشية على تفسير أبي السعود. الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص، ص: 131، 132؛ المرجع نفسه، ج2، ص: 1006؛ عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ، ج1، ص: 121.

[3] - أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري ابن العنابي، ص: 36.

[4] - أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري، ص: 37.

[5] - يحمل الختم عبارة " منتظر لطف الودود عبده محمد بن محمود 1232"، ولكن التاريخ الذي يحمله الختم، ليس تاريخ الإجازة، لأن ابن العنابي كان في هذا التاريخ قاضيا للحنفية بالجزائر، ولتأكيد أبو القاسم سعد الله بأنها كانت سنة 1242هـ. ينظر الفصل الثاني، ص: 148.

8- إجازات علمية متفرقة خلال القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين:

يعتبر القرنان الثاني والثالث عشر الهجريين من أكثر فترات تواجد العلماء الجزائريين بالمشرق، سيّما مصر. فكان ممّن اشتهر بها الشيخ أبو العباس الجزائري[1]، المعروف بأبي العباس المغربي. دخل مصر صغيرا، ولازم الشيخ علي الصعيدي، وتفقه عليه، فأذن له في التدريس، وصار يقرئ الطلبة في الأزهر، وراج أمره لفصاحته، وجودة حفظه[2].

إنَّ ملازمته للشيخ علي الصعيدي لابد أن تُتَوّج بإجازات علمية تعليمية، كما جرت العادة بذلك، سيّما وأنّه كان يرى فيه كفاءة تؤهله للتدريس، ولذلك أذن له فيه. فهل هذا الإذن هو إجازة في التدريس، كتب له بها، أم هو مجرد تزكية وإذن شفهي؟. هذا ما لم يُبَيِّنه الجبرتي.

ودامت إقامة الشيخ علي بن عبد القادر المشتهر بالابن الأمين المالكي[3] حوالي ثمانية عشر سنة بمصر، أخذ فيها المعقول والمنقول على أجلة العلماء هناك. ومن جملتهم: عبد الله المكلكسي الراوي، والشهاب الملوي، والشيخ أحمد الجوهري، والشمس محمد بن سالم الحنفي، والأستاذ علي الصعيدي العدوي، وأحمد بن محمد الدردير، والشيخ حسن الجبرتي، والشيخ محمد بن أحمد الجوهري الصغير[4]، والشيخ محمد الأمير الكبير[5].

كما وُجِد في "عمدة الأثبات " أنّ ممَّن أجاز له: الشمس محمد بن سالم الحنفي، والشيخ أحمد الملوي، والشيخ عبد الله الشبراوي الشافعي[6]، وأحمد

---

1 - أبو العباس المغربي (ت 1202هـ/ 1788م): أصله من صحراء عمالة الجزائر. نزل مصر، وأخذ على علمائها، وحج سنة 1182هـ، وجاور بالحرمين لمدة سنة، فلازم بها دروس الشيخ أحمد السندي، ثم عاد إلى مصر، وتولى نظر المدرسة الجوهرية. الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص، ص: 30، 31.

2 - الجبرتي، عجائب الآثار، ج2، ص: 44.

3 - سبقت ترجمته في ص: 49.

4 - محمد بن أحمد بن حسن، الشهير بابن الجوهري (1151- 1215هـ): هو أحد أبناء الجوهري الثلاثة، وهو أصغرهم، درس على والده، وعلى الملوي. ودرَّس بالمدرسة الأشرفية، وحج سنة 1187هـ، وجاور سنة، وعقد دروسا بالحرم. الجبرتي، المصدر السابق، ج2، ص- ص: 307- 309.

5 - عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، ص: 150.

6 - أبو محمد عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين القاهري الشافعي الشهير بالشبراوي (1091- 1072هـ): من شيوخه: محمد الخرشي، وخليل بن إبراهيم اللقاني. تولى مشيخة الجامع الأزهر.

الجوهري[1]. المعروف بالجوهري الكبير، فقد اشتهرت روايته عن هذا الأخير. والذي صرح به هو أنَّه قرأ عليه واستجازه فوعده بالكتابة، واخترمته المنية فأجازه ولده[2]. وكان ابن الأمين قد درس على ابنه محمد المعروف بالمعروف بالجوهري الصغير، فهو الذي أجازه إذن.

وقد أخذ الشيخ محمد بن عبد الله الجلالي الراشدي هو الآخر على علماء المشرق. وذكر في إجازته لعبد القادر الراشدي ممّن أجازوه من أهل مصر: الشيخ الدمنهوري، والشيخ محمود الكردي. وبالمدينة المنورة الشيخ السَّمان[3] وغيرهم[4].

حجّ الشيخ العلامة زين العابدين بن عبد القادر المشرفي المعروف بابن عبد الله سقط، ولقي شيوخا أخذ عنهم وأخذوا عنه، وله فهرسة تشهد بذلك[5]. وحصل هناك على إجازات كثيرة أغلبها عامة. منها إجازة الشيخ محمد الأمير، وقال فيها:" أجزته وجميع من ذكر، بما ذكر وما طلب". وإجازة الشيخ محمد بن محمد الأنصاري المدني، الذي أجاز له ولأولاده وتلامذته عموما. وإجازة الشيخ عمر بن عبد الرسول العطار المكي[6]، وهو الآخر أجاز له، ولأولاده ممن وجد ومن سيوجد، وأجاز له حسن بن علي القويسْني[7] ولأولاده الموجودين، ومن سوف يوجد وتلامذته، ومن يطلب الإجازة منه[8]. والهادي بن محمد الحسني، ومحمد بن حسن الميقاتي الإسكندري المالكي، ومحمد سعيد الملقب بدرويش القادري، الشيخ

من مؤلفاته: ديوان شعر مسماه " بمنائح الألطاف". المرادي، سلك الدرر، ج3، ص: 106.

[1] - أحمد بن الحسن بن عبد الكريم بن يوسف الكريمي الشافعي الأزهري (1096- 81 أو 1182هـ / 1768م): المعروف بالجوهري الكبير، لإنجابه لأبناء علماء تصدر بعضهم للتدريس في حياته. درس بمصر والحرمين، وله ثبت تضمن خصوص إجازاته الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 303.

[2] - عبد الحي الكتاني، المصدر نفسه، ج2، ص: 785.

[3] - شمس الدين محمد بن سعيد بن محمد الحنفي الدمشقي الشهير بالسمَّان (ت 1173هـ): زار مصر مرتين الأولى: سنة 1144هـ، والثانية سنة 1172هـ، وزاحم علمائها وأدبائها. الجبرتي، عجائب الآثار، ج1، ص: 215.

[4] - المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، ص: 151.

[5] - المشرفي، « ياقوتة النسب الوهاجة »، ورقة: 12و.

[6] - عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكي الشافعي (ت 1249هـ): مسند مكة عمدته النور أبو الحسن علي الوناني المصري. الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 769.

[7] - حسين القريسني المالكي (ت 1250هـ): نسبة إلى قويسنة بلدة بمصر. جاور بالأزهر ودَّرس بالإسكندرية، وتولى قضاء بها. عبد الحميد بيك، أعيان من المشارقة والمغاربة، ص: 115.

[8] - عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 578.

الشهاب أحمد الصاوي[1]، والشمس محمد بن علي الشنواني، ومحمد صالح الرئيس الزمزمي المكي، ومفتاح الدين بن حسام الدين البخاري، والشهاب أحمد الدواخلي الشافعي المصري، له ولأولاده وكل من استجازه[2].

كما دخل الشيخ محمد بن علي السنوسي- هو الآخر- مصر والحجاز فروى فيهما عامة عن المحدث الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس، وهو عمدته في طريق القوم، وقاضي مكة عبد الحفيظ العجيمي، وعمر بن عبد الرسول العطار المكي. وأجازه بمصر الأمير الصغير، والنور القويسني، والشمس الفضالي، وحسن العطار، والبدر الميلي، والمعمر ثعيلب الضرير، والنور علي النجاري، والشهاب الصاوي وفتح الله السمديسي وغيرهم[3].

وقد تصدى الشيخ السنوسي للتدريس بالمشرق، ومن تلامذته هناك[4] مفتي الحنابلة بمكة العلامة محمد بن عبد الله بن حميد الشركي، فقد روى عنه الحديث المسلسل في أثناء لقاءه به. ثم لازمه عدة سنوات، وأجازه جميع ما تضمنه ثبته "البدور الشارقة فيما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة". قال محمد الحنبلي بأنَّ شيخه السنوسي كان يقرأ صحيح البخاري في شهر، وصحيح مسلم في خمسة وعشرين يوما، والسنن في عشرين يوم[5].

كما لازمه الشيخ فالح الظاهري[6] سبع سنين حضرا وسفرا، وأخذ عنه علمي الظاهر والباطن، والحديث الشريف رواية ودراية وغيرها. وقال في آخر أمره معه[1]:

---

1 - أبو العباس أحمد الصاوي (ت 1241هـ): أخذ على أئمة منهم: أحمد الدردير والدسوقي. له حاشية على تفسير الجلالين وغيرها. البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص، ص: 184، 185؛ مخلوف، شجرة النور، ص: 364.

2 - عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص: 578.

3 - عبد الحي الكتاني، المرجع نفسه، ج2، ص، ص: 1040، 1041.

4 - ابن السنوسي من نتاج العهد العثماني في الجزائر، ولكن علمه اشتهر خارجها، بعد الاحتلال الفرنسي، ولهذا لم أتوسع في إجازاته لتلامذته.

5 - عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص: 1043.

6 - محمد فالح بن محمد بن عبد الله بن فالح الظاهري المهنوي الحسني (1258- 1328هـ): من أهل المدينة المنورة، كان متبحرا في علم الحديث. دخل الأستانة أيام السلطان عبد الحميد فعينه لقراءة الحديث بالقصر السلطاني. من مؤلفاته: منظومة في اصطلاح الحديث وشرحها. عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ، ج2، ص، ص: 233، 234.

أجزتكم مروينا كلِّه وما سيؤثر عناّ راجيا لدعائي

من خلال ما تقدم نخلص إلى أنَّ الرحلات الحجازية لعبت الدور الأعظم في التواصل الفكري الثقافي بين الجزائريين وغيرهم من العلماء، بما كانت تفضي إليه من اتصال مباشر بين حجاج الأقطار، وبما كانت تجلبه من مؤلفات وتصانيف ومراسلات إخوانية، وإجازات واستجازات في مختلف الاتجاهات.

ويمكن التمييز بين نوعين من العلماء الجزائريين بالمشرق، المستقرين نهائيا منحوا الإجازات أكثر ممَّا تلقوا، وكثر تلامذتهم، وانتشرت إجازاتهم. أمَّا المهاجرين مؤقتا طلبا للعلم أو للحج، فقد تلقوا الإجازات أكثر مما منحوا. وعلى العموم فقد تلقى الجزائريون إجازات المشارقة أكثر ممَّا منحوهم.

[1] -عبد الحفيظ الفاسي، المصدر نفسه، ج2، ص: 234.

الفصل الرابع

نماذج من إجازات العلماء الجزائريين

I – خصائص الإجازة العلمية وقيمتها التاريخية

II– نماذج من الإجازات النثرية

III – نماذج من الإجازات النظمية

تشترك الإجازة العلمية في خصائصها العامة مع غيرها من العقود والوثائق والرسائل، وتنفرد عنها ببعض الخصوصيات الناتجة عن موضوعاتها؛ ولذلك فلا تكتمل الصورة حولها بدون عرض لنماذج منها.

I /- خصائص الإجازة العلمية وقيمتها التاريخية:

1- خصائصها:

من خلال الإجازات العلمية التي وقعت بين يدي - ومنها النَّماذج الواردة في هذا الفصل- توَّصلت إلى بعض خصائص الإجازة شكلا ومضمونا، أو من ناحية البناء والصِّياغة الأدبية.

أ– خصائصها من ناحية البناء:

يُقصد بالبنية أو « البنية النموذجية » تلك الوحدات والفقرات التي تتشَّكل منها الإجازة العلمية بنوعيها النثرية والنظمية(1). وعناصرها الأساسية هي:

1- مطلع الإجازة: ويشمل البسملة والحمدلة، والتصلية على النبي - عليه الصلاة والسلام-.
2- الإشادة بفضل العلم، وبالأخص العلم الذي تُمنح فيه الإجازة.
3- ذكر طبيعة العلاقة بالمُجَاز له، ومكانته العلمية.
4- تواضع الشيخ المُجيز قائلا بأنَّه ليس أهلا لمنح الإجازة.
5- الإقرار بالإجازة: ويتضمّن التصريح بها. وقد يُسبق أو يُتْبَع بسند مرويات المُجيز وشيوخه أو مؤلفاته.
6- ختم الإجازة: يُفْتتح عادة بعبارة « قاله وكتبه فلان »، « هذا خط فلان » أو ما شابهه، ليكتب المُجيز غالبا اسمه وتاريخ الإجازة، ويعقب ذلك بالصلاة على النَّبي المصطفى- عليه الصلاة والسلام-.

1 - هذه البنية تخص الإجازة بالرواية وإجازة القراءة بالدرجة الأولى – الأكثر تداولا في العهد العثماني – وهما تختلفان في بعض التفاصيل عن بقية الإجازات العلمية، حيث تُذَّيل الإجازة بالقرآن الكريم بشهادات العدول والقاضي، كما تُذَّيل الإجازة بالفتوى والتدريس في بعض الأحيان بشهادات العدول. واقتصرت على النوعين المذكورين، لأنَّني لم أتمكن من إدراج نماذج من بقية أنواع الإجازات.

هذا هو الهيكل الذي كان سائدا خلال العهد العثماني[1]، ولكن بعض تلك العناصر لم تتسم بالثبات والاستقرار، وإنَّما كانت تتغير، إمّا عن طريق التعديل أو الحذف أو التقديم والتأخير؛ وقد تتداخل هذه العناصر مع بعضها البعض.

وهناك بعض الاختلاف بين الإجازات النثرية والنظمية من حيث البنية. فقد كان الشيوخ يحتفظون بجل العناصر في إجازاتهم النثرية، مع خضوعها للترتيب. بينما لم يتقيدوا بها بشكل كبير في إجازاتهم النظمية، لأنّ ذلك يتم على حساب الوزن والأسلوب في بعض الأحيان.

فأمّا من حيث « المطلع »، فإنّنا نكاد نجد كل الإجازات النثرية تحتوي على البسملة والحمدلة والتصلية، في حين خلى منها عدد غير قليل من الإجازات النظمية. وقد أورد المقري الحمدلة والتصلية في عدد كبير من إجازاته، وافتتح أخرى بالتصريح بالإجازة مباشرة على هذا الشكل « أجزت فلان » أو ما شابهه. وافتتح إحداها بمطلع طللي، وهو ما نجده في إجازته للشيخ تاج العارفين التونسي. وقد كان الشيخ يحي الشاوي يقدم لإجازاته النظمية بمطلع نثري، لا يتجاوز سطرين.

وقد أشاد بعض المجيزين بفضل العلم، واستعرضوا فهارسهم وأسانيدهم وشيوخهم ومؤلفاتهم في إجازتهم النثرية، في حين أُهمل ذلك في جل الإجازات النثرية، وأكثر من اعتنى بذلك الشيخ أحمد المقري.

أمّا فيما يتعلق « بالإقرار بالإجازة » الذي هو محور الموضوع، فلا يمكن لأيِّ مُجيز الاستغناء عنه، وإلاّ لما سُمِّي النص إجازة. وقد خُتمت جُل الإجازات بعناية تامة لاحتوائها ولو بإيجاز على تاريخ الإجازة واسم المجيز. وممَّا انفردت به بعض الإجازات، تقديم وصية للمُجاز له بتقوى الله وبالأمانة العلمية، كما هو الحال في إجازت الشيخ محمد الجلالي لبعض تلامذته.

---

[1] - هذه البنية ليست وليدة العهد العثماني، ففي "صبح الأعشى" إجازات تعود إلى القرن 8هـ، تضم جل العناصر المُشار إليها. القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص- ص: 325- 330.

ب- خصائصها من ناحية الصِّياغة الأدبية:

يُقصد بالصِّياغة الأدبية تلك الأساليب المستخدمة في الإجازات العلمية. فقد كان جُل شيوخ الإجازة يُلِّمون إلماما كبيرا بأنواع من المعارف، أهمها العلوم الإسلامية، بالإضافة إلى براعة بعضهم البلاغية. ولهذا اكتسبت بعض الإجازات قيمة أدبية، والمتمثلة في تلك الصِّياغة البليغة التي صيغت بها، على الرغم من موضوعاتها العلمية المُتَّسِمة بالطابع الديني.

وقد تأثرت الإجازة من هذه النَّاحية بالعصر، وطُبعت بطابعه، واكتسبت خصائصه الأدبية. فقد سلك المُجيزون في إجازاتهم مسلك السهولة في اللّفظ والوُضوح في العبارات، وتجنَّبوا استعمال الكلمات الغريبة والمهجورة. كما امتازت معانيها وأفكارها بالسهولة والوضوح، وهي لذلك تبدو سطحية. وعلى الرغم من بعدها عن التكلف والتعقيد، فإنَّ حرص بعض الشيوخ على تحقيق الوزن والقافية في إجازاتهم النظمية، جعلهم يلجؤون إلى التركيب، فجاءت لذلك بعض عباراتها معقدة.

ونظرا لطبيعة الموضوع طغى على الإجازة الأسلوب الخبري، الملائم للإقرار بالحقيقة دون الإنشائي. ويُلاحظ في أساليب النَّماذج الواردة اعتراض بعض الجمل الدعائية التي يقتضيها المقام، خاصة الدعاء للمُجاز له بالتوفيق والسَّداد في أعماله.

وقد أَكْثَرَ المجيزون من الوصف المُتمَّثل في تحلية المُجاز له والثناء عليه، إذ يسترسل بعض الشيوخ في وصف المُجاز بكثير من الصفات، وهذا عند ذكره لأول مرة، ناهيك عن الصفات التي يذكرها كلما ذكر اسمه، ومهما يكن من أمر فإنَّ تلك الصفات الكثيرة قد تدخل في باب المبالغة في المدح، حيث أكثر بعض المُجيزين من استعمال صِّيغ المبالغة والتفضيل.

أمَّا على مستوى الجمل والألفاظ فإنَّه من الطبيعي أن تؤدي المعاني الجزئية التي يَنْبَني عليها الموضوع غرضا يخدمه. فالألفاظ الواردة في الإجازات تحمل معاني علمية ودينية. ومن أكثرها ورودا الاصطلاحات التالية: الرواية، الدراية، الإسناد، الفهرس، الاستدعاء وغيرها. وإذا انتقلنا إلى مستوى الجمل في بناء وحدة

الموضوع، نجدها جملا مُتشبعة بالمعاني الدينية، ولهذا استعان بعض الشيوخ في صياغة إجازاتهم بالقرآن الكريم والحديث الشريف، إقامة للحجة وإيضاحا للبرهان، وهذا الاقتباس إمّا أن يكون للاستشهاد أو يكون اقتباسا معنويا أو لفظيا، حيث يقتبس الكاتب التعابير والجمل من صيغة الآيات والأحاديث ومن معانيهما، وكان الشيوخ يحافظون دوما على سجعاتهم وهم يقتبسون، وهذا لإبراز مقدرتهم ومهاراتهم الفنِية. وبعبارة أخرى كانوا يقتبسون من الأسلوب القرآني والأسلوب النبوي ما يغذون به أسلوبهم مبنى ومعنى.

وأمَّا حين كان الشيخ يتجاوز أسلوب الحقيقة في التعبير عن أفكاره ومعانيه إلى أسلوب المجاز، نراه يعتمد في تلك الأفكار والمعاني على طائفة من الاستعارات والكنايات والتشبيهات. وقد تم توظيفها بشكل مُلفت للانتباه في بعض الإجازات النظمية، كما هو الحال في مطلع إجازة الشيخ سعيد المقري لأحمد بن القاضي، وفي مطلع إجازة الشيخ أحمد المقري لتاج العارفين. بينما لجأ إليه البعض الآخر في مواضع محددة وهي المدح والثناء على المُجاز له بالخصوص. أمّا في الإجازات النثرية فلم يُوَّظف البيان بشكل كبير، عدا الشيخ عيسى الثعالبي الذي أسرف فيه في إجازته لمحمد العيثاوي الدمشقي.

والمُلاحظ أنّ عددا قليلا فقط من الشيوخ هم الذين كتبوا إجازاتهم بكلام مرسل[1]، بينما لجأ آخرون إلى فنون اللُّغة والأدب، فخرجت إجازاتهم من الكتابة العادية إلى الكتابة الفنية، وذلك لاقت بعض الإجازات إعجابا من طرف العلماء، وربما كتبوا عليها تقاريظ كما فعل الشيخ أحمد المقري حين قرظ إجازة الشيخ العلمي لبعض أهل مصر[2].

1 - من الإجازات القليلة التي وردت بكلام مرسل: إجازة الشيخ محمد السعدي آبهلول للشيخ يحي الشاوي. الإجازة ضمن مجموع رقم: 335، مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية، ص، ص: 33، 34.

2 - أحمد المقري، الرحلة، ص: 84.

وقد اسْتُغِلَ علم البلاغة بشكل ملفت للانتباه، سِيّما الفنون البديعية، واتَّبع المُجِيزون الأسجاع الكثيرة[1]. وكانت الغاية منه إلى جانب الجناس تحقيق غاية صوتية، وهي إرضاء الحاسة الذوقية السمعية.

وأوَّل ما يسترعي النظر في أسلوب الإجازات النثرية - ومنها النماذج التي سوف نوردها- أنَّ جل عباراتها مسجوعة. فقد اهتم الكتاب في العهد المدروس بالألفاظ والأساليب، فأكثروا من الزينة اللفظية، والمحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق. ويبدو في الإجازات التصنع والتكلف لإظهار المقدرة اللغوية، فجاءت عباراتها مرسلةٌ سمحةُ حينًا، ومصنوعة متكلفة حينا آخر. فقد فُتِنَ الكتاب بالسجع الذي يُلازم الإجازة من أولها إلى آخرها، عدا الفقرة المخصصة لذِكر المشايخ، وسرد المرويات، فترد في أغلب الأحيان بأسلوب مرسل؛ خال تقريبا من الأسجاع.

أمَّا الإجازات النظمية فقد قلَّ فيها البديع. وقد لجأ الشيوخ إلى اختيار الأوزان الطويلة غالبا، بالإضافة إلى التزام جلهم بالقافية، ففي النماذج التي سوف نوردها نجد ثلاث إجازات مقفاة، إلاّ إجازة المقري لحنيف الدين المكي، حيث تخلى هذا الأخير عن القافية، ولكنّه جعل صدر كل بيت وعجزه ينتهيان بنفس الحرف، وهذا ما يعرف بالتصريع.

والحاصل أنَّ القيمة الأدبية للإجازة تكمن في استخدام بعض المُجيزين -على الأقل - الأساليب الراقية في إجازاتهم، وانتقاء فصيح الألفاظ، وصَوْغِهَا في عبارات بليغة. علماً أنَّ الإجازة ابنة بيئتها، فهي بالتالي مرآة للعصر الذي كُتبت فيه، ولملكة صاحبها في الشعر والأدب. فعادة ما تبرز إجازات الأدباء المهرة قطعًا نثرية فريدة، وكذلك ترد إجازات فطاحل الشعراء النظمية. أمّا بالنسبة للعهد العثماني، فالإجازة مرآة جلية له، حيث فُتن الكتاب والمصنفون آنذاك بالمحسنات البديعية،

[1] - بدأ الإسراف في استخدام المحسنات البديعية خلال العصر العباسي الثاني؛ أي منذ القرن 4هـ، وظل الكتّاب مفتونين باستعماله خلال العهد العثماني، حتى كانت عناوين مؤلفاتهم لا تخلو من السجع.

والتزام السجع، ونفس الشيء يُقال عن الإجازت النظمية، والتي لا يمكن تصنيفها ضمن الشعر القوي الذي حفلت به القرون الإسلامية الأولى.

2- قيمتها التاريخية:

تتجلى أهمية الإجازة العلمية كوثيقة تاريخية في جوانب عدة، فمن خلال خصائصها لمسنا تأثرها من ناحية الصياغة الأدبية بعصرها الذي فُتِنَ فيه الكتاب بالصناعة اللفظية. فقد فقدت اللغة في العهد العثماني عاملا كبيرا من عوامل نهضتها، ومصدرا مُهِما من مصادر قوتها، فدَّبَ في النثر دبيب الضعف، وفقد نضارته، وظل يزحف تحت وطأة التصنع والتكلف، والأمر لا يختلف عن النظم، الذي لجأ فيه الشعراء إلى التركيب في العبارات تحقيقا للوزن والقافية، فطبعت بطابع التعقيد. فالإجازة من هذه الناحية مرآة صادقة لعصرها الذي يعتبره المؤرخون والأدباء أضعف عصور الأدب العربي، وحسبنا أن نعلم أنَّ أسماء هذا العصر ظلت خاملة مغمورة. فالإجازة تعرِّفنا بمدى قدرة علماء الجزائر الأدبية في تحرير إجازاتهم.

أمّا قيمتها التاريخية من ناحية البناء: فهي شاهدة على تمسك علماء العهد العثماني بتراث العصور السالفة والمحافظة عليها، فقد كان الإنتاج الفكري فيه يسير على أنماطها، ورضي أصحاب الفكر باحتضان الموجود[1]. وهي شاهدة أيضا على مدى ارتباط العلماء الجزائريين بأقرانهم في المشرق والمغرب لعدم اختلاف إجازاتهم عنهم شكلا ومضمونا[2].

ولعَّل الجديد في العهد المدروس تَذْييل بعض العلماء الجزائريين إجازاتهم بالأختام، سيّما تلك التي تعود إلى القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الهجريين، وهو ما وُجد في إجازة المفتي المالكي أحمد بن عمار للمرادي، وإجازات

---

[1] - شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله، ج3، ص: 1651.

[2] - يكفي أن نستدل على تشابه إجازات العلماء الجزائريين بإجازات أقرانهم المشارقة والمغاربة بالإجازات التي تلقوها من هؤلاء، مثلا: « إجازة أحمد الصديقي المصري للمقري». المقري، رحلة المقري، ص-ص: 111- 116؛ « إجازة الشبراملسي المصري لعبد المؤمن ». ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص-ص: 33- 37، 40، 41؛ « إجازات بعض علماء المغرب لابن حمادوش ». ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش، ص- ص: 37، 38؛ 89-91؛ 258، 259.

القاضي الحنفي محمد بن محمود المعروف بابن العنابي لبعض تلامذته. والجدير بالذكر أنَّهما من متوليي الوظائف الدينية الرفيعة في الدولة[1].

والإجازة في حد ذاتها شاهدة على بروز أنواع جديدة منها كالإجازة بالتأليف؛ التي يغلب على الظن أنّها وليدة العهد المدروس. وقد كثر في هذا العهد تداول الإجازة العامة، وذلك ما تبَّينه الإجازات، كما أكَّده أحد مسندي العهد العثماني وهو الشيخ محمد بن سليمان الروداني المغربي بقوله:" عموم الإجازة وإن كان دون خصوصها، فلا ينبغي طرحه في هذا الزمان، لما يلزم من انقطاع أسانيد غالب الكتب، إذ السماع اليوم والإجازة الخاصة لا يتداولان إلاَّ في القليل منها جداً "[2].

والإجازة أنموذج من انموذجات التثبت العلمي الذي كان يتَّبعه العلماء[3] لتحرِّيهم الأمانة العلمية في منحها، خاصة تلك التي تبيِّن كفاءة المُجاز له في علم من العلوم، حيث يحرص المُجيز على تبيين طبيعة العلاقة التي جمعته بالمُجاز، فإن كانت عن حضورٍ وتلقٍ، فإنَّه يستعرض العلوم والكتب التي قرأها عليه، وإن لم يقرأ عليه شيءً بيَّن ذلك وغيره، ولهذا اختلفت شروط تحصيل الإجازة من نوع إلى آخر. وعليه فهي وثيقة صحيحة يُمكن أن تُتَّخذ دليلا على ثقافة العالم، وما قرأه أو سمعه من كتب.

والإجازات التحريرية المُفَصلة على غرار إجازة الشيخ عمر بن محمد المانجلاتي للأديب الفاسي محمد بن زاكور[4]، تصلح لأن تلقيَ أضواءً عامة على التاريخ الفكري للعصر الذي منحت فيه، فمن خلال مقارنة عدة إجازات في المنطقة الواحدة، يمكن استنباط البرامج والمقررات الدراسية فيها- إن صح التعبير- ومن خلالها نستخلص العلوم التي برع فيها العلماء الجزائريون، ومنحوا فيها الإجازات.

---

[1] - لعَّل تملك هؤلاء العلماء للأختام التي كانوا يذيلون بها إجازاتهم يرجع لتوليهم وظائف رسمية في الدولة.
[2] - صلة الخلف بموصول السلف، ص: 30.
[3] - صلاح الدين المنجد، إجازات السماع في المخطوطات القديمة، ص: 240.
[4] - بيَّن المانجلاتي في إجازته هذه الكتب والعلوم التي قرأها عليه ابن زاكور، والتي قرأها هو على شيخيه سعيد قدورة وعلي الأنصاري في مدينة الجزائر. ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص- ص: 9 – 13.

والإجازة مصدر للتراجم؛ فهي تتضمن أسماء أعلام كثيرين قد لا نجد لهم ترجمة أو ذكر في كتب التراجم المعروفة[1]. وتتضمن بالخصوص تراجم للشيخ المُجيز وشيوخه، فلا نجد مثلا أية ترجمة في مصادر القرن الحادي عشر الهجري (17م) للشيخين الجزائريين محمد بن عبد المؤمن وعمر المانجلاتي، إلاَّ ما ورد في إجازتيهما لابن زاكور[2].

كما تُسَّلط الضوء على جوانب مهمة من حياة المُجِيز والمُجَازُ له، فمثلا لا يُعرف تاريخٌ محددٌ لوفاة الشيخ أحمد بن عمّار إلاّ إجازته للمرادي المؤرخة بسنة 1205هـ، وهي آخر وثيقة موجودة يذكر فيها اسمه، فاتخذت السَّنة المذكورة تاريخا تقريبيا لوفاته.

وتُعَّد الإجازة وسيلة لمعرفة مراكز العلم في البلاد الإسلامية، وحركة تنقل الأفراد من بلدان مختلفة نحوها[3]. فمثلا يمكننا تحديد أهم المراكز الفكرية في الجزائر وفي العالم الإسلامي في العهد العثماني من خلال تحليل عدة إجازات. فقد كثرت الرحلات الداخلية إلى مدينة الجزائر، وشُدَّت الرِّحال خارجيا إلى فاس والقاهرة، وذلك ليس اعتباطاً، بل لكون المدينة الأولى أكبر الحواضر الثقافية في الجزائر آنذاك، أمَّا فاس فقد كانت أهم المراكز الفكرية بالمغرب الإسلامي، وكذلك كانت القاهرة بالنسبة للعالم الإسلامي. ولذلك كله كثرت الرحلات العلمية إلى هذه المدن، فكثرت الإجازات المحررة فيها.

ويمكن أن تُعَّد الإجازة من الوسائل التي تزودنا بمعلومات جغرافية وتاريخية عن مراكز العلم في العالم الإسلامي[4]، فكثيرا ما يرّكز المُجيز في إجازته على المستوى الثقافي الذي بلغه المجاز، ويتعرض للمعاهد والبلدان التي تلقى فيها معارفه. وهذا ما يكشف عن جوانب مهمة في التاريخ الفكري للمناطق التي درس فيها المجاز له. ومن الأمور التاريخية التي تُشير إليها الإجازات تدهور الحياة

[1] - صلاح الدين المنجد، إجازات السماع في المخطوطات القديمة، ص: 241.
[2] - ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص- ص: 9 – 13؛ وص- ص: 22- 31.
[3] - صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص: 241.
[4] - عبد الله فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين، ص: 45.

العلمية بتونس، وذلك ما يُلّمح إليه المقري في إجازته لتاج العارفين التونسي الواردة من بين النماذج. وكان الشيخ يحي الشاوي قد دخل في مهاترات مع الفلاسفة المتكلِّمين، ولهذا تناول في إجازته للمحبي إحدى القضايا الفلسفية الكبرى وهي تتعلق بقضية الوجود والصفات؛ والتي كانت تطفو من حين لآخر على سطح الأحداث، وهي الأخرى إحدى النماذج الواردة في هذا الفصل.

وللقيام بدراسة للإجازة العلمية في هيكلها أو في بنيتها النموذجية، وكذلك في صِيّاغتها الأدبية انتقيت ثمانية نماذج، وراعيت في ذلك اعتبارات عدة أهمها: أن يكون كاتبها عالما جزائريا. وأن تعود إلى فترات زمنية مختلفة خلال العهد العثماني. وأن تكتب لعلماء من مستويات مختلفة، فالإجازة التي يكتبها العالم لنِّد له تختلف بطبيعة الحال عن تلك التي يكتبها لغيره من العلماء وطلبة العلم. وأن تكتب لشخصيات من مناطق مختلفة من العالم الإسلامي - وإن كان هذا لا يؤثر على الإجازة-. كما حرصت على التنوع أيضا من ناحية الحجم، والصياغة الأدبية؛ أي أن تكون بعض النماذج من ذات مستوى أدبي رفيع، وأخرى أقل منها.

وقبل الشروع في عرض النماذج المختارة، لا بأس أن أشير إلى أنَّني لا أسعى من خلال الدراسة الأدبية[1] للإجازات إلى إصدار الحكم عليها، لأنَّ ذلك من شأن الأدباء، وإنِّما المقصود إعطاء صورة متكاملة عن إجازات العهد المدروس، ومحاولة حصر السِّمات والخصائص المشتركة بينها، والوقوف على ما فيها من إبداع من الناحية الأدبية. هذا ويتم التعامل مع كتابها من حيث هم علماء في الشريعة الإسلامية وليسوا أدباء، سيّما وقد اتسم العصر بالضعف أدبيا.

---

[1] - تفاديا للتكرار استُقصِيَت في الدراسة الأدبية بعض الجوانب المشتركة كالعاطفة؛ ذلك أنّ المشاعر التي تدفع الشيوخ لكتابة الإجازة هي نفسها، وهي عاطفة إعجاب وإكبار وإجلال للمجاز له.

II / – نماذج من الإجازات النثرية:

الإجازات النثرية هي الأكثر تداولا خلال العهد العثماني، بين العلماء المسلمين عامة، وممَّا كتبه بعض أبرز العلماء الجزائريين:

1- إجازة الشيخ محمد شقرون بن هبة الله للشيخ محمد بن عسكر:

أ- النص[1]:

:" الحمد لله. أجزتُ الفقيه، الوجيه المحترم النزيه، الحسيب الأصيل ذا الأصل الصميم، والنَّسب الفاضل العَمِيم، العَلَم الحُجَّة القاضي الأعدل: أبو عبد الله محمد بن سيدي علي عسكر جميع مروياتي، وكل مسموعاتي عن أشياخي – تغمدهم الله برحمته، وأسكنهم فسيح جنته- فليَرْو عنِّي ما رويت، وليُحَّدِث بما سمعت على شرط الإجازة ووصفها؛ إجازة صحيحة ثابتة كما يجب، والله المُوَّفق.

قال ذلك: وكتبه أصغر عبيد الله محمد شقرون بن هبة الله بن إبراهيم - لَطَفَ الله به- ".

ب- البنية:

لقد سلك الشيخ محمد شقرون في إجازته مسلكا مختصرا، فافتتحها بالحمدلة بعبارة « الحمد لله » فقط، فلم يُطِل فيها، ولم يُسْبقها بالبسملة، كما لم يُعقبها بالتصلية على المصطفى - عليه الصلاة والسلام-. وعهدُنا بهؤلاء الشيوخ إفراد جزء كبير بعد البسملة للتصلية والحمدلة. فقد دخل مباشرة في الإقرار بالإجازة والثناء على ابن عسكر، ثم بيَّن الأمور التي يشملها الإذن، وهي رواية جميع مروياته وكل مسموعاته عن شيوخه. وأكدَّها من جديد قائلا:" فليرو عنِّي ما رويت، وليُحدث عني بما سمعت "، مُجْمِلاً شروطها بقوله:" على شرط الإجازة ووصفها إجازة صحيحة ثابتة كما يجب...". وشروط الإجازة كما نعلم هي:

[1] - محمد بن عسكر، دوحة الناشر، ص: 106؛ سبق التطرق لهذه الإجازة ص: 100.

الأمانة والضبط والتحري. ليختم إجازته بذكر اسمه مستعملا عبارة الختم المتداولة « قال ذلك وكتبه... ».

ويجدر التنبيه إلى أنَّ الشيخ شقرون بن هبة الله خرج في إجازته عن المألوف في عصره، وسار على طريقة العلماء المسلمين في العهود المتقدمة[1]؛ حيث كانوا يكتبون الإجازة ذات الغرض المحدد معبرين عن ذلك بأسلوب موجز، وبمعانٍ واضحة وجلية. وقد وردت هذه الإجازة مختصرة لاقتصار الشيخ المجيز على الحمدلة، والإقرار بالإجازة، بالإضافة إلى الختم. ولكن لا يكمن الجزم بأنَّها طريقته الخاصة في كتابة إجازاته لعدم التوصل إلى نصوص أخرى له[2].

ج- الدراسة الأدبية:

يُعَدُّ هذا النص واحداً من الإجازات البليغة التي حفل بها العهد العثماني، وقد طغى عليها الأسلوب الخبري الملائم للمدح وتقرير الحقائق؛ مثل:« أجزتُ الفقيه الوجيه ». وهناك أسلوب إنشائي غرضه الأمر في قوله:" فليرو عني ما رويت"، فقد استهلت الجملة بفعل أمر غرضه التكليف، كما تخلل النّص الدعاء الوارد في جمل اعتراضية نحو:« تغمدهم الله برحمته » و« لطف الله به »، ووردت جمل النَّص فعلية طويلة غرضها الإشادة بأصل المُجاز له.

وتبدو أفكار النَّص واضحة ومتآلفة، لا عناء في فهمها، ولكنَّها عميقة ذات دلالات عديدة. ووصف محمد شقرون المُجاز له بأوصاف متعددة غرضها المدح، مستعملا ألفاظاً قوية البُنْيَة على صيغ مختلفة، تراوحت مابين الاعتدال حِينًا «

---

[1] - هنـاك تشابه كبير بين هذه الإجـازة وبين إجازتي الشيخ محمد بن عبد الحق التلمساني لكل من الشيخين: محمد بن محمد الحسين الخشني سنة 603هـ، ويحي بن علي بن حسين بن حبوس الهمذاني سنة 615هـ؛ فالإجازتان في نفس حجمها، وهما لا تبدآن بالحمدلة والتصلية؛ حيث استهل إحداهما بقوله:" أجزتكم أكرمكم الله..." والأخرى بقوله:" أجبتك بأحسن تحية..." واختتمهما بعبارة: « قاله وكتبه...» ثم كتب تاريخ تحريرهما. الغبريني، عنوان الدراية، ص- ص: 253- 255.

[2] - الإجازة التي بين أيدينا هي أول إجازة كتبها الشيخ شقرون لابن عسكر، وذلك سنة 969هـ. ويغلب على الظَّن أن إجازته الثانية له سنة 972هـ مختصرة هي الأخرى؛ لأنها لا تحتوي على شيوخه، فقد سأله في سنة 983هـ عن شيوخه، فقيد له أسمائهم وعلومهم، فلو سبق له أن كتبهم لما سأله ذلك. ابن عسكر، دوحة الناشر، ص، ص: 106، 107.

الوجيه المحترم »، والمُبالغة حينا آخر « العلم الحجة القاضي الأعدل »، ووردت المبالغة اللفظية في « الأعدل » على وزن أفعل، فهذا مدح فيه نوع من المبالغة.

أمّا ألفاظه فهي موحية، ففي عبارة « الحسيب الأصيل ذا الأصل الصميم » نلاحظ في لفظة « الأصل » وهو نسب ابن عسكر العائلي، و« الأصيل » هو المتمسك بأصالته المستمدة من دينه ونسبه، فكلاهما مصدر، والجمع بينهما دلالة على تبحر المجيز في علوم اللغة، حتى يبدوان لغير أهل اللغة كأنّهما تكرار. وهناك تكرار لفظي أيضا في قوله:« النسب الفاضل العميم ». وبهذا فلم يكثر الشيخ محمد ابن هبة الله من استعمال الصفات بالمقارنة مع غيره، بل أوردها بين الاعتدال والمبالغة، وسريعا ما أجاز له وأذن له في رواية مروياته.

ويكاد النَّص يخلو من البديع إلاَّ ما ورد منه عفويا، كالجناس نحو:« الصميم، العميم » هو جناس غير تام، بالإضافة إلى كونه سجعا متوازيا؛ حيث اتفقت اللّفظة الأخيرة من القرينة(الفقرة)؛ أي الفقرة مع نظيرتها في الوزن والرّوي[1]. كما نجد السجع المتوازي أيضا في « الفقيه، النزيه »، فاللّفظتين على نفس الفاصلة والوزن. أما في قوله « رحمته، جنته » فلم يكن سجعا عفويا؛ لتكلف المُجيز في صنعه لتحقيق النغمة والإيقاع؛ حيث كان الأولى أن يقول « جناته » تعظيما لنعيم الله، ولشيوع الكلمة، ولكنه استعمل المفرد لا الجمع لتحقيق الوزن مع اللّفظة التي سبقتها.

والسجع الموجود في الإجازة رغم قلته، فهو من أحسن أنواع السجع، تميز بالقصر والإيجاز، وتألفت كل واحدة من السجعتين من ألفاظ قليلة، فكلَّما قلَّت الألفاظ كان أحسن؛ لقرب العبارات المسجوعة من سمع السامع. وفيه أيضا ما طالت به الفقرة الثانية عن الأولى، طولا لا يخرج بها عن الاعتدال كثيرا، لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة مثلا: « أجزت الفقيه، الوجيه المحترم النزيه » والسجعة الموالية لها أيضا. وتعددت حروفه فمرة « ميما »، وأخرى « تاءا » وأخرى « هاءا»، وهكذا ثم تخلى عنه. فهو سجع خارج عن الابتذال، لا يثير الملل، ويقع على الأذن بلطافة.

---

[1]- عبد العزيز عتيق، علم البديع. بيروت: دار النهضة العربية، 1985. ص: 219.

وأخيرا يمكننا القول أنَّ هذه الإجازة علمية أكثر منها أدبية في أسلوبها.

2- إجازة الشيخ عيسى الثعالبي للشيخ محمد العيثاوي الدمشقي:

أ- النص[1]:

" بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سَّيِدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

الحمد لله الذي جعلَ خصائِص المواهب في الاهتداء بمعالِمِ السُنَنْ، وأباح للمُقتفي منهاج الهداية مِنَن اللّطائِف ولطائف المِنـن، وأبـَان بعلم[2] الرواية لمُرتقي معراج[3] الدِّراية معاني الآثار، وبَذل للمستضيء بمشكاةِ مصابيحها أسرار البديع وبدائع[4] الأسرار. أحمده على متواتر جُودِه الذي عَمَّ الجُموع والآحاد، وأشكره مُسْتدِرَا بشكره مواطر إحسانه وبره، فبِه تتوالى موائد الأمداد.

وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً يُوجِبُ إخلاص عقدها الصحيح الإجازة بالحسنى، ويُنتج قياسها الواضح قياسَ جَوَاز المُنْعَمِ عليهم في المقَّرِ الأسنى. وأشهد أنَّ سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله المخصوص بالخصائص الكبرى، والمُخْتَارِ من بين المصطفين بأخبار الإمامة في الأولى والأخرى - صلى الله عليه وسلم-، صلاة وسلامًا يتعاقبان بتعاقب المَلَوِين[5]، ويُثْمِرَان للمُتَعبِدِ بهما سعادة الدَّارين، وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى، ونجوم مناهج الإقتداء، وعلى تابعيهم إلى يوم الدِّين بإحسان، ما تأيّدت دعائم الإيمان بحقائق الإيقان.

---

[1] - الإجازة ضمن مجموع رقم: 335، مصطلح الحديث – دار الكتب المصرية. الأوراق: 30 وجه-31 ظهر. سبق التطرق لهذه الإجازة ص: 179.

[2] - في الأصل مُشَكَلة هكذا: (عَلَم) ولكن المعنى يستقيم بعِلم.

[3] - عَرَجَ، عُرُوجا: ارتقى. والمعرج: السلم والمصعد. الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط. الدار العربية للكتاب، (ط3)، 1980. ج3، ص: 184.

[4] - يستعمل الكاتب في بعض المواضع من الإجازة الياء بدل الألف على النبرة (ئ)، مثل: بدايع، حقايق، موايد، الفرايد... وقد استبدلتها كلها بالألف.

[5] - الملوان: الليل والنهار. ابن منظور، لسان العرب، ج15 (و- ي)، ص: 290.

أما بعد: فإن كمال السَّعادة العاجلة والآجلة، وامتطاء غَارِب[1] السِّيادة الكاملة في إتباع السُنَّة، والاستضاءة بأنوارها، والثَّمَلِي[2] بحقائقها[3] وأسرارها، والتورد من مناهلها العذبة، والاجتناء من ثمارها الرَّطبة، وإعمار القلب والقالب في نظم الفرائد من مسانيدها، وسَبْر الصِّحاح والحِسان[4] من أزمة[5] أسانيدها. ولا شَّك أنَّ المُوَّفَقَ لذلك حائز بُلُوغ المَرام ومنتهى السُؤل، وضارب بأوفر سهم في تراث الرسول، لنيابته عنه في أداء الأمانة، والإعراب عن حقائق الشريعة والإبانة.

ولمّا كان الإسناد للشريعة هو المعراج المُوْصِل لأصولها، والمعيار المعرب عن صحيحها ومعلولها، « إذْ لَوْلاَ الإسناد لَقَالَ مَنْ شَاءَ ما شَاءَ »[6]، ولجارى كل مُشْعِبٍ بأباطيله وماشى. سألني لذلك مَنْ له في هذا المعنى من الله تَأْييد، وله منه توفيق وتسديد، وعناية بمعونة الله صادقة، وهمة إلى خلال الكمال سابقة، وهو الشيخ الأخ في الله، والولي من أبله[7] الشيخ العارف الكامل، العالم العامل، نُخبة أولي التحصيل، وخلاصة المجد الأصيل، المُتَفنن المشارك، المؤيد الأنظار والمدارك، الرّامي في أغراض المعارف بسهم الإصابة، المُتَحَّلي من خلال الكمال بحلية الأخبات[8] والإنابة، سيدي الشيخ

---

[1] - الغارب: أعلى مقدم سنام البعير، وقيل غارب كل شيء أعلاه. ابن منظور، لسان العرب، ج1(أ- ب)، ص: 644.

[2] - الثُملة والثمالة والثميلة والثمالة: الماء القليل الذي يبقى في أسفل السقاء أو الإناء. والثمل: السُكر، ثَمُلَ بالكسر، يثمل ثملا فهو ثمل، إذا سكر وأخذ فيه الشراب. ابن منظور، المصدر نفسه، ج11(ل)، ص، ص: 91، 92.

[3] - في الأصل (بحقايها)، ولكن يبدو أن حرف القاف سقط من النص.

[4] - أي الأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة.

[5] - الأزم: شدة العض بالفم كله، وقيل بالأنياب. أزم الرجل بصاحبه يأزم أزما لزق. ابن منظور، المصدر نفسه، ج (م)، ص، ص: 16، 17.

[6] - الإمام مسلم، صحيح مسلم، باب « بيان أنّ الإسناد من الدين »، ص: 12.

[7] - أبلّه: من بَلَهَ. يقال عيشٌ أبْلَهُ، وشباب أبله: ناعمٌ، كأن صاحبه غافل عن الطوارق. أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ج1، ص: 323.

[8] - الخَبتُ: ما اتسع من بطون الأرض، وجمعه: أخباتٌ وخبوتٌ، وقيل أن الخبت ما اطمأن من الأرض واتسع، وقيل الخبت ما اطمأن من الأرض وغمض، فإذا خرجت منه أفضت إلى سعة. ابن منظور، لسان العرب، ج3، (ت- ث- ج- ح)، ص، ص: 27، 28.

محمد بن محمد بن محمد العيثاوي الدمشقي الشافعي - أحمد الله عقباه، وأعلى بين أهل حضرة الله رتباه - أن أجيز له ما ثبتت لي روايته، وتأيدت بسنده المتين درايته، من مسموع ومقروء ومُجَاز، وما بالمناولة والوجادة[1] بين أهل الصناعة له مساع وجَوَاز. وذلك بعد أن رأيت منه غَوْصًا على دقائق المعاني، وإدراكا تاما لحقائق المباني، وسماعًا من لفظه للحديث الأول من صحيح البخاري، بألفاظ مُعْرَبة فصيحة فسيحة، يجاري بكتاب منه أنَّ العبد مِمَّنْ له في هذا المعنى إسناد مُفيد، وعنده من ذخائره طرف وتليد[2]، فامتثلت أمره على عرجٍ في الخُطَا، وعُرف مِنْ مَنْ خَطَا، حِرصًا على بقاء سلسلة الإسناد، وترغيبًا في الاتصال بخير من نطق بالضّاد.

فأقول - وعلى الله الاعتماد، ومن فيض معونته الاستمداد - أجزت للأخ في الله سيدي الشيخ محمد المذكور جميع ما أرويه من الصِّحاح الست التي هي أصول الإسلام، ومَناط غالب الأحكام، وسائر الجوامع والمساند والمعاجم والمشيخات، والأجزاء الأربعينيات، وجميع التصانيف في سائر الفنون منقولها ومعقولها، وفروعها وأصولها، مِمَّا للعبد به اتصال، وله فيه تفصيل أو إجمال، إجازة عامة مطلقة تامة بشرطها المُحَّرر، وضابطها المُقَرر عند أئمة الأثر، وجهابذة[3] النظر، وكذلك أجزت لأولاد سيدي محمد المذكور، وأهله وأقاربه وأهل مجلسه جميع من ذُكِرَ، على الوصف الذي سُطِر.

وقد أخبرني بفهرسة شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني بما اشتملت عليه شيخنا أبو الإرشاد علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري، قراءة عليه لطرف من أوَّلها، وإجازة لسائرها عن

---

1 - حول تعريف مصطلحي المناولة والوجادة ينظر ص: 11.

2 - التليد: كل مال قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء. أحمد رضا، معجم متن اللغة. بيروت: دار مكتبة الحياة. 1960.ج1، ص: 402.

3 - جهابذة جمع جِهْبُذُ وهو النقاد الخبير. أحمد الزاوي، ترتيب القاموس، ج1، ص: 545.

الشمس محمد بن أحمد الرملي، عن القاضي زين الدين زكريا بن محمد الأنصاري، عن مؤلفها أبي الفضل بن حجر الحافظ - رحمه الله- بأسانيده فيها. وهي في مجلدين اشتملت على غالب كتب الإسلام.

وأخبرني بفهرسة الحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي شيخنا أبو الإرشاد أيضا، وقاضي القضاة شهاب العصر أحمد بن محمد الخفاجي، قالا أخبرنا المعمّر بدر الدين حسن الكرخي، قال أخبرنا الحافظ الجلال السيوطي - رحمه الله -.

وأخبرني بفهرسة شيخ الإسلام زكريا شيخنا شهاب الدين القليوبي، عن الشمس الرملي، عن مؤلفها شيخ الإسلام زكريا- رحمه الله - فيها وفي سائر تصانيفه.

وأنا أسأل من سيدي الشيخ محمد المذكور أن لا ينساني من صالح دعواته، وصادق تضرعاته، بصلاح الحال، ومرافقة التوفيق في الأقوال والأفعال، والفوز بحسن الختام، ومضاعفة الإكرام في دار السلام.

قاله وكتبه: العبد الفقير، الذَّليل الحقير، عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر الجعفري المغربي ثم المكي المالكي - ستر الله عيوبه، وغفر ذنوبه- فاتح سنة خمس وسبعين بعد الألف (1075هـ) أحسن الله فاتحتها وخاتمتها "[1].

ب- البنية:

تحتوي الإجازة التي بين أيدينا على جل عناصر البنية النموذجية؛ حيث افتتحها الثعالبي بالبسملة والتصلية على النَّبي -عليه الصلاة والسلام- ليُتبعها بالحمدلة، وقد كيَّفها مع الموضوع المُراد التطرق إليه وهو الإجازة بالرواية؛ ذات الصلة الوثيقة بالحديث الشريف، باقتباسه ألفاظا دالة عليه نحو: الرواية، الدراية،

[1] - وُجِدَ في أسفلها إجازة في بضعة أسطر كتبها الشيخ عبد الله بن سعيد الشافعي للشيخ العيثاوي المجاز له.

وغيرها، ثم أعقبها بالتشّهد والتصلية وكل ذلك بشكل موسع، لينتقل إلى المضمون مستعملا أداة الانتقال « أما بعد »؛ وهي كلمة الفصل التي تفصل بين ما سبق، وما سيأتي من المضمون، فتحدث عن فضل علم الحديث الشريف، وعن ضرورة التعمق في دراسته، ثم استرسل في الحديث عن الإسناد وأهميته.

وبعد تعرضه إلى علاقته بالشيخ محمد العيثاوي، يفيض في مدحه، وإيراد الصفات التي تجعل منه جديرا باستحقاق الإجازة، منها تفوقه في علم الحديث. ولمَّا ساد العرف أن يتواضع الشيوخ في منح الإجازة تعظيما لشأنها، فقد قال الثعالبي بأنَّه امتثل للاستدعاء:" على عرجٍ في الخُطا "؛ أي أنَّه أقبل على كتابة الإجازة بعد التردد في ذلك، ولم يجزه إلاّ لإبقاء سلسلة الإسناد، وترغيبا في الاتصال بالرسول- صلى الله عليه وسلم-.

ثم يتخلص الشيخ عيسى الثعالبي من هذه المقدمات مُفتتحا تصريحه بعبارة «فأقول »، ليجيزه عامة بكل مروياته في كل الفنون، ولأولاده وأقاربه وأهل مجلسه، فهذه إجازة عامة للعموم، ثم استعرض أسانيده في بعض الفهارس. وختم الإجازة بتوثيق تام لها مستعملا عبارة « قاله وكتبه... ».

ج- الدراسة الأدبية:

تعتبر إجازة الشيخ الثعالبي للعيثاوي من نماذج الإجازات الطويلة، التي طغى فيها الأسلوب الخبري المناسب لتقرير الحقائق؛ حقيقة جهد المُجاز له في تعامله مع السنة النبوية والرواية، ومن الجمل الخبرية في النَّص:« فامتثلت أمره على عرجٍ في الخُطَا... »، وهناك أيضا الدعاء الوارد في جمل اعتراضية نحو « أحمد الله عقباه »، « ستر الله عيوبه »، والوصف سيَّما في الفقرة التي تطرق فيها للمجاز له.

وعمد الكاتب إلى توظيف الأفعال المتعدية التي لا تستغني عن مفعولها نحو: «أشهد... شهادة »، « قياسها... قياس »، كما عمد إلى التوكيد اللفظي مثل: «أشكره... بشكره ». ومن جماليات النّص عبارات تبدو وكأنَّها تقديم وتأخير؛ وهي

ذات دلالات مختلفة: « منن اللطائف ولطائف المنن »، « أسرار البديع وبدائع الأسرار » فأسرار البديع يقصد بها خفاياه وخباياه ومكنوناته، أما بدائع الأسرار فيقصد بها روائعه وفنياته.

والنَّص حافل بالصور البيانية، التي كان لها أثر قوي في تجسيد المعاني الذهنية المُجردة، وإظهارها في قالب محسوس، وهي واردة من الحمدلة إلى فضل الإسناد، ثم تخلى عنه نهائيا مستعملا أسلوب الحقيقة. ومن التشبيهات في النص: « أصحابه... نجوم منهاج الاقتداء » وهو تشبيه بليغ لحذف أداة التشبيه؛ حيث شبَّه الصحابة – رضي الله عنهم – بالنجوم في الرفعة والضياء، والوصف الجامع بينهما الاهتداء بها لرفعتها. و«المعراج الموصل إلى أصولها » فقد شبه الإسناد بالسلم أو المصعد؛ الذي يتوصل به إلى الأصول، ووجه الشبه هنا الوصول؛ فهو الآخر تشبيه بليغ.

والكناية في اصطلاح أهل البلاغة: لفظ أُطلق وأُريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى[1]، وهي كثيرة في النص منها: **«** أشكره مُسْتَدِرًا بشكره **»**، فهي كناية عن كثرة عطاء الله سبحانه وتعالى لمن دعاه وتضرع إليه. وفي **«** الاستضاءة بأنوارها **»** استعارة مكنية؛ حيث شُبِهت السنة بمصباح، والقرينة الاستضاءة. كما تعتبر كناية عن هداية السنة. و« المستضيء بمشكاة مصابيحها » والمصباح هاهنا كناية عن نور العلم، وأثر السنة في تنوير طريق المسلم. **«**الثملي بحقائقها **»** كناية[2] عن التعمق في علوم السنة النبوية الشريفة، والتزود الكثير منها، وفي قوله: **«** المعيار المعرب **»** كناية عن الوضوح، وفي قوله « على عرج في الخطا » كناية عن تردده في منح الإجازة؛ والذي أساسه التواضع.

---

[1]- عبد العزيز عتيق، علم البيان. بيروت: دار النهضة العربية، 1985. ص: 203.

[2] - تحتمل العبارة وجها آخر من البيان وهو استعارة مكنية؛ حيث شبه الحقيقة وهي شيء معنوي بنوع من الشراب الذي يُثمل، فحذف المشبه به وأبقى إحدى لوازمه وهي الثمالة.

والمعلوم أنَّ الإستعارة " تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[1]؛ وهي كثيرة في النص منها:« أبَان بعلم الرواية لمُرتقي معراج الدِّراية » المعراج هو ما ارتقى من الشيء وارتفع، ومعراج الدراية استعارة مكنية؛ حيث شبَّه علم الدراية وهو أمر معنوي بشيء يُرتقى إليه بواسطة، فحذف المشبه به وأبقى على أحد لوازمه وهو المعراج. و« امتطاء غارب السيادة » استعارة مكنية؛ فالسيادة أمر معنوي لا يُمْتطى شُبه بما يُمتطى فحذف المشبه به، وهو المَرْكَب، وأبقى على إحدى لوازمه وهي الامتطاء، و« التورد من مناهلها العذبة » هي الأخرى استعارة مكنية، إذ شبه السنة بأنهار مياه عذبة، والقرينة هي التورد، « الاجتناء من ثمارها الرطبة» استعارة مكنية.

ويلاحظ أنَّ الثعالبي يُكثر من استعمال الصفات التي جاءت لغرض المدح، وفيها بعض المبالغة، شأن العلماء عند إشادتهم بمن يرونه أهلا لإجازتهم، ولو كُنَّا في مقام آخر في فَنٍ من فنون الأدب لقلنا أنَّ النص مثقل البناء لكثرة الصفات وتكراراته اللفظية، ولكن مادام هذا شأن العلماء والمشايخ في أساليبهم فإن النص مناسب لمقامه وغرضه.

أمَّا الألفاظ فهي سهلة واضحة، قلَّما نقع فيها على ألفاظ غير متداولة نحو: أزمة، غارب، الإخبات، وهي دقيقة ذات صلة شديدة بموضوع الإجازة وأفكارها مثل: الدراية، الرواية، المسانيد، الفهرسة.

وقد اقتبس المُجِيز بعض الألفاظ من القرآن الكريم؛ كاقتباسه صورة بيانية وهي:« المستضيء بمشكاة مصابيحها »، من قوله تعالى:﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيهَا مِصْبَاحٌ﴾[2]. واقتبس عبارتي « أصحابه أئمة الهدى، ونجوم منهاج الاقتداء » من القول المنسوب إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-:" أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم "[3]. ومن علم الحديث الشريف المصطلحات الوارد ذكرها في

---

[1] - عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص: 173.
[2] - سورة النور، الآية (35).
[3] - قال ابن حجر رحمه الله: رواه عبد الحميد في مسنده من طريق حمزة النصيبي عن نافع عن ابن عمر،

سياق الحديث عن الألفاظ، كما استدل عن أهمية الإسناد بقول مأثور عن المحدثين الأوائل وهو:**«** لولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء **»**.

هذا، وقد أسرف الكاتب في استعمال المحسنات البديعية، وفي مقدمتها السجع الذي لازم النص من أوله إلى آخره، باستثناء الفقرة المخصصة للفهارس، حيث وردت بأسلوب مباشر. وأكثر من السجع المتوازي الذي تتفق فيه اللفظة المسجوعة مع نظيرتها في الوزن وفي الحرف الأخير نحو: « السُنَن، المِنَن »، « الحسنى، الأسنى »، « الملوين، الدارين »، « أنوارها، أسرارها »، « الأمانة، الإبانة »، «تأييد، تسديد »، « صادقة، سابقة »، « الإصابة، الإنابة »، « المعاني، المباني »، « الاعتماد، الاستمداد »، « اتصال، إجمال »، « المحرر، المقرر »، « الأثر، النظر».

ونجد أنواع أخرى من السجع كالترصيع وهو: عبارة عن مقابلة كل لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورِوِّيها[1] نحو: **«** التورد من مناهلها العذبة، الاجتناء من ثمارها الرطبة **»**.

كما أكثر من الجناس سيَّما الجناس غير التَّام مثل: « السنن، المنن »، «الإيمان، الإيقان »، « المعاني، المباني »، « فصيحة، فسيحة »، « منقولها، معقولها »، « المحرر، المقرر ». وهناك أيضا الجناس المُحَّرف: وهو ما اتفق ركناه، أي لفظاه في عدد الحروف وترتيبها، واختلفا في الحركات فقط[2] نحو: «الخُطا، خَطا »، كما يوجد الجناس الناقص؛ الذي ينقص فيه أحد اللّفظين عن الآخر بعدد الحروف[3] نحو:« القلب، القالب ».

ونجد بين لفظتي:« ما شاء، ماشى » جناس التركيب؛ وهو ما كان أحد ركنيه كلمة واحدة والأخرى مركبة من كلمتين[4]، فالركن الأول مركب من « ما» وهو

وحمزة ضعيف جدا. أحمد بن حجر، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تح: عبد الله هاشم اليماني. المدينة المنورة، 1964. كتاب القضاء: باب أدب القاضي، رقم الحديث: 2098، ج4، ص: 190.

1 - عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص: 218.

2 - عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص: 208.

3 - عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه، ص: 206.

4 - عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه، ص: 202.

اسم موصول، والفعل « شاء » بمعنى أراد، والركن الثاني كلمة مفردة وهي «ماشى » فعل بمعنىساير وجارى، وبما أنَّ الكلمة المفردة ونظيرتها المركبة يتشابهان لفظا لا خطا يسمى جناس التركيب المفروق[1].

ومن أكثر المحسنات المعنوية وُرُودا في النص الطباق: وهو الجمع بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر[2] نحو: « الجموع، الآحاد »، « الأولى، الأخرى »، « فروعها، أصولها »، « تفصيل، إجمال »، « صحيحها، معلولها »، « فاتحتها، خاتمتها »، « القلب، القالب ». وهي من طباق الإيجاب؛ إذ لم يختلف الضدّان إيجابا وسلبا.

والحاصل أنَّ تأثير العصر الذي عاش فيه الكاتب واضح في النص؛ لشيوع ظاهرة الصنعة في إجازته من كثرة البديع، والاهتمام باللغة في هيئتها وأثرها الموسيقي، ونزوع إلى المحسنات البديعية والتفنن فيها.

3- إجازة الشيخ أحمد بن عمّار لمحمد خليل المرادي:

أ – النص[3]:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه أفضل وأزكى التسليم.

أما بعد: حمد الله، هادي من استهداه، وكافي من استكفاه، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سر الوجود ومعناه، وعلى آله وأصحابه مُشيدي الدين والحامين لحماه.

فقد روينا بتوفيق الله وبمنه، وأعانيه وعونه، عدة وافرة، محذراتها سافرة، من كتب العلوم الشرعية، والفنون المرعية، من منقول ومعقول، وفروع وأصول، ورقائق وآداب، وسائر ما يجذب

[1] - عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه، ص: 203.
[2] - عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه، ص: 77.
[3] - أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص، ص: 67، 68؛ ونشرها المؤلف أيضا تحت عنوان: « إجازة ابن عمار لمحمد خليل المرادي »، في مجلة الثقافة، السنة الثامنة، العدد 45، يونيو-يوليو 1978. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ص- ص: 51- 53. سبق التطرق لهذه الإجازة ص: 206.

بتلك الأهداب، عن مشايخ جلة يروق بهم الدهر، وتزدهي بهم الملة، من أهل الغرب والشرق، وجهابذة الجمع والفرق.

فمن أهل الحرم المكي من سطع عبير ذكره سطوع الأرج[1] المسكي، خاتمة المسندين، وأول القداة المُرشدين، السيد عمر بن أحمد عن جده، لأنَّه الشيخ عبد الله بن سالم البصري ثم المكي. ومن أهل الحرم المدني الهُمام الأجل، العارف بالله عز وجل، الشيخ أبو الفضل حسن بن الشيخ محمد سعيد عن عمه الشيخ طاهر. ومن أهل الديار المصرية الشيخ العالم العامل، المربي الكامل، أبو عبد الله محمد الحنفي عن الشيخ أحمد النخلي- رحمهم الله جميعهم، وأخصب في رياض الفردوس ربيعهم-.

فأما أولهم، وهو المكي، فعن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن سليمان السعدي بأسانيده المذكورة في ثبته المسمى "صلة الخلف بموصول السلف".

وأما ثانيهم، وهو المدني، فعن أبيه العلامة منقطع القرين، وليث ذلك العرين[2]، محمد بن إبراهيم الكوراني المدني بأسانيده المذكورة في ثبته المسمى " بالأمم".

أما ثالثهم، وهو المصري، فعن الشيخ عيسى الثعالبي بأسانيده المذكورة في ثبته المسمى "بمقاليد الأسانيد".

هذا، وقد أجزت السيد المُسْتَجِيزَ المُجَاز، رجل الحقيقة لا المَجَاز، مفتي الشام، والغيث الذي تُسْتَمطر بروقه وتُشَام، السيد محمد خليل المذكور أعلاه[3]، دام فضله وعلاه، راجيا منه أن لا ينساني من دعواته، خصوصا في أوقات توجهاته وصلواته، والله

---

[1] - أَرَجَ أرَجاً الطِيبُ: فاح، فهو أرج، والأُرْج هو الرائحة الطيبة. أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج1، ص: 109.

[2] - العرين: مأوى الأسد. الطاهر الزاوي، ترتيب القاموس، ج3، ص: 210.

[3] - إشارة إلى أعلى الرقاع حيث الإجازة الأولى، وهي لغيره.

جلَّ جلاله المسؤول، وكرمه المأمول، أن يُحييني وإياه حياة طيبة، وأن يُغْدِق علينا أجمعين من سحائب رحمته الغيوث الصيبة، وأن يختم لي وله بالحسنى، ويرقيني وإياه المقام الأسنى، ويحشرني في حلبة الرعيل الأول من خاصته عليه الصلاة والسلام، وأن يقر أعيننا بالنظر إلى وجهه الكريم مع المقربين في دار السلام.

قال ذلك وكتبه: غبار النعال، الراجي فتح المتعال، غريق الأوزار، أقل الخلائق أحمد بن عمّار- لطف الله به- بتاريخ أواخر ذي الحجة الحرام، متم شهور سنة خمس ومائتين وألف (1205هـ)، والسلام".

- الختم: ويحمل عبارة:« الواثق بالله الجبار، عبده أحمد بن عمار ».

ب- البنية:

لقد استهل الشيخ أحمد بن عمّار الإجازة بالبسملة والحمدلة والتصلية، وأعقبها بالإشارة إلى مروياته بعد أداة الانتقال «أما بعد » جملة دون تفصيل، مكتفيا بذكر ثلاثة من مشايخه المشارقة. وهم: عمر بن أحمد المكي، حسن بن محمد سعيد المدني، ومحمد الحنفي المصري.

وبعد ذلك صرَّح بإجازته لخليل المرادي بقوله:" أجزت السيد... محمد خليل"، دون أن يذكر أيَّة تفاصيل أخرى، وفي الأخير ختم إجازته بذكر اسمه وتاريخها، وذَّيلها بوضع ختمه.

ج- الدراسة الأدبية:

الشيخ أحمد بن عمَّار من الأدباء المُشَار إليهم برفعة الذوق الأدبي، وذلك ما نلمسه من إجازته هذه؛ والتي تُعَّد نموذجا من القطع النثرية الجيدة في العهد العثماني[1]. وقد طغى عليها الأسلوب الخبري الملائم لسرد الحقيقة، ومن جمله:

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص، ص: 186، 187.

«فقد روينا بتوفيق الله وبمنِّه»، وآخر غرضه الوصف مثل: « يروق بهم الدهر، وتزدهي بهم الملة »، وتؤدي الجملة الأخيرة غرض المدح أيضا، والدعاء الوارد في جمل اعتراضية نحو: « دام فضله وعلاه »، « لطف الله به ». وتبدو أفكار النص عميقة رغم وضوحها، أمَّا عباراته فهي جزلة وقوية، وفيها بعض المبالغة.

والنص ثري بالصور البيانية منها: التشبيه البليغ في قوله:« سطع عبير ذكره سطوع الأرج المسكي »؛ فقد شبه ذيعان صيت الُمُجاز له، وكثرة ذكره في المجالس بالرائحة الطيبة الزكية المنتشرة في مجالس الناس، وفي قوله:« يروق بهم الدهر، وتزدهي بهم الملة »، استعارتين مكنيتين؛ حيث حَذَف المشبه به وهو الإنسان ورَمَزَ له بأحد لوازمه وهو الإحساس فهو يروق ويزدهي.

ويتضمَّن قوله:« ليث ذلك العرين » كناية عن علو شأن الشيخ محمد الكوراني صاحب فهرس " الأمم"، وأمَّا قوله:« الغيث الذي تستمطر بروقه وتشام » فهو كناية عن غزارة علم المرادي وكرمه، وفي قوله:« غبار النعال » كناية عن التذلل أمام عظمة الله سبحانه وتعالى.

وقد أسرف ابن عمَّار في استعمال المحسنات البديعية سيَّما السجع، ومنه السجع المتوازي مثل: « معناه، حماه »، « آداب، أهداب »، « الشام، تُشام »، و« المسندين، المرشدين »، « جميعهم، ربيعهم »، « القرين، العرين »، وبين اللفظتين الأخيرتين جناس غير تام لاختلافهما في حرفي القاف والعين.

ويكثر الجناس هو الآخر في الإجازة، ومنه الجناس الغير تام نحو:« طيبة، صيبة »، « الحسنى، الأسنى »، « جُلة، الملة »، « الشرق، الفرق »، « وافرة، سافرة »، « شرعية، مرعية »، « عامل، كامل ». وهناك جناس تام نحو: «السلام، السلام »؛ فقد اتحدتا في الحروف دون المعاني، الأولى للتصلية؛ التي تقال عند ذكر النبي عليه الصلاة والسلام، وتعني الثانية دار السلام وهي الجنة. وهناك جناس مُحَّرف مثل:« المُجاز، المَجاز »، ونجد الترصيع بين عبارتي« هادي من استهداه، وكافي من استكفاه » لاتحادهما في الوزن والحرف الأخير.

هذا، ويلاحظ على الفقرة التي تلت المطلع مباشرة، والتي تبدأ من قوله :« فقد روينا... إلى الفرق » - على قصرها- كثرة المسجوع، ودقة المتبوع. أما الفقرة التي تلتها - وهي التي عدد فيها شيوخه- فقد خلت من كثرة الأسجاع- بالمقارنة بالسابقة- مما جعلها تخِّف على الأسماع.

والتورية في اصطلاح رجال البديع: هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان، قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المراد[1]، وذلك ما نجده في عبارة « رَجُلُ الحقيقةِ لا المَجَاز » ومقتضى التورية أنّ خليل المرادي أهْلٌ لهذه الإجازة لما ذكره مجيزه من خصال، ولا يقصد بها معنى « الحقيقة والمَجَاز »، فالحقيقة هي وَضْعُ اللفظ بما وُضِعَ له أصالة، والمَجَاز هو صرف اللفظ عما وُضِعَ له أصالة.

ونجد طباق الإيجاب نحو:« خاتمة، أول »، « فروع، أصول »، « الغرب، الشرق »، « الجمع، الفرق ».

من خلال دراسة الإجازة نجدها حافلة بالمحسنات البديعية كغيرها من تراث العهد العثماني، ولكن لا يبدو فيها أي تكلف أو تصنع، إذْ جاء أكثرها عفويا. والنَّص ككل ينم عن بلاغة الكاتب، وقدرته على السرد، والتصرف في فنون القول، فأسلوب النص يدل على محصول لغوي وفير.

4 - إجازة الشيخ محمد موفق الجلالي لعبد القادر الراشدي:

أ- النص[2]:

" بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

1 - عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص: 122.

2 - الإجازة مصورة على القرص المضغوط ضمن مجموعة إجازات بمخبر المخطوطات بشمال إفريقيا بكلية الحضارة الإسلامية. وقد نشرها الشيخ المهدي البوعبدلي في كتابه " الجزائر في التاريخ" (ج4، ص، ص: 150، 151)؛ ولكنه حذف منها بعض الألفاظ والعبارات كالبسملة والتصلية في مطلعها، مما جعلها تختلف بعض الشيء عن النسخة المخطوط، ولمقارنتها مع النسخة المخطوطة التي اعتمدت عليها رمزت لإجازته بحرف (م). سبق التطرق لهذه الإجازة ص: 79.

الحمـد لله وحده، حمـدًا لا ينبغي لأحد سـواه، تتجلى عاجزة عن القيام به الأذهان والأفواه. والصلاة والسلام على أفضل من أتاه الله هديه وتقواه، وعلى آله الكرام الأطهار، وصـحابته الأعلام الأخيـار، وأتباعه أفضل الأنام الأخيار، صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما بقي العلم دليلا لأهل الإسلام والأنوار.

أما بعد: لمّا كان العلم أشرف المكاسب، وأفضل المناصب، وأرفع المطالب، والغاية القصوى لكل طالب، وصاحبه دائما إمّا راغب أو راهب، متعرض أبدا للخيرات والمواهب، ولا يُعطى إلاّ للسعداء، ولا يُحْرم منه إلا البُعداء. لا يرغب فيه إلا سعيد، و[1] لا يُعرض عنه إلا شقي عنيد، فهو المُفيد لكل مستفيد في القديم والجديد. وهو الرّافع لكل خامل، الرّاد لكل هامل، المُشرف للأسافل، الخافض للخلو منه قَدر أبناء الأفاضل. الجاعل للموالى موالي، في هذه العصور والعصور الخوالي، وأصحابه هم أهل[2] الدرجات العوالي[3]، والنفوس ذوات[4] القيم الغوالي، لا يعرض عنه إلا الجُهال، ولا يرغب عنه إلا الضلال، ولا يرغب في إلاّ أهل الله الأبدال[5]. ولم يقل الله تعالى لنبيه- عليه الصلاة والسلام- ربي زدني في شـيء، أمّا فيه قال:﴿ قل ربِّ زِدْ عِلْمًا ﴾[6]، ﴿ فَفَهَّمْنَاها سُلَيْمانَ، وَكُلاّ آتَيْنَا حُكْمًا وعِلْمًا﴾[7].

1 - في (م) (فهو) بدل الواو.
2 - في (م) (أعلى) بدل أهل التي يستقيم بها المعنى.
3 - في (م) (الغوالي) بدل العوالي التي يستقيم بها المعنى.
4 - في (م) (ذات).
5 - أبدال، ومفرده البِدْل: الكريم، الشريف. الزاوي، ترتيب القاموس، ج1، ص: 213.
6 - سورة طه، الآية (114).
7 - سورة الأنبياء، الآية (79).

والعلماء عبيد من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، أهل التقوى والخشية ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[1]، وهم أهل الشهادة والتوحيد مع الله تعالى والملائكة. ولم يشهد غيرهم معهم قط ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ والمَلاَئِكَةُ وأُوْلُوا العِلْمِ قَائِمًا بالقِسْطِ ﴾[2]. وهم الرَّافلون[3] في ثياب الولاية، عند الناس وذوي الولاية، كما أخبر بذلك من له وصف الولاية. وهم أفضل المجاهدين، وأفضل المرابطين والمهتدين، وأفضل العابدين والذاكرين، وأشرف القانتين الشاكرين، فكل من زهد في العلم واشتغل بغيره فهو مفضول، بل هالك وعمله ليس بسالم، بل فعلوا...[4] لى الإفهام غالبة فهمهم والسلام[5].

أما بعد: فإنّ العالم النجيب، الحاذق (الأديب)[6]، الذَّكي اللَّبيب، الآخذ من كل علم نصيب، السيد عبد القادر بن عبد الله الراشدي المعسكري أحد أولاد الشيخ البركة المزارة أبي زيد السيد عبد الرحمن المشهور بدحو، القاطن بجبل ابن راشد المشهور فيما مضى بجبل الذهب، وأما الآن فيُقال له رأس الماء، ويقال له جبل معسكر، ثم الوهراني الدار والاستقرار، لمّا اقتدى بالسلف، وعمل بما عمل به الخلف، فأصاب وما تلف، سألني الإجازة كما أجازني شيوخنا الفاسيون كالسيد محمد جسوس، والسيد التاودي بن سودة، والسيد محمد بناني، والسيد عبد الله السوسي، والسيد عمر الفاسي،

---

[1] - سورة فاطر، الآية (28).
[2] - سورة آل عمران، الآية (18).
[3] - رَفَلَ يَرفُلُ رَفلاً ورُفُولاً: جرَّ ذيله وتبختر، أو أرسل ذيله. الزاوي، المرجع السابق، ج2، ص: 370.
[4] - بياض في الأصل.
[5] - لا توجد عبارة (غالبة فهمهم والسلام) التي اختصرها قائلا:" إلى أن قال "، فلعلّه تجاوز موضع البياض بالاختصار.
[6] - لم ترد في (م).

والسيد إدريس العراقي الحسني، ومولاي عبد الرحمن بن إدريس وغيرهم.

ومن أهل تلمسان: السيد محمد بن عبد الرحمن اليبدري، والسيد محمد بن للّو، والسيد الداودي القروي، والسيد الطالب.

ومن أهل تونس: الشيخ الغزلاني. ومن أهل مصر: الشيخ الدمنهوري، والشيخ محمود الكردي. وبالمدينة الشيخ السّمان ممَّن لقيناهم بالشيخ الأمير وغيرهم. بعد أن جالسنا (في)[1] ألفية بن مالك مجالس عديدة، وسلك معنا في المسالك الكثيرة أحسن المسالك، وظهرت نجابته فيما هنالك، فأجزته في الفقه والنحو والكلام مُوصيًا له بتقوى الله تعالى في السّر والعلانية، وأن يقول فيما يدري ورعًا لا أدري، ورفع الهِّمة وحفظ الحُرمة، وأن يدعو لنا بعد دعائه لنفسه كما أوصانا أشياخنا بذلك، والأعمال بالنيات، والله تعالى يصلح السرائر والنيات، ويصلح للجميع الحال (في الحال)[2] والمآل، ويرزقنا التوفيق إلى سواء الطريق بمنه آمين والسلام.

قاله وكتبه سواه في جمادى الأخيرة من السنة الخامسة عشر من الثالث عشر ومائتين وألف (1215هـ)، محمد بن عبد الله بن محمد الموفق بن محمد المشهور ببغدود، بن عبد الرحمن بن محمد الموفق الملقب بالحفا، ابن محمد بن محمد أبي جلال، كان الله له وللمؤمنين في سائر الأحوال، وعافانا من الأهوال، في الحال والمآل، آمين يا ذا الإكرام والجلال، والفضل والجمال، فالاعتماد عليك والاتكال سبحانك اللهم وبحمدك. سبحان ربك رب العزة عمّا

---

[1] - لم ترد (م).
[2] - لم ترد (م).

يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، محمد بن عبد الله الجلالي".

ب- البنية:

لقد سار الشيخ محمد الموفق الجلالي على خطوات الإجازة المتعارف عليها، فاستهل الإجازة بالبسملة والحمدلة والتصلية على النبي - عليه الصلاة والسلام-، ليتوسع بشكل كبير في الحديث عن فضل العلم، ومكانة العلماء، وذلك بعد استعماله أداة الانتقال « أما بعد » للمرة الأولى. ولطول هذه الفقرة أورد عبارة الانتقال « أما بعد » مرة ثانية، رغم شيوع استعمالها مرة واحدة في الرسائل والإجازات. ومنها تطرق إلى علاقته بالمُجاز له، ووصفه بأوصاف متعددة منها: «العالم النجيب، الحاذق اللبيب»، مُشيرا إلى انتسابه إلى أحد مشايخ الصوفية المزارة الشيخ عبد الرحمن المشهور بدحو الراشدي، لما في ذلك من مفخرة للعلماء. ثم أشار إلى استدعاء عبد القادر الراشدي له، قائلا بأنَّه اقتدى في ذلك بالسلف، ليُعَّدِدَ بعدها بعض شيوخه الذين أجازوه.

وكان المُجاز قد حضر مجالس الجلالي العلمية، وبالأخص في ألفية ابن مالك، وفيها ظهرت نجابته فأجازه في: الفقه والنحو والكلام. فهي إذن إجازة تعليمية خاصة بالعلوم المذكورة. وقبل ختمه للإجازة أوصاه بتقوى الله، وبالتحري عن الحقيقة العلمية فيما يلقيه من علوم. وختم الإجازة بكتابة اسمه بعد هذه العبارة « قاله وكتبه سواه... »؛ أي أنَّه أملى الإجازة على غيره ليكتبها، وختمها بالدعاء والتصلية، وذيلها بإمضائه.

ومن خلال إجراء مقارنة بين إجازتي الشيخ محمد الموفق الجلالي لكل من عبد القادر الراشدي ومحمد بن سحنون[1]، يظهر وكأنّ له قالب خاص يكتب به إجازاته.

[1] - إجازة الجلالي لابن سحنون في الثغر الجماني، ص- ص: 229- 231. ومن الأمور التي تتشابه فيها مع الإجازة التي بين أيدينا: تكرار بعض العبارات، وعدم التطرق لفضل الإسناد وعلم الرواية، بالإضافة إلى تضمنها وصية بالصدق والأمانة والتحري.

ج- الدراسة الأدبية:

لقد صاغ الكاتب الإجازة في قالب أدبي سهل المعاني، فألفاظ النص وعباراته سهلة، مألوفة ومتداولة، فلا توجد أية لفظة غريبة، واستعمل صيغ التفضيل كوسيلة للتوضيح نحو:« أشرف، أفضل، أرفع ». وعمَّ النَّص الأسلوب الخبري الأنسب لموضوع كهذا؛ حيث يغلب عليه طابع الوصف، ومن جمله على سبيل التمثيل:« وهم أهل الشهادة والتوحيد مع الله تعالى...»، « العلماء عبيد من لا يخفى عليه شيء ». ومن الأساليب الخبرية في النص المدح نحو:« هم أفضل المجاهدين... ». وقد اقتبس أربع آيات من القرآن الكريم للتأكيد على فضل العلم ومكانة العلماء.

والنَّص ككل واضح لا يحتاج إلى وسائل لتشخيص معانيه، ولهذا لم يحفل إلاَّ ببعض الصور البيانية التي كان غرضها تقوية المعنى وتوكيده كالكناية في عبارة «ثياب الوَلاية »؛ وهي كناية عن مكانة العلماء الرفيعة. « الرافع لكل خامل »، و«الراد لكل هامل »؛ وهما كنايتان عن هداية الله سبحانه وتعالى لعباده.

وقد طغى على النص المحسنات البديعية، وفي مقدمتها السجع؛ الذي لازم النص من الحمدلة إلى الختم؛ حيث نجد السجع المتوازي الذي تتفق فيه اللفظتين في الوزن والفاصلة من ذلك: « سواه، الأفواه، تقواه »، و« الأخيار، الأخيار، الأنوار» و« المكاسب، المناصب، المطالب»، « طالب، راغب، راهب، المواهب »، « سعيد، عنيد، الجديد »، « النجيب، الأديب، اللبيب، نصيب »، « السلف، الخلف، تلف ». «الجهال، الضلال، الأبدال ».

والملاحظ أن المُجيزُ حافظ على سجعاته حتى وهو يقتبس لآيات القرآن الكريم؛ فالآية الأولى والثانية كلاهما انتهت ب«علما، علما »، وفي فضل العلماء « السماء، وفي الآية العلماء »، « قط، وفي الآية القسط ».

ويكاد الجناس يكون موازيا للسجع في النص، ذلك أنَّ بعض الألفاظ المشكلة للسجع كانت تشكل الجناس أيضا، ومنه:« المطالب، طالب » وهو جناس ناقص لزيادة الميم في الأولى، ومن الجناس غير التام لاختلاف اللفظتين في حرف:

«راغب، راهب »، «السعداء، البعداء »، «الخوالي، العوالي، الغوالي »، «الأهوال، الأحوال ». «سلف، خلف، تلف »، وبين خلف وتلف جناس مستوفى لأنَّ إحداهما اسم والأخرى فعل[1]. ونجد جناسا تاما بين « الولاية، الولاية، الولاية ». وبين « الحال، الحال » فالأولى صفة الشيء وهيئته، والثانية زمن.

والمقابلة هي أن يُؤتى بمعان متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب[2]، وذلك ما نجده في قوله: « لا يعطى إلا للسعداء، ولا يحرم منه إلا البعداء »، « لا يرغب فيه إلا سعيد، ولا يعرض عنه إلا شقي عنيد ». أما طباق الإيجاب في النص فيتمثل فيما يلي:« القديم، الجديد »، « السماء، الأرض »، « السلف، الخلف »، « السر، العلانية ».

ومن خلال الدراسة نتوصل إلى أنَّ المُجيز أجهد نفسه في الزخرفة اللفظية؛ التي أثقلت النَّص بقيود الصنعة والتكلف، والتي أعجزت القارئ عن تحديد المراد في بعض الأحيان، وإن كان قد أحسن كثيرا في اختيار الألفاظ، وانتقاء الكلمات السهلة المعبرة.

1- عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص: 200.
2- عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه، ص: 86.

III / - نماذج من الإجازات النظمية:

لقد انصرف بعض الشيوخ إلى نظم إجازاتهم استجابة لذوق العصر[1]، وكان العالم مُجبرا في بعض الأحيان على نظم الإجازة ردًّا على الاستدعاء النظمي، حتى لا يظهر أقل من المستدعي في الخطاب، ولهذا نظم بعض العلماء إجازاتهم رغم عدم تمكنهم من النظم، سيّما وأنّ بعض المستدعين كانوا يُلّمحون للمشايخ برغبتهم في الإجازات المنظومة.

1- إجازة الشيخ سعيد المقري لأحمد بن القاضي المغربي:

أ- النّص[2]:

ألاَ مَـرْحباً مِثْلَمَا المِسْـكُ نَّـمَ   وأهْلاً وسَهْـلا كَقَـطْرِ الدِّيَمِ[3]
وبُشْرَا[4] كَنَـيْلِ الغِنـا لِلعَدِيـمِ   وكالبُرْءِ[5] بَعدَ الضَّنَا[6] والسَّقَمِ
وكالوَصْلِ مِنْ بَعْدِ طُولِ الصُّدُودِ   وكالنَّوْمِ في عَيْنِ مَنْ لَمْ يَنَـمِ
بِمَنْ قَد أتـانَا بِرِجْلِ[7] الرَّسُـولِ   وخَـاطَبَـنَا بِلِسَـــانِ القَـلَمِ
سلِيْلُ ابـنِ عـافِيـةِ[8] أحْمَدُ   رئِيـسُ العُلوُمِ وَمُبْدِي الحِكَم
وقُطْبُ الثّنَاءِ وشَمْسُ السَّمَـاحِ   وغَيْثُ النـوَالِ وبَحْرُ الكَـرَمِ
سلامٌ كآسَـاسِ[9] عَلْـيَاكُـم   كَرِيـمٌ مَـدِيـدٌ نَمِـيمٌ يَعُـمِ

---

[1] - تتشابه الإجازت النظمية مع المنظومات التعليمية التي ازدهرت في هذا العهد. والشعر التعليمي: هو الشعر الذي يتضمن علوما وفنونا تسهيلا لحفظها ووعيها على المتعلمين. ومن أشهر المنظومات الجزائرية خلال العهد المدروس " السلم المرونق " في المنطق لعبد الرحمن الأخضري، و" إضاءة الدجنة " في التوحيد لأحمد المقري.

[2] - أحمد المقري، روضة الآس، ص، ص: 268، 269. سبق التطرق لهذه الإجازة، ص:103.

[3] - الديمة: بالكسر مطر يدوم أي يطول زمانه في سكون، أو هو المطر بلا رعد ولا برق، وجمعه ديم. مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج8، ص: 296.

[4] - وردت في القصيدة عدد من الكلمات بالألف الممدودة مع أنّها تكتب في الأصل بالألف المقصورة مثل: بشرى، أقوى، أزكى، أنمى.

[5] - البَرْء: الشفاء. الطاهر الزاوي، ترتيب القاموس، ج1، ص: 237.

[6] - ضنو، ضنى: مرض مرضا مخامرا كلماُظنَّ أنه برؤه نكس. الزاوي، المرجع نفسه، ج3، ص: 41.

[7] - الرِجْل: القرطاس الأبيض الخالي. ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص: 273.

[8] - نسب ابن القاضي نفسه في كتابه " جدوة الاقتباس" إلى جده الأعلى موسى بن أبي العافية المشهور؛ الذي كان له دور بارز في الأحداث السياسية في المغرب الإسلامي في مستهل القرن 4 هـ. عبد الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج1، ص: 326.

[9] - جمع مفرده أس، وهو أصل البناء وأساسه، وأصل كل شيء. الزاوي، المرجع السابق، ج1، ص: 145.

يـَرُوقُكُم حِبْـرُهُ مُقْـلَـةً وقِرْطَاسُـهُ[1] مُبَّسـماً يَتسِمِ
يَخُصـُكُم ثُـم أَحْـبَابَـكُم وَكُلَّ الـذّي حَازَ فَضْلَ القَـلَمِ
ومِن بَعدِ ذَا إنَّـني قَاصِـرٌ مُقِرٌ بِجَـهْلِي بَيْـنَ الأَمَـمِ
وَلَسْـتُ بِأَهْلٍ لِمَا قَـدْ طَلَبْتُم وَمَا قَـدْ ظَنَنْـتُم بِنَا مِنَ هِمَمِ
وَطَلَبُ الإِجَـازَةِ مِنْ مِثْـلِنَا أَدَّلُ دَلِـيلٍ وأقْـوَا عَـلَـمِ
عَلى أنّ أهْلَ العُلُـومِ مَضَـوا ولَمْ يَبْقَ مِنْهُم عَلَى الأرْضِ فَمِ
ولَكِـن أجَزَتُكُـم مُكْـرَهـاً ولاَ بَطَـلٌ بَلْ لأمْـرٍ مُـهِّـمِ
بِمَا صَّـحَ عَنَّـا وَجَـازَ لَـنَا رِوَايَـةَ كُـلِّ بِشَـرْطِ مُـتِـمِ
فَسَوْفَ يَجِيئُـكَ رَسْـمٌ بِذَاكَ إلى أرْضِ فَـاسٍ وَقَيَـتِ الأَلَمِ
وعِشْتَ سَعِيْـدًا ومِـتَّ شَهِيدًا وسَاعَدَكَ السَّعْـدُ بَيْـنَ الأَمَـم
ويَطْـلُبُ مِنْـكُم سَعِيدُ دعـاءٍ بِحُسْنِ خَوَاتِـمِنَـا يُخْـتَتَـمِ
كَتَبْـتُ بِتَـاريخَ تِسْـعٍ وأَلَفٍ مَضَتْ بَعْـدَ هِجرَةِ مُجْلِيْ الظّلَمِ
عَلَيْهِ مِـنَ الله أعْـلا صـلاةٍ وأزْكَـا سَـلامٍ وأنْـمَـا كَـرَمِ

ب- البنية:

نظم الشيخ سعيد المقري هذه الإجازة إستجابة لاستدعاء نظمي ورد عليه من فاس من طرف العلامة أحمد بن القاضي سليل موسى بن أبي العافية. وقد استهلها بالترحيب باستدعاء المُستجيز المُجَاز، مُظهرا ابتهاجه به، حتى جعله كنيل المرء لأمانيه بعد طول حرمان، ليبين أنَّه استجازه مراسلة باستدعاء كتابي بقوله:" خاطبنا بلسان القلم". ثم انتقل إلى مدحه بعبارات «رئيس العلوم، قطب الثناء..»، ثم حيَّاه بالسلام وأحبابه، وكل أهل العلوم. وهنا ينتهي الشطر الأول من الإجازة، والذي يختلف عن مطلع الإجازة المتعارف عليها وهي الحمدلة والتصلية.

وابتداءً من البيت العاشر يباشر سعيد المقري الغرض من ميميته مُستعملا عبارة الانتقال « ومن بعد ذا »، ومنها إلى الختم ظل مُتَمَّسِكا بأغلب أجزاء بنية

[1] - القرطاس: الكاغد يتخذ من بردى مصر، وقيل هو الصحيفة من أي شيء كانت يكتب فيها، والجمع قراطيس. مرتضى، تاج العروس، ج4، ص: 215.

الإجازة، حيث أبدى تواضعه مستصغرا من علمه أمام منح الإجازة التي استعظمها العلماء، سيّما وأنَّ المستجيز أحد أعلام المغرب، ثم صرّح بإجازته له وأذن له في رواية ما صح له وجاز عنه، وما إجازته له إلاّ لأمر مهم لم يصرح عنه لتعارفه بين العلماء، وهو المحافظة على الإسناد. وختم الإجازة بالدعاء لأحمد بن القاضي وطلب الدعاء منه، مع إثبات تاريخ تحرريها، والتصلية على خير المرسلين.

ج- الدراسة الأدبية:

هذه الإجازة هي الوحيدة التي حفلت بها المصادر المطبوعة للشيخ سعيد المقري على الرغم من كثرة تلامذته والمتخرجين عليه. وقد كان في مقام المانح للإجازة، واصفا مادحا المُجاز له دون حاجة كبيرة إلى الطلب، ولذا غلب عليه في المنظومة الأسلوب الخبري؛ الذي تنوعت أغراضه بين المدح والتمجيد والتواضع أيضا، ومن أغراضه هنا: النفي مثل « لم ينم »، « لست بأهلٍ »، « لا بطل »، « لم يبق »، ومن الجمل الخبرية: « كتبت بتاريخ »، « فسوف يجيئك ». كما تخَّلل الإجازة الدعاء نحو: « عشت سعيدا، ومتت شهيدا ».

وقد اتسم أسلوب الشاعر بالوضوح، عدا في البعض من أفكاره؛ التي نجد فيها غموضا بسبب نزوعه إلى التركيب المُعّقد لبعض أفكاره كما في قوله:« يروقكم حبره مقلة »، التي استمدها من قوله تعالى:﴿ واشْتَعَلَ الرَّأسُ شَيْبًا ﴾[1]، وأصل التركيب: يروق مقلتكم حبره، فأخَّر « يروق مقلتكم» وجعل المفعول به تمييزا وأخَّره. كما لجأ إلى التركيب في قوله:« عليه من الله أعلا صلاة » والأصل أن يقال:« أعلى صلاة عليه من الله » بإيراد المبتدأ ثم الخبر، وكان هدفه من وراء ذلك الحفاظ على وزن القصيدة، بالإضافة إلى تخصيص الصلاة على النبي - عليه الصلاة والسلام- من طرف الله وحده.

كما نشير إلى ترابط أفكاره، فهي متآلفة ومتتابعة، وألفاظه واضحة ملائمة لغرض المدح، بالإضافة إلى أنَّها دقيقة تؤدي معانيها الخاصة، وهي تدل على مقدرة

[1] - سورة مريم، الآية (4).

صاحبها اللغوية في انتقاء الألفاظ ذات المعاني اللطيفة المعبرة بعناية. ويعتمد الناظم على الترادف كما في البيت السابع « سلام... كريم مديد نميم يعم ». وضمَّن صدر البيت الرابع عشر« ولكن أجزتكم مكرها... » المثل العربي المشهور « مكرهٌ أخاك لا بطل ».

أمَّا عن ألوان البيان، فقد وُفق الناظم كثيرا في تجسيد المعاني وإبرازها في صور محسوسة، فأدَّت دورا مهما في توضيح الأفكار، وتنوعت بين تشبيه واستعارة، فمن التشبيه ما جاء في الأبيات الثلاثة الأولى نحو: « مَرْحباً مِثْلَمَا المِسْكُ نَّم »؛ أي أنَّه يرحب باستدعائه له بالإجازة كالمسك في نمائه وانتشار رائحته؛ وهو تشبيه مرسل لوجود أركان التشبيه الأساسية والثانوية، وعلى هذا الوجه تجري كل التشبيهات الواردة في الأبيات المذكورة، ومنها: « بُشْرا كنيل الغنا » للفقير المعدم، وكالشفاء بعد الضنا، فابتهاج العديم باغتنائه كبير جدا، والشفاء لمن عانى من المرض والهزال هو الآخر كبير. ونجد تشبيها بليغا في قوله:« غيث النوال وبحر الكرم »، إذ المشبه هو المُجاز له. كما وظف الاستعارة مثل:« خاطبنا بلسان القلم » وهي استعارة مكنية؛ فقد شبه القلم بإنسان، وحذف المشبه به – الإنسان-، وأورد بعض لوازمه وهي اللسان والمخاطبة.

ونجد المجاز المرسل الذي تكون العلاقة فيه غير المُشابهة[1] في قوله:« لم يبق على الأرض فم »؛ فليس المقصود بالفم من الإنسان ما ينفتح للتكلم والأكل، ذلك أنّ العقل يحكم أنَّ عدم البقاء يشمل العَالِم كُله لا فمه وحده، وقد ذكر الفم دون غيره من سائر أجزاء الجسد، لأنَّ به يبلغ العالم علمه، فالفم هنا مَجَاز علاقته الجزئية وقرينته عقلية.

هذا، ولم تَخْلُ القصيدة من بعض الفنون البديعية كالتصريع؛ الذي يتحقق عند توافق المصراعين أي شطري البيت في الروِّي، وهو الحرف الأخير المكرر من القصيدة. وذلك ما نجده في مطلع الإجازة؛ حيث كرَّر الناظم قافية الميم مرتين: مرة

[1]- عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص: 143.

في آخر الصدر، ومرة في آخر العجز، وهي: « ثَّم، الدَّيم »، والتصريع ظاهرة تغلب على مطالع الشعر القديم.

وهناك فنون بديعية أخرى كالجناس نحو:« أهلا، سهلا » و« الغنا، الضنا »؛ وهو جناس غير تام، وبين « الديم، العديم » جناس ناقص. ونجد طباق الإيجاب «البرء، السقم » و« الوصل، الصدود » و« عشت، مت »، أما طباق السلب فورد في « النوم، لم ينم ». وهناك المقابلة أيضا «عِشْتَ سَعِيْدًا، ومِتَّ شَهِيدًا ».

ومن المحسنات المعنوية المبالغة: وهي " الإفراط في الصفة "[1]، فقد بالغ سعيد المقري في البيت الثالث عشر؛ حيث ادَّعى انقضاء أهل العلوم في عصره، حتى لم يبق منهم على الأرض فم، فالوصف المُدّعى ممكن عقلا؛ حيث يمكن انقضاؤهم، لا عادة لوجود أهل العلم، غير أنّهم ليسوا كسابقيهم، ويسمى هذا النوع من المبالغة "إغراق"، وقد لجأ إليه الناظم تعظيما لشأن الإجازة من جهة، وتواضعا من جهة أخرى. أما وزن هذه الإجازة فهو البحر المتقارب[2].

وهكذا فميمية سعيد المقري ابنة بيئتها الثقافية والعلمية التي قيلت فيها، وهي لا ترقى إلى مصاف النظم القوي الذي عهدناه عند الشعراء في عصر الازدهار، وممَّا يشفع لصاحبها أنَّه عالم وليس شاعرا؛ فمقدرته على انتقاء الألفاظ المعبرة بادية واضحة، كما أنَّ الصنعة في شعر العلماء بادية أيضا على القصيدة.

2- إجازة الشيخ أحمد المقري لتاج العارفين التونسي:

أ- النَّص[3]:

1- عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص: 91.

2- البحر المتقارب: (فعولن) أربع مرات في الصدر ومثلها في العجز. ويلاحظ أن الناظم لم يكن دقيقا في الوزن في عدة أبيات، كما في البيت الرابع (سليل ابن عافية أحمد).

3 - المقري، الرحلة، ص، ص: 153، 154.

أرقْتُ[1] لبَرْقٍ شَمَت[2] من جانب الخِضْرَا … أضَاءَ فأَذْكَى[3] الشَّوْقَ في كَبِدِي جَمْرَا
وأذْكَرِنـي العَـهْد القَدِيـمَ وطَالَـمَـا … تُثِيرُ جوى[4] المُشْتَاقِ للمَعْهَدِ[5] الذِكْرى
ولَمْ أنْسَ عَهْدَ الظَاعِنِينَ[6] وغَادَرُوا … مُتَيَّمَـهم هَيْمَانٌ لَـمْ يَمـْلُكِ الصَّبْرا
فَيَا زَاجِرَ[7] الأضغَانِ[8] وهِي ضَوَامِرُ[9] … تَرَّفَّـق بِهَـا بالله لا تـُكْثِرِ الزَّجْـرَا
وحـيِّ عُرَيـبَ الحي خـير تحـيةٍ … وبلِّغ سـلامَ الهائمِ المغـرم المغـرى
ولا تنس سكان العقيق[10] فإنَّهـم من … العين أجروه دموعًـا غـدت حمـرا
فها باطني حلَّ الغَضَا[11] منه جيرةً وفي … المُنْحَنِي مـن أضلعِي جرةٌ[12] أخرى
لـك الله من صـبٍّ تعبده الهـوى … وبَانَ مـن الأحبـابِ قد ألف القفرا[13]
رعى الله خـلانَ الـوِدَادِ وجِيْـرةً … تنادوا فأبدى الـوَهْمُ شَخْصَهُم فِكْـرَا
فيا ليت شعري[14] والأماني كثيـرة … وللــدهر أشجان[15] تعاقبها ســرا
هل الزمن الماضـي بتونـس راجع؟ … فاقضــي من حق الخـليل بها نَـذْرا
ولم أنـس تـاج العـارفين وليـلة … بمغناه[16] راقت منظرا وذكـت نشرا

---

[1] - أَرِقَ يَأْرَقُ: ذهب عنه النوم. الطاهر الزاوي، ترتيب القاموس، ج1، ص: 135.
[2] - شام البرق: نظر إليه. ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص: 330.
[3] - ذكا يذكو ذكاءً اشتد وسطـع، أذكى: أشعل، الذكا الجمـرة المشتعلة. الزاوي، المرجـع السابق، ج2، ص: 263.
[4] - جَوِيَ يجوي جوًى، الجوى: حرقة الحب وشدة آلامه. الزاوي، المرجع نفسه، ج1، ص: 563.
[5] - المعهد الذكرى: أي المكان الذي له به ذكريات.
[6] - ظعن: رحل، سار. الزاوي، المرجع السابق، ج3، ص: 122.
[7] - زَجَرَ: منع ونهى، الزاجر هو الضمير. الزاوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 436.
[8] - ضغنَ الضِغن، جمع أضغان: الشوق والميل. الزاوي، المرجع نفسه، ج3، ص: 29.
[9] - أَضْمَرَ: أخفى. الزاوي، المرجع نفسه، ج3، ص: 37.
[10] - العَقِيق: إحدى مدن الحجاز، قرب المدينة النورة. الزياني، الترجمانة الكبرى. ص: 492.
[11] - غَضَا يَغْضُوا غضوا ظلام الليل: ألبس كل شيء، أو أظلم. أحمد رضا، معجم متن اللغة. ج4، ص- ص: 301- 304.
[12] - الجَّرة: المرّة من الجَّر. الزاوي، المرجع السابق، ج1، ص: 473.
[13] - القَفْر: الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ، جمع قفارٌ. ابـن منظور، المصـدر السابق، ج5، ص: 110
[14] - ليت شعري: تعبير للتعجب يٌقصد به ليت إحساسي يدُلني على جواب لما يلي أو ليتني أشعر.
[15] - شجنَ شَجْناً وشجوناً: وشجنه أحزنه، أشجان أحزان. الزاوي، المرجع السابق، ج2، ص: 677.
[16] - جمع مَغْنًى وهو المكان الذي أقام فيه أو المنزل التي كان بها أهلوها. ابن منظـور، المصدر السـابق، ج15، (و- ي)، ص: 139.

عميدُ ذوي العلياء محمدُ الرِضَـى وحيدُ أولي التقوى بتونسَ الخَضْـرَا
وممَّا شاجني والبلابل[1] جمة خطابٌ أتـى من عنده قد حـوى شـعرا
فجدد أشواقا واذّكَرَ معهدا وأهدى من السـحر الحـلال بـها دُرًّا[2]
يرومُ عن العبدِ الجهولِ روايـةَ ويطلـبُ أمـرا مـن إجازته أمرا
ولستُ بأهلٍ أن أجاز فكيف أن أجيزَ؟ فكان العـجز عـن ذاك بي أجرى
ولَـكِنْ رَأَيْتُ الأمرَ يَبْـعُدُ رَّدُهُ فَلَمْ يَـكُ بُـدٌّ مِـنْ إجَابَــتِهِ قِسْـرَا
ولـولا رجـائي منـه نفعَ دعـائه لما كتبت يمناي في طُرْسِهِ[3] سَطْرَا
فيــا واحد حاز المفـاخر جملةً حنانيك سامح هفوتي وأقبل العـذرا
وها أنا ذا قد قلـت قول مـقصرٍ عن أمرٍ جليلٍ ما أحطتُ بـِهِ خُبْـرَا
أجزتك تاج العارفينَ جميع ما رويت عن أعـلام الهـدى قـلاً أو كَثُـرَا
مُجَـازا ومقـروا وإذنـا بشـرطه وكل الـذي لفقته نظـما أو نثـرا
وفهـرسةُ الشيخ ابنِ غازيٍ كفيلـةُ بأشيـاءَ من مطلوبُكم تُثْلِجُ الصَّـدْرَا
وللعَبْـدِ فيهـا دُمْـتَ غير روايـة أجـازك إيـاها وأتبعـهـا شكـرا
وأقرّ بهـا عن عَمِّنا العالم الرضـى سعيــد جزاه الله عن نفعنا أجرا
عن أشياخه من أهلِ فاسٍ جماعـةٍ كمثل ابنِ هـارونَ إمامُهُـم الأدْرَى
وقد لازمَ المذكورُ في الدَّهرِ حقبة در وسَ ابن غازيِ العالمِ الآيةِ الكُبـرى
وأضحـى إمامًا مُفَّـرَدًا في علومه ونـالَ بفـاسٍ رُتْبَةً عَظُـمَتْ قَـدْرَا
وللعبدِ من أهـلِ الفهارسِ مُسْـنَدٌ كَثيرٌ وفي ذاَ الوقتِ لم يُطِق الحَصْرَا
وفي البعضِ ما يغني واذكرها هنـا خصوصـا لمنتورهم[4] سندا يجـرى
فقد طبـقَ الآفاقَ إسـنادُ عِلــمِهِ بفهرسـةٍ بينَ الوَرَى لم تَـزَلْ تُقْرَا
وعنه رَوَى الموَّاقُ وَاحدَ عَصْـره وعِـدَّةُ أشياخٍ صُـدُورٍ زَكْوا بَحْرَا

---

[1] - البلبال: شدة الهَّم والوسواس والجمع بلابل. أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج1، ص: 344.
[2] - الدُّر: اللآلئ العظام. الزاوي، المصدر السابق، ج2، ص: 168
[3] - الطِرْس: الصحيفة.
[4] - أبو عبد الله محمد عبد الملك المنتوري (ت 834هـ): له فهرسـة كبيـرة مهمة جدا. الكتـاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 564.

حبانا بها القَّصَارُ عَنْ غَيرَ وَاحِدٍ كمثـلِ ابن إبراهيمَ قَاسِـمَ الأقْرَى
وهذا عن الدقونِ أستـاذُ عَصْـرِهِ عن العالمِ المـواقِ عَنـهُ كَمَا مَـرَّا
ومَروى زَرُوقٍ أخَـذْتُ جَمِـيعَهُ عَنِ التَادِلي ابنِ أبـي القاسمِ الأَسْرَى
عن الشيخ خَرُوفِهـم عن إمَـامِهِ وَحِيدُ الوَرَى زَرُّوقَ مَن رَبِحَ التَّجْرَا
وكَاتِبُ هَذَا المقري مُؤملٌ من اللهِ جُّلَ العَـوْنَ والفَـوْزَ واليُسْـرَا
وفي صفرِ من عامِ عِشرينَ بَعْدَهَا ثَمَانِ وألفِ مِنْ سَني هجـرةٍ تَـتْرَا
وفي سوسةٍ قد كانَ رَقْمُ بُـرُودِهَا وقد وَقَعَ التَّصمِيمُ أنْ أرْكَبَ البَـحْرَا
فلا تغفلونَا من دُعَائِكُم عَسَى نَرَى عن قَرِيبٍ رَوْضَةَ المُصْـطَفَى الغَّرَا
علـيهِ صَلاةُ الله ثـم سَـلاَمُـهُ وآلٍ وصَحْبٍ قَد غَدَوا أنْجُـمًا زُهْرَا
مَدَى الدَهْرِ مَا سَارَ الحَجِيجُ لِمَكَّةٍ ومَا شِيْمَ بَرْقُ الأنْسِ مِنْ جَانِبِ الخَضْرَا

ب- البنية:

الإجازة التي بين أيدينا مطولة. وقد افتتحها المقري بمطلع غزلي تضمَّن وصف ما حلَّ به من جراء استدعاء تلقاه من تونس الخضراء، فأثار فيه من جديد حرقة الحب وآلامه، مسترسلا في وصف عذابه، حتى يخيل للقارئ بأنَّه قد ترك بتونس محبوبة له.

ويجدر بنا أن نقف هنا وقفة نؤكد فيها بأنَّ المقري لم يكن يصف مرحلة عايشها، حيث وطئت أقدامه تونس لأول مرة، بل كان يصف وصفا حيا، ما وعته ذاكرته، ويتحسر على ما آلت إليه الحياة الفكرية بتونس الخضراء، ويبدو فيه هذا التجاوب بينه وبين ما يصفه ويتحسر عليه، وتلك مزية لا يوفق إليها إلاّ عارف مطَّلع بما زخرت به تونس من ازدهار. وبهذا فإنَّ مُعَّذِبي الناظم الرَّاحلين عنه هم علماء تونس الأوائل، ومراكزها العلمية المندثرة[1]، ولهذا أنهى هذا المطلع بتمنيه رجوع تلك الأيام الخوالي. وبهذا فقد خالف المقري عادته ومألوف المجيزين من قبله، حيث كانوا يفتتحون إجازاتهم بالحمدلة والتصلية.

---

[1] - يحدثنا التاريخ أن الحياة الفكرية بتونس كانت جد مزدهرة خلال العهود السابقة، أما خلال القرن 10هـ ومطلع القرن 11هـ فقد أصابها ركود كبير، وظلت كذلك إلى الفترة التي زارها فيها المقري. ينظر الفصل الثاني، ص: 97.

وانتهى الشيخ أحمد المقري إلى الحديث عن استدعاء العلامة تاج العارفين التونسي، الذي أحزنه لتذكيره إياه بمأساة تونس، على الرغم من إعجابه ببلاغته، ثم تواضع كعادته قائلا بأنّه ليس أهلا أن يُجاز فكيف أنْ يُجيز؟.

وقد أخذ الإقرار بالإجازة حيزا مُهِمًّا من المنظومة، لاستيفائه في سبعة عشر بيتا، افتتحها بقوله:« وها أنا ذا قد قلت»، ثم أذن له برواية جميع مروياته ومؤلفاته، ثم استعرض عددا من الفهارس التي تضم بعض أسانيده. ثم ختم الإجازة بذكر اسمه، وتاريخ ومكان تحريرها. ويكاد المقري ينفرد بذكر مكان تحريرها، بل بيَّن حتى سبب دخوله إلى تونس، حيث كان عازما على ركوب البحر، قاصدا بيت الله الحرام لأداء الفريضة. وأنهى الإجازة بطلب الدعاء وبالصلاة على النبي -عليه الصلاة والسلام-.

وهكذا نُمَّيز في المنظومة شطرين تكاد تكون أغراضها منفصلة، الأول غزلي صِرْف، وهو لا يَمُتُ بصلة إلى بنية الإجازة ظاهرا، أمَّا الثاني فقد التزم فيه المقري بعناصر الإجازة.

ج- الدراسة الأدبية:

تعد الإجازة التي بين أيدينا من أطول إجازات المقري في المغرب الإسلامي، وإن تبدو معانيها سهلة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، إلاّ أنّها تحتاج إلى وقفة مطولة وتركيز في معانيها، رغم خلوِّها من كل مستحدث و جديد، وهي كلها مألوفة، وهذا النَّمط من الغزل الموجود في مطلع الإجازة المعروف ب« المقدمة الطللية » قديم طالما تناوله ورَّدَده من قبل الشعراء في قصائدهم. غير أنَّ المقصود منها بيان شوق المقري لعلماء تونس الأوائل، وتحسره على زوال مراكزها العلمية.

أمَّا أفكاره فقد جاءت سهلة واضحة، لغتها راقية عذبة، لا تبدو مبتذلة ولا تثير الملل، بل تستكين لها النفس وتطمئن بها لصدق الشاعر في مشاعره الناجمة عن عميق تأثره بما أصاب معاهد العلم بتونس.

والشَّاعر في الشطر الأول من الإجازة يتحدث عن ذكريات سالفة، ويصف ما يعاني من لوعة الفراق وما إلى ذلك، ولمّا كانت الكثير من هذه الأخبار دّالة على الحسرة والأسى نجده يكثر من الجمل الخبرية مثل:« أذْكَرِني العَهْد القَدِيمَ ». وكذلك كان في الشطر الثاني في موقف الإقرار بالحقيقة؛ أي حقيقة علاقته بالشيخ تاج العارفين وإجازته له.

كما أخذت الأساليب الإنشائية حظها في المنظومة، حتى أنّه أورد في البيت العشرين عدة أساليب منها « فيا واحدا... حنانيك سامح هفوتي، وأقبل العذرا »؛ فهذا البيت به أربعة أساليب إنشائية: نداء فأمر ثم أمر وأمر، وكُلُّها جاءت بغرض الاستعطاف والترجي، بالإضافة إلى المدح، ومنه الاستفهام الذي يدل على التَّمني كقوله:« هل الزمن الماضي بتونس راجع؟ »، والاستفهام الدال على التساؤل والحيرة « فكيف أن أجيز؟ » وهو يوحي بالتواضع، والتمني الدال على الرَّجاء « عسى نرى عن قريب روضة المصطفى »، والتمني الدال على التعجب « فيا ليت شعري »، والنهي الذي قصد منه طلب الرفق واللين « لا تكثر الزَّجرا »، والنهي وغرضه الرجاء « فلا تغفلونا »، « ولا تنس سكان العقيق »، والأمر وغرضه الالتماس في كل من « حيَ عريب الحي »، « بلِّغ سلام الهائم »، والنداء في « فيا زاجر الأضغان ». وتخلَّل القصيدة الدعاء نحو: « لك الله... ».

أمَّا الخَيال فقد أدى دوره كاملا في إبراز المعنى وإيضاحه كما هو الحال غالبا في الشعر. وهذه الإجازة مليئة بالصور البيانية البليغة، ومنها ما ورد في البيت الأول « أرقت لبرقٍ شمت من جانب الخضرا »، وهذه كناية عن الاستدعاء الذي تلقاه المقري من مدينة تونس، والتي كان يطلق عليها اسم تونس الخضراء؛ أي أصابه الأرق وهجره النوم، بل أذكى هذا الاستدعاء جمرا في كبده، وهي كناية أخرى عن تأجج شوقه والتهابه للقيا هؤلاء الأحبة، الذين كانت تعج بهم تونس قبل نزوله بها.

ونجد في البيت الخامس عشر كناية في قوله:« وأهدى من السحر الحلال بها دُرا »؛ ومقتضى الكناية أنَّ الخطاب حوى سِحْرا أي كلاما بليغا، ففي الحديث

الشريف:« وإنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»[1]؛ فالشعر البليغ سحر ولكنه حلال، وتضمَّن البيت الثاني والثلاثون كناية « طبق الآفاق »، وهي كناية عن شهرته وذيوع صيته وانتشار علمه.

وفي البيت الرابع والعشرين حول فهرسة ابن غازي بأنَّها « تثلج الصدرا »، وهي كناية مقتضاها أنّ فهرسة ابن غازي تُشفي غليل المُجَاز بها، بِمَا تحويه من أسانيد ومرويات المقري. ولم تحفل المنظومة بتشبيهات كثيرة منها؛ قوله في ختم الإجازة « وآلٍ وصَحْبٍ قد غدوا أنجما زهرا » تشبيه ضمني يُفهم من سياق الكلام، فقد شبَّه آل البيت والصحابة – رضوان الله عليم- بالنجوم في الرفعة والضياء وهو نور هداية.

أمّا وصفه الإمام زَرُّوقَ بأنّه « مَن رَبِحَ التَّجْرَا »، فهي مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الّذِينَ اشْتَرَوا الضَّلاَلَة بالهُدَى فَمَا رَبِحَت تَجَارَتُهُم ومَا كَانُوا مُهْتَدِيْن﴾[2]، وضمّن البيت الحادي عشر قول الشاعر:

أيَا مَنْزِلَي سلمى سلام عليكما　　　هل الأزمن اللائي مضين رواجع؟

وتقل المحسنات البديعية في المنظومة؛ منها التصريع الوارد في البيت الأول «الخضرا، الحمرا »، وطباق الإيجاب في « نظما، نثرا »، « قل، كثر ».

وقد أوحت ألفاظ النص بمشاعر الأسى والتحسر على فقدان الناظم لخليله؛ وهي الحياة العلمية بتونس مستعملا ألفاظا دالة على ذلك مثل: المشتاق، متيم، هيمان، الهائم، المغرم، صب، جوى وغيرها، فهذه كلها درجات من درجات الحب، وانتقى ألفاظا دالة على الأسى والحزن مثل: البلابل، الأشجان، الغضا وغيرها. وتنتمي القصيدة إلى البحر الطويل[3]؛ الذي تتسع تفعيلاته للمعاني الغزيرة.

ومن خلال الدراسة السَّابقة نتوصل إلى أنَّ البيان غلب على البديع، وعهدنا في ذلك العصر غلبة البديع، وأوَّل ما يسترعي النظر في أسلوبها أنَّ كثيرا من

---

[1] - أخرجه أبو داود في سننه، "كتاب الأدب"، " باب ما جاء في المتشدق في الكلام "، رقم الحديث: 5007، ج4، ص: 330.

[2] - سورة البقرة، الآية (16).

[3] - تفعيلات البحر الطويل: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ♦ فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن.

ألفاظها وعباراتها مستوحى من كلام الشعراء، قد بدا فيها تأثره بالشعر العربي القديم، سيَّما الشعر الأندلسي من خلال نزوعه إلى استعمال كلمات، بل عبارات تداولها هؤلاء الشعراء مثل: «حنانيك... »، « ليت شعري... »[1]، « لك الله... ». هذا وإن لم يُشْهَد للمقري بقوة الابتكار فإنَّه دليل على قدرته في تأليف الكلام، والتنسيق بين أساليبه، كما يدل على براعته في صناعة الكلام وإطلاعه الواسع.

3- إجازة الشيخ أحمد المقري لحنيف الدين المكي:

أ- النَّص[2]:

أحْمَدُ مَنْ أوْلَى الهُدَى حَنِيفًا   وأسْـندَ العِـلْمَ لَـهُ مُنِيفًـا
ومَنَـحَ الأخْـذُ بالـرِوَايـةِ   نُـورًا أزاحَ غَيْهَبَ[3] الغَوايـَةِ[4]
وصَلَواتٍ زاكِيـاتٍ زاهـرةٍ   على الذّي حَازَ السَّجَايَا[5]الطاهِرةِ
وأمَـرَ النَّاسَ بنَشْـرِ السُـنَنْ   وأرْشَـدَ الخَلْقَ إلى أهْدَى السُنَنْ
وبَعْدُ، فالعِلمُ كَمَـا لا يُجْهـلْ   أشْرَفُ مَـا يُزَّيِـنُ مَنْ تَأَهَّـلْ
لا سِيّمَا عِلمَ الحَديثِ والأثَـرِ   إذْ هُـوَ مَنْسُوبٌ إلى خَيْرِ البَشَرِ
وشَرَفُ المَعْلُومِ للمُعَّلِمِ سَـرَى   كَمَا حَـكَى مَعْنَاهُ مَنْ قَدْ فَّسَـرَا
وإنَّ الإسْـنـادَ لَـهُ قَـوامُ[6]   لـَوْلاهُ لَـمْ يُــرْجَ لَـهُ دَوامُ
وخَصّـصَ الله بِهِ هَذِه الأمَّةَ   لِمَـا لَهَا مِـنَ المَـزَايَا الجَـمَّةَ
ولَمْ يَزَلْ أهْلُ النُّهى[7] كُلَّ زَمَنٍ   َيسْعونَ في تَحْصيلِهِ عَنْ مُؤْتَمَنٍ
وكان مِنْ جُمْلَةِ مَـنْ أرادَ أنْ   يُنْظَمَ في أسْـلاكِهِ ذاتُ الثّمـنِ

---

1 - مثلا قول ابن هانئ الأندلسي:
" يا ليت شعري! عن مقاولهم، إذ ♦ سمعت بذلك عنك، كيف تقول؟ ".

2 - أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، ص، ص: 81، 82.

3 - غهب، الغيهب الظُلمة، اغتهب الرجل سار في الغيهب، والغيهب شديد السواد من الخيل والليل. مرتضى، تاج العروس، ج1، ص: 415.

4 - غوى، غيا، (غَواية)، أمعن في الضلال. المعجم الوسيط، ج2، ص: 691.

5 - السّجية: الطبيعة والخلق، جمعها سَجَايَا. المرجع نفسه، ج1، ص: 434.

6 - القِوَام: قِوَام كل شيء عماده ونظـامه. وقوامُ الرجل قامته وحسن طوله. الطاهر الزاوي، ترتيب القاموس، ج3، ص: 719.

7 - النُّهى: العقول، جمع نهية. الزاوي، المرجع نفسه، ج4، ص: 454.

الكَوكَبُ الطالِعُ في أُفُقِ العُلى الوّارِثُ العِلمَ عَنْ القَوْمِ الآلـيْ
الأَوْحَدُ الفَـرْدِ حَنيـفِ الدّينِ دامَ مُعَّـزَزَا بكُـلَّ حيـنٍ
نَجْـلُ الإمامِ عـابِدِ الرحمنِ مُفتي الوَرَى في مَذهبِ النُعمانِ
مِنْ عِلمِهِ أمْطى الرُّوَاة العِيسَا[1] العَـالِمِ العَـلامـةِ ابن عِيْسَى
خَطـيبُ سَرحِ البَلَـدِ الحرامِ لا زالَ بَالغًـا قُصَـى المُـرامِ
وعِندمَا عُدْتُ إلى أمِ القُـرَى مُؤْملاً مِنْ خَالِقي حُسْنَ القِرىَ[2]
شَمَمْتُ عَرْفَ[4]الوَّدِ مِنْ تِلقَائِهِ َوشِمْتُ بَرْقَ المَجْدِ[3] في لِقَـائهِ
فَكَّلفَ النَّجْلَ بالأخْذِ عَّنِي لِمَا اقْتَضَـاهُ حُسْـنُ الظّـنِ
أمَا دَرى دَامَ بأنّي ذُو خَطَلٍ[5] وإنْ أجَبْـتُهُ فَلَسْـتُ بالبَطَـلِ
وقَدْ رَوَى عني مُوّطأَ مَالـكٍ إمَامُنـا مُنيـرُ كُـلِ حـالِكٍ
مع الصّحيحينِ اللّذَيْنِ حـاَزَا سَبْقَ العُلَى رِوايَتُهُمَـا وفَـازَا
وسَـائرَ السَـتَةِ لمَّـا قَـرَءَا عَلـيَّ بَعْضَـهَا بِـوِفْقِ مَـا رَءَا
وقَدْ أخَذْتُ الجَامعَ الصَّحيحَ عنْ جمَاعَةٍ مَنْ يَسْتَـعينُ بِهمْ يُعَـنْ
كعَّمي الإمـامُ والقَصَّـارِ كُلٌ عـن الرِّضَى أخي الأنْصَارِ
مُحمدُ ذِي الرِحْـلَةِ المَعْروفْ التُونُسـيْ المُرْتَضَـى خَرُوفْ
عنِ الطّويلِ القَـادِرِي الأوْحَدِ عَنِ الحِـجَازِي الـذي لا يُجْحَدِ
عنِ الرَّضـى أبي المَجْـدِ الذي يَرْوِي عَنِ الحَّجَارِ في ذَا المَأْخَذِ
عنِ الزُبَـيْدِي عَنِ المُـعَّوَلِ عَلَيْهِ في ذا الفَّنِ عَبْـدُ الأوَّلِ
وهُوَ أبُو الوَقـتِ عَنِ الجَمَالِ الـدَّاودي صَـاحِبِ الكَمَـالِ
عَنِ السَّرَخسي عنِ الفَرَبري عنِ البُخـاري الإمـامُ الحَـبرِ
وقدْ أجَـزْتُهُ بهِ مَعَ كُـلِّ مَا قدْ صَّح عَنّي بِقُصـُورِي مُعّلَمَا

1- العَيْسَاءُ: مؤنث الأعيس جمع عيسُ: كرام الإبل. المعجم الوسيط، ج2، ص: 663.

2 - قَرَىَ الضيف قِـرَى وقراءَ: أضافه، فهو مِقْرَى الضيف ومِقراء، وقِرِيٌ. أو هو ما يقدم إلى الضيف. أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج4، ص: 554.

3 - المَجْد: ج أمجاد، العز والرفعة. الزاوي، المرجع السابق، ج4، ص: 204

4 - العَرْف: الرّائحة مطلقا.ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص: 240.

5- الخَطَل: الحُمْق، المنطق المضطرب. الزاوي، المرجع السابق، ج2، ص، ص: 78، 79.

كَمِثْلِ ما رَوَيْتُ عنِ شُيوخِ ذَوي الهُدى والعِلْمِ والرُّسُوخِ
ومَا جَمَعْتُ في الفُنونِ جُملهْ نَظْمًا ونثْرًا أو سَلَكْتُ سُبُلَهْ
وإنْ أكُنْ في كلِ ما صنَّفْتُ مُسَامِعَ الصَوّابِ مَا شَنَفْتُ
فالمَرْءُ يُنْفِقُ بِقَدَرِ الوَجْد[1] مَا كُلُّ أرْضٍ مثْلُ أرضِ نَجْدِ
وأحمدُ المقري قالَ عَنْ عَجَلِ هَذا وقدْ جرَّر أذْيَالَ الخَجَلِ
عَامَ ثَلاثِينَ وألفٍ وسَنةِ قَدْ خَطّه أزاحَ ّربِي وَسَنَهُ[2]
بِجاهِ خَيْرِ العَالمينَ المُصْطَفى أرْأفُ مَنْ أسَدَى النَّدَى وأعْطَفَا
صلى عليه الله مَا بَدْرُ سَمَا ومَا رَوى النُعمانِ عَنْ مَاءِ السّمَا
وآلِه وصحْبِه الأبْرارِ وَمَنْ تَلاَهم مِنْ ذَوي الأسْرارِ

ب- البنية:

تضم هذه المنظومة كل عناصر البنية النموذجية للإجازة بالرواية، حيث افتتحها بالحمدلة التي كيفها حسب اسم المُجاز له، بل كيَّفها لتناسب غرض الإجازة ككل، وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم-، لينتقل إلى الحديث عن فضل العلم وعلم الحديث والإسناد، وذلك بعد أداة الانتقال « أما بعد » ومنه تطرق إلى المُجاز له وأثنى عليه، ووصف أسرته بالعراقة في العلم.

وكان الشيخ حنيف الدين قد حضر دروس المقري بأم القرى، وروى عنه بعض كتب الحديث، وقرأ عليه بعضها، فأجازه به، وبكل مروياته ومؤلفاته، ليتطرق إلى سنده في الجامع الصحيح للبخاري، وملمحا إلى تواضعه، وختم الإجازة بكتابه اسمه وتاريخها، وبالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم-.

ج- الدراسة الأدبية:

تعد هذه الإجازة إحدى إجازات المقري بالمشرق، التي مزج فيها افتخاره بالعلم والأئمة بمدحه لحنيف الدين المكي. وتبدو أفكارها واضحة، ففهمها لا يحتاج

---

[1] - الوُجْدُ: اليَسَار والسَّعة. الطاهر الزاوي، ترتيب القاموس، ج4، ص: 576.

[2] - وَسِنَ يُوسَنُ وسناً وسَنَةَ، فهو وَسِنٌ، وهي وَسِنةٌ: أخذه شبه نعاس: نام نومة ضعيفة. الوَسَنُ والوَسْنَةُ والسنّة: شدة النعاس. أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج5، ص: 757.

إلى طول عناء؛ فهي متآلفة، متتابعة ومترابطة، وأسلوبها واضح وألفاظها ملائمة لغرض المدح والافتخار وسرد الوقائع، وهي متداولة في مجملها ما عدا بعض المفردات نحو: غيهب، العيسا، خطل، إذ نجدها مستعملة في الشعر الجاهلي. كما نجد أسلوب التفضيل في قوله: « العلم... أشرف ما يزين ».

وقد اقتصر على الأسلوب الخبري الملائم لمواضع الوصف والمدح والتقرير، ومن الجمل الإخبارية:« عدت إلى أم القرى »، « دام معززا بكل حين » والجملة الأخيرة تتضمن معنى الدعاء.

والنّص حافل بالصور البيانية منها:« الكوكب الطالع في أفق العلى » فالوصف الجامع بين المُجاز له والكوكب الرفعة وعلو الشأن؛ فهي كناية عن علو منزلته في العلم. كما قد تعتبر تشبيها بليغا، إذ المشبه هو المجاز له، والمشبه به الكوكب الطالع، و« من علمه أمطى الرواة العيسا » كناية على غزارة علمه التي انحنى أمامها الرواة العيسى وهم كبار الرواة.

وقد لجأ في البيت الثامن عشر إلى المَجَاز لتجسيد حفاوة اللقاء الذي تلقاه به حنيف الدين أثناء دخوله مكة باستعارتين مكنيتين؛ حيث شبه الوّد وهو شيء معنوي بشيء محسوس، فحذف المشبه به، وهو نبات ذو رائحة، وترك إحدى لوازمه وهو العَرف، والعَرْف هو الرائحة مطلقا، كما شبه المجد ذو الدلالة المعنوية بالنور أو الضوء، فحذف المشبه به وترك إحدى لوازمه وهي البرق. فكل من الوِد والمجد معنويان، استعار لهما ما تدركه حاستي الشم والرؤية: العَرْف والبرق.

ويتضمن قوله -البيت الثاني-: « نورا أزاح غيهب الغواية »؛ تشبيها بليغا؛ حيث شبه الأخذ بالرواية بالنور، على أنَّ علاقة المشابهة تكمن في « الهدى ». والفائدة هي أنَّه لولا علم الرواية الذي يهدي الرَّاوي لاختلط ضعيف الأحاديث بصحيحها، ولدخل عليها الكثير من الأحاديث الموضوعة.

وأصل الكلام على التشبيه في قوله:« إمامنا منير كل حالك »، إمامنا كالمصباح منيرُ كل حالك، فهو تشبيه بليغ حيث شبَّه الإمام مالك بالمصباح في إنارته، وفي قوله:« جرَّر أذيال الخجل » استعارة مكنية؛ حيث شبّه الخجل

بالحيوان، فحذف المشبه به، وأتى بأحد لوازمه وهو الذيل، والفائدة منه التواضع. وهي شبيهة بما قاله أبو العتاهية يُهَنئ المهدي بالخلافة:

أَتَتْهُ الخلافة منقادةً إليه تجرِّرُ أذيالها

وتكثر في القصيدة المحسنات البديعية اللَّفظية؛ حيث نجد التصريع في البيت الأول، وذلك بتوافق المصراعين؛ أي شطري البيت في الروي وهي « حنيفا، منيفا». وهذه المنظومة غير مقفاة، ولكن عوّض المقري ذلك بأن جعل اللفظة الأخيرة من الصدر تتوافق مع اللفظة الأخيرة من العجز في الوزن والرّوي، من أول الإجازة إلى آخرها[1].

ومن الألفاظ التي تمثل جناسا غير تام:« الرواية، الغواية »، « زاهرة، الطاهرة »، « الأمة، الجمة »، « الحرام، المرام »، « خطل، بطل »، « مالك، حالك »، «الجمال، الكمال »، « عجل، خجل » « الأبرار، الأسرار »، ومن الجناس الناقص:« سرى، فسرا ».

ونجد أيضا جناسا تاما نحو:« السنن، السنن »، فالسنن الأولى السنن النبوية والثانية السنن الكونية، والجناس المُحرف في:« القُرى، القِرى » الأولى أم القرى (مكة المكرمة) والثانية الإقامة. ويضم البيت التاسع عشر سجعًا مُرَّصعًا، وهو عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت بلفظة في عجزه على وزنها ورويها[2].

وفي ختام الحديث عن إجازت الشيخ أحمد المقري نجري مقارنة بين إجازاته التي نظمها في المغرب الإسلامي، وتلك التي نظمها في المشرق، من خلال إجازتيه الواردتين؛ فنلاحظ أنَّ هناك اختلافا بينهما رغم تساويهما في الحجم، إذْ لا تبرز البنية النموذجية بشكل واضح في النموذج المغربي؛ لخلوه من مطالع البنية؛ وهي البسملة والحمدلة والتصلية، كما لم يتطرق فيها إلى فضل العلم و الرواية، في حين تظهر بشكل واضح في النموذج المشرقي، حتى أصبحت بعض إجازاته المشرقية

---

[1] - جل إجازات المقري في المغرب مقفاة، أما إجازاته المتأخرة وهي التي نظمها في المشرق جُلها غير مقفاة. وقد جعل صدور الأبيات وأعجازها ينتهيان بنفس الحرف.

[2] - كل الألفاظ تقابلها أخرى على وزنها ورويها إلا الفاء (عرف) في الصدر تقابلها قاف (برق)، ولكنها تقترب منها و(من) في الصدر تقابلها (في) في العجز فكلاهما حرف جر يتكون من حرفين.

على درجة كبيرة من التشابه فيما بينها[1]، ويتميز أحمد المقري باعتنائه بختم الإجازة، حيث يذكر اسمه وتاريخ الإجازة، وربما ذكر مكان تحريرها، وهذا ما يعطي لإجازاته قيمة تاريخية كبيرة.

ومن الأمور التي تشد الانتباه هو أنَّ إجازاته لكبار العلماء ومشاهيرهم، وأولئك الذين جمعته بهم علاقة وثيقة كانت مطولة، أما إجازاته لآخرين كانت بين المختصرة والمتوسطة الحجم[2]. ويظهر أنَّه أوجد لنفسه قالبا خاصا ينظم به إجازاته. وهكذا فإنّنا لا نبالغ إذا قلنا بأنّ المقري رائد الإجازة النظمية الجزائرية خلال العهد العثماني.

4- إجازة الشيخ يحي الشاوي لمحمد المحبي الدمشقي:

أ- النّص[3]:

" الحمد لله الحميد، والصلاة والسلام على الطَّاهر المجيد، وعلى آله أهل التمجيد:

أَجَزْتُ الإمَامَ اللَّوْذَعِي[4] المُعَبَّرَا[5] — أَمِينًا أَمِينَ الدِّينِ رُوحًا مُصَّورَا
سَلِيل مُحِّبِ الدِّينِ بَيْتَ هِدَايَةٍ — وَبَيْتَ مَنَارِ العِلْمِ قَّد مَا تَقَرَرَا
بِإقْرَائِهِ مَتْنَ البُخَارِي الّذِي بِهِ — تَقَاصَرَ عَنْهُ مَنْ عَداهُ وَقَصُرَا
مُوَّطَأَ شِفَاءٍ والشِّفَاءُ لِمُسْلِمٍ — إذْ مُسْلِمًا تُقْرِيهِ حَّقًا تَصَّدَرَا
وَبَاقِي رِجَالِ النَّقْلِ حَقًّا مُبِينًا — وَتَفْسِيرُ قَوْلِ الله فِي الكُلِّ قُرِرَا

---

[1] - حملت إجازاته النظمية لعلماء دمشق في سنة 1037هـ، سمات مشتركة لنظمه لها في نفس الفترة؛ حيث افتتحها كلها بالحمدلة بلفظة « أحمد »، وتطرق فيها لفضل العلم والإسناد والرواية وعلم الحديث. المقري، نفح الطيب، ج2، ص- ص: 424- 441.

[2] - إجازة المقري لزاهد اسمه عبد المنعم في سبعة أبيات, ولآخر لم يذكر اسمه في أربعة أبيات، في حين بلغت إجازته لتاج العارفين التونسي، وهو آنذاك من كبار علماء القطر التونسي 43 بيتا، وتتراوح إجازاته الستة لعلماء دمشق سنة 1037هـ بين 26 بيت و79 بيت، وهي أطولها. وقد نظمها لأبناء الأديب مفتي الحنفية عبد الرحمن العمادي المشهور بدمشق، الذي جمعته به علاقة حميمية، كما جمعته بالأديب الدمشقي أحمد ابن شاهين صداقة متينة، تقع إجازته له في 56 بيت. وهناك إجازات لأكابر العلماء في حوالي 40 بيت.

[3] - المحبي، خلاصة الأثر، ج4، ص، ص: 487، 488.

[4] - اللَّوْذَعِيّ: المتوقد الذهن. الطاهر الزاوي، ترتيب القاموس، ج4، ص: 182.

[5] - العُبْرُ: القوي، الشديد، الكثير من كل شيء. الزاوي، المرجع نفسه، ج3، ص: 139.

أَجَزتُ المُسَمَى البَّدرُ في الشَّرْعِ كُلِّهِ كَمَا تَصِّحُ لِيْ فَأَتْـرُك مَرَاهُ تَكَدَّرَا[1]
وَعِلّمُ كَلاَمٍ خَالِي عَنْ أَكَاذِبِ الفَلاَ سِفَةِ الضُـلاَّلِ والعـدل نُكّـرَا
أَقُوْلُ لِكُـلِ فَلْسَفِي يَـدِينُــهُ أَلاَ لَـعْنَةُ الرَّحْمَنِ تَعْلُو مُـزَّوِرا
أ جِبْرِيلٌ فَلَكَ عَاشَرَ يَا عِـدَاتِـنَا أَعَـادي شَّرْع الله نِـلْتُمْ تَحَـيُرا
بِأَيِّ طَرِيقٍ قُلْتُمْ عُشْـرُ عَشَـرَةٍ وَنَفْـي صِفَـاتٍ والقَـدِيمُ تَحَّـجَرا
حَكَمْتُم عَلَى الرَّحْمَنِ حَجْرًا مُحَجَرا وَمَنَعُـكُم خَلْـقَ الحَـوَادِثِ دَمَـرا
أَبْرَى الحَبِيبَ اللّوْذَعِي عَنِ الرَّدَى[2] مُجَازًا بِدِينِ الشَّــرْعِ كُـلاًّ مُحَرَّرا
وَلَكِن عَلَيْهِ النُّصْحِ وَالجِّدِ وَالـتُّقَى وإِنْ نَـالَهُ أَمْــرُ القَـضَاءِ تَصَبـرا
حَمَاهُ اِلَـهُ العَرْشِ مِنْ كُلِّ فِتْــنَةٍ وَنَجَّاهُ مِنْ أَسْــوَءِ سُـوْءٍ تَسَـتَرا
وَصَلِّ وَسَّـلَم بُـكْرَةَ وَعَـشِيَةً عَلَى مَنْ بِهِ أَحْيَـا القُلُوبَ تَحَيُّرا

ب – البنية:

استهل الشيخ يحي الشاوي إجازته النظمية بحمدلة وتصلية نثرية[3]، ودخل مباشرة في الغرض، فافتتحها ب:«أجزت الإمام...». وقد خصص البيتين الأولين لمدح المُجَاز له ولأسرته العريقة في العلم[4]، ثم فصَّل فيما تشمله إجازته وهو: الإذن له فيما قرأه عليه، وهو " صحيح البخاري" و"صحيح مسلم" و"الموطأ " وفي كتب التفسير وغيره، ليجيزه بعدها في الشرع كُله، وبعلم الكلام الخال من أكاذيب الفلاسفة، والذي لا يتنافى مع عقيدة المسلم الصحيحة، ثم انتقد الفلاسفة المتكلمين الضلال على أكاذيبهم وتزويراتهم في تجسيم الخالق عزَّ وجل، ونفيهم صفات الله عز وجل، ومبرئا المُجَاز له مِمَّا عُرِف به هؤلاء الفلاسفة. ومؤكدا على إجازته له عامة بقوله:" مُجَازًا بدين الشرع كُلاًّ مُحررا ". وبعد ذلك أوصاه بالجد والتقوى،

---

[1] - كَدِرَ يَكْدُرُ كِدْرًا المَاءُ: صَارَ غير صاف فهو كدرُ. الزاوي، المرجع نفسه، ج4، ص: 24.

[2] - الرديء: الفاسد. الزاوي، المرجع نفسه، ج2، ص: 322.

[3] - نفس الشيء قام به في إجازته النظمية لعبد الرحمن الشامي، حيث قدم لها نثرا في سطرين. الإجازة ضمن مجموع رقم: 335، مصطلح الحديث- دار الكتب المصرية، ورقة: 53.

[4] - أسرة المحبي من الأسر العلمية الشهيرة في الشام. وقد ترجم المحبي في لعدد من علمائها كوالده فضل الله بن محب الله (ت 1082هـ)، وجده محب الله بن محمد (ت 1047هـ)، وجد والده محمد بن أبي بكر (ت 1016هـ). تراجمهم على التوالي في خلاصة الأثر، ج3: ص- ص: 277- 286؛ وص، ص: 308، 309؛ و ص- ص: 322- 331.

والصبر في المُلِمَات، هكذا إلى أن يصل إلى الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - سيد الخلق الذي أحيا القلوب بهدى الله وفك عنها حيرتها.

وهكذا تكاد تختفي معالم بنية الإجازة فيها، فقد أهمل يحي الشاوي الكثير من العناصر منها فضل العلم والإسناد ومشايخه ومروياته، بل أهمل حتى ذكر اسمه وتاريخ الإجازة.

ج – الدراسة الأدبية:

إنَّ تحرر المحبي من البنية النموذجية جعله أكثر حرية في نظم إجازته. ولهذا تبدو عباراتها قوية، متينة السبك، شديدة الأسر، على الرغم من أنَّ ضعفا يَشُوبُها، بسبب ما تكلف صاحبها، مثلما ورد في قوله :« أَ جِبْرِيلٌ فَلَكَ عَاشَرَ يَا عِدَاتِنَا » بحيث تم التقديم والتأخير ونتج عنه غموض، فما كان يهم الناظم هو الحفاظ على الوزن فقط.

وقد طغى عليها الأسلوب الخبري؛ فأكثر جملها خبرية دالة على الإقرار بالحقائق، وتَخَلَّله بعض الأساليب الإنشائية المتمثلة في الاستفهام الوارد في البيت التاسع والعاشر « أَ جِبْرِيلٌ فَلَكَ عَاشَرَ؟ »، « أَيِّ طَرِيقٍ قُلْتُمْ؟ » والغرض منه التقريع والتوبيخ، ولدينا في البيت الأخير أسلوب الأمر غرضه الدعاء شعرا في عبارة :« وصل وسلم بكرة وعشية ».

وتوفر في الإجازة ما يعرف بتوليد المعاني؛ بحيث يعرض فكرتين مختلفتين في التركيب متساويتين في المعنى؛ كما في البيت الثاني « بيت هداية، بيت منار العلم » وذلك للتأكيد على عراقة الأصل، والسِّمة البارزة في الإجازة التكرار للمعاني؛ ففي عجز البيت الثالث « تقاصر عنه، وقصرا » هو تكرار من باب الاشتقاق للتأكيد، فالأول على وزن المضارع، والثاني على وزن الماضي، دليل على أنَّه حفظ المتن وفهمه دون تقصير، وهو ما لم يصل إليه قبله أحده ولا حينه، وهو مبالغة. وفي البيت الأول تكرار معنوي « أمينا أمين الدين »، وبهذا فقد لجأ

إلى التكرار في كل الأحوال للتأكيد على صحة فقه الرجل، وقوة عقيدته مما تصح له الإجازة.

وجاءت الصور البيانية قليلة، وورد في البيت الأول « أمين الدين » كناية عن شدة حفظه للدين؛ لأنَّ الدين عقيدة وروح، وهو أمر معنوي قدَّمها في صورة شيء ملموس لتقريب المعنى. وفي قوله في البيت الأخير « أحيَا القلوب » كناية عن هداية الشريعة، وفي البيت الثاني « بيت هداية، وبيت منار العلم » كناية عن الأصل وعراقته، وهكذا فقد أكثر البيان في مجال المدح؛ وقلَّ في مجال ذم الفلسفة الكاذبة، لأنَّ ما كان يهم المجيز هو المجاز له لا هؤلاء الفلاسفة.

أمَّا الألفاظ فقد جاءت خادمة للنص؛ فالنعوت الموجودة في البيت الأول كلها من باب المدح في مثل: « الإمام، اللوذعي المعبرا، أمينا، أمين، مصورا »، وهي أسماء تدل على لصوق الصفات به على وجه المبالغة، وخصوصا تلك التي جاءت على وزن « فعيل » مثل:« أمِين ». ونلاحظ أنّه عاد ثانية إلى الإشادة بفضل المجاز له مكررا تصريحه بإجازته فقبلا قال: « أَجزت »، أعطاه الفعل والحركة، ثم تمكن فيه العلم الصحيح ليصير « مُجَازًا » وهو اسم فاعل يدل على الاستمرار والثبات، وقد أنهى الأبيات الثاني عشر، والثالث عشر، والرابع عشر بهذه الأسماء:« تصبرا، تحيرا، تسترا » على وزن « تفعلا » استهلها بتاء زائدة وأدغم العين للدلالة على شدة الحدث وعسرته، وغيرها « تقررا، تصدرا، تكدرا، تحيرا، تحجرا ». وكلها على وجه المبالغة، ورغبة في الحفاظ على وزن المنظومة.

والمحسنات البديعية قليلة في هذه الإجازة؛ منها التصريع في البيت الأول «المعبرا، مصورا »، والتصدير أو رد العجز على الصدر في عجز البيت الثالث «تقاصر عنه، وقصرا ». والجناس الناقص في البيت الحادي عشر « حجرا، محجرا ». أما السجع فقد ورد في السطر النثري من الإجازة « الحميد، المجيد، التمجيد »، وبين اللفظتين الأخيرتين جناس ناقص، وهناك محسن بديعي معنوي واحد ويتمثل في الطباق في البيت الأخير « بكرة، عشية » وأثره التأكيد على المعنى.

وهكذا فالسِّمة البارزة في الإجازة هي التكرار للمعاني، واستعمال أسماء الأفعال؛ للدلالة على ثبات الصفة واستمرارها، كما لجأ فيه إلى البحر الطويل وهو أطول بحور العروض نفسا. أما القافية فاختار لها حرف الراء فهو صوت ذلقي مجهور ومن صفاته التكرار، وأنهاه بحرف هوائي.

كحوصلة لهذه الدراسة فإنَّه رغم إحساس القارئ بالتكلف الشديد الصادر من صاحب المنظومة، إلا أنَّها لم تفقد جمالها وعذوبتها.

من خلال النماذج المختارة نستنتج أنَّ الإجازات النظمية لم تكن شائعة ومتداولة كثيرا خلال العهد العثماني، كما هو الحال بالنسبة للإجازات النثرية لتقيدها بعناصر معينة، ولهذا نجد الشيوخ يتمسكون بالبنية النموذجية في الإجازات النثرية، ويتخلون عن بعض عناصرها في الإجازات النظمية؛ لأنَّ ذلك يتم على حساب الأسلوب. أمَّا من حيث الصِّياغة فقد عمل الشيوخ على إظهار مقدرتهم البلاغية والأدبية، ولهذا تم توظيف البديع بقوة، على أنَّ أول ما يشد الانتباه في النماذج الواردة غناها بالألفاظ الدينية، ومصطلحات الحديث الشريف؛ فكانت الإجازة مرآة صادقة عن الحياة الأدبية والعلمية في عصرها.

الخاتمة

- الخاتمة

يتضِّح ممَّا سبق أنَّ الإجازة العلمية تقليد تعليمي إسلامي، عرفها المسلمون منذ القرون الإسلامية الأولى، وكان المقصود بها عند ظهورها، إذنُ الشيخ للطالب ليُؤَدي عنه مروياته في الحديث الشريف من غير أنْ يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه؛ فيؤدي عنه بموجب ذلك الإذن. ثم توَّسع فيها العلماء فمنَحُوها لكل طالب الرواية في الفقه والتاريخ والنحو وغيرها من العلوم. وهي بهذا المعنى ليست شهادة تعليمية يُسْتَدَّل بها على درجة تحصيل حاملها، ولهذا اقتصرت شروطها على الأمانة والتَّحرِي في نقل ما أُبِيحَ روايته؛ حرصًا على نشر سند الحديث الشريف وغيره من العلوم على أوسع نطاق.

ومنذ القرن الرابع للهجرة أصبحت الإجازة العلمية جزءا من المنظومة التعليمية، وذلك عندما صار الأستاذ يكتب للطالب ما يُفِيدُ قراءته عليه الكتاب المُعيَّن أو الكتب المعيَّنة، ثم برزت إجازات علمية أخرى في صور وأشكال مختلفة، إلاَّ أنَّها لم تخرج عن إطار العلم والتعليم.

إنَّ هذا التطور الذي عرفته الإجازة شَمل الشكل والمضمون، وأفرز أنواعا عديدة، لكل منها شروطا خاصة لتحصيلها، وهي تتراوح بين الليُّونة والعسر. عِلماً أنَّ الشيوخ لم يكونوا مُلْزمين بتقديمها لكل من أتم القراءة عليهم من تلامذتهم، كما أنّها لم تكن ضرورية لتولي أيِّ منصب ديني أو علمي، ومع ذلك فقد حرص المسلمون على تحصيلها لمكانتها العظيمة، ولِرَفعها شأن حاملها بين أقرانه من العلماء، سيَّمَا إذا كان مانحها عالما ذائع الصيت بعلمه وفضله، مشهورا بعلو إسناده.

وخلال العهد العثماني كانت الإجازة العلمية قد اكتمل تطورها وظهرت جميع أنواعها، وازداد الشغف بها، فتبادلها العلماء الجزائريون فيما بينهم، ورحلوا إلى المشرق والمغرب رغبة في تحصيلها بعد طلب العلم، ومنحوها بدورهم لغيرهم من العلماء المسلمين.

وقد كان التعليم الأولي واسع الانتشار في الجزائر العثمانية، أمّا التعليم الذي ينعت بالثانوي - بمفهوم العصر – فقد كان متوفرا في الحواضر العلمية وفي بعض زوايا الريف؛ التي حملت على عاتقها مهمة التعليم. وبما أنَّ الجزائر لم تحفل بجامعة إسلامية كالأزهر أو القرويين وغيرها، كان على الطالب الطَّموح الراغب في الاستزادة من العلم أن يتجه إلى الأساتذة المشهورين، المشهود لهم بالفضل والعلم، رغبة في أخذ العلم عنهم، والظفر بإجازاتهم. وعليه فقد ارتبط التعليم من المستوى العالي بالأشخاص لا بالمؤسسات.

ولمَّا كانت المدن الكبرى أكثر ملاءمة للعلماء؛ لوجود فرص عمل أكبر في المناصب الدينية العليا كالفتيا والقضاء والخطابة، فقد استقر بها عدد كبير من العلماء، وتصدروا للتدريس، فراجت بها بضاعة العلم، وبهذا تكونت حواضر علمية في الجزائر العثمانية، وكانت مدينة الجزائر عاصمة الإيالة تمثل المركزية العلمية في تلك الفترة، لوجود عدد كبير من المؤسسات التعليمية بها، وعلى رأسها جامعها الأعظم، إلا أنَّ المدد الحقيقي كان يأتيها من داخل البلاد، فيهاجر إليها الطلبة لاستكمال معارفهم والتتلمذ على كبار الأساتذة، ومنهم من يرجع إلى بلده ومنهم من يستقر بها. ومن أهم المدن التي امتازت بهذا المدد قسنطينة؛ التي كانت بها حركة علمية نشيطة. كما كانت كل من مازونة ومعسكر من الحواضر العلمية الصغرى في غرب الجزائر.

ونظرا لازدهار حلقات الدروس العليا بالحواضر المذكورة، بالإضافة إلى بعض الزوايا التعليمية، قصدها العلماء والطلبة من مختلف ربوع القطر، فدرسوا على أساتذتها وحصلوا على إجازاتهم. وهنا لا بد من الوقوف على أمرين لم أتمكن من إعطاء إجابة نهائية حولهما:

1- قلة الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين: المعلوم أنَّ التعليم من المستوى العالي لم يبلغ المستوى المطلوب في الجزائر؛ لإهمال العثمانيين للتعليم من جهة، ولقلة المناصب الدينية والعلمية من جهة أخرى، ولهذا كان الطالب ينشغل بطلب الرزق عن طلب العلم.

فهل كانت هذه الإجازات قليلة فعلا للسبب المذكور، أم أنَّ قلة المادة العلمية التي تغطي الحياة الثقافية في الجزائر، وتبعثر الإجازات أدَّى إلى ضياعها، فجعلها تبدو كذلك؟

2- انحصار إجازات العلماء الجزائريين في نوعين من الإجازات: الإجازة بالرواية بجميع أنواعها، والإجازة بالقراءة لعلوم وكتب معينة. فهل انحصرت فعلا في النوعين المذكورين؟

وممَّا يلفت الانتباه هو عدم التوصل إلى أيَّة إشارة للإجازة بالقراءات القرآنية مع اشتهار منطقة زواوة بهذا العلم، حتى قصدها بعض العلماء من المغرب الأقصى وتونس. فهل يُعقل أن لا يُحرِّر أساتذة القراءات بها إجازة بذلك لمن تتلمذ عليهم بعد تمكنهم في هذا العلم؟

وينتهي بنا القول إلى أنَّ الإجازات المتبادلة بين العلماء الجزائريين على قلتها - حسب ما يبدو- فهي تُعبر عن مستواهم، ذلك أنَّ الإجازة العلمية لا تمنح إلا من طرف كبار العلماء.

وبِخِلاف حكام الجزائر العثمانيين اعتنى حكام جارتيها المغرب الأقصى وتونس بالحركة الفكرية، فتعَّددت بهما المراكز العلمية، وفي مقدمتها جامع القرويين، وجامع الزيتونة، ولذلك شَّد العلماء الجزائريين الرحال إليهما، إلاّ أنّهم كانوا يفضلون المغرب على تونس؛ للعناية الخاصة التي كانوا يجدونها من طرف سلاطينه الذين أكرموهم، وحابوهم بالمناصب العلمية والدينية، وأغدقوا عليهم العطايا، ممَّا شجع عددا منهم على الاستقرار هناك، فساهموا في الحركة الفكرية به وتمكنوا من الصمود أمام المنافسة التي تلقوها من طرف علمائه. وممَّا عزز التواصل الثقافي بين علماء البلدين هو مرور المغاربة بالجزائر أثناء ترددهم على المشرق. كما كانت الجزائر وجهة لبعض علماء المغرب الناشدين الأخذ على علمائها.

وأما حُكام تونس العثمانيين فقد تقربوا من العلماء الأحناف، فلم يحظ لديهم علماء الجزائر المالكيين بالاهتمام، ولهذا لم يستقروا هناك كثيرا، وكان ترددهم

إلى المشرق، فرصة مواتية للالتقاء بعلماء تونس. وكما هو الحال بالنسبة للمغاربة لم تشهد الجزائر إلاَّ دخول القليل من علماء تونس؛ لأنَّها لم تكن تقدم لهم أكثر ممَّا في بلدهم؛ الذي ازدهرت به حلقات الدروس العليا. كما كان علماء تونس يتوجهون إلى الجامع الأزهر للاستزادة من العلم. ولهذا فإنَّ الإجازات التي تبادلها علماء الجزائر مع أقرانهم بتونس أقل من الإجازات التي تبادلوها مع علماء المغرب الأقصى.

وكانت فريضة الحج الدافع الرئيسي للجزائريين للرحلة إلى المشرق، فلم يفوت العلماء على أنفسهم خلالها فرصة الأخذ عنهم سيما وأنَّ المغاربة عموما كانوا ينظرون بعين الإكبار لكل من درس على علماء المشرق، وحصل على إجازاتهم. وهناك من كان يجاور عدة سنوات بالحرم، أو بالجامع الأزهر؛ الذي يوفر رواق المغاربة به الجو الملائم للطالب والعالم للتفرغ لطلب العلم، وقد كان يعج بالعلماء الأفداد من مختلف المذاهب الفقهية. والعلماء الجزائريون بالمشرق نوعان:

1- المستقرين به نهائيا: منح هؤلاء الإجازات للمشارقة أكثر مما تلقوا منهم.

2- والعلماء المهاجرون هجرة مؤقتة من حجاج ومجاورين أجيزوا أكثر ممّا أجازوا علماء المشرق.

كان هذا الإطار العام الذي وجدت فيه الإجازة العلمية، وهي ذات ارتباط وثيق بالرحلة والتعليم والمراكز الثقافية، وحتى بالظروف السياسية. وتتجلى أهميتها كوثيقة تاريخية فيما تحمله من إشارات حول الحياة الثقافية للعصر الذي كتبت فيه، فهي تعّد أحد مصادر التراجم، فقد تتضمن أسماء أعلام ، قد لا نجد لهم ترجمة أو ذكر في كتب التراجم المعروفة، وهم بالخصوص أساتذة الشيخ المُجيز، ومن خلال مقارنة عدة إجازات في المنطقة الواحدة يمكن استنباط البرامج والمقررات الدراسية، حيث سيطرت خلال العهد العثماني العلوم النقلية على مجالس التدريس في الجزائر كما في بقية أنحاء العالم الإسلامي. أما العلوم

العقلية كالطب والكيمياء والهندسة وغيرها فلم يكن نصيب لها في هذه الحلقات إلا في أحيان نادرة، ولذلك نجد إجازات العهد المدروس تصب في العلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها، ويأتي في مقدمتها الإجازات في الحديث الشريف.

وعليه فالإجازة مرآة صادقة عن الحياة العلمية في عصرها، وحتى الأدبية بحيث عمل الشيوخ فيها على إظهار مقدرتهم البلاغية والأدبية، ولهذا تم توظيف البديع بقوة، سيما السجع، وهي السّمة التي تميزت بها جميع فنون الأدب في العهد العثماني من رسائل وتقاريظ وغيرها.

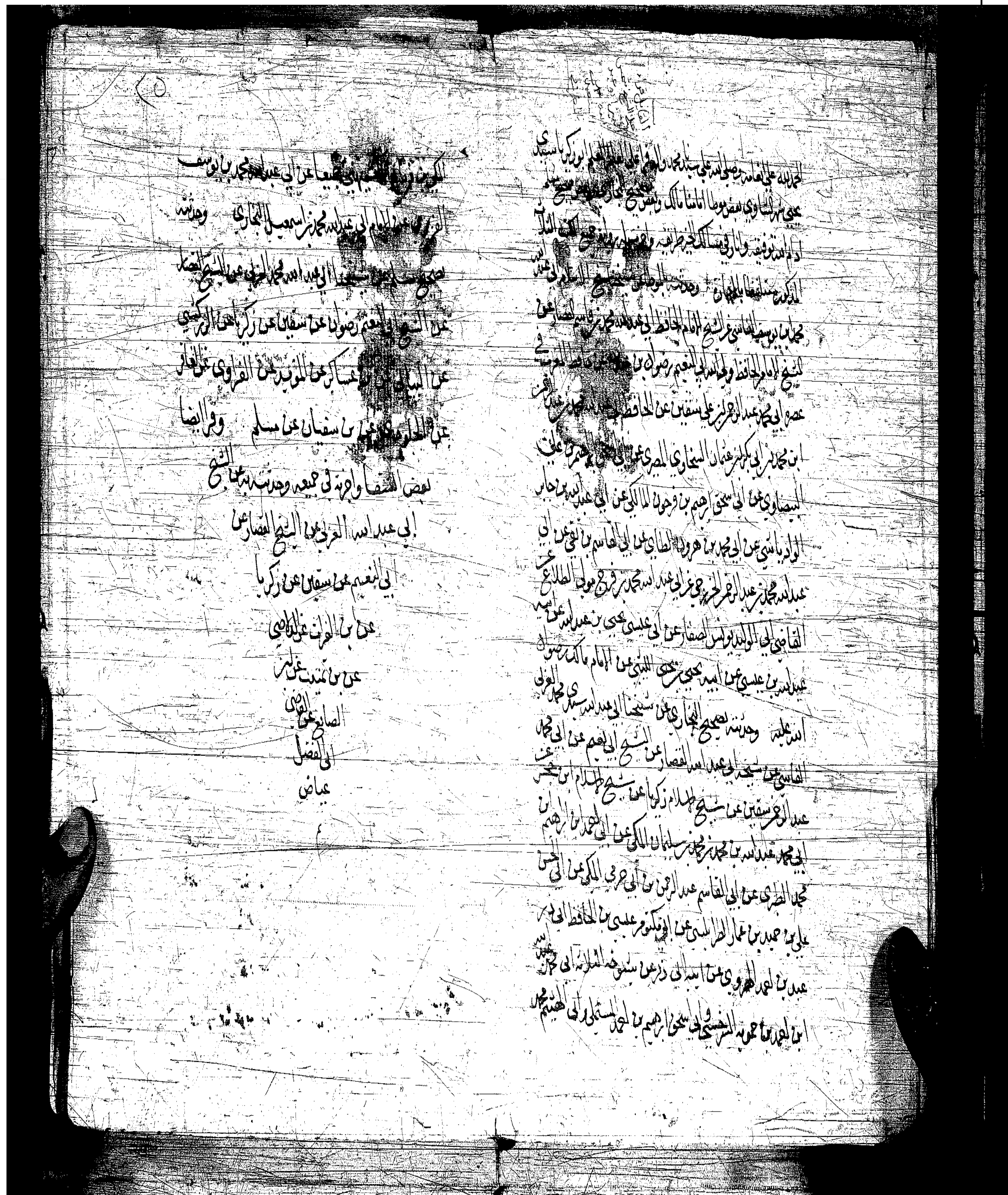
الملاحق

الملحق: أ:



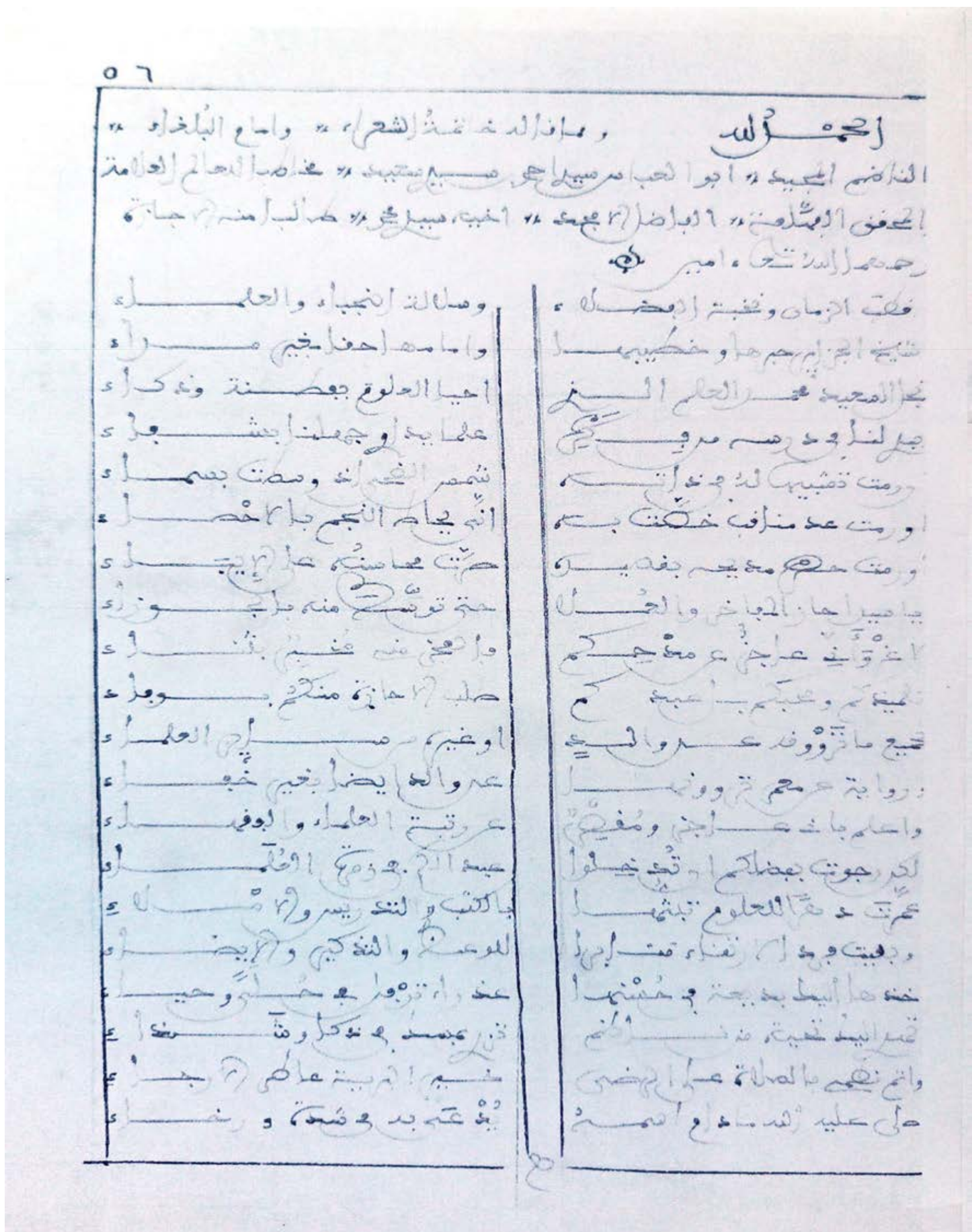
- إجازة الخطاط إسماعيل بخفاف زاده لحسين وفائي بالخط

- الملحق ب:



إجازة الشيخ محمد السعدي البهولي للشيخ يحي الشاوي

- الملحق: ج.



- إستجازة الشيخ أحمد بن سعيد قدورة الجزائري لأخيه الشيخ محمد

- الملحق: د:



إجازة الشيخ عيسى الثعالبي للشيخ محمد العيثاوي (الصفحة الثانية)

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع.

1) – المصادر والمراجع باللغة العربية:

أ / – المصادر المخطوطة:

1 - التليلي محمد الطاهربن بلقاسم، « إتحاف القاري، بحياة خليفة بن حسن القماري». مخطوط ببلدية غمار- وادي سوف.

2 - الخطابي عبد القادر بن مختار الجزائري، « الكوكب الثاقب في أسانيد أبي طالب ». مخطوط بحوزة الشيخ أبو عبد الله شرك إمام مسجد الشرايفية بالمدينة الجديدة، وهران. (35 ق).

3 - الصبَّاغ محمد القلعي (القرن 10هـ)، « الدرة الصباغية في شرح الجرومية ». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 2325. (156 ق).

4 - قدورة محمد بن سعيد (ت1007هـ/ 1695م)، « جليس الزائر وأنيس السائر». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2600. (71 ق).

5 - المجاجي عبد الرحمن بن محمد (القرن 11هـ)، « رحلة المجاجي ». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 1564. (11 ق).

6 - مجموع رقم: 181- مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية. (39 ق).

7 - مجوع رقم: 335- مصطلح الحديث، دار الكتب المصرية. (98 ق).

8 - المشرفي أبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر (ت 1313هـ/ 1895م)، «ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم:3326. (40 ق).

9- المقري شهاب الدين أحمد(ت 1041هـ/1631م)، « فتح المتعال في مدح النعال ». مخطوط منه نسختين بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقمي: 2202، 2203.

10 - وثيقة:« إجازة الشيخ محمد الوفق الجلالي المعسكري لعبد القادر الراشدي ». مصورة على القرص المضغوط بمخبر مخطوطات بشمال إفريقيا بجامعة وهران. ورقة واحدة.

11 - وثيقة:« استجازة الشيخ محمد التوهامي بن رحمون الفاسي للشيخ محمد المهدي الكتروسي المازوني ». ملك لعائلة الكتروسي بمدينة مازونة. ورقة واحدة.

12- اليفرني أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن(ت1150)، « صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ». مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 1741. (172 ق).

ب/- المصادر المطبوعة:

13- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)، صحيح البخاري، ضبطه وخرّج أحاديثه: مصطفى ديب البوغا. الجزائر: موفم للنشر- دار الهدى، 1992. 7ج، (6: 322 ص).

14- البدري عبد الله (القرن 9هـ)، نزهة الأنام في محاسن الشام، بيروت: دار الرائد العربي، (ط1)، 1980. (232 ص).

15- التنبكتي أحمد بابا (ت 1036هـ/ 1626م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه: طلاب من كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس (ليبيا): منشورات كلية الدعوة الإسلامية، (ط1)، 1989. (658 ص).

16 - التنبكتي أحمد، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق:علي عمر. المغرب: مكتبة الثقافة الدينية، (ط 1)، 2004. 2ج. (2: 364 ص)

17- الجبرتي عبد الرحمن بن حسن (ت 1237هـ/ 1821م)، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار أو « تاريخ الجبرتي»، تحقيق: إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية- منشورات محمد علي بيضون، (ط1). 1997، 3ج.(1: 454 ص)، (2: 464 ص)، (3: 471 ص).

18- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسنطيني (ت 1067هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1999. 6ج، (5: 670 ص).

19- ابن حجر شهاب الدين أحمد العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق. القاهرة: مطبعة محمد علي صبح المدني، (ط2)، 1966. ج2.

20- ابن حجر، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني. المدينة المنورة، 1964. 4 ج، (4: 219 ص).

21- الحنبلي عبد الحي (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت: دار المسيرة، (ط2)، 1979. 8ج. (8: 484 ص).

22- ابن حمادوش عبد الرزاق (ت 1197هـ/ 1782م)، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال أو« رحلة ابن حمادوش »، تحقيق: أبو القاسم سعد الله. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للفنون المطبعية، 1983. (377 ص).

23- الحموي ياقوت بن عبد الله شهاب الدين الرومي(ت627هـ/ 1229م)، معجم الأدباء « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب »، تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1993. 7 ج. (2: 473 ص).

24- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1406م)، مقدمة ابن خلدون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2003. (638 ص).

25- ابن خلكان أبو العباس أحمد (ت 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1977. 8 ج.(1: 493 ص)، (2: 557 ص)، (4: 490 ص)، (5: 337 ص).

26- خوجة حسين (ت 1145هـ/ 1732م)، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق: الطاهر المعموري. ليبيا- تونس: الدار العربية للكتاب، 1975. (412 ص).

27- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (275هـ/ 888م)، سنن أبي داود، تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط3)، 1999. (4: 512 ص).

28- ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام. تونس: المكتبة العتيقة، (ط3)، 1967م. (سلسلة من تراثنا الإسلامي). (366 ص).

29- الرَّصاع محمد الأنصاري (ت 894هـ/ 1488م)، فهرست الرصاع، تحقيق: محمد العنابي. تونس: المكتبة العتيقة، (ط1)،1967. (سلسلة من تراثنا 4). (258 ص).

30- الروداني محمد بن سليمان (ت 1094هـ/ 1682م)، صلة الخلف بموصول السلف، تحقيق: محمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1988. (465 ص).

31- ابن زاكور محمد (ت 1120هـ/ 1708م)، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان، تقديم: عبد الوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، 1967. (101 ص).

32- زروق أحمد بن أحمد بن محمد (ت899هـ/ 1494هـ)، قواعد التصوف، تصحيح: محمد الزهري النجار. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، (ط3)، 1989. (139 ص).

33- الزَّهار أحمد (ت 1289هـ/ 1872م)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار (1754- 1830م)، تحقيق: أحمد توفيق المدني. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (ط2)، 1980.(سلسلة ذخائر المغرب العربي). (196 ص).

34- الزياني أبو القاسم (ت 1249هـ/ 1833م)، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق: عبد الله الفيلالي. الرباط: دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، 1991. (659 ص).

35- الزياني محمد بن يوسف (كان حيا سنة 1320هـ/ 1903م)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978.(294 ص).

36- ابن سحنون أحمد بن محمد الراشدي (ت بعد 1211هـ/ 1796م)، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي. قسنطينة: مطبعة البعث- منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1973. (سلسلة التراث 1). (477 ص).

37- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحيم (ت 902هـ/ 1496م)، فتح المغيث- شرح ألفية الحديث، تحقيق: صلاح محمد عويضة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1996. 3 ج. (2: 240 ص).

38- السراج الوزير محمد بن محمد الأندلسي (ت 1149هـ/ 1736م)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1985. 3 ج. (1: 852 ص)، (2: 724 ص)، (3: 611 ص).

39- السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن (ت 911هـ/ 1505م)، ألفية السيوطي في علم الحديث، تصحيح وشرح: أحمد محمد شاكر. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر. بدون سنة الطبع. (291 ص).

40- السيوطي جلال الدين، بُغْيِة الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: أبو الفضل محمد إبراهيم. طبع بمطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه. (ط1)، 1964. (1: 607 ص)، (2: 601 ص).

41- السيوطي جلال الدين، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه: خليل المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية- منشورات علي بيضون، (ط1)، 1997. 2 ج، (1: 471 ص)، (2: 381 ص).
42- الشيرازي أبو إسحاق (ت 476هـ/ 1083م)، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الرائد العربي، (ط 2)، 1981. (231 ص).
43- ابن الصلاح أبو عمرو عثمان الشهرزوري (ت 643هـ/ 1245م)، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت (صيدا): المكتبة العصرية، (ط1)، 2001. (215 ص).
44- ابن طولون محمد بن علي وغيره، نوادر الإجازات والسماعات لابن طولون وغيره، تحقيق: مُطيع الحافظ. بيروت: دار الفكر المعاصر- دمشق: دار الفكر، (ط1)، 1998. (155 ص).
45- عبد الحميد بيك (ت 1280هـ/ 1863م)، أعيان من المشارقة والمغاربة، تقديم وتعليق: أبو القاسم سعد الله. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 2000. (270 ص).
46- ابن عسكر محمد الحسني الشفشاوني (ت986هـ/ 1578هـ)، دوحة الناشر لمحاسن من كان من بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي. مراجعة:عبد المجيد خيالي. الدار البيضاء (المغرب): منشورات مركز التراث المغربي، (ط 3). 2003. (172 ص).
47- ابن عمَّار أحمد (ت بعد 1205هـ/ 1790م)، أشعار جزائرية، تحقيق وتقديم: أبو القاسم سعد الله. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988. (153 ص).
48- العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها، أو « تاريخ قسنطينة »، تقديم وتعليق: يحي بوعزيز. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991. (186 ص).
49- العياشي أبو سالم عبد الله (ت 1090هـ/ 1679م)، ماء الموائد أو « الرحلة العياشية »، وضع فهارسه: محمد حجي. الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف

والترجمة والنشر. 1977. (سلسلة الرحلات 1). 2 ج. (1: 456 ص)، (2: 490 ص).

50- عياض القاضي ابن موسى اليحصبي (ت 544هـ/ 1149هـ)، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيد أحمد صقر. القاهرة: دار التراث- تونس: المكتبة العتيقة، (ط2)، 1987. (392 ص).

51- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (ت 714هـ/ 1314هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض. بيروت: منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، (ط1)، 1969. (سلسلة ذخائر التراث العربي). (350 ص)

52- الغزى نجم الدين (ت1061هـ/ 1650م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور. بيروت: المطبعة الأمركية- الناشر: محمد أمين دمج وشركاه، (ط1)، 1945. 3ج.(1: 322 ص)، (2: 263 ص)، (3: 371 ص).

53- ابن فرحون إبراهيم بن علي (ت 799هـ/ 1396هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: علي عمر. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، (ط1)، 2003. (سلسلة طبقات المالكية). 2 ج. (1: 430 ص)، (2: 396 ص).

54- الفكون عبد الكريم بن محمد (ت 1073هـ/ 1662م)، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1987. (278 ص).

55- القادري محمد بن محمد الطيب (ت 1187هـ/ 1773م)، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق: محمد حجي- أحمد توفيق، الرباط. (سلسلة التراجم 3). 4 ج.

ج1: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977، (390 ص).

ج2: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، (ط1)، 1982. (420 ص).

ج3: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، (ط1)، 1986. (416 ص).

56- ابن القاضي أحمد المكناسي (ت1025 هـ/ 1616م)، جدوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة. 2ج.

ج1، 1973، (378 ص). ج2، 1974، (208 ص).

57- ابن القاضي أحمد، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، تحقيق: محمد زروق. الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1986. 2 ج. (1: 575 ص).

58- ابن القاضي أحمد، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة: دار التراث- تونس: المكتبة العتيقة. (ط1)، 1971. (سلسلة من تراثنا الإسلامي- 9-). 3 ج، (2: 349 ص).

59- القلقشندي شهاب الدين بن علي (ت 821هـ/ 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر- مطابع كوستاتسوماس وشركاه. بدون تاريخ. 14ج. (14: 404 ص).

60- المحبي محمد أمين (ت 1111هـ/ 1699م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. بدون تاريخ. 4 ج. بدون تاريخ. (1: 510 ص). (2: 486 ص). (3: 504 ص). (4: 520 ص).

61- المرادي محمد خليل (ت 1206هـ/ 1791م)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ضبط وتصحيح: محمد عبد القادر شاهين. بيروت: منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية، (ط1)، 1997. 4 ج. (1: 273 ص)، (2: 332 ص)، (3: 274 ص)، (4: 286 ص).

62- المراكشي محمد بن محمد بن عبد الملك، كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، 1965. (سلسلة: المكتبة الأندلسية 12)، (5: ص: 371).

63- ابن مريم محمد بن محمد المديوني (ت حوالي 1020هـ/ 1611م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986. (360 ص).

64- المزاري الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسابانيا وفرنسا أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق: يحي بوعزيز. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1990. (1: 405 ص).

65 - مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ/ 874م)، صحيح مسلم. بيروت: دار ابن حزم للنشر والتوزيع- الرياض: دار المُغنى للنشر والتوزيع، (ط1)، 1998. (1747 ص).

66- مقديش محمود (ت 1228هـ/ 1813م)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواوي- محمد محفوظ. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1988. 2ج. (2: ص: 490).

67- المقري أحمد، روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تقديم: عبد الوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، (ط2)، 1983. (354 ص).

68- المقري أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1988. 8 ج. (1: 704 ص)، (2: 717 ص)، (7: 525 ص).

69- المقري أحمد، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر. سيدي بلعباس (الجزائر): مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع- منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا- جامعة وهران- (ط1)، 2004. (264 ص).

70- المقري أحمد، أزهار الرياض في أخبار عياض. المغرب الأقصى والإمارات العربية المتحدة: أعيد طبعه تحت إشراف اللجنة المشتركة لإحياء التراث، 1978. 3ج. (1: 371 ص).

71- المنجور أحمد (ت 929هـ/ 1522م)، فهرست أحمد المنجور، تحقيق: محمد حجي. الرباط: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976. (سلسلة الفهارس 1). (95 ص).

72- الناصري أحمد بن خالد (ت 1315هـ/ 1897م)، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. الدار البيضاء (المغرب): دار الكتاب، 1955.

ج5، تحقيق: أحمد الناصري و محمد الناصري (155 ص).

ج6، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري. (135 ص).

73- الناصري محمد أبو راس (ت 1238هـ/ 1823م)، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته أو « حياة أبي راس الذاتية »، تحقيق: محمد بن عبد الكريم. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990. (185 ص).

74- الورتلاني الحسين بن محمد (ت1193هـ/ 1779م)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار أو« الرحلة الورتلانية »، تصحيح: محمد بن أبي شنب. الجزائر: مطبعة بيير فونتانا الشرقية، 1908. (818 ص).

75- الوزان الحسن " ليون الإفريقي" (ت 957هـ/ 1550م)، وصف إفريقيا، تحقيق: محمد حجي- محمد لخضر. بيروت: دار الغرب الإسلامي- منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، (ط1)، 1983. 2ج. (1: ص:382). (2: 340 ص).

76- الولاّتي أبوعبد الله الطالب محمد (ت 1219هـ/ 1804م)، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء تكرور، تحقيق: محمد بن إبراهيم الكتاني- محمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي- منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، (ط1)، 1981.(299 ص).

77- الونشريسي أحمد بن يحي (ت 914هـ/ 1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي. بدون تاريخ. 13 ج. (11: 936 ص).

ج/- المراجع:

78- إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، المُسّمى التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية. بيروت: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2002. (374 ص).

79- إبراهيم عناني، رشيد في التاريخ، تقديم: السيد عبد العزيز سالم. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1987. ص، ص: 26، 27. (234 ص).

80- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1998، 9 ج. (1: ص: 529)، (2: 453 ص)، (7: 480 ص).

81- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1990. (ج3: 397 ص).

82- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983. (208 ص).

83- أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام: عبد الكريم الفكون- داعية السلفية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1986. (275 ص).

84- أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش حياته وآثاره. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982. (133 ص).

85- أبو القاسم سعد الله، المفتي الجزائري ابن العنابي: رائد التجديد الإسلام (1775 - 1850). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977.(سلسلة: كتاب جزائريون). (151 ص).

86- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف. بيروت: مؤسسة الرسالة- تونس: المكتبة العتيقة، (ط2)، 1985. 2ج، (1: ص: 203). (2: 624 ص).

87- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492م-1792م). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (ط2)، 1976. (533 ص).

88- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر. القاهرة: طبع دار المعارف- البليدة: نشر دار الكتاب، (ط2)، 1963. (381 ص).

89- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر: 1766- 1791م. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986. (191 ص).

90- أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية. مصر: مكتبة النهضة المصرية، (ط1)، 1966. (سلسلة: دراسات في الحضارة الإسلامية- 4-). (454 ص).

91- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (ط7)، 1986. (ج5: 967 ص).

92- أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون، في القرون 17 و18 و19، ترجمة: أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحليوي. تونس: بيت الحكمة، (ط1)، 1993. (المجمع التونسي للعلوم والفنون). (602 ص).

93- أحمد عبد القادر عطا، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي. بيروت: دار الجيل، (ط1)، 1987. (430 ص).

94- أحمد عمر هاشم، قواعد أصول الحديث. بيروت: دار الكتاب العربي، 1984.

95- أسامة ناصر النقشبندي، إجازات الخطاطين. بيروت: الدار العربية للعلوم، (ط1)، 2001. (150 ص).

96- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. طهران (خيابان بوذر جمهوري): مكتبة الإسلامية والجعفري تبريزي. 1947. 2ج. (1: 840 ص)، (2: 676 ص).

97- بشير ضيف بن أبي بكر، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، تقديم: عثمان بدري. مدينة الجزائر: منشورات ثالة، (ط1)، 2002. 2ج، (ج2: 251 ص).

98- ابن بكار بلهاشمي، كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب. تلمسان: مطبعة ابن خلدون، 1961. (420 ص).

99- حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر في المصنفات والمِؤلفين التونسيين، مراجعة: محمد العروسي المطوي- بشير بكوش. تونس: بيت الحكمة- بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1990. (ج2: 500 ص).

100- حسن الصادقي، مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزائن المغربية. الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، (ط1)، 1996. (جامعة محمد الخامس- سلسلة البحوث 2). (48 ص).

101- حسن محمد عبد الغني، المقري صاحب نفح الطيب. القاهرة: مطبعة الدار القومية للطباعة والنشر، 1966. (191 ص).

102- خير الدين الزركلي، الأعلام " قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت: دار العلم للملايين، (ط5)، 1980. 8ج.

103- صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية. الجزائر: الشركة الوطنية للكتاب. بدون تاريخ.

104- صلاح الدين المنجد، المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني وآثارهم المخطوطة. بيروت: دار الكتاب الجديد، (ط 1)، 1964. (108 ص).

105- صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات. بيروت: دار الكتاب الجديد، (ط5)، 1976. (31 ص).

106- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر. بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 1971. (271 ص).

107- عبد الجليل التميمي، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر. تونس: منشورات المجلة التاريخية المغربية، 1980. (178 ص).

108- عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي (ت 1383)، معجم الشيوخ، المسمى "رياض الجنة أو المُدهش المطرب"، صححه وخرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد الخيالي. بيروت: دار الكتب العلمية- منشورات محمد علي بيضون، (ط1)، 2003. 2ج، (1: 141 ص)، (2: 137 ص).

109- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني(ت 1382هـ/ 1962م)، فهرس الفهارس والأثبات والمعاجم والمشيخات والمسلسلات، باعتناء: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط2)، 1982، 3 ج. (1: 543 ص). (2: 638 ص).

110- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994. 4 ج. (3: 629 ص).

111- عبد الرحمن بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس. الدار البيضاء: مطابع إديال، (ط2)، 1990. 5ج. (1: 470 ص)، (4: 523 ص).

112- عبد الرحمن بن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة. بيروت: مؤسسة الرسالة، (ط3)، 2001. (248 ص).

113- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517- 1798). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية - تونس: منشورات المجلة التاريخية المغربية. 1982. (208 ص).

114- عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى. الدار البيضاء: طبع ونشر وتوزيع دار الكتاب، (ط2)، 1960. 2ج، (1: ص: 282)، (2: 347 ص).

115- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها. القاهرة: مطبعة المدني، 1965. (130 ص).

116- عبد العزيز عتيق، علم البديع. بيروت: دار النهضة العربية، 1985. (248 ص).

117- عبد العزيز عتيق، علم البيان. بيروت: دار النهضة العربية، 1985. (230 ص).

118- عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها عبر العصور. مستغانم: المطبعة العلاوية، (ط1)، 1996. (320 ص).

119- عبد الكبير بن هاشم الكتاني(ت 1350هـ)، زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، ويليه تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، لمحمد بن عبد الكبير الكتاني (ت1362 هـ)، تحقيق: علي بن المنتصر

الكتاني. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، (ط1)، 2002. (الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس 1-2). (1: ص: 603). (2: 511 ص).

120- عبد الله فياض، الإجازات العلمية عند المسلمين، (ط1). بغداد: مطبعة الإرشاد، 1967. (110 ص).

121- عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب (عدد 13: ابن زاكور). تطوان: مطبعة كريماديس، بدون تاريخ. (36 ص).

122- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي. بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، (ط3)، 1975.(1047 ص).

123-عبد المنعم الحفني، معجم المصطلحات الصوفية. بيروت: دار المسيرة، (ط2)، 1987. (269 ص).

124- عبد الهادي التازي، جامع القرويين " المسجد والجامعة بمدينة فاس". بيروت: دار الكتاب اللبناني، (ط1)، 1972. (سلسلة في تاريخ المغرب)، (ج3: 871 ص).

125- عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي. الرباط: المطبعة الملكية، 1978.(442 ص).

126- علي بن أحمد المجاجي بنعشيط، الأحرف الوهاجة في ذكر شرفاء مجاجة. بومرداس (الجزائر): مطبعة ميهوبي- ولاد موسى، 2004. (94 ص).

127- علي زوين، معجم مصطلحات توثيق الحديث. بيروت: مكتبة النهضة العربية، (ط1)، 1986. (سلسلة عالم الكتاب). (96 ص).

128- علي عبد الله شعبان، اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث. القاهرة: دار الحديث، 1997. (706 ص).

129- علي محمد صلابي، الدولة العثمانية (عوامل النهوض وأسباب السقوط). القاهرة (بور سعيد): دار النشر والتوزيع الإسلاميين، (ط1)، 2001. (سلسلة صفحات من التاريخ الإسلامي). (582 ص).

130- عمَّار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3- 14هـ). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995. (470 ص).

131- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية). بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 1993. 4 ج.(2: 581 ص). (3: 950 ص).

132- فاروق حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل. الرباط: دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، (2)، 1989.

133- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. الجزائر: 1977. (206 ص).

134-الفقيه المنوني، أبحاث مختارة. المغرب: مطبعة دار المناهل، 2000. (400 ص).

135- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، (ط9)، 1981. (903 ص).

136- محمد بن عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، ترجمة وتعليق: محمد المرزوقي، تونس: الدار التونسية للنشر- المطبعة العربية، 1988. (265 ص).

137- محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، (ط2)، 1988. (سلسة من تاريخ المغرب في القرن 17م). (357 ص).

138- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1996. 9ج.

139- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين. المغرب: مطبعة فضالة - منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1979. (سلسلة التاريخ 2)، 2 ج، (1: 329 ص)، (2: 407 ص).

140- محمد سالم محيسن، الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طرف الشاطبية، الأزهر (القاهرة): مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ.(519 ص).

141- محمد عبد الرحمن مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب. بيروت- باريس: منشورات عويدات. (ط2)، 1988. (590 ص).

142- محمد بن عزوز، كرسي الحديث بظهر حصة العين بجامع القرويين بمدينة فاس. الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي- بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2003. (ص: 276).

143- محمد الصادق قمحاوي، الكوكب الدري في شرح ابن الجزري. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، (ط1)، بدون سنة الطبع. (622 ص).

144- مختار بن الطاهر فيلالي، رحلة الورتلاني عرض ودراسة. باتنة (الجزائر): دار الشهاب للطباعة والنشر، 1978. (197 ص).

145- محمد عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ. (520 ص).

146- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط2)، 1994. 4ج. (1: 228 ص)، (2: 464 ص).

147- محمد مخلوف (ت 1360هـ/ 1941م)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. دار الطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ. (849 ص).

148- محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين. الرباط: جامعة محمد الخامس- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1996.(سلسلة بحوث ودراسات 20-). (372 ص).

149- مصطفى شاكر، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله، بيروت: دار العلم للملايين، (ط 1)، 1993.ج3، (430 ص).

150- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن. القاهرة: مكتبة وهبة، (ط7)، 1990. (ص: 408).

151- مولاي بلحمليسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979. (المركز الوطني للدراسات التاريخية). (206 ص).

152- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984. (وزارة الثقافة والسياحة)، 4 ج، (4: 246 ص).

153- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792- 1830م)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (ط2)، 1984. (341 ص).

154- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1999. (700 ص).

155- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية.(دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني). بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 2000. (718 ص).

156- نذير حمادو، تيسير مصطلح الحديث مع شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث. بدون تاريخ. 2 ج، (سلسلة تيسير العلوم الشرعية 1). (1: 231 ص).

157- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي. قسنطينة: مطبعة البعث، (كلية الآداب الجزائرية)، 1965. (216 ص).

158- يحي بو عزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1995. 2ج.(2: 270 ص).

د/- الدراسات والمجلات:

159- أبو القاسم سعد الله، " زيارة لخنقة سيدي ناجي"، في مجلة سيرتا، الصادرة عن معهد العلوم الاجتماعية - قسنطينة، مطبعة البعث. السنة الثانية، العدد: 03، ماي- 1980. ص- ص: 113- 120.

160 - أبو القاسم سعد الله، " إجازة ابن عمَّار لمحمد خليل المرادي "، في مجلة الثقافة. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. السنة الثامنة، العدد: 45، يونيو- يوليو 1978. ص- ص: 47- 53.

161- بكري البكري، " تمنطيط رمز تاريخ وعنوان حضارة "، في مجلة الحضارة الإسلامية، الصادرة عن معهد الحضارة الإسلامية – جامعة وهران. السنة الأولى، العدد:1، سنة: 1993. ص- ص:60- 68.

162- جوميه (J Jomier)، " الجامع الأزهر: مسجد وجامعة" في دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها باللغة العربية: أحمد الشناوي وإبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، راجعها: محمد مهدي علام. بيروت: دار المعرفة- القاهرة: دار الشعب. ج3، ص- ص:183- 202.

163- حماه الله ولد سالم، " دور ركاب الحاج والأوقاف في التواصل بين المجال الشنقيطي- السوداني مع المشرق العربي"، في مجلة الجسرة الثقافية. قطر: نادي الجسرة الثقافي. العدد: 14، خريف 2002. ص- ص: 37- 46.

164- صلاح الدين المنجد، " إجازات السماع في المخطوطات القديمة"، في مجلة معهد المخطوطات العربية الصادرة عن جامعة الدول العربية. مصر: مطبعة شركة مساهمة مصرية. المجلد 1، ج2، ماي: 1955. ص- ص:232- 248.

165- صلاح الدين المنجد، " صفحات في تاريخ دمشق في القرن الحادي عشر مستخرجة من كناش إسماعيل المحاسني"، في مجلة معهد المخطوطات العربية. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. مجلد6، ماي- نوفمبر: 1960.

166- العيد مسعود، " حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، في مجلة سيرتا، السنة الثانية، العدد: 03- ماي: 1980. ص- ص:58- 76.

166- العيد مسعود، العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني، في مجلة سيرتا، السنة الأولى، العدد: 01- ماي1979. ص- ص: 46- 54.

168- العيد مسعود، " المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني"، في مجلة سيرتا، السنة السادسة، العدد: 10، رمضان 1408هـ/ أفريل 1988. ص- ص: 04- 26.

169- محمد سي يوسف، " نظام التعليم ببلاد زواوة بأيالة الجزائر خلال العهد العثماني ". أعمال مؤتمر الدراسات العثمانية:" الحياة الفكرية في الولايات العربية"، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي. زغوان (تونس): منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموركسية والتوثيق والمعلومات، (ط1)، 1990. ص- ص: 193- 209.

170- محمد بن المحبوب، " الوصل الثقافي بين الجزائر وبلاد شنقيط "، في مجلة الحضارة الإسلامية. العدد: 5، سنة: 1998. ص- ص:286- 302.

هـ/- المعاجم والقواميس:

171- أحمد رضا، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثية). بيروت: دار مكتبة الحياة. 1958. 5ج.

172- أحمد الطاهر الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة. الدار العربية للكتاب، (ط3)، 1980. 4 ج.(1، 756 ص)، (2، 877 ص)، (3، 727 ص)، (4، 686 ص).

173- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دارالجيل، (ط1)، 1991، ج1.

174- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله الفيلالي- تركيب: يوسف الخياط. بيروت: دار الجيل- دار لسان العرب، 1988. 15ج.

175- مرتضى الزبيدي (ت1205هـ)، شرح القاموس " تاج العروس من جوهر القاموس". مصر: المطبعة الخيرية بجمالية مصر، (ط1)، 1306هـ، 10 ج.
176- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، راجع التجارب المراقبان العامان بالمجمع: عبد الوهاب السيد عرض الله، ومحمد عبد العزيز القلماوي. (ط3)، 1985. مطابع الأوقست- شركة الإعلانات الشرقية. 2 ج.

و/- الأطروحات:

177- محمد بن جبور، « صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين: 17 و18م ». رسالة ماجستير في تاريخ العلاقات الدولية، تحت إشراف: د. غازي جاسم. جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- قسم: التاريخ وعلم الآثار. سنة 2002- 2003. (ص: 196).
178- نور الدين زرهوني، « الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري / 12م ». رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، تحت إشراف: أ. د. بن نعمية عبد المجيد. جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- قسم: التاريخ وعلم الآثار. سنة: 2001- 2002. (ص: 257).
179- يوسف بوكفة، « مدرسة مازونة الفقهية ». رسالة ماجستير في علم الاجتماع التربوي، تحت إشراف: د. بن عمر يزلي. جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية- قسم: علم الاجتماع، السنة الجامعية: 2003- 2004.

2)- المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

أ-المصادر والمراجع:

180- Albert Devoulx, Notices sur les corporations religieuses d’Alger. Alger : typographie Adolphe Jourdan ,1912. (79 p).
181- Emerit Marcel, L Algérie à l époque d abd – El- Kader. Paris : Editions la rouse, 1951. (299 p).

182 -Ernest mercier, Histoire de Constantine. Constantine : J. Marle et F. Biron, Imprimeurs –Editeurs, 1903. (730 p).

183- H' sen Derdour, Annaba 25 siècles de la vie quotidienne et de la lutte. Alger : Imprime sur les presses du Complexe Graphique de Reghaia, 1983. (Menue Appendices sur l'histoire général du grand Maghreb), tome 2, (575 p).

184 - Le docteur Lucien Raynaud, Le docteur Henri Soulié, Le docteur Paul Picard, Hygiène et Pathologie Nord Africaines. Paris: Masson et Cce éditeurs Libraires de L'Académie de médicale, 1932 .tome1. (400 p).

185- Shaw (docteur), L 'Algérie un siècle avant l'occupation française (Au 18 e siècle), témoignage de Shaw. Traduit de l'Anglais par : J. Mac. Carthy .Paris: Editions Imprimerie de Carthage. 2eédition, 1968. (227 p).

186- Venture de paradis, Alger au 18 eme siècle. Alger : Imprimeur- libraire, 1898. (298 p).

ب- المجلات:

187- Albert Devoulx , " Les Edifices Religieux de l’ancien Alger ". Alger : Office des publications Universitaires, Revue Africaine. N° : 10, Année : 1866. (51- 59, 221- 230, 286- 296,371- 381), N° : 12, Année : 1868. (103- 116, 277- 289). N° : 14, Année : 1970. (166- 192, 280- 292) .

188 -Ernest mercier, " Constantine au 17 eme siècle, élévation de la famille el fagoun " ;recueil de Constantine . Constantine :

Imprimerie l.Arnolet Braham. Alger : Jordan libraire éditeur. Paris : Challamel Aine éditeur.1879. 9 volume, série 2 ; 1878 .224- 240.

189- G.Faure- biguet," Notice sur le Cheikh Mohammed Abou Ras". Journal Asiatique, (Septembre- Octobre), 1899, Journal Asiatique, Série 9, Tome14. Paris : Imprimerie national, (p p 304- 321).

فهرس الموضوعات

المـــدخـــل

مـفـهـوم الإجـــازة الـعـلـمـيـة وأنـواعـها

الفـــصـــل الأول

الإجــازات الـعـلـمـية المتـبادلـة بيـن العـلـماء الجـزائـريين

الفصـــل الثـــاني

الإجــازات العلمية المتبادلة بيـن العـلماء الجـزائـريـين

وعلــمـاء المغـرب الأقــصى وتـونـس

الفصل الثالث

الإجازات العلمية المتبادلة بين العلماء الجزائريين وعلماء المشرق

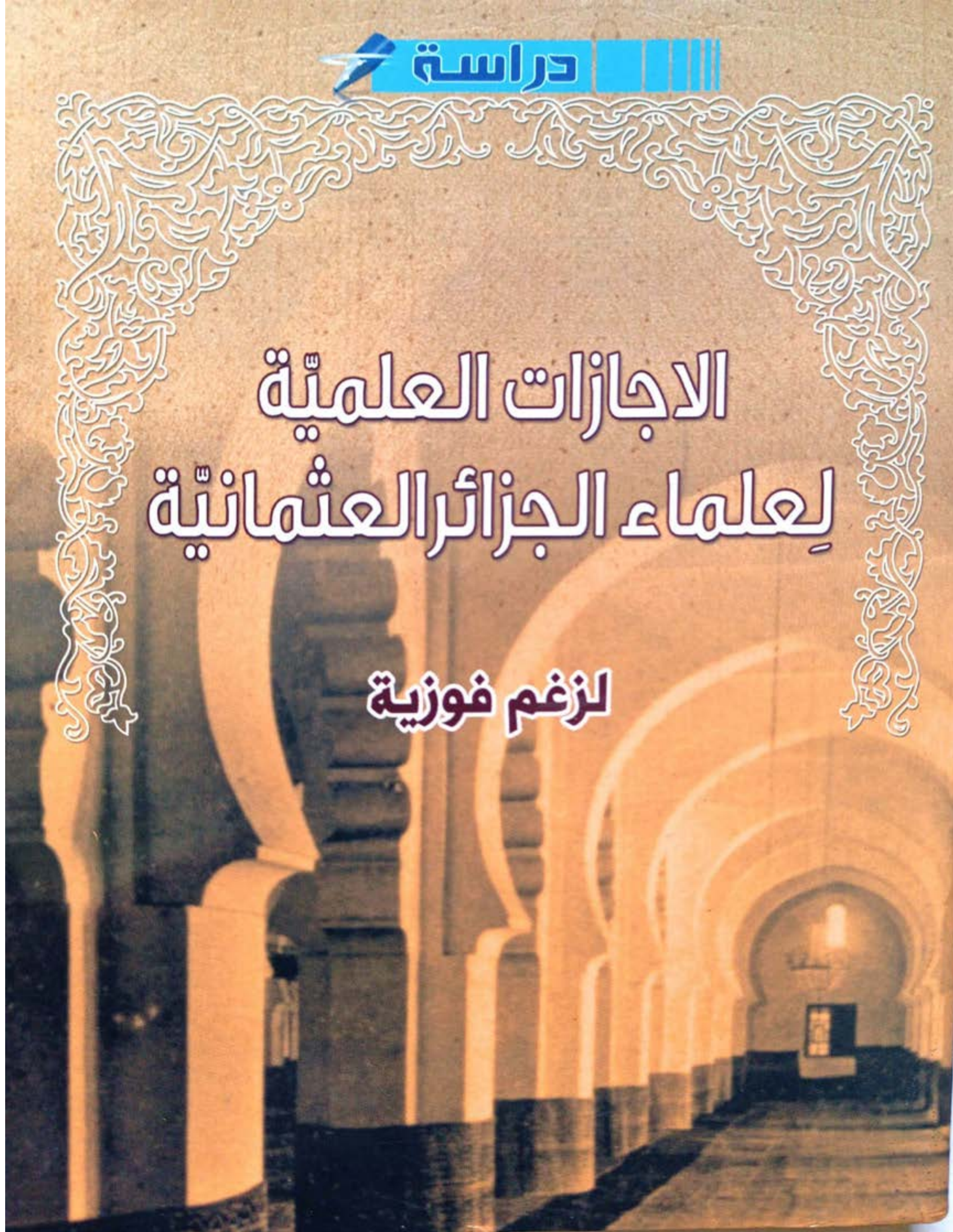
الفصـــل الرابـــع

نمـــاذج مـن إجــازات العلـماء الجــزائـريـــين

تمت مناقشة رسالة ماجستير **" الإجازات العلمية لعلماء الجز ائر العثمانية"**

يوم: 14 جوان 2006 بجامعة وهران، وطبعت ونشرت بدعم من وزارة الثقافة 2009

من طرف **دارسنجاق الدين للكتاب** بالجزائر العاصمة.







دار سنجاق الدين للكتاب

رقم الإيداع: 2010-1014



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة 2009